فهرستة الجزء الثالث من كتاب قناطر الخيرات

تمت

الجزء الثالث من كتاب
قناطر الخيرات تأليف الامام
شيخ الاسلام العالم
العلامة الشيخ
اسماعيل بن
موسى الجيطالي
النفوسي
رحمه الله
امين
م



بسم الله الرحمن الرحيم

القطرة الحادية عشرة
قطرة النفس

وبالله التوفيق قال الله سبحانه حكاية عن يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الاية وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك ثم اهلك ثم عيالك وروى ان اعرابية دعت لرجل فقالت كبت الله كل عدو لك الا نفسك فاخذه بعض الشعراء فقال

قلبي الى ما ضرني داعي ❁ يكثر اسقامي واوجاعي
كيف احتراسي من عدوي ❁ اذا كان عدوي بين اضلاعي

فاذا كانت النفس اضر اعداء الانسان وبلاؤها عليه اشد بلاء يجري به الزمان فحقيق على الانسان ان يشتغل بمعالجتها وقمعها عن الانهماك في شهواتها وان يسيء الظن بها في جميع حالاتها لان جنس الظن

بها ذريعة الى تحكيمها وتحكيمها داع الى سلاطتها وفساد الاخلاق بها وقد
روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال العاجز من عجز عن
سياسة نفسه وقال بعض الحكماء من ساس نفسه *ساد ناسه*
وقال النبى عليه السلام الشديد من غلب نفسه وعن عون بن عبد الله
انه قال اذا عصتك نفسك فيما كرهت فلا تطعها فيما احببت
ولا يغرنك ثناء من جهل امرك فيلزم الانسان ان يشتغل بعلاج
نفسه لان داءها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما ذلك
لامرين احدهما انه عدو من داخل واللص اذا كان من داخل صعبت
الحيلة فيه وعظم الضرر منه وقد قال النيسابورى

مَاحيلة الريح اذا مِن دَاخِل * هبّت وفلك أوتيت مِن سَاحِل

والثانى انه عدو محبوب والانسان اعمى عن عيب محبوبه لا يكاد يبصره
وقد قال النبى عليه السلام حبّك الشئ يُعمى ويصم كما قال الشاعر

فعينُ الرضا عن كل عيب كليلةٌ * ولكنّ عينَ السُّخط تُبدي المساويا

فاذا يستحسن الانسان من نفسه كلّ قبيح ولا يكاد يطلع لها على عيب
يدنسها فاذا كان كذلك فما اوشك ان توقعه فى فضيحة وهلاك*
وهو لا يشعر الا ان عصمه الله برحمته وانما كانت اشد الاعداء لانها*
لا يمكن التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة فيشتغل بغيرها لانها مطيته
التى يقطع بها مسافة العمر ولا مطمع له فى الموافقة على الطاعة
والخير لانها مجبولة على اتباع الشهوة التى هى معدة كل شئ فحياة
الانسان مقرونة بحياتها وموته متعلقة بموتها كما قال القائل

ولقد هَممتُ بقتلها مِن اجلها * كيما تكون خصيمتى فى المحشر
ثم ارعوت فقلت روحى روحها * فاذا هممتُ بقتلها الواقدِ

فلما كان حال النفس هكذا كان الانسان محتاجا الى ان يلجمها بلجام التقوى

لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد فلا تطغى وتمرح فيستعملها في المصالح والمراشد ويجنبها طرق المهالك والمفاسد لان هذه النفس دابة جموح ومطية صعبة ان اسرفت عليها في التاديب اهلكتها واهلكت نفسك وان اهملتها اضرت بك وصرعتك فتحتاج الى طريقة بين طريقتين تربية وتغذية بقدر ما تحتمل من فعل خير وترك شر وانت من امرها في علاج شديد ونظر لطيف فان قيل فما الحيلة في تذليل هذه الدابة حتى تنقاد بلجام التقوى فاعلم ان العلماء قالوا انما تذلل النفس ويكسر هواها بثلاثة اشياء احدها منع الشهوات بالصوم وغيره فان الدابة الحرون تلين اذا انقص من علفها ولذلك قال عليه السلام يا معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء يعني خصاء والمعنى في ذلك ان الصوم يضعف النفس ويكسر شهواتها والثاني حمل اثقال العبادة عليها فان الحمار اذا زيد في حمله مع نقصان علفه تذلل وانقاد الثالث الاستعانة بالله والتضرع اليه ان يعينك والا فلا مخلص لك من شرها اما تسمع قول الصديق عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت على هذه الامور الثلاثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله تعالى فحينئذ تبادر ان تلجمها وتملك امرها وتامن من شرها فان قيل فبين الان ما هو التقوى حتى نعلمه فاعلم ان العلماء قالوا التقوى تبرئة القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى يحصل العبد من قوة العزم على تركها وقاية بينه وبين المعاصي وذلك لان اصل لفظة التقوى في اللغة هو الوقاء بالواو وهو مصدر وقى يقي وقاية ووقوا فابدلت الواو ياء كما هو في الوكلان والتكلان ونحوها فقالوا تقوى فاذا لما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصي

من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على ذلك فيوصف ح بانه
متق ويقال لذلك التنزيه والعزم والتوطين تقوى والتقوى اصل
جامع لخير الدنيا والاخرة وهي وصية الله الذى هو ارحم الراحمين
وانصح الناصحين لعباده الاولين والاخرين قال الله سبحانه ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ولو كانت
في العلم خصلة هي اصلح للعبد واجمع للخير واعظم في الاجر واجل في القدر من هذه
الخصلة التي هي التقوى لكان الله سبحانه امر عباده بها واوصى
بها خواصه بذلك لكمال حكمته ورحمته وكان خيرات الدنيا
والاخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى
وتامل ما في القران من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها من
ثواب وكم اضاف اليها من سعادة يطول ذكر ذلك ويكفي فيه قول الله
تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا
وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الاية ثم
الذى يخص هذا الشان من امر العبادة ثلاثة اصول احدها التوفيق
والتاييد اولا وهو للمتقين كما قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا
الاية الثاني اصلاح العمل وتمام التقصير وهو للمتقين كما قال الله
تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم الاية والثالث
قبول العمل وهو للمتقين قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
ومدار العبادة على هذه الامور الثلاثة التوفيق اولا حتى يعمل
ثم الاصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلاثة
من اجلها يتفرغ العابدون الى الله تعالى ويسالون ويقولون ربنا
وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله ذلك
للمتقين سالوا او لم يسالوا الى سائر ما وعدهم من اصناف الخيرات

وانا اذكر بعضها لتستدل بها على جملتها منها المدحة والثناء قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ومنها الحفظ والحراسة من الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ومنها النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومنها المغفرة قال الله تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم الاية ومنها محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب المتقين ومنها الاكرام والاعزاز قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والله ولي المتقين ومنها البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة ومنها النجاة من النار قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ومنها الخلود في الجنة قال الله تعالى اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وبالجملة ان كل خير وسعادة في الدارين تحت هذه التقوى رزقنا الله منها اوفر حظ ونصيب (فصل في ذم النفس) والجامها بلجام التقوى قال الله سبحانه فلا اقسم بالنفس اللوامة قال بعض السلف النفس الامارة بالسوء هي الداعية الى الهلاك المعينة للاعداء المتبعة للهوى المتمتعة بانواع الاسواء وقيل لبعض العلماء متى يصير داء النفس دواؤها فقال اذا خالف هواها وقال بعض العلماء النعمة العظمى الخروج من النفس لان النفس اعظم حجاب بينك وبين الله وتامل اصلحك الله نكتة واحدة في النفس تقنعك وهي انك اذا نظرت وجدت اصل كل قبيحة وخزي وفضيحة وهلاك وفتنة وقع في الخلق من اول الدنيا الى اخرها انما جاء من قبل هذه النفس اما بها وحدها او بعونتها ومشاركتها ومساعدتها فاول المعصية لله انما كانت من ابليس اللعين وكان سببه بعد القضاء السابق هو النفس بكبرها وحسدها القتة بعد عبادة ستة الاف سنة وقيل ثمانين الف

سنة فيما ذكر في الكتاب فالقته في بحر الضلال ابد الابدين اذ لم تكن هنالك دنيا ولا شيطان بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعملت ما عملت ثم ذنب ادم وحواء عليهما السلام طرحتهما شهوة النفس في ذلك وحرصها على البقاء والحياة حتى اغتر بقول ابليس فكان ذلك بعون النفس وشركتها حتى خرجت من جوار الله تعالى وقرار الفردوس الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة الفانية المهلكة ولقي اولاده ما لقوا من ذلك اليوم الى الاخرة ثم حديث هابيل وقابيل كان سببه الحسد والشح ثم هلم جرا الى يوم القيامة فلا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها النفس وهواها والا كان الخلق في سلامة وخير (فصل في التقوى) وقد تقدم معناها والجام النفس بلجام التقوى ولكن نشير الى طرف من فضلها ومدحة المتصف بها وفي الحديث جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اوصني فقال عليك بتقوى الله * فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بذكر الله فانه نور لك وعن بعضهم قال سمعت ابن عطاء يقول للتقوى ظاهر وباطن فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والاخلاص وعن قتادة قال مكتوب في التوراة يا ابن آدم اتق الله ونم حيث شئت وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا ولا يعجبه الا ذو تقى وتامل نكتة واحدة في فضل التقوى وهي هب انك جاهدت في العبادة طول عمرك حتى حصل لك ما تمنيت اليس الشان كله في القبول وقد قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين فرجع الامر كله الى التقوى فعليك يا اخي بهذه التقوى ان اردت عبادة الله بل اذا اردت سعادة الدنيا وكرامة الاخرة * ولقد صدق القائل

من اتقى الله فذاك الذي * سيق اليه المتجر الرابح

آخر ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقي
من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي

وعن علي بن ابي طالب انه قال سادات الناس في الدنيا الاسخياء وفي الاخرة الاتقياء وينشد ما بال من اوله نطفة * وجيفة آخره يفخر * لا فخر الا فخر اهل التقى غدا اذا ضمهم المحشر
فان قيل فقد عظمت التقوى غاية الاعظام حتى عظم موقعها ومست الحاجة الى علمها والعمل بها فبين لنا تفصيلها فاعلم * انها العمر الله امر عظيم وخير جسيم ولكنك تعلم ان كل خطير * وكبير يحتاج في اجتلابه الى طلب كثير وتعب كبير وجهد شديد وهمة عالية ونفس عن دناءة الاخلاق آبية لان من طلب عظيما خاطر بعظيمة وان المكارم على حسب احتمال المكاره ولله در القائل لا تحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
لا يدرك العلم بطال ولا كسل * ولا ملول ولا يلقاه من نظرا
وليس يدركه الا فتى يقظ * قد كابد الجد والدؤب والسهرا
اعلم ان التقوى في اللغة قد تقدم معناها واما في القرآن فانها تطلق على ثلاثة اشياء احدها معنى الخشية والهيبة قال الله تعالى واياي فاتقون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته عن ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته قال مجاهد هو ان يطاع ولا يعصى وان يذكر ولا ينسى وان يشكر ولا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهذه هي الحقيقة في التقوى لان محل التقوى القلب قال الله تعالى فانها من تقوى القلوب وقال بعض العلماء يستدل على تقوى

الرجل بثلاثة بحسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال * وحسن الصبر على ما فات قال الله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فتبين ان حقيقة التقوى معنىً سوى الطاعة * والخشية وهو تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق منك مثله ثم قالت العلماء منازل التقوى ثلاثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية قالوا وقد اشار القرآن الى هذه المنازل الثلاث قال الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا التقوى الاولى عن الشرك فالايمان في مقابلة التوحيد والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار لمخالفتها والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية ولا اقرار في هذه المنزلة فقابلها الاحسان وهو الطاعة فالاية جمعت المنازل الثلاثة وقد ورد في الحديث ايضا ان التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وذلك قوله عليه السلام انما سمّي المتقون متقين لتركهم ما لا بأس فيه مخافة ما فيه البأس فالتقوى على هذا * المعنى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في دينك وذلك قسمان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الانهماك في الحلال يفضي بصاحبه الى العصيان وذلك لشره النفس وطغيان الهوى فمن اراد ان يامن في دينه الضرر اجتنب كل ما فيه الخطر وامتنع من فضول الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام على ما قاله عليه السلام لتركهم ما لا باس به حذرا عما به الباس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا من الوقوع في الحرام فالتقوى الجامعة البالغة اجتناب

كل ما فيه ضرر لامر الدين وهو المعصية والفضول واما حد التقوى على موضع الشرع فهو تبرئة القلب عن شر لم يسبق منك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بين الانسان وبين كل شر ثم الشرور ضربان شر اصلي وهي المعاصي المحضة وشر غير اصلي وهي ما نهى عنه تاديبا وذلك فضول الحلال كالمباحات الماخوذة بالشهوات فالاولى تقوى فرض يلزم بتركها عذاب النار والثانية تقوى خير وادب يلزم بتركها الحساب والتوبيخ فمن اتى بالاولى فهو في الدرجة الادنى من التقوى وهي منزلة مستقيمي الطاعة ومن اتى بالاخرى فهو في الدرجة الاعلى من التقوى وذلك منزلة مستقيمي المباح واذا جمع العبد بينهما على اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى وقام بحقها وذلك هو الورع الكامل الذي هو ملاك امر الدين فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة وبالله التوفيق * (فصل في كيفية الجام هذه النفس التي عنينا بها) * اعلم ان الجام النفس بلجام التقوى هو ان تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها عن كل فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى في عينك واذنك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك والجمتها بلجام التقوى وشرح ذلك يطول ولكنا نشير الى ما لا بد منه فنقول من اراد ان يتقي الله عز وجل فليراع جوارحه التي هي نعمة من الله تعالى بها عليه وامانة ائتمنه عليها ولا يعصيه بها لان الاستعانة بنعمة الله على معاصيه غاية الكفران وخيانته في امانة اودعها عنده غاية الطغيان فاعضاء العبد رعاياه فلينظر كيف يرعاها وفي الحديث كلكم راع وكلكم مسؤل

عن رعيته وجوارح الانسان تشهد عليه يوم القيامة على
رؤس الخلائق قال الله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم *
وايديهم وارجلهم وقال وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم جاء في التفسير ان الجلود هاهنا
الفروج فاحفظ يا اخي اصلحك الله جوارحك وخصوصا *
اعضاءك الثمانية فانهن الاصول وهن القلب واللسان والعين
والاذن والبطن والفرج واليدان والرجلان فتحترس عليها
بالصيانة لها عن كل ما تخاف منه ضررا في امر الدين من معصية
وحرام وفضول واسراف في حلال ولا سيما منهن خمس وهي
القلب واللسان والعين والاذن والبطن فانه اذا حصل للانسان
صيانة هذه الاعضاء فرجوا ان يكفي سائر جوارحه فينحصر
ذلك حينئذ في مقدمة وخمسة ابواب فصل في
بيان المقدمة في ذكر الهوى قال الله سبحانه ارايت من اتخذ
الهه هواه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الهوى
اله يعبد من دون الله ثم قرا ارايت من اتخذ الهه هواه وعن
علي بن ابي طالب انه قال اخاف عليكم اثنتين اتباع الهوى وطول
الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي
الاخرة وعن عمر رضي الله عنه انه قال ازعموا هذه النفس عن
شهواتها فانها طلاعة تنزع الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مري
وان الباطل خفيف وبي وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة
ورب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة اورثت حزنا طويلا
وعن النبي عليه السلام [illegible] هذه الشهوة داء وعصيانها
دواء وعن [illegible] النفس كي يبغي

بالشهوات وتربصتم يعني بالتوبة وارتبتم يعني في امر الله تعالى * وغرتكم الاماني بالتسويف حتى جاء امر الله يعني الموت وغركم بالله الغرور يعني الشيطان وعن الشعبي انه قال انما سمي الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه وينشد لهشام بن عبد الملك

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

وقال بعض الاعراب الهوى هوان ولكن قلب اسمه فنظمه بعض الشعراء فقال

ان الهوى هو الهوان قلب اسمه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وفي منثور الحكم من اطاع هواه فقد اعطى عدوه مناه وقال بعض الحكماء العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع وقال بعض البلغاء افضل الناس من عصى هواه وافضل منه من رفض دنياه وقال بعض الشعراء

اذا ما رايت المرء يقتاده الهوى * فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد اشمت الاعداء جهلا بنفسه * وقد وجدت فيه مقالا عواذله

وما يردع النفس اللجوج عن الهوى * من الناس الا حازم الراي كامله

فلما كان الهوى على الانسان غالبا والى سبيل المهالك موردا جعل العقل عليه رقيبا مجاهدا يلاحظ غرة غفلته ويدفع سطوته بادرته ويوضح خداع حيلته لان سلطان الهوى قوي ومدخل مكره خفي ولذلك قال بعض الحكماء الهوى ملك غشوم ومتسلط ظلوم فاما الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه فيكل العقل من دفعها مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها وحسم ذلك ان يستعين العقل بالنفس النفورة فيشعرها ما في عواقب الهوى من شدة

الضرر وكثرة الاوزار وقد قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاخبر عليه السلام ان الطريق الى الجنة احتمال المكاره والطريق الى النار اتباع الشهوات وقال عليٌّ اياكم وتحكيم الشهوات على انفسكم فان عاجلها ذميم وآجلها وخيم فان لم تنفع فيها الرهبة فشوبها بالرغبة فانهما اذا اجتمعا على النفس ذلت وانقادت وقد قال الشاعر

صَبَرْتُ على الايام حتى تَوَلَّتِ ❊ فَالْزَمْتُ نفسي صَبْرَهَا فاستمرت

وَمَا النفسُ الا حيث يجعلها الفتى ❊ فَإِنْ أُطْمِعَتْ تاقت والا تسلت

فاذا انقادت النفسُ للعقل تم له الحظ الاوفى من ثواب الخالق وثناء المخلوقين وقد قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وعن الحسن انه قال افضل الجهاد جهاد النفس وينشد

قد يُدْرِكُ الحازمُ ذُو الرأيِ الحَسَنْ ❊ بطاعةِ الحزمِ وعصيانِ الهوى

وقال بعض العلماء ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب ابن آدم من كليهما عقل وشهوة فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم وينشد

إذا المرءُ اعطى نفسه كلَّ ما اشتهت ❊ ولم ينهها تاقت الى كل باطل

وساقت اليه الاثمَ والعارَ بالذي ❊ دعته اليه من حلاوة عاجل

واما الوجهُ الثاني فهو ان يخفي الهوى مكرهُ حتى تموه افعاله على العقل فيتصورُ القبيح حسنا وقد قال تعالى افمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنا وذلك انما يكون بسببين احدهما حب

النفس ذلك الشيء فتعمى عن عيبه وقد قال عليه السلام
حبك الشيء يعمي ويصم وينشد لعبد الله ابن
معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب

ولست براء عيب ذي الود كله ۞ ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضى عن كل عيب كليلة ۞ ولكن عين السخط تبدي المساويا

والسبب الثاني هو اشتغال الفكر في تمييز ما اشتبه وطلب
الراحة في اتباع ما تسهل حتى يظن ان ذلك احمد الامرين
فيتورط بخدع الهوى وزينة المكر في اقبح الحالتين ولذلك
قيل عن عامر بن المطرب انه قال الهوى يقظان والعقل
راقد وقيل في المثل العقل وزير ناصح والهوى وكيل
فاضح وينشد

اذا انت قد اعطيت بطنك سؤلها ۞ وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

فحسم السبب الاول ان يجعل فكر قلبه حكما على نظر عينيه
فالعين رائد الشهوة والشهوة من دواعي الهوى والقلب
رائد الحق والحق من دواعي العقل ثم يتهم نفسه في صواب
ما احبته ليستبين له الحق فان الحق اثقل محملا فان اشتبه
عليه امران اجتنب احبهما اليه لان النفس تنفر عن الحق
وتؤثر الهوى وقد قال العباس بن عبد المطلب اذا اشتبه
عليك امران فدع احبهما اليك وخذ اثقلهما عليك وعلة
هذا القول ان الثقيل تبطئ النفس عن التسرع اليه فيتضح مع
الابطاء وطول الزمان صواب ما استبهم والمحبوب اسهل
تسرع النفس اليه فيقصر الزمان عن تصفحه لفكره ويفوت
استدراكه لتقصير فعله فلا ينفع التصفح بعد العمل والاستبانة

بعد الفوت وينشد

اليس من طلاب ما قد فات جهلا * وذكر المرء ما لا يستطيع

ولقد وصف بعض البلغاء الهوى وما يقارنه من محن الدنيا فقال الهوى مطية الفتنة والدنيا دار المحنة فانزل عن الهوى تسلم واعرض عن الدنيا تغنم فلا يغرنك هواك بطيب الملاهي ولا تفتنك دنياك بحسن العواري فمدة الهوى تنقطع وعارية الدهر ترتجع فيبقى عليك ما ترتكبه من المحارم وتكسبه من المخازي والمآثم وقال بعض علماء السلف سمعتني امراة في الطواف وانا انشد

اهوى هوى الدين واللذات تعجبني * فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت هما ضرتان فدع ايهما شئت وخذ الاخرى واما الفرق بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول فهو ان الهوى مختص بالآراء والاعتقادات والشهوة تختص بنيل المستلذات فصارت الشهوة من نتائج الهوى فهي اخص والهوى اصل وهو اعم ونحن نسال الله ان يكفينا دواعي الهوى ويصرف عنا سبل الردى ويجعل التوفيق لنا قائدا والعقل لنا مرشدا وقد حكى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت والا فاستحي مني ونحن كما قال بعض السلف قلوب تعرف والسنة تصف واعمال تخالف فالله تعالى نساله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والاخرة فلما كان العقل رقيب الهوى وسراجا في القلب الذي هو اشرف الاعضاء كان لنا ان نبتدئ بذكر القلب وعلاجه ونرتب عليه ذكر الجوارح *

وبالله التوفيق (الباب الاول في ذكر القلب)

قال الله سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم فاخبر ان سلامة القلب وطهارته من الغوائل هي سبب لنجاة الانسان من عذاب القبر فعليك يا اخي وفقنا الله واياك باصلاح القلب وبذل المجهود في ذلك فانه اعظم الاعضاء خطرا وادقها امرا واشقها اصلاحا واذكر لك فيه خمسة اصول مقنعة لك عن كثرة الفصول احدها قول الله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وقوله انه عليم بذات الصدور وكم كرر ذكره في القران فكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد لان المعاملة مع علام الغيوب خطرة عسرة فانظر ماذا يعلم من قلبك والاصل الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان الله لا ينظر الى صوركم وابشاركم او قال اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فالقلب اذا موضع نظر رب العالمين فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي هو موضع نظر الخلق فينظفه من الادناس ويزينه لئلا يطلع عليه مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب العالمين فيطهره ويزينه ويطيبه كيلا يطلع الرب تعالى على دنس فيه وشين وعيب وافة بل يهمله ويملأه بقبائح واقذار وفضائح لو اطلع الخلق على واحدة منها لهجروه وتبرؤا منه وطردوه والله المستعان الاصل الثالث ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع فاذا صلح

المتبوع صلح التابع واذا استقام الملك استقامت الرعية يبين ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجسد بضعة اذا اصلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب فاذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية اليه الاصل الرابع ان القلب خزانة كل جوهر نفيس للانسان وكل معنى خطير اولها العقل واجلها معرفة الله عزوجل التي هي سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم والوجاهة عند الله عزوجل ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد ثم سائر الاخلاق الشريفة من الجود والكرم والصبر والشكر واليقين والزهد والرضى والتوكل والرحمة والرافة والحلم والرفق وغير ذلك مما يطول الكتاب بتعداده وحقيق لمثل هذه الخزانة ان تحفظ من الادناس وتطهر من الانجاس وتحرس من السراق والقطاع وتكرم بضروب الكرامات بل تعمر باصناف الخيرات وانواع القربات لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس او يظفر بها عدو مهلك الاصل الخامس وهو ان العلماء تاملت احوال القلب فوجدتها خمسة ليست لغيره من الاعضاء احدها ان العدو قاصد اليه مقبل عليه ملازم له كما ورد في الحديث ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فهو منزل الالهام والوسوسة يقرعه الملك والشيطان بالدعوتين ابدا والثاني ان الشغل له اكثر فان الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده فهو ابدا بين تجاذبهما وتناقضهما

فيحق بالشغران يحرس ويحض ولا يغفل عنه والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر كالسهام لا تزال تقع فيه كالمطر لا تزال تمطر عليه ليلا ونهارا لا تنقطع عنه ولا انت تقدر على منعها فتمتنع فليس بمنزلة العين التي هي بين جفنين تغمض فتستريح او تكون في موضع خال او ليل مظلم فتكفي رؤيتها واللسان الذي هو وراء الحجابين الاسنان والشفتين وانت القادر على منعه بل القلب عرض للخواطر لا تقدر على منعها والتحفظ عنها بحال ولا هي تنقطع عنك بوقت ثم النفس مسارعة الى اتباعها فالامتناع عن ذلك في مجهود الطاقة امر شديد ومحنة عظيمة والرابع ان علاجه عليك عسير اذ هو غيب عنك فلا تكاد تشعر حتى يدب فيه آفة وتحدث له حالة فتحتاج ان تبحث عن ذلك اتم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة الرياضة الخامس ان الآفات اليه اسرع وهو الى الانقلاب اقرب فلقد قيل ان القلب اسرع انقلابا من القدر في غليانها ولذلك قيل فيه

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ ❁ وَالرَّأْيُ يَضْرِبُ بِالْإِنْسَانِ أَطْوَارَا

ثم ان زلل القلب والعياذ بالله فرلله عظيم ووقوعه اصعب وافظع ادناه قسوة وميل الى غير الله سبحانه ومنتهاه ختم وانكار لله جل ذكره اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر كان الكبر من قلبه فحمله على الاباء والكفر بظاهره اما تسمع قوله ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوى بقلبه حمله على ذلك الذنب المشؤم بنفسه اما تسمع قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به

اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى ايها الرجل خاف الخواص من عباد الله على قلوبهم فبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال الله سبحانه في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله من المعتبرين بالعبر المتيمين لمواضع الخطر الموفقين لاصلاحها بحسن النظر اليه انه ارحم الراحمين فان قيل ان امر هذا القلب لمهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه وعن الافات التي تعترضه فتفسده * عسى ان نوفق للاجتهاد في العمل بذلك يقال له اعلم ان تفصيل هذه المعاني يطول وانما علماء الاخرة عنوا باستخراج ذلك وقد حكى بعضهم انهم ذكروا فيما يحتاج اليه من ذلك نحو تسعين خصلة محمودة وكذا في اضدادها المذمومة ثم من الافعال والمساعي الواجبة والمحظورة نحو ذلك في سائر تفاصيلها ولعمري ان من اهمه امر دينه ووفق للنظر لنفسه فلا يكون ذلك في العمل به عليه كثيرا وذكر عن بعض العلماء في الكتاب انه قال اذا سلم الانسان من عشر خصال مهلكات فرجوا ان يسلم من غيرها وهي الكبر والعجب والحسد والرياء وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه قال واذا حصل من الخصال المنجيات عشرا فرجوة له النجاة ان شاء الله وهي الندم على الذنب والصبر على البلاء والرضى بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق وحب الله تعالى والخشوع له والله اعلم اعلم ان شرح الصفات المذمومة في القلب طويل وتطهير القلب

من رذائلها شاق على النفس عسير وسبيل العلاج فيه غامض
وقد اندرس بالكلية علمه وعمله لغفلة الناس عن انفسهم
واشتغالهم بقضاء شهواتهم ونحن نشير ان شاء الله ههنا
الى ست صفات من خبائث القلب وهن مهلكات ولسواهن
من الخبائث اصول وامهات وهي الامل والحرص والغضب
والحقد والبخل والعجلة فنشرح ذلك في ستة فصول

الفصل الاول في الامل

قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام وعيدا وتهديدا للكفار
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وعن النبي
عليه السلام من طريق علي بن ابي طالب انه قال اشد ما اخاف
عليكم اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه
يصد عن الحق واما طول الامل فانه يحبب الدنيا ثم قال
الا ان الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن يبغض فاذا احب الله
عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا
من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وان الدنيا قد
ارتحلت مولية والاخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم
عمل ليس فيه حساب الا وانكم ستكونون في يوم حساب ليس
فيه عمل ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع
ذات عشية على الناس فقال ايها الناس الا تستحيون من الله
قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتؤملون
ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وعن ابي سعيد الخدري
انه قال اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة
دينار الى شهر فسمعنا رسول الله يقول الا تعجبوا من اسامة

المشتري الى شهر انه سامة لطويل الامل والذي نفسي بيده
ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله
روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا
لقمت لقمة حتى ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت
ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى
والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآتٍ وما انتم بمعجزين
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج يريق
الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله الماء منك
قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وروى انه صلى الله
عليه وسلم اخذ ثلاثة اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر
الى جنبه واما الثالث فابعده فقال اتدرون ما هذا
فقالوا الله ورسوله اعلم فقال هذا الانسان وهذا الاجل
وذلك الامل يتعاطاه ابن آدم فيختلجه الاجل دون الامل
وعنه صلى الله عليه وسلم من طريق ابن عبد الله انه عليه
السلام خط خطا مربعا وخط في وسطه خطا وخط *
خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون
ما هذا فقالوا الله ورسوله اعلم فقال هذا الانسان
للخط الاوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض
تنهشه يعني الخطوط المخطوطة قوله ان اخطاه هذا نهشه
هذا وذلك الامل للخط الخارج وقال ابن مسعود رحمه الله
هذا المرء وهذه الحتوف حوله سوارع اليه فان اخطته
الحتوف قتله الهرم وهو ينظر الى الامل وعن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يهرم ابن آدم ويبقى فيه اثنان

الحرص والامل وفي رواية اخرى ويشب منه اثنان الحرص
على المال والحرص على العمر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخرها بالبخل
والامل وفي الخبر ان عيسى عليه السلام بينما هو جالس
وشيخ يعمل بمسحاة يلين بها الارض فقال عيسى عليه السلام
اللهم انزع عنه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث
ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل
فساله عيسى فقال بينما انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى
تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة فاضطجعت ثم قالت لي
نفسي والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي
وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كلكم يحب ان
يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل
واجعلوا اجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء
وعنه عليه السلام انه كان يقول في دعائه اللهم اني
اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من امل يمنع
خير العمل واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وعن
عبد الله بن عمر انه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ببعض جسدي فقال كن في الدنيا كانك غريب او
عابر سبيل وعد نفسك في اهل القبور فاذا اصبحت
فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث
نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن
حياتك قبل موتك فانك لا تدري يا عبد الله ما اسمك
غدا وفي الخبر ان الله تعالى لما اخرج الذرية من صلب ادم

عليه السلام قالت الملائكة يا رب ان الارض لا تسعهم
قال اني جاعل فيهم موتاً قالت لا يهنئهم العيش قال اني
جاعل فيهم املا وقال بعض العلماء بلغني ان الانسان خلق
احمق ولولا ذلك لما تهنأ عيشا وقال سلمان الفارسي رحمه الله
ثلاثة ابكتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل
وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فاه لا يدري اساخط
عنه رب العالمين ام راض قال وثلاثة احزنتني حتى ابكتني
فراق محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه الاحبة وهول المطلع
والوقوف بين يدي ربي لا ادري الى الجنة يؤمر بي ام الى
النار وقال بعض العلماء الزهد في الدنيا قصر الامل
ليس باكل الغليظ ولبس العباء وقيل للحسن يا ابا سعيد
الا تغسل قميصك فقال الامر اعجل من ذلك وكان يقول
الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم ويروى
عن علي بن ابي طالب انه قال ايها الناس اتقوا الله الذي ان
قلتم سمع وان اضمرتم علم وبادروا الموت الذي ان هربتم
ادرككم وان اقمتم اخذكم ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال في بعض خطبه ايها الناس ان الايام تطوى والاعمال
تحصى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان
تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد
ويأتيان بكل موعود وفي ذلك عباد الله ما الهى عن
الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات وقال معسر
كم من مستقبل يوما لا يكمله ومنتظر غدا لا يبلغه ولو رايتم
الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره وتمثل علي بن ابي طالب

قال بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

غَرَّ جَهُولاً أَمَلُهْ ❊ يَمُوتُ مَنْ جَا أَجَلُهْ ❊ وَمَنْ دَنَا مِنْ حَتْفِهِ
لم تغن عنه حِيلَتُهْ ❊ وَمَا بَقَى آخِرُهُ ❊ قَدْ غَابَ عَنْهُ أَوَّلُهْ
وَالْمَرْءُ لَا يَصْحَبُهُ ❊ فِي الْقَبْرِ إِلَّا عَمَلُهْ

وروى عن الجاحظ انه قال فى كتاب البيان وجد مكتوبا على حجر يا ابن ادم انك لو رايت يسير ما بقى من اجلك لزهدت فى طول ما ترجو من املك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك وقد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب وفيما يروى انه ليس من يوم ياتى الا قال يا ابن ادم تزود منى فانى يوم جديد وانى على ما صنعت فى شهيد وانى ذاهب فلا اعود ثم ختم عليه بخاتم فلا يكسر الى يوم القيامة وينشد

مَضَى أَمْسُكَ الْمَاضِي شَهِيدًا مُعَدَّلاً ❊ وَأَعْقَبَهُ يَوْمٌ عَلَيْكَ شَهِيدُ
فَإِنْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً ❊ فَبَادِرْ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ
وَلَا تُبْقِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ ❊ لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ
إِذَا مَا الْمَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ ❊ حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

فصل اعلم ان الامل احد قواعد الدنيا التى لا تعمر الا بها وذلك ان العلماء حصروا ما يصلح به الدنيا الى ستة اشياء وهى دين متبع وسلطان قاهر وعدل كامل وامن عام وخصب دار وامل فسيح اما الدين المتبع فانه يصرف النفوس عن شهواتها فيصير رقيبا عليها فى خلواتها واما السلطان القاهر فانه تتالف برهبته الاهواء

المختلفة وتنكف بسطوته الايدي المتعادية ولذلك قال بعض
الحكماء الادب ادبان ادب شريعة وهو ما ادّى الفرض وادب
سياسة وهو ما عمّر الارض واما العدل الشامل فانه يدعو
الى الالفة ويبعث على الطاعة وتتعمر معه الارض وتثمر به
الاموال والنسل ويامن به السلطان لانه لا شيء اسرع
في خراب الدنيا ولا افسد لضمائر الخلق من الجور لانه ليس
يقف على حدّ ونهاية واما الامن العام فانه تطمئن اليه
النفوس وتنتشر ويانس به الضعيف فينبعث فليس لخائف
راحة ولا لحاذر طمانينة ولذلك قيل الامن اهنأ عيش
والعدل اقوى جيش واما الخصب الدارّ فلانه يؤول الى
الغنى والغنى يحدث الامنة والسخاء فتتسع النفوس في
التوسع وتكثر المواساة والتواصل واما الامل الفسيح *
فلانه يبعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه ولولا
ان الثاني يرتفق بما انشاه الاول حتى يصير به مستغنيا *
لافتقر اهل كل عصر الى انشاء ما يحتاجون اليه من منازل
السكنى وارض الحرث وفي ذلك من الاعواز وتعذر الامكان
ما لا اخفاء به فارفق الله سبحانه الخلق باتساع الامل حتى
عمّر به الارض فتم صلاحها فصارت تنتقل بعمرانها الى
قرن بعد قرن فيتم الثاني ما ابقاه الاول من عمارتها ويرمّ
الثالث ما احدثه الثاني من شعثها لتكون احوالها على ممرّ
الاعصار ملتئمة وامورها منتظمة ولو قصرت الامال
لما تجاوز الواحد حاجة يومه ولا تعدّى ضرورة وقته *
ولكانت تنتقل الى من ياتي بعد خرابا لا يجد فيها بلغة ولا يدرك

منها حاجة ثم تنقل الى من يجئ بعدُ باسوء من ذلك حالا حتى لا ينتهى لها نبت ولا يمكن فيها لبث ولذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الامل رحمة من الله عز وجل لامتى ولولاه ما غرس غارس شجرا ولا ارضعت ام ولدا وعن مطرف ابن عبد الله انه قال لو علمت متى اجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنؤا عيشا ولا اقامت بينهم الاسواق وقد قال الشاعر

وللنفوس وان كانت على وجل … من المنية آمالٌ تقويها
فالمرءُ يبسطها والدهر يقبضها … والنفس تنشرها والموت يطويها

فلمّا كان الامل من اقوى الاسباب فى عمارة الدنيا كان فى الاخرة من اعظم اسباب غفلتها وخرابها وقلة الاستعداد لها الا ان طول الامل هو العائق عن كل خير والجالب لكل شر وانه الداء العضال الذى يوقع الخلق فى انواع الفتن والبلايا ولقد افصح لبيد بن ربيعة مع اعرابيته بما بيّن به حال الامرين فقال

أكذب النفس ان حدّثتها … ان صدق النفس يزرى بالامل
غير ان لا تكذبنها فى التقى … واخزها بالبر لله الاجل

اعلم ان طول الامل يهيج للانسان اربعة اشياء احدها ترك الطاعة والكسل فيها لانه يقول سوف افعل * والايام بين يدىّ ولا يفوتنى ذلك ولقد صدق داود الطائى فيما يروى عنه حيث قال من خاف الوعيد قرب اليه البعيد ومن طال امله ساء عمله وعن يحيى بن معاذ انه قال الامل قاطع من كل خير والطمع مانع من كل حق

والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثاني
ترك التوبة وتسويفهم يقول سوف اتوب وفي الايام سعة وانا
شاب وسني قليل هذا ونحوه يحرك الى الرغبة في الدنيا والحرص
عليها ليتيسر له بذلك العيشة فيها واقل ما في الباب ان يشتغل
ويضيع وقته باهتمام اشياء لعله لا يدركها وقد روي
عن ابي ذر رحمه الله انه قال قتلني هم يوم لم ادركه قيل وكيف
ذلك يا ابا ذر قال ان املي جاوز اجلي والثالث القسوة في
القلب قال الله سبحانه فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
لان القلب انما يصفو ويرق بذكر الموت والقبر والجنة والنار
فاذا طال امله كان فكره وذكره الدنيا واسبابها والرابع
نسيان الاخرة كما ورد في الحديث ان طول الامل ينسي الاخرة
فاذا طال امل الانسان قلت طاعته وتاخرت توبته وكثرت
معصيته واشتد حرصه وقسا قلبه وعظمت غفلته عن
الاخرة فاي حالة اسوأ من هذه واي آفة اعظم من هذه
وكل هذا سبيله طول الامل وحد الامل ارادة الحياة *
للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل هو ترك الحكم فيه بان
يقيد بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وعلمه بالذكر او بشرط
الصلاح والارادة واما علاجه فبان يخطر الانسان في
قلبه ذكر الموت والقبر وخساسة الدنيا في جنب شرف
الاخرة وجلالتها ويتفكر ايضا في اخوانه واقرانه الذين
غافصهم الموت في وقت لم يحتسبوه ويقول لعل حالي مثل
حالهم ويتذكر قول عيسى عليه السلام الدنيا ثلاثة ايام
امس مضى ما بيدك منه شيء وغد لا تدري انت تدركه

أم لا ويوم انت فيه فاغتنم منه ثم قول ابى الدرداء الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة انت فيها وساعة * لا تدرى اتدركها ام لا فلست تملك بالحقيقة الا ساعة * واحدة اذ الموت من ساعة الى ساعة ثم قول بعض العلماء الدنيا ثلاثة انفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس انت فيه ونفس لا تدرى اتملكه ام لا اذ كم من يتنفس نفساً ففاجأه الموت قبل النفس الاخر فلست تملك فى الحقيقة الا نفساً واحدا الا يوما ولا ساعة فيتبادر فى هذا النفس الواحد الطاعة قبل ان يفوت والى التوبة ولعله فى النفس الثانى يموت وليوبخ نفسه يقول احذرى يا نفسى الغرور ولا تهتمى بالرزق المقدور فلعلك لا تبقين لتحتاجى اليه فيكون وقتك ضائعا والهم فضلا وما عسى ان يهتم الانسان ليوم او ساعة او نفس واحد فاذا تذكر الانسان هذه * الاذكار وواظب عليها بالاعادة والتكرار قصر امله باذن الله تعالى فحينئذ يرى نفسه تبادر الى الطاعة وتعجل التوبة * وتجتنب المعصية وتزهد فى الدنيا وطلبها وتتذكر الاخرة واهوالها فتزول عن قلبه القسوة وتبدو فيه الرقة والصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف من الله تعالى * والخشية فيستقيم له امر العبادة ويقوى له الرجاء فى ان يسعد فى الاخرة وكل ذلك بعد فضل الله تعالى بقصر الامل وبالله التوفيق واما الفرق بين الامل والامانى فالامل ما تقيدت باسباب وذلك ان الرجاء والامل انما يكونان بعد تمهيد العمل قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا

وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله وهذا مثل من زرع زرعا فيامل في منفعته واما الاماني فهي ما تجردت عن اسباب قال الله تعالى وغرتكم الاماني وقال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وعن جابر بن زيد رحمه الله انه قال اياكم والاماني فوالله ما نال بها عبد خيرا فيما مضى ولا يناله فيما بقي وقال تعالى ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوء يجز به غير ان الاماني تروح القلب اذا اغتم * قال الشاعر حَرِّكْ مُناكَ اِذَا اغْتَمَمْتَ فَاِنَّهَا مَرَاوِحُ اٰخَرُ

اِذَا تَمَنَّيْتُ بِتُّ اللَّيْلَ مُغْتَبِطًا * اِنَّ الْمُنٰى رَاْسُ اَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

والله سبحانه نسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه

الفصل الثاني في الحرص

قال الله سبحانه وتحبون المال حبا جما وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وامهات الخطايا فانهن ثلاثة الحسد والحرص والكبر ومن كتاب الضياء قال واصل البلاء والشر في ست خصال منها تتوالد الذنوب وقيل ان عدو الله ابليس قال اذا كانت خصلة منها في شيطان كان ماردا فاذا اجتمعن في شيطان واحد فلا تسال عنه اولهن الكبر وهو ذنب ابليس اللعين والثانية العجب وهو ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والثالثة البخل وصاحبه محروم من خير الدنيا والاخرة والرابعة البغي وهو راجع على صاحبه قال الله سبحانه انما بغيكم على انفسكم والخامسة الحسد وصاحبه ابدا مغموم والسادسة

اظنها الحرص والله اعلم وينشد

قد شاب راسي وراس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا لفي تعب

وذلك ان الانسان اذا غلب عليه حب المال وبعد الامل بعثه الحب على طلبه ودعاه الامل الى الشح والحرص والشح اصل لكل ذنب وسبب لكل لؤم ولذلك قيل الحرص مفسدة للدين والمروءة ويروى ان اعرابيا عاتب اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب بطلبك من لا تفوته وانت تطلب كل ما قد كفيته فكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقد قال الشاعر

اراك يزيدك الاكثار حرصا * على الدنيا كانك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبي قد رضيت

وحكى عن الشعبي انه قال ان رجلا صاد قنبرا فقال ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك فقالت والله ما اشفى من ضرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمكها وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل فقال هات الاولى فقالت لا تلهفن على فائت فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فوقفت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة فقالت انت قد نسيت اثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك

لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون وانا لحمي وريشي ودمي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت قال بعض العلماء وهذا امثال لفرط طمع الادميين فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون ويروى عن ابي محمد اليزيدي انه قال دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما راني تبسم فقلت فائدة اصلح الله امير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثة وانشدني

اذا سُدّ بابٌ عنك من دُون حاجةٍ ∴ فدعها لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملئه ∴ ويكفيك سوءات الامور اجتنابها
ولا تك مبذلا لعرضك واجتنب ∴ ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

ويقال الحريص اسير مهانة لا ينفك اسره وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم الدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقيل لبعض الحكماء اي شيء ايسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن قال ايسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها على دفع الحزن الرضى بمحتوم القضاء ويروى عن ابي موسى الاشعري انه قال نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت فحفظ* منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديا من ذهب لتمنى ثانيا ولا يملأ جوف ابن آدم الا

التراب ويتوب الله على من يشاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقد
ذكرنا في فطرة الدنيا من هذا المعنى ما يكفي والله المستعان
ولما كان الحرص وحب المال في الادمي جبلة ضرورية وطبيعة
مضلة مهلكة راينا ان نضيف الى هذا الفصل بابا في ذكر
القناعة التي هي ضد الحرص وقد اثنى الله ورسوله على القناعة
كما سياتي ان شاء الله ❁ باب في ذكر القناعة ❁
اعلم ان القناعة برزق الله تعالى اول منازل الرضى عن الله
سبحانه واذا اراد الله بعبد خيرا اغناه بالقنوع وارضاه بما
قسم له قال الله سبحانه ومن يعمل من الصلحات من ذكر او
او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال مجاهد هي
القناعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لمن هدي
للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الحريص الجاهد والقانع الزاهد يستوفيان
اكلهما غير منتقص منه شيء وروي انه قال المسيح عليه السلام
ما بال المشايخ احرص على الدنيا من الشباب قال لانهم *
ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب وقال بعض الحكماء
من قنع كان غنيا وان كان فقيرا ومن لم يقنع كان فقيرا *
وان كان مكثرا وقال بعض البلغاء اذا طلبت العز فاطلبه
بالطاعة واذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فمن اطاع الله
عز نصره ومن لزم القناعة زال فقره وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الغنى عن كثرة العرض انما
الغنى غنى النفس وعن ابي حازم انه قال ثلاثة من كن فيه كمل

عقله ومن كان فيه واحدة منهن كمل ثلث عقله من عرف نفسه وحفظ لسانه وقنع بما رزقه الله وانشد لابى العتاهية

نَصِفُ القُنُوعَ وَاَيُّنَا يَقْنَعُ ❊ وَاَيُّنَا يَرْضَى بِمَا يَجْمَعُ
لله دَرُّ ذَوِى القَنَاعَةِ مَا ❊ اَصْفَى مَعَاشَهُم وَمَا اَوْسَعُ
مَنْ كَانَ يَبْغِى اَنْ يَعِزَّ وَاَنْ ❊ تُهْدَى خَلَائِقُهُ فَلَا يَطْمَعُ
فَعِزُّ النُّفُوسِ بِقَدْرِ رَغْبَتِهَا ❊ وَغِنَى النُّفُوسِ بِقَدْرِ مَا تَقْنَعُ

وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا شئت ان تحيى غنيا فلا تكن فى حالة الا رضيت بدونها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا بينه وبين رزقه حجاب فان قنع واقتصد آتاه رزقه وان هتك الحجاب لم يزد فى رزقه وقال اكثم بن صيفى من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغنى والثروة والقناعة على ثلاثة اوجه الاول ان يقنع الانسان بالبلغة من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه وهذا اعلى منازل اهل القناعة وقد روى عن مالك بن دينار انه قال ازهد الناس من لم تجاوز رغبته من الدنيا بلغته وقال بعض الحكماء الرضى بالكفاف يؤدى الى العفاف وانشد بعض اهل الادب وذكر انها لعلى ابن ابى طالب

افادتنى القناعة كل عزٍّ ❊ وهل عزٌّ اجلُّ من القناعه
فصيّرها لنفسك راس مالٍ ❊ وصيّر بعدها التقوى بضاعه
تحز حين تغنى عن لئيمٍ ❊ تنعّم فى الجنان بصبر ساعه

الثانى ان تنتهى به القناعة الى الكفاية ويحذف الفضول والزيادة وهذا اوسط احوال المقتنع وقال بعض الحكماء طلب ما فوق الكفاية اسراف وينشد

ان القناعة والعفاف ﴿ ليغنيان عن الغنى
فاذا صبرت عن المنى ﴿ فاشكر فقد نلت المنى

والوجه الثالث ان تنتهي به القناعة الى الوقوف الى ما سنح
فلا يكره ما اتاه وان كان كثيرا ولا يطلب ما تعذر وان كان
يسيرا وهذا الحال ادنى اهل منازل القناعة وفي مثلها قد حكي
عن ذي النون المصري انه قال من كانت قناعته سمينة طابت
له كل مرقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا دول
فما كان لك منها اتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم
تدفعه بقوتك ومن انقطع رجاؤه مما فاته استراح بدنه
ومن رضى بما رزقه الله قرت عينه وعن ابي حازم الاعرج
انه قال وجدت الدنيا شيئين شيء هولي لن اعجله قبل
اجله ولو طلبته بقوة اهل السموات والارض وشيء هو
لغيري وذلك مما لم انله فيما مضى ولا اناله فيما بقي يمنع
الذي لي من غيري كما يمنع الذي لغيري مني ففي اي هذين
افني عمري واهلك نفسي وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال خير امتي الذين لم يعطوا حتى يبطروا ولم يقتر عليهم
حتى يسئلوا والله سبحانه نسئله ان يحسن لنا التوفيق فيما
منح ويصرف عنا الرغبة فيما منع واما الدواء الذي يكسب
القناعة ويزول الحرص به فهو مركب من ثلاثة اركان الصبر
والعلم والعمل ومن مجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل
الاقتصاد في المعيشة والرفق بالانفاق فمن اراد عز القناعة
فليقتصر في جميع احواله على ما لابد منه بل ان كان وحده
ينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام وجد

ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال
فليرد كل واحد منهم الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى
جهد ويمكن معه الاجمال فى الطلب والاقتصاد فى المعيشة
هو الاصل فى القناعة ونعنى به الرفق فى الانفاق وترك الخرق
اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق فى الامر كله وقال
ايضا ما عال اى افتقر من اقتصد وقال ثلاثة منجيات خشية الله
فى السر والعلانية والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الرضى
والغضب وروى ان رجلا ابصر ابا الدرداء وهو يلتقط
حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك قصدك فى معيشتك
وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الاقتصاد وحسن
السمة والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة
وفى الخبر التدبير نصف المعيشة وقال عليه السلام من اقتصد
اغناه الله ومن بذر افقره الله وقال اذا اردت امرا فعليك
بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة فى الانفاق
من اهم الامور الثانى انه اذا تيسر له فى الحال ما يكفيه فلا
ينبغى ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه
على ذلك قصر الامل والتحقيق بان الرزق الذى قدر له لا بد ان
ياتيه وان لم يشتد حرصه عليه وينبغى ان يكون واثقا بوعد الله
تعالى اذ قال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويقال
الاهتمام بما لم يكن بلاء كائن وفى مثل ذلك قيل

وَمَن يُنفِقِ الساعاتِ فى جَمعِ مالِهِ مَخافةَ فقرٍ فالذى صَنَعَ الفقرُ

وقد قال عليه السلام لابنى خالدٍ لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت
رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله

ويروى انه صلى الله عليه وسلم مر بابن مسعود وهو حزين
فقال له لا يكثر همك ما قدر لك يكن وما ترزق يأتيك وقال
ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب له ولن
يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له منها وهي راغمة *
ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقة بتدبير الله في
تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في
الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق الله العبد من حيث لا يحتسب
اكثر فان انسد عنه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان
يضطرب قلبه من اجله وقد قال عليه السلام ابى الله ان
يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال المفضل *
الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك قال بزاد الحاج قلت فاذا
صدروا فبكى فقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش
وقيل لحكيم من اين تنفق فقال لو علمت ذلك لنفد وقال رجل
لابي حازم انك فقير فقال كيف اكون فقيرا ومولاي له ما في
السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى فقال اتراه
يلقي عليك الخبز من السماء فقال لو لم تكن الارض له لكان
يلقي على الخبز من السماء فقال الرجل لا اقوى على مجادلتك
فقال ابو حازم كذلك الباطل لا يقوى على الحق فهذا دواء *
القناعة من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان بالفقر
قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر الاية الثالث ان يعرف
ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل
فان تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته في القناعة لانه في
الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في

القناعة الا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع
عليه احد وفيه ثواب الاخرة وأما ذل الطمع وتعب الحرص فهو
مما يظهر للناس وفيه الوبال والاثم وفوت عز النفس والعجز
عن اقامة الحق فان من كثر حرصه وطمعه كثرت حاجته الى
الناس فلا تمكنه دعوتهم الى الحق وفى ذلك المداهنة وهلاك
الدين ومن لا يؤثر عز النفس عن شهوات البطن فهو ركيك العقل
ضعيف الايمان اذ قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه
عن الناس وفى الخبر ما استغنى أحد بالله الا افتقر اليه الناس
فقيل استغن بالله فكل امرئ اصبحت ترجوه فقير اليك الرابع
ان يكثر تأمله فى تنعم اليهود والنصارى وارذال الناس والحمقاء
والسفهاء ومن لا دين له ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء
والاولياء والى سمة الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين
لهم باحسان ويستمع احاديثهم ويطلع احوالهم ويخير عقله *
بان يكون على شبه ارذال الخلق او على الاقتداء بمن هو اعز
اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه بذلك الصبر
على القليل والقناعة باليسير فانه ان تنعم فى البطن فالحمار اكثر
اكلا منه وان تنعم فى الجماع فالخنزير اعلا رتبة منه فيما قيل
وان تزين باللباس ففى اليهود والروم والسفهاء من هو اعلا
رتبة منه وان قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه فى رتبته *
الا الانبياء والاولياء وبالله التوفيق الخامس ان يفهم ما فى
جمع المال من الخطر كما تقدم فى آفات المال وما فيه من
خوف السرقة والنهب والضياع وما فى خلو اليد منه من الامن
والفراغ مع الجنس يوم القيامة فى الموقف عن باب الجنة خمسمائة

عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من هو دونه فى الدنيا وقد روى عن ابى ذر رحمه الله انه قال اوصانى خليلى ان انظر الى من هو دونى لا الى من هو فوقى يعنى فى امر الدنيا فهذه الامور تكسب القناعة وعماد الصبر وقصر الامل وأن يعلم ان غاية صبره فى الدنيا اياما قليلة هو سبب التمتع دهورا لا غاية لها فيكون كالمريض الذى يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه فى انتظار الشفاء وذلك لا يتم الا بعون الله وتوفيقه نسأل الله تعالى ان يرزقنا ذلك بمنه وكرمه وفضله انه ارحم الراحمين

الفصل الثانى فى ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ذم الله الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم عليهم من السكينة وفى الحديث ان رجلا قال يا رسول الله مرنى بعمل يدخلنى الجنة * واقلل قال لا تغضب وعن ابن عمر انه سأله عليه السلام فقال ماذا يبعدنى من غضب الله قال لا تغضب وعن ابن مسعود عنه عليه السلام انه قال ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذى لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب وفى حديث آخر ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وعنه ايضا انه قال من كف غضبه ستر الله عورته وقال بعض البلغاء من رد غضبه هدّ من اغضبه وعن داود أو سليمن عليهما السلام الشك منى انه قال يا بنى اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب

تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة فى قوله تعالى وسيدا *
وحصورا قال السيد الذى لا يغلبه الغضب وعن ابى الدرداء
قال قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لا تغضب
وعن يحيى بن زكرياء انه قال لعيسى عليهما السلام لا تغضب *
قال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال
هذا عسى وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الغضب يفسد
الايمان كما يفسد الصبر العسل وعنه ايضا انه قال ما غضب
احد الا اشفى على جهنم وقال رجل اى شئ اشد من جهنم قال
غضب الله قال فما يبعدنى من غضب الله قال ان لا تغضب
وعن الحسن انه قال يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك ان
تثب وثبة فتقع فى النار وعن ذى القرنين رحمه الله انه لقى ملكا
من الملائكة فقال علمنى علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب
فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب
بالكظم واسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطأت
حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا
وعن وهب بن منبه ان راهبا كان فى صومعة فاراد الشيطان
ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه *
فقال افتح فانى ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال انا المسيح
فقال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك الست امرتنا بالعبادة
والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم
نقبله منك قال فقال انه هو الشيطان وقد اردت ان اضلكم
فلم استطع فجئتك لتسئلنى عما شئت فاخبرك قال ما اريد
ان اسالك عن شئ قال فولى مدبرا فقال له الراهب الا تسمع

قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني ادم اعون لك عليهم قال
الحدة ان الرجل اذا كان حديدا اقلبناه كما تقلب الصبيان الكرة
وقال بعض العلماء ان الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن ادم
فاذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى
اكون في راسه وعن جعفر بن محمد انه قال الغضب مفتاح
كل شيء وقال بعض الانصار راس الحمق الحدة وقائده الغضب
ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم الحلم زين ومنفعة ٭
والجهل شين ومضرة والسكوت عن الاحمق جوابه وعن
مجاهد انه قال قال ابليس ما اعجزني بنو ادم ولم يعجزوني
في ثلاث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته وقدناه حيث
شئنا وعمل لنا بما احببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما
يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم
ما املك فلانا لنفسه فقال اذاً لا تذله الشهوة ولا يصرعه
الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك وغرة الغضب
فانه يصيرك الى ذل الاعتذار وعن ابن مسعود رحمه الله
انه قال انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند *
طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته
اذا لم يطمع ويروى ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله
ان لا تعاقب عند غضبك فاذا غضبت على رجل فاحبسه
واذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز
به خمسة عشر سوطا وقال بعض السلف لابنه يا بنيّ
لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحيّ في التنور
المسجور فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان داهيا

مكرا وان كان للاخرة كان علما وحلما ويقال الغضب عدو
العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب
يقول في خطبته افلح منكم من حفظ عن الهوى والطمع والغضب
وقال بعض العلماء من اطاع غضبه وشهوته اداياه الى النار
وقيل انه قيل لابن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال
ترك الغضب ويروى ان بعض الانبياء عليهم السلام قال
لمن معه من تكفل لي ان لا يغضب فيكون معي في درجتي
ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه
فقال الشاب انا ووفى له فلما مات كان في منزلته بعده
وهو ذو الكفل في قول بعضهم سمي به لانه تكفل بترك الغضب
فوفى به وعن وهب بن منبه انه قال للكفر اربعة اركان
الغضب والشهوة والخرق والطمع * بيان حقيقة الغضب
اعلم ان الله سبحانه لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان
باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما
يحميه من الهلاك والفساد الى وقت الاجل المعلوم اما السبب
الداخل فهو ان ركبه من الرطوبة والحرارة فهما متعاديتان
متضادتان والحرارة تجفف الرطوبة حتى تتفشى اجزاءها
وتصير بخارا يتصاعد منها ولو لم يتصل بالرطوبة مدد *
من الغذا يجبر ما انحل من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله
الغذا الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعث
على تناول الغذا كالموكل به في جبر ما انكسر وتحلل ليكون
ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب
الخارجة فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي تقصدبها

فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فيدفع بها المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار فعجنه بطينة الانسان فمتى قصد بمكروه اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي بها دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما يرتفع الماء الذى يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة بصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينصب الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب عمن فوقه وكان معه اياس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجسد الى جوف القلب وصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد من انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها فالانتقام قوة هذه القوة وهي على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط ففقده هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه لا حمية له ولذلك قال الشافعي من استغضب ولم يغضب فهو حمار ومن استرضى ولم يرض فهو شيطان لان من فقد قوة الغضب والحمية فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال لنبيه عليه السلام جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الاية وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب عليه هذه الصفة

حتى يخرج من سياسة العقل والدين فمهما اشتدت نار الغضب اعمت صاحبها واصممته عن كل موعظة ولا تبقى للمرء معها بصيرة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده الغضب عمًى وصممًا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولى على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه مثل كهف اضرمت فيه نار فاسود وجهه وحمى مستقره وامتلأت بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف وبالحقيقة فالسفينة فى ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ فى السفينة من يحتال لتسكينها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذا اعماه الغضب واصممه وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التى بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار فى الكهف فيتشقق وتنهد اعاليه على اسافله فهكذا حال القلب مع الغضب واما آثار الغضب فى الظاهر فانقلاب صورته وتغير وجهه وارتعاد اطرافه وانطلاق لسانه بما يستحيى من ذكره وخفة عقله ووثوبه من مجلسه كانه نمر وسرعة التفاته يمينا وشمالا كانه قرد وعدم فهمه ما يسمع كانه بهيمة وقلة التفاته الى من يعظه كانه احمق ولو رأى الغضبان قبح صورته فى حال غضبه لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وفى كتاب سراج الملوك قال

وكان سبب موت مروان بن عبد الملك وقع بينه وبين اخيه
سليمان بن عبد الملك كلام فعجل عليه سليمان فقال يا من
يلحق امه ففتح فاه ليجيبه فامسك عمر بن عبد العزيز على فيه ورد
كلامه وقال يا ابن عبد الملك اخوك وامامك قال قتلتني
يا ابا حفص قال وما صنعت بك فقال رددت في جوفي احر من
الجمر ثم مال بجنبه فمات من وقته واما اثر الغضب في القلب
مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة
بالمساءات والحزن بالمسرات والعزم على افشاء السر وهتك
الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب
المفرط واما ثمرة الضعيف الغضب فقلة الانفة من التعرض
للحرم والزوجة والام واحتمال الذل من الاخساء وهو ايضا
مذموم اذ من ثمرته عدم الغيرة على الحرم وقد روى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ان سعدًا الغيور وانا اغير من
سعد والله اغير منا وقيل لاجل ذلك حرم الفواحش وانما
خلقت الغيرة لحفظ الانساب اذ لو تسامح الناس فيها الاختلط
الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت
الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب ايضا الخور والسكوت
عند مشاهدة المنكرات وقد قال عليه السلام خير امتي
احدّاؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تاخذكم بهما رافة
في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه لان
الرياضة انما تتم بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب
على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب
مذموم والله اعلم وقال بعض العلماء اول الغضب جنون

واخره ندم وفى الحكمة من اطاع الغضب حرم السلامه ومن عصى الحمق غمره الذل واما الاعتدال فى الغضب فهو الذى ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده وهو الوسط الذى وصفه عليه السلام حيث قال خير الامور اوسطها وقد قال الله لنبيه عليه السلام جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال ايضا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ويروى عن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بنى لاتكن حلوا عند السفهاء فيبتلعوك ولامرا عند الفقهاء فيرفضوك وفى المثل لاتكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر اشارة الى وسط الامور فمن مال غضبه الى الفتور والضعف حتى احس من نفسه ضعف الغيرة واحتمال الذل فى غير محله فينبغى ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه * ومن مال غضبه الى الافراط جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغى ان يعالج نفسه ليكسر من فوره الغضب ويقف على الاوسط بين الطرفين وهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فهذه حقيقة الغضب ودرجاته

(فصل) واما هل يمكن ازالة الغضب بالرياضة فقد اختلف فى ذلك ولكن الحق فيه ما نذكره وذلك ان الذى يغضب الانسان من اجله ثلاثة اقسام احدها ما هو ضرورة فى حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب او الجرح فلا بد ان يغضب وكذلك ما يوارى عورته او يسد جوعته او اخراج من داره لايخلو الانسان من غيظ على

من اخذ منه هذه الاشياء الثانى ماليس بضرورى كالجاه وفضول
المال فان الزاهد فى الدنيا ربما لا يغضب اذا اخذ منه لعدم
حبه له واما الراغب فيها فانه يغضب لانه محبوب عنده
الثالث ما يكون ضروريا فى حق بعض الناس كادوات الصناع
وكتب العالم فان هؤلاء يغضبون اذا اخذت منهم لانهم بها
يتوصلون الى المكاسب فصارت محبوبة عندهم وهذا ايضا
يختلف بالاشخاص وانما الحب الضرورى ما اشار اليه النبى صلى الله
عليه وسلم بقوله من اصبح امنا فى سربه معافا فى بدنه وعنده قوت
يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق
الامور وسلمت له هذه الثلاثة يتصور ان لا يغضب فى غيرها
واما ازالة الغضب من القلب فهو مقتضى الطبع فذلك غير ممكن
وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال
اللهم انى بشر اغضب كما يغضب البشر وعن على بن ابى طالب انه
قال كان عليه السلام لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه
به احد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له فكان لا يغضب الا
على الحق نعم قد يفقد اصل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان
القلب مشغولا بضرورى اهم منه فلا يكون فى القلب متسع
للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات
يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما حكى ان سلمان رحمه الله
لما شتم قال ان خفت موازينى فانا شر مما تقول وان ثقلت
موازينى لم يضرنى ما تقول فكان همه مصروفا الى الآخرة ـ
فلم يتألم قلبه بالشتم ولذلك شتم الربيع بن خيثم فقال يا هذا
قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرنى

ما تقول وان لم اقطعها فانا اشر مما تقول وروي ان رجلا سب
ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان
مشغولا بالنظر في تقصير نفسه فلم تغضبه نسبة غيره اياه الى
نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة
قدره وروي ان امراة قالت لمالك بن دينار يا مرائي فقال
ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء
فلم يغضب لما نسب اليه فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على
انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان
يكون قد اثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به والله اعلم ❊

فصل فيما يهيج الغضب

وروي ان يحيى قال لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال
غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال
فما يبدي الغضب قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية ٭
واما الاسباب التي تهيج الغضب فهي الزهو والعجب والمزح
والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضارة والغدر وشدة
الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية
مذمومة شرعا فلا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب
فلابد من ازالتها باضدادها فينبغي ان يميت الزهو بالتواضع
ويميت العجب بالمعرفة بنفسه ويزيل الفخر بانه من جنسه عبده
اذ الناس يجمعهم في النسب آدم عليه السلام وانما اختلفوا
في الفضل واما المزح فيزيله بالاشتغال بالمهمات الدينية
التي يستوعب العمر دونها واما الهزل فيزيله بالجد في طلب
الفضائل والعلوم الدينية واما الهزء فيزيله بالتكرم عن ايذاء

الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ به واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح واما شدة الحرص على فضول العيش فيزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا للعز الاستغناء وهكذا كل خلق ردى يزال بضده ويفتقر فى ذلك الى رياضة وتحمل مشقة حتى يصير بالعادة مالوفا هينا على النفس والله اعلم

فصل فى علاج الغضب

اعلم ان الغضب انما يعالج عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو خمسة امور احدها ان يتفكر فى الاخبار التى تاتى فى فضل كظم الغيظ والحلم ويرغب فى ثوابها فيمنعه عن التشفى والانتقام وينطفى غضبه وعن مالك بن اوس قال غضب عمر على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وأمر بالعرف وكان وافقا على كتاب الله مهما تلى عليه كثير التدبر فيه فتدبرها وخلى الرجل قال وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم تلى قوله والكاظمين الغيظ قال لغلامه خل عنه الثانية ان يخوف نفسه بعذاب الله تعالى وقد روى ان الله سبحانه يقول فى بعض الكتب يا ابن ادم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث وصيفا الى حاجة فابطا عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اى القصاص فى القيامة قيل لم يكن فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم المساكين واخش الموت واذكر الاخرة فكان يقراها حتى يسكن غضبه الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعى فى هدم

اعراضه والشماتة بمصائبه فيخوف نفسه بعواقب الغضب في
الدنيا ان كان لا يخاف من الاخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة
على غضب وليس هذا من اعمال الاخرة ولا ثواب عليه الا ان يكون
محذوره ان يشوش فراغه للعلم او للعمل للاخرة فيكون مثابا
عليه الرابع ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة
غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة
صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة التارك
للغضب للانبياء والحكماء ويخير نفسه بان يشبه الكلاب والسباع
وارذال الناس وبين ان يشبه الانبياء والعلماء ليميل بالاقتداء
اليهم ان كان قد بقي معه مسكة من عقل الخامس ان يتفكر
في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ
ولا بد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل
منك بالعجز والمهانة تصير به حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه
ما اعجبك تانفين من الاحتمال الان ولا تانفين من خزي يوم
القيامة افلا تحب ان تكون هو القائم اذا نودي يوم القيامة
ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من
معارف الايمان ينبغي ان يقرره على نفسه واما العمل فبان
يقول بلسانه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهكذا امر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يقول عند الغضب ويروى انه عليه السلام
كان اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم
رب محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات
الفتن ويستحب ان يقول ذلك فان لم يزل بذلك فليجلس ان
كان قائما وليضطجع ان كان جالسا وليقرب من الارض التي منها خلق

ليعرف بذلك ذل نفسه وليطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الغضب جمرة تتوقد في القلب الموتر والى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضا احدكم فليتوضا بالماء فان الغضب من النار وفي رواية اخرى ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من نار وانما تطفئ النار بالماء وروي ان عمر رضي الله عنه غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال بعض الحكماء داووا الغضب بالسكوت وروي عن عوف بن محمد قال لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال اذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم انظر الى خالقهما وروي ان اباذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اباذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه قال بلى فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اباذر ارفع رأسك وانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وعن المعتمر بن سليمان انه قال كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد عليه غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة منها رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني

بالماء البارد وليغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء وعنه ايضا قال اذا غضب احدكم

هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال
للثالث اذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يومًا
فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك
لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن
بعض غضبه فاعطى الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك
من في السماء فاعطي الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه
لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود قال وغضب المهدي
يوما على رجل فقال شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه
لنفسه فقال خلوا سبيله

فصل في فضيلة كظم الغيظ

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ فذكر ذلك في معرض المدح
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كف غضبه كف الله
عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن
لسانه ستر الله عورته وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال
اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا
بعد القدرة وعنه عليه السلام من كظم غيظا ولو شاء ان
يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى وفي
رواية اخرى ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن ابن عمر عنه
عليه السلام قال ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة
غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وعن ابن عباس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لجهنم بابا لا يدخله الا
من شفي غيظه بمعصية الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه
قال من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على

رؤس الخلائق اذ يختار اى الحور شاء وعن عمر رضى الله عنه انه
قال من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا
يوم القيامة لكان غير ما ترون وعن لقمان انه قال لابنه يا بنى
لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك
واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال بعض العلماء حلم ساعة
يدفع شرا كثيرا ويقال افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر
عند الطمع قال وشتم رجل بعض العلماء فقال لست ادخل
فى حرب الغالب فيها شر من المغلوب ويروى ان رجلا قال لابى ذر
رحمه الله انت الذى نفاك معاوية من الشام لو كان فيك خير
ما نفاك فقال يا ابن اخى ان من ورائى عقبة كؤدا ان نجوت منها
لم يضرنى ما قلت وان لم انج منها فانا شر مما قلت وقال رجل
للاحنف بن قيس لئن قلت واحدة لتسمعن عشرا فقال الاحنف
لكنك لو قلت عشرا لم تسمع منى واحدة قال وسب رجل بعض
الحكماء فاعرض عنه فقال اياك اعنى فقال له الحكيم وعنك
اعرض وفى هذا المعنى قال الشاعر

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمى اصم واذنى غير صماء

وقيل لعمرو بن عبيد ان فلانا نال منك فقال الموت يعمنا والحشر
يضمنا والقيامة تجمعنا والرب يقضى بيننا ويروى ان امراة
كانت تغزل فجاءت صبية فقطعت لها غزلها سبعين مرة فلم
تغضب فقيل لها فى ذلك فقالت يجزينى الله فاجتهد حتى
اكون من الصالحات ويروى ان عيينة بن حصن كان له ابن
اخ وكان عمر رضى الله عنه يدنيه فدخل عيينة يوما مع ابن اخيه
على عمر فقال عيينة والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزلة

فغضب عمر حتى عرف الغضب فى وجهه فقال ابن اخى عيينة *
يا امير المؤمنين الم تسمع قول الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كنت نارا فاطفئت
وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا
رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه
من الحق واذا اقدر لم يتناول ما ليس له ويروى ان رجلا قال
لسلمان رحمه الله يا ابا عبد الرحمن اوصنى فقال لا تغضب
قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك والله اعلم

فصل فى فضيلة الحلم

اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن
التحلم وهو تكلف الحلم بالمجاهدة حتى يكون له ذلك عادة فاذا
هاج غيظه لم يكن عليه فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعى
وهو دلالة كمال العقل وانكسار قوة الغضب وخضوعها له
ولكن ابتداء التحلم وكظم الغيظ تكلف وقد قال عليه السلام
انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق
الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا
وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقيل للاحنف بن قيس
ما احلمك فقال لست بحليم ولكنى اتحلم والله انى لأسمع
الكلمة واحمى لها ثلاثا وما يمنعنى من جوابها الا خوف من ان
اسمع شرا منها وقد قال الشاعر

وليس يتم الحلم للمرء راضيا .:. اذا كان عند السخط لا يتحلم
كما لا يتم الجود للمرء موسرا .:. اذا كان عند العسر لا يتجشم

وعن اكثم بن صيفى انه قال لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه

انه لضعيف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاحمق انه
لمفسد ويقال من اشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا ÷ اصبت حليما او اصابك جاهل
فتصبح اما نال عرضك جاهل ÷ سفيه واما نلت ما لا تحاول

فالحلم من اشرف الاخلاق واحقها بذوي الالباب لما فيه
من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد وعن سفيان
ابن عيينة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت عليه هذه
الاية خذ العفو قال يا جبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسأل
العالم ثم عاد جبريل فقال يا محمد ان ربك يامرك ان تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ويروى انه
قال لما نزلت الاية قال جبريل يا محمد اني اتيتك بمكارم الاخلاق
في الدنيا والاخرة خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خمس من سنن المرسلين
الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وعنه ايضا
انه قال ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم
وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته وعنه ايضا انه
قال ان الله يحب الحليم الحيي ويبغض الفاحش البذي وعن علي
ابن ابي طالب انه قال من حلم ساد ومن تفهم ازداد وقال
بعض الادباء من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم وانشد

احب مكارم الاخلاق جهدي ÷ واكره ان اعيب وان اعابا
واصفح عن سباب الناس حلما ÷ وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ÷ ومن حقر الرجال فلن يهابا

ويروى ان بعض السلف من المسلمين قال اللهم ليس عندي

صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو على
صدقة فاوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قد غفر له
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايعجز احدكم ان يكون
كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم اذا
اصبح يقول اللهم اني اتصدق اليوم بعرضي على عبادك وقيل
في قوله تعالى ربانيين اى علماء حلماء وحد الحلم ضبط
النفس عند هيجان الغضب وهذا يكون لباعث وسبب
واسباب الحلم الباعثة عن ضبط النفس عشرة احدها *
الرحمة للجاهل وذلك من خير يوافق رقة وعن الحسن في قوله
تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل
عليهم لم يجهلوا وعن عطاء بن ابي رباح في قوله تعالى يمشون
على الارض هونا اى حلماء وعن مجاهد في قوله تعالى واذا
مروا باللغو مروا كراما اى اذا اوذوا صفحوا ويروى ان
ابن مسعود رحمه الله مر بلغو معرضا فقال عليه السلام
اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلى ابراهيم بن ميسرة *
وهو الراوي فيما قيل واذا مروا باللغو مروا كراما وقيل في منثور
الحكم من اوكد الحلم رحمة الجهال ويروى ان رجلا سب الاحنف
وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف
وقال يا هذا ان كان بقي معك شيء فقله ههنا فاني اخاف
ان يسمعه فتيان الحي فيؤذوك وعن ابي الدرداء انه قال
للرجل وقد اسمعه كلاما يا هذا لا تغرقن في سبنا ودع للصلح
موضعا فانا لا نكافي من عصى الله فينا باكثر من ان نطيع الله
فيه قالوا واغتاظت عائشة رضي الله عنها على خادم لها

ثم رجعت الى نفسها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والثاني من اسباب الحلم القدرة على الانتصار وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقد روى ان معاوية قسم قطفا فاعطى شيخا من اهل ذي مشق قطيفة فلم تعجبه فحلف ان يضرب بها راس معاوية فاتاه فاخبره فقال معاوية اوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ والثالث من اسبابه الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس وعلو الهمة كما قالت الحكماء شرف النفس ان تحمل المكاره كما تحمل المكارم وقد قيل ان الله عز وجل سمى يحيى سيد الحلمه قال الشاعر

لن يبلغ الحلم اقوامٌ وان كرموا ۞ حتى يذلوا وان عزوا الاقوام
ويشتموا وترى الالوان مسفرةً ۞ لا صفح ذلٍ ولكن صفح اكرام

والرابع من اسبابه الاستهانة بالسباب وذلك عن ضرب من الكبر والاعجاب كما حكى عن مصعب بن الزبير انه لما ولي العراق وجلس يوما لعطاء الجند فامر مناديه فنادى ابن عمر بن جرموز وهو الذي قتل اباه الزبير فقال ايها الامير انه قد باعد في الارض فقال اوظن الجاهل اني اقيده بابي عبد الله فليظهر آمنا وليأخذ عطاه موفرا فعد الناس ذلك من مستحسن الكبر وفي مثل ذلك قال بعض الشعراء

أَوَ كلما طنّ الذبابُ طردتُه ۞ ان الذباب اذاً علىّ كريمُ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا يُعتَدَّنّ

بشيء من عمله تقوى يحجزه عن معاصي الله وحلم يكف السفيه به وخلق يعيش به في الناس والخامس من اسبابه الاستحياء من جزاء الجواب وهذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة وقال بعض الحكماء احتمال السفيه ايسر من التحلي بصورته والاغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته وقال بعض الادباء ما افحش حليم ولا اوحش كريم وينشد للقيط بن زرارة

وقل لبني سعد فما لي وما لكم ❊ ترقون مني ما استطعتم واعتق
اغركم اني باحسن شيمة ❊ بصير واني بالفواحش اخرق
وانك قد فاحشتني فقهرتني ❊ هنيئا مريئا انت بالفحش احذق

والسادس من اسبابه التفضل على السباب وهذا قد يكون من الكرم وحب التألف كما روى انه قيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما فقال هما بعد العقوبة اعذر في تنقيصي وثلبي فكان هذا تفضلا منه وتألفا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب الاعاجم والسنتهم السنة العرب وروى انه عليه السلام قال للاشج وقد وفد عليه وكان ذميم الصورة ❊ فاناخ راحلته ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان جلود الرجال لا يستقى فيها الماء وانما يحتاج من المرء الى اصغريه يعني القلب واللسان فقال عليه السلام بلى فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله قال وما هيتا قال الحلم والاناة فقال هذا شيء حدث ام شيء

جُبلتَ عليه فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله وقد حكى عن الاحنف بن قيس انه قال ماعدانى احد الا اخذت فى امره باحد ثلاث خصال ان كان اعلامنى رفعت له قدره وان كان دونى رفعت قدرى عنه وان كان عديلى تفضلت عليه فاخذه محمود الوراق وقيل الخليل بن احمد ونظمه شعرا فقال

سالزم نفسى الصفح عن كل مذنب ❊ وان عظمت منه الى الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة ❊ شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف قدره ❊ واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذى دونى فان قال صنت عن ❊ اجابته عرضى وان لام لائم
واما الذى مثلى فان زل وهفا ❊ تفضلت ان الفضل بالحر حاكم

والسابع من اسبابه استكفاف الساب وقطع السباب فهذا يكون من الحزم كما حكى ان رجلا قال لضرار بن القعقاع والله لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال ضرار والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وعن على بن ابى طالب انه قال لعامر بن مرة الزهرى من احمق الناس قال من ظن انه اعقل الناس قال صدقت فمن اعقل الناس قال من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة الجهال وينشد فى الحلم

وفى الحلم ردع للسفيه عن الاذى ❊ وفى الخرق اغراء فلا تك اخرقا
فتندم اذ لا تنفعنك ندامة ❊ كما ندم المغبون لما تفرقا

وعن عمر رضى الله عنه انه قال تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وعن على قال ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان تباهى الناس

بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله
وقال اكثم دعامة العقل الحلم وجماع الخير الصبر والثامن
من اسبابه الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون من
ضعف النفس وربما اوجبه الراى واقتضاه الحزم وينشد

ارفق اذا خفت من ذى هفوة خرقا ٭ ليس الحليم كمن فى امره خرق

وفى منثور الحكم الحلم حجاب الافات والتاسع من اسبابه الرعاية
ليد سالفة وحرمة لازمة وهذا يكون من الوفاء وحسن
العهد وقيل فى منثور الحكم اكرم الشيم ارعاها للذمم والعاشر
من اسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية وهذا يكون من الدهاء
الخفية وقيل فى منثور الحكم من ظهر غضبه قل كيده وقال
بعض الادباء غضب الجاهل فى قوله وغضب العاقل فى فعله
وينشد لاياس بن قتادة

تعاقب ايدينا ويحلم راينا ٭ ونشتم بالافعال لا بالتكلم

فهذه عشرة اسباب تدعو الى الحلم وبعضها افضل من بعض
وانما الاولى بالانسان ان يدعوه الى الحلم افضل اسبابه ٭
وافضلها ما اجتمع فيه سلامة الدنيا مع ثواب العقبى
فان عرى الحلم من احد هذه الاسباب كان ذلا ولم يكن
حلما لانه قد تقدم فى حد الحلم انه ضبط النفس عند هيجان
الغضب فاذا فقد الغضب عند سماع ما يغضب به كان ذلك
من ذل النفس وقلة الحمية ولذلك قال لقمان لابنه يا بنى
ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب
ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة ٭
قال الشاعر

ليست الاحلام في حال الرضى * انما الاحلام في حال الغضب

آخر

من يدعي الحلم فاغضبه لتعرفه * لا يعرف الحلم الا ساعة الغضب

ومن فقد الغضب في الاشياء المغضبة حتى استوت حالتاه قبل الاغضاب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة والانفة والحمية والغيرة والدفاع والاخذ بالثار لانها خصال مركبة من الغضب وينشد للنابغة وانشدها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

ويقال لما انشدها النابغة قال النبي صلى الله عليه وسلم * لا يفضض الله فاك وشكر قوله فاذا فقد الانسان ما ذكرنا من الخصال التي هي نتائج الغضب فقد فقد المهابة ومن فقد المهابة كان سفساف الاخلاق رذل الطباع فلا يبقى لسائر فضائله موضعا وقد حكي عن المنصور انه قال اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال بعض الحكماء العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم وعن عمرو بن العاص انه قال اكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم الثار والعار وقال مصعب بن الزبير ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وانشد لابي تمام الطائي

والحرب تركب راسها في مشهد * عدل السفيه به بالف حليم

وقال آخر

لئن كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل في بعض الاحايين احوج

فصل في آثار واردة في الحلم

وعن ابن المبارك في قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم قال هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا يغفر الله لك وان كنت صادقا يغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا من الدهر قال وسب رجل ابن عباس رضي الله عنه فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى ويروى ان رجلا قال لعمر ابن عبد العزيز اشهد انك لمن الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين بن علي انه سبه رجل فرمى عليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع في ذلك خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده عن الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم جمع ذلك بشيء من الدنيا يسير وعن معاوية ابن ابي سفيان انه قال لعرابة بن اوس بماذا سدت في قومك يا عرابة قال يا امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه ❁ وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطا ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشتم يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتولى الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يكن مع الله

يخذل ومن يستعن بالله يظفر وعن ابى الدرداء انه قال ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان تقربهم ابعدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال على ان اول عوض الحليم ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وعن معاوية انه قال لا يبلغ الرجل مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوه الحلم وقال معاوية لعمرو بن الاهتم اى الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اى الرجال اسخى قال من بذل دنياه لاصلاح دينه وعن الاحنف بن قيس انه قال لابنه يابنى اذا اردت ان تؤاخى رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره وحكى ان اسلم بن نوفل سيد بنى كنانة ضربه رجل من قومه بسيفه فاخذ فأوتى به اليه فقال اما خشيت انتقامى قال فلم سودناك اذا الا ان تكظم الغيظ وتعفو عن الجانى وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه فى النفس والمال فخلى سبيله فقال قائلهم

يسوّد اقوامٌ وليسوا بسادة ❊ بل السيدُ المعروفُ سلم بن نوفل

وعن الاحنف انه قال اياكم ورأى الاوغاد قالوا وما رأى الاوغاد قال الذين يرون العفو والصفح عارا وسئل الاحنف عن الحلم فقال هو الذل تصبر عليه ولست بحليم ولكنى صبور وقال ومر المسيح عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا شرا وقال خيرا فقيل له فى ذلك فقال كل ينفق مما عنده ❊ وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لابى بكر رضى الله عنه والله لاسبنك سبا يدخل

معك قبرك قال معك لا معي وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لاغضبن من امره قال ومن امره قال الشيطان وقال رجل لاخيه مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكر اشياء رحمتك منها قال سمعتني اذكره بشيء قال لا قال فاياه ارحم وسئل بعض اصحاب الاحنف اكان الاحنف يغضب قال لو لم يغضب ما بان حلمه كان يغضبه الشيء فيتبين في وجهه اليوم واليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم ويروى ان بعض الحكماء دخل عليه صديق له فقدم له الطعام فخرجت امراة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فاتبعه الحكيم وقال تذكر يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت على المائدة دجاجة فافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا قال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل فابصر وقال صدق الحكيم شفاء من كل الم وروى ان رجلا ضرب قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر عثرت بها واريحت الغضب ومن احكم ما قيل في تدبير الحلم والغضب هذه الابيات

اذا امن الجهال جهلك مرة ❊ فعرضك للجهال غنم من الغنم
فعم عليه الحلم والجهل والقه ❊ بمنزلة بين العداوة والسلم
اذا انت جاريت السفيه كما جرى ❊ فانت سفيه مثله غير ذي حلم
ولا تغتبن عرض السفيه وداره ❊ بحلم فان اعيا عليك فبالصرم
فيرجوك تارة ويخشاك تارة ❊ فتاخذ فيما بين ذلك بالحزم
فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن ❊ عليه بجهال فذاك من العزم

فهذا التدبير انما يستعمل فيمن لم يجد الانسان بدا من مقاربته ولا سبيل الى اطراحه اما لخوف شره او للزوم امره فاما من امكن اطراحه فلم يضر ابعاده فالاعراض عنه اصون وعلى النفس اهون والله اعلم

فصل في بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاؤلئك ما عليهم من سبيل وهذا في القصاص والغرم على ما ورد به الشرع وقال عليه السلام اذا قال الرجل لصاحبه يا كافر وقال له الآخر كذلك فقد باء بالكفر احدهما والبادي اظلم ولكن قد ورد الشرع باشياء من الظلم لا تجوز مقابلة الظلم بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا التجسس بالتجسس ولا القذف بالقذف ولا الشرك بالشرك ولا السب بالسب وقد قال عليه السلام المتسابان شيطانان يتهاتران قال وان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه ويروى ان رجلا شتم ابا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام النبي عليه السلام فقال ابو بكر كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن اجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه عليه السلام عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي رخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما روي عن سعيد انه قال لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا من بني امية ومثل قوله يا احمق وقال بعضهم كل

الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وكذلك قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل وكذلك يا سيّئ الخلق يا صفيق الوجه ويا ثلاب الاعراض وما احقرك في عيني بما فعلت ولو كان فيك حياء ما تكلمت بهذا في امثال ذلك واما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين والنسبة الى الزنا والفحش فحرام بالاتفاق وانما الرخصة في مقابلة الايذاء بالصدق جزاء على ايذائه السابق وعنه عليه السلام انه قال المتسابان على ما قالا حتى يعتدى المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الا ان يعتدى وهذه رخصة ولكن الافضل تركه فانه يجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على مقدار الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه عند فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتداء ولكن يحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاجمل ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا الشر منهم وفي الحديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه بتلك وعن ابي سعيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبائع شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك فمنهم سريع الغضب بطيء الفيء

الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب يهيج في الحال ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب او يكون شافيا غيظه ومريحا نفسه وانما الواجب انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه وقد روى ان عمر رضي الله عنه راى سكرانا فاراد ان ياخذه فيعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له في ذلك قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك والله اعلم

الفصل الرابع في الحقد ونتائجه من الحسد وغيره

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه اشتغاله والغضبة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود والحقد يثمر ثمانية اشياء الاول الحسد وهو ان يحمله الحقد على ان يتمنى زوال النعمة فيغتم بنعمة ان اصابها ويسر بمصيبة ان نزلت عليه الثاني ان يزيد على اضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان يهجره ويصارمه وينقطع عنه وان طلبه واقبل عليه فلا يلتفت اليه الرابع وهو دونه ان يعرض عنه استصغارا له الخامس ان يتكلم فيه بما لا يحل من كذب

اوغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان يحاكيه
استهزاء به وسخرية منه السابع ايذاءه بالضرب ومايؤلم
بدنه الثامن ان يمنعه حقه من صلة رحم اوقضاء دين
او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان يحترز
من الافات الثمانية المذكورة فلايخرج بسبب الحقد الى
ما يعصي الله تعالى به ولكن يستثقله بالباطن ولاينهى قلبه عن
بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة والرفق والعناية
والقيام بحاجته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على
المنفعة له اويترك الدعاء له والثناء عليه والتحريض على بره
ومواساته فهذا كله مما ينقص درجته عند الله تعالى ويحول
بينه وبين الفضل العظيم والثواب الجزيل وان كان لايستحق
به العقاب الاترى الى ابي بكر رضي الله عنه لما حلف ان لاينفق
على مسطح وكان قريبه ولكن تكلم في واقعة اهل الافك الذين
خاضوا في امر عائشة رضي الله عنها بنت ابي بكر زوج النبي
صلى الله عليه وسلم فحلف ابو بكر ان لاينفق على مسطح لاجل
ذلك فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا
اولي القربى والمساكين الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم
فقال ابو بكر بلى يارب نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه
فالاولى للمسلم ان يبقى على ما كان عليه وان امكنه ان يزيد
في الاحسان لمجاهدة النفس وارغاما للشيطان فذلك هو
مقام الصديقين فهي من فضائل اعمال المقربين واعلم
ان للحقود ثلاثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي
حقه من المحقود عليه من غير زيادة ولانقصان وهو العدل

والثانى ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل
والثالث ان يطالبه بما لا يستحق فذلك هو الجور وهو اختيار
الارذال والثانى هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى
درجة الصالحين ولنذكر ههنا فضيلة العفو والاحسان
وبالله التوفيق

باب فى فضل العفو

اعلم ان العفو هو ان تستحق حقا فتسقطه وتبرئ غريمك
منه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك
افردله باب وقد قال الله تعالى خذ العفو الاية وقال تعالى
وان تعفوا اقرب للتقوى وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث
والذى نفسى بيده ان كنت حالفا حلفت عليهن مانقصت
صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا عبد عن مظلمة يبتغى بها
وجه الله الازاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل على
نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا
يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله
والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال الخير ثلاث خصال من كن فيه
استكمل الايمان من اذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل واذا
غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا قدر عفا وعن عائشة
رضى الله عنها انها قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله شئ
فاذا انتهك من محارم الله شئ كان اشدهم فى ذلك غضبا

وما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار
ايسرهما ما لم يكن ماثما وعن عقبة بن عامر قال لقيت النبي
صلى الله عليه وسلم يوما فبادرته فاخذت بيده او بادرني
فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل
الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وعنه عليه السلام انه قال قال موسى عليه السلام
يارب أيّ عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا ولذلك
سئل ابو الدرداء من اعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر
فاعفوا يعزكم الله وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي ان يجلس واراد ان ياخذ
له بمظلمته فقال عليه السلام ان المظلومين هم المفلحون
يوم القيامة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وعن
عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم
من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس بن مالك عنه
عليه السلام انه قال اذا بعث الله الخلائق نادى منادٍ من
تحت العرش يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم وليعف
بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى البيت فاخذ
بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا
نقول خيرا ونظن خيرا اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك
ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم وانا اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وفي حديث

اخرعن سهيل بن عمير قال لما قدم عليه السلام مكة وضع يديه
على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله
نقول خيرا نقول اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال
عليه السلام فاني اقول كما قال اخي يوسف عليه السلام
لا تثريب عليكم اليوم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا وقف العباد يوم القيامة نادى مناد ليقم من اجره
على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى اجره على الله قال العافون
عن الناس فقام كذا وكذا الفا يدخلون الجنة بغير حساب
وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينبغي لوال امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو
ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الاية وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من اي
ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من ادى
دينا خفيا وقرأ دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات
وعفا عن قاتله قال ابو بكر او احداهن يا رسول الله قال او
احداهن الاثار وقال بعض العلماء اذا اراد الله ان
يتحف عبدا قيض له من يظلمه ويروى ان رجلا دخل على
عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه
فقال عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك من ان
تلقاه وقد انتقصتها وعن زيد بن ميسرة انه قال ان ظللت تدعو
على من ظلمك فان الله يقول ان اخر يدعو عليك انك ظلمته

فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئتما اخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوي وعن مسلم بن يسار انه قال لرجل يدعو على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر انه قال بلغنا ان الله عز وجل يامر مناديا يوم القيامة فينادي من كان له شيء عند الله فليقم فيقوم اهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هاشم ابن محمد انه قال اوتي النعمان بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه وقال

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها
وقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف حلمها ويخاف شدة بطشها

وعن عمر بن عبد العزيز قال ما قرن شيء الى شيء افضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة وروي ان الاحنف شفع في مجوس الى سلطان فقال ان كان مذنبا وسعه العفو وان كان بريئا وسعه العدل وقيل لبعض الحكماء بلغ عند امير المؤمنين امر سوء فقال ان كان حقا وسعني عفوه وان كان كذبا وسعني عدله وروي ان الفيل دخل دمشق فحشر الناس لرؤيته وصعد معاوية في علية له متطلعا فبينما هو كذلك اذ ابصر في حجرة قصره رجلا مع امراة من حرمه فاتى الحجرة فدق الباب فلم يكن بد من فتحه فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا في قصري وتحت حجابي تهتك حرمتي وانت في قبضتي ما حملك على هذا فبهت الرجل

ثم قال حلمك اوقعني فقال معاوية ان عفوت عنك ستريها علي قال نعم فخلى سبيله وهذا من الدهاء العظيم والعقل الواسع ان يطلب الستر من الجاني وهو موافق لمعنى قول الشاعر

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم ۞ وتذنبون فناتيكم فنعتذر

وعن معاوية انه قال عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروى ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين اكان نبيا فقال لا ولكن انما اعطى ما اعطى باربع خصال كن فيه كان اذا اقدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد وقال بعض السلف ليس الحليم من ظلم فحلم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا قال الشاعر

صفوح عن الاجرام حتى كانه ۞ من العفو لم يعرف من الناس مجرما

فليس يبالي ان يكون به الاذى ۞ اذا ما الاذى بالكرم لم يغش مسلما

وعن زياد انه قال العذر يذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب وروى ان هشاما اوتي برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال له الرجل يا امير المؤمنين يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افيجادل الله ولا تكلم انت كلاما فقال هشام بلى ويحك تكلم وروى ان سارقا دخل خباء عمار بن ياسر رحمه الله بصفين فقيل له اقطعه انه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله يستر علي يوم القيامة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت

في عمامته فوجدها قد حُلّت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها * فقال ابن مسعود اللهم ان كان اخذها لحاجة فبارك له فيها وان كان حمله جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه وعن الفضل انه قال ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني واياه بين يدي الله فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له * قال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب وهو على البصرة ليلا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كان معه الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم اياه * وطرحهم له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ما صنع الله به قال اداله عليهم ورفع ذكره واعلا كلمته على خزائن الارض قال فماذا صنع حين كمل الله له امره وجمع له اهله قال قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو على اصحابه قال الحكم وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته قال وكتب ابن المقفع الى صديق له يساله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ بك منك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا قال واتي عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجا بن حيوة ما ترى فقال ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر

فأعطِ الله ما يحب من العفو فعفا عنهم ويحكى عن المامون انه قال لعمه ابراهيم بن المهدى وكان مع اخيه عليه سطوة انى شاورت في امرك فاشاروا على بقتلك الا انى وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للازم حرمتك فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا نظير لك وانشأ يقول

البر منك وطاء العذر عندك لى :: فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عند لك لى :: مقام شاهد عدل غير متهم
لئن جحدتك معروفا مننت به :: انى لفى اللؤم احظى منك في الكرم
تعفو بعدل وتسطو ان سطوت به :: فلا عدمناك من عافٍ ومنتقم

وروى ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج او من المحكمة فأفلت منه فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين اتخلى سبيلى قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من الله العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين عدلين ابراهيم وموسى انه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذى وفى ان لا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان والله اعلم

فصل في الحسد

قد تقدم ان الحسد من ثمرات الحقد ونتائجه والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع المذمومة ما لا يكاد يحصى

وقد روى فى ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا وعن انس انه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوء قد علق نعليه بيده فسلم فلما كان من الغد قال عليه السلام مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله فى اليوم الثالث فلما قام عليه السلام تبع الرجل عبد الله بن عمرو بن العاصى فقال لاجبت ابى اى نازعت فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان تؤوينى اليك حتى تمضى المدة فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير انى لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثلاث وكدت ان احقر عمله فقلت يا عبد الله لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجرة ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان نعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذى بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعانى فقال ما هو الا ما رايت غير انى لا اجد على احد من المسلمين فى نفسى غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هى التى بلغت بك وهى التى لا نطيق وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت

فلا تبغ ؔو فى رواية اخرى ثلاثة لاينجو منهن احد وقلّ من ينجو
منهن فاثبت فى هذه الرواية امكان النجاة ؔو عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء
والبغضة هي الحالقة للدين لاحالقة الشعر والذى نفس محمّد
بيده لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا
انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم ؔو عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان
يغلب القدر ؔو عنه صلى الله عليه وسلم انه قال سيصيب
امتى داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر
والتنافس فى الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغى ثم
يكون الهرج ؔو قال صلى الله عليه وسلم لاتظهر الشماتة
لاخيك فيعافيه الله ويبتليك ؔو روى ان موسى عليه السلام
لما تعجل الى ربه رأى رجلا فى ظل العرش فغبطه بمكانه فقال
ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره *
باسمه وقال احدثك عن عمله بثلاث كان لايحسد الناس على
ما آتاهم الله من فضله وكان لايعقّ والديه ولايمشى بالنميمة
ؔو عن زكريا صلوات الله عليه قال قال الله تعالى الحاسد
عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمتُ
بين عبادى ؔو عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اخوف
ما اخاف على امتى ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون
ؔو عنه عليه السلام انه قال استعينوا على اموركم بالكتمان
فان كل ذى نعمة محسود ؔو عنه ايضا انه قال ان لنعم الله اعداء
فقيل ومن ذلك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله

من فضله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال هلك ست بست الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرساتيق بالجهالة والعلماء بالتحاسد الآثار قال بعض السلف الحسد اول ذنب عصى الله به في السماء يعني حسد ابليس لآدم عليه السلام واول ذنب عصى الله به في الارض يعني حسد ابن آدم لاخيه حتى قتله * وقال بعض الحكماء من رضي بقضاء الله لم يسخطه احد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد وعن مجاهد في قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن الى قوله كانه ولي حميم قال معناه ادفع بالسلام اساءة المسيئ وحكي ان بعض علماء السلف دخل على المفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيئ فقال ما ذاك فقال اياك والكبر فانه اول ذنب عصى الله به في السماء ثم قرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الى قوله ابى واستكبر وكان من الكافرين واياك والحرص فانه اخرج آدم من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها فاخرجه الله ثم قرا اهبطا منها الاية قال واياك والحسد فانه به قتل ابن ادم اخاه حين حسده ثم قرا واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق الآية قال واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكر النجوم فاسكت وقال بعض الادباء ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحسود نفس دائم وهم لازم وقلب هائم فنظمه بعض الشعراء فقال

ان الحسود الظلوم في كرب ❊ يخاله من يراه مظلوما
ذا نفس دائم على نفس ❊ يظهر منه ما كان مكتوما

و عن معاوية انه قال ليس في خصال الشر اعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل ان يصل الى المحسود و قال بعض الحكماء يكفيك من الحسود ان يغتم في وقت سرورك و في منثور الحكم عقوبة الحاسد من نفسه و عن الاصمعي قال قلت لاعرابي ما اطول عمرك قال تركت الحسد فبقيت و قال رجل لشريح القاضي اني لاحسدك على ما ارى من صبرك على الخصوم و وقوفك على غامض الحكم فقال ما نفعك الله بذلك ولا ضرني وانشد لعبد الله بن المعتز

اصبر على شر الحسود ❊ فان صبرك قاتله
والنار تاكل بعضها ❊ ان لم تجد ما تاكله

حكاية في الحسد وحكي عن بكر بن عبد الله انه قال كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك ويقول احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك وقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر منتن الفم فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فاذا دنا منك وضع يده على انفه ان لا يشم رائحة البخر فقال انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك فدعى الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك مساويه فقال له الملك ادن مني

فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم منه الملك ريح الثوم
فقال الملك فى نفسه ما ارى فلانا الا وقد صدق قال وكان
الملك لا يكتب بيده الا جائزة او صلة فكتب كتابا بخطه الى عامل
من عماله اذا اتاك صاحب كتابى فاذبحه واسلخه واحش جلده
تبنا وابعث به الىّ فاخذ الكتاب فخرج فلقيه الرجل الذى سعى
به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك لى بصلة فقال
هبه منى فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل فقال
العامل فى كتابك ان اذبحك واسلخك فقال ان الكتاب ليس
هو لى الله الله فى امرى حتى اراجع الملك فقال ليس لكتاب
الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به الى
الملك ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب
الملك فقال ما فعل الكتاب فقال لقينى فلان فاستوهبه منى
فوهبته له قال الملك انه ذكر لى انك تزعم انى ابخر الفم قال
ما فعلت قال ولم وضعت يدك على انفك قال كان اطعمنى طعاما
فيه الثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك *
فقد كفاك المسئ مساويه وعن فرقد السبخى انه قال الحسد
داء دوى لا يميته الا الزهد فى الدنيا ومن زهد فى الدنيا
لم يصبه الحسد الا قليلا وعن ابن سيرين قال ما حسدت
احدا على شئ من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف
احسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من اهل النار
فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وعن
ابن مسعود رحمه الله انه قال لا تعادوا نعم الله قالوا ومن
يعاد نعم الله قال الذين يحسدون الناس ويروى ان عبد الملك

ومن زعم ان مقال النبي لا يفارقه للمسلم الا قليلا دمع

ابن مروان قال يوما للحجاج انه ليس من احد الا وهو يعرف
عيب نفسه فاذكر عيبك قال اعفني يا امير المؤمنين قال
والله لتفعلن قال الحجاج انى لجوج فى الخصومة حقود ٭
حسود قال له عبد الملك ما فى الشيطان شر من هذا
و عن الحسن انه قال يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان
الذى اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله
فان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار و قال
بعض الحكماء الحسد خلق دنىء ومن دناءته انه يبدأ بالاقرب
فالاقرب و عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال
ما كانت لله على احد نعمة الا وجد له حاسدا ولو كان الرجل
اقوم من القدح لم يعدم غامزا و عن ابى الدرداء انه قال
ما اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده و عن معاوية
انه قال كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه
لا يرضيه الا زوالها وانشد لمحمود الوراق

اعطيت كل الناس من نفسى الرضى ٭ الا الحسود فانه اعيانى
ما ان لى ذنبا اليه علمته ٭ الا تظاهر نعمة الرحمن
وابى فما يرضيه الا ذلتى ٭ وذهاب اموالى وقطع لسانى

و قال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود
ما يلقى و قال اعرابى ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من
حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وينشد

ان يحسدونى فانى غير لائمهم ٭ قبلى رجال من اهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم ٭ ومات اكثرنا غيظا بما يجد

و قال بعض العلماء الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا

وقل للحسود اذا تنفس ضغنة ٭ يا ظالما وكانه مظلوم ويشتكم

ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما
ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة
ونكالا وينشد

يا حاسدا دونك ماء العلقم * فاشرب به تسبرد الحسرات
او صخرة او جندلا او جبلا * فانطح به في كل يوم مرات

فصل في حقيقة الحسد اعلم ان حقيقة الحسد هي
شدة الاسى على الخيرات تكون للافاضل من الناس فاذا كره الانسان
نعمة الله على احد من عباده واحب زوالها عنه فهو حاسد والحسد
حده كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه وهو غير المنافسة
لان المنافسة طلب التشبه بالافاضل من غير ادخال ضرر على الفاضل
والحسد مصروف الى الضرر فاذا انعم الله على الانسان نعمة فاحب
عبد زوالها عنه لتكون له او زوالها عنه فقط فهو حاسد وحالته
تسمى [٧] غبطة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
المؤمن يغبط والمنافق يحسد فهذا هو الفرق بين المنافسة والحسد
فالمنافسة فضيلة محمودة لانها داعية الى اكتساب الفضائل
والاقتداء بالافاضل قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
نعم ان كانت تلك النعمة دينية كالايمان والصلاة والزكاة *
ونحوها فالمنافسة فيها واجبة وهي محبة الانسان ان يكون
مثل المؤمن لانه ان لم يحب ذلك كان راضيا بمعصية وذلك حرام
وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم *
والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم
بها على وجه الصلاح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع
الى ارادته ان يساويه ويلحق به في النعمة وليس فيها كراهة

[٧] حسنة فاذا لم يحب زوالها ولكن تمنى لنفسه مثلها فهو غابط وحالته تسمى غبطة صح

النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصان غيره
وتخلف عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب
مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في
المباحات نعم ذلك ينقص الفضل ويناقض الزهد والتوكل
ولكنه لا يوجب العصيان وينشـــد

نافسْ على الخيرات اهلَ العلا . فانما الدنيا احاديثُ
كلُّ امرئٍ في شانه كادحٌ + فوارثٌ منه وموروث

وقد يستعمل لبعض المنافسة ويوضع موضع الحسد ويوضع
الحسد موضع المنافسة فلا حرج في الاسامي بعد فهم المعاني
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا حسد
الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق
ورجل اتاه الله حكمة وهو يعمل بها ويعلمها الناس فسمى المنافسة
باسم الحسد ثم فسر ذلك بحديث آخر مروي عن ابي كبشة الانصاري
فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجال رجل اتاه الله مالا
وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يؤته
مالا ويقول لو ان لي مالا مثل مال فلان كنت اعمل فيه بمثل
عمله فهما في الاجر سواء فهذا منه محبة لان يكون له من المال
مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل اتاه الله
مالا فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته مالا ويقول لو
ان لي مالا كنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه
عليه السلام من جهة تمنيه المعصية لا من جهة حبه ان يكون
له من النعمة ما كان له فاذا لا حرج على من يغبط غيره في نعمة
ويتمنى لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها

قوله فان كراهة النعمة صح

واما تسمية الحسد منافسة فهو ما روى عن قثم بن العباس ابن
عبد المطلب انه قال لعلى بن ابى طالب حين اراد قثم هو والفضل
ابن عباس ان يأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فيسالانه ان يؤمرهما
على الصدقة فقال لهما على لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقال
له قثم ما ذا منك الا منافسة والله لقد زوجك رسول الله ابنته
فما نافسنا ذلك عنك اى هذا منك حسد وما حسدناك على
تزويج فاطمة والله اعلم فالحسد حرام بكل حال الا نعمة اصابها
فاجر او كافر فهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين
وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب
زوالها من حيث هى نعمة بل من حيث هى الة الفساد ولو امنت
فسادها لم يغمك تنعمه بها ويدل على تحريم الحسد الاخبار
المتقدمة وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله فى تفضيل *
بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واى
معصية تزيد على كراهيتك نعمة مسلم من غير ان تكون لك فيه
مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد
والشماتة متلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو *
يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا فاخبر ان حبهم لزوال نعمة
الايمان حسد وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء
الايه وذكر تعالى حسد اخوة يوسف له وعبر عما فى قلوبهم اذ
قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الاية فلما احبه ابوه دونهم
ساءهم ذلك فلجوا زوالها عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا
يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا قيل معناه تضيق صدورهم

ولا ينعتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى فى معرض الانكار أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان امة الى قوله بغيا بينهم قيل فى التفسير حسدا وقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم قيل معناه انزل الله العلم ليتالفوا به على طاعته فتحاسدوا اذا اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كانت اليهود قبل ان يبعث النبى عليه السلام اذا قاتلوا قوما قالوا انسئلك بالنبى الذى وعدتنا ان ترسله * وبالكتاب الذى تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جاء النبى من ولد اسماعيل عرفوه وكفروا به فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اى حسدا ويروى ان صفية بنت حيى بن اخطب زوجة النبى صلى الله عليه وسلم قالت له جاء ابى وعمى من عندك يوما فقال ابى لعمى ما تقول فيه قال اقول انه النبى الذى يبشر به موسى عليه السلام قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذه حقيقة الحسد واما مراتب الحسد فهى ثلاثة احدها ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته فيها مثل رغبته فى دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة نالها غيره فهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها ومكروهه تنعم الغير بها فهذا هو الحسد المذموم الثانية ان لا يشتهى عين النعمة بل يشتهى لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كى لا يظهر التفاوت بينهما فهذه فيها مذموم وغير مذموم وتسميتها حسدا توسعا ومجازا قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم

على بعض فتمنيه مثل ذلك غير مذموم وانما المذموم تمنيه عينه
والثالثة ان يشتهى لنفسه مثلها فان لم تصل اليه فلا يحب زوالها
وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان فى الدنيا والمندوب اليه
ان كان فى الدين والله اعلم

فصل فى بيان المنافسة واسباب الحسد

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان امرا دينيا
فسببه حب الله وطاعته وان كان امرا دنيويا فسببه حب
مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما الكلام ههنا فى اسباب الحسد
المذموم وتنحصر جملة اسبابه فى سبعة اشياء وهى العداوة
والتعزز والكبر والعجب والخوف من فوات المقاصد المحبوبة
وحب الرياسة وخبث النفس وذلك انما يكره النعمة عليه
إما لانه عدو له فلا يريد الخير له بسبب اساءته اليه وإما ان
يستكبر عليه بتلك النعمة وهو المراد بالتكبر وإما ان يفاخره
بها لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز وإما ان تكون النعمة عظيمة
فيتعجب من فوز مثله بتلك النعمة وهو التعجب وإما ان يخاف
من فوت مقاصده بسبب مزاحمته اياه بتلك النعمة وإما
ان يكون بحب الرياسة التى يجب ان لا يساوى فيها فيكره تلك
النعمة له لئلا يلحقه بها وإما ان يكون لا بسبب بل بخبث النفس
وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بدّ من شرح هذه الابواب
بالاختصار ان شاء الله الملك القهار * السبب الاول *
العداوة والبغضاء وهو اشد اسباب الحسد فان من اذاه انسان
بسبب ابغضه قلبه ورسخ فى نفسه الحقد والحقد يقتضى التشفى
والانتقام فان عجز ان يتشفى منه بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان

وربما يحمل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصابت عدوّه
بليةٌ فرح وظن ان ذلك مكافأة من جهة الله تعالى له على بغضه
وانه لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده -
وربما يظن انه لا منزلة له عند الله تعالى حيث لم ينتقم له من
عدوه الذى اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغضة
والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقوى ان لا يبغى وان
يكره ذلك من نفسه واما ان يبغض انسانا ويستوى عنده
مسرته واساءته فهذا غير ممكن فهذا اما وصف الله تعالى به
الكفار اعنى الحسد بالعداوة اذ قال ودّوا ما عنتّم قد بدت
البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم الاية والحسد سببه
البغض وربما يفضى الى التقاتل واستغراق العمر فى ازالة النعمة
بالحيل والسعاية وهتك الستر ونحوه ؛ السبب الثانى ؛
التعزز وهو ان يثقل عليه ان يرتفع عليه غيره فاذا اصاب بعض
امثاله ولاية او علما اوما لا خاف ان يتكبر عليه بذلك وهو
لا يطيق تفاخره عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان
يدفع تكبر غيره عليه فانه قد رضى بمساواته دون ترفعه عليه
؛ السبب الثالث ؛ ان يكون فى طبعه ان يتكبر عليه ويستخدمه
فاذا نال نعمة خاف ان لا يتحمل تكبره ولا ينقاد لخدمته وربما ان
يتشوق الى مساواته اوالى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد ان
كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد اكثر الكفار
للنبى عليه السلام اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف
تطاطى له رؤسنا وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم اى كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان

عظيما وقال تعالى يصف قريشا اذ قالوا اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ٭ السبب الرابع ٭ التعجب كما اخبر تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا انؤمن لبشرين مثلنا فى امثال هذه الايات فتعجبوا ان يفوزوا برتبة الرياسة والقرب والوحى من الله تعالى وهم بشر امثالهم ولحبوا زوال نعمة النبوة عنهم جزعا ان يتفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة اوغيرها وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الاية ٭ السبب الخامس ٭ الخوف من فوات المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرائر فى التزاحم على مقصود الزوجية وتزاحم الاخوة على نيل المنزلة فى قلوب الابوين وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد ٭ وتحاسد الواعظين على اهل بلدة واحدة وكذلك العالمان المتزاحمان على طائفة من المتفقهة اذ يطلب كل واحد ممن ذكرنا نيل منزلة دون صاحبه ٭ السبب السادس ٭ حب الرياسة وذلك كالرجل الذى يريد ان يكون عديم النظير فى بعض الفنون اذا غلب عليه حب الثناء انه فريد العصر فى فنه وانه لا نظير له فاذا سمع بنظير له فى اقصى الارض ساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التى شاركه فيها من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة وليس السبب فى هذا سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين احاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الناس

للتوصل الى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم مهما نسخ علمهم ❊ السبب السابع ❊ خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا مال اذا وصف له حسن حال عبد من عباد الله فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعم الله على عباده كانه انما ياخذون ذلك من خزائنه ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله على عباده لا بسبب عداوة ولا رابطة بينهم وبينه وليس له سبب ظاهر الا الخبث فى النفس ورذالة الطبع ومعالجته شديدة لان الحسد الذى ثبت بسبب يتصور ازالته اذا زال ذلك السبب وهذا هو خبث فى الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ هو مستحيل فى العادة اعنى زواله فهذه اسباب الحسد وقد يجتمع كلها او بعضها فى شخص واحد فيعظم الحسد لذلك حتى لا يقدر صاحبه على الاخفاء والمجاملة معه بل يهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة والله اعلم والحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم هذه الاسباب المذكورة ولا سيما اذا تجاوروا فى مسكن او سوق او مدرسة او بلدة اجتمعوا فيها على مقاصد كل واحد يرغب فيها فتتناقض اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب

آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمراة تحسد ضرتها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز ثروة المال ولا يحصله الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر وهكذا الشجاع يحسد الشجاع والطبيب يحسد الطبيب واصل ذلك التزاحم على مقصد واحد وذلك لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه فانه يحسد كل من في الدنيا في الخصلة التي يشاركه فيها ومنشأ جميع ذلك الدنيا لانها هي التي تضيق على المتزاحمين واما الاخرة فلا ضيق فيها ومثال الاخرة مثال نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى وصفاته لم يحسد غيره اذا عرفه ايضا لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم واحد يعرف بالف الف عالم ويلتذ بمعرفته ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الاخرة محاسدة لان مقاصدهم معرفة الله تعالى والمنزلة عنده * وذلك بحر واسع لا ضيق فيه اعني المعرفة والمنزلة نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه هو ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة بينهم وليست المعرفة كذلك لان القلب اذا امتلا بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلئ به قلب غيره وان يفرح به

فالفرق بين العلم والمال ان المال لايحل فى يد ما لم يرتحل عن
اخرى والعلم فى قلب العالم مستقر ويحل فى قلب غيره بتعليم من
غير ان يرتحل عن قلبه لان الدنيا واموالها لها نهاية والاخرة
والعلم بها لانهاية لهما فان فرض كثرة العارفين لم يكونوا متحاسدين
بل يكونوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما فى صدورهم من
غل وقال اخوانا على سرر متقابلين فاذا لايتصور ان تكون
فى الجنة محاسدة ولاتقع بين اهل المعرفة فى الدنيا ايضا محاسدة
لان الجنة لامضايقة فيها ولامحاسدة ولاتنال الا بمعرفة الله
التى لامزاحمة فيها فى الدنيا ولامضايقة فاهل الجنة بالضرورة
برءاء عن الحسد فى الدنيا والاخرة بل الحسد من صفات المبعدين
عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وُسم به ابليس اللعين
حين حسد آدم النبى الامين فعليك ارشدك الله ان كنت بصيرا
وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لازحمة فيه ولذة لامكدر
لها فلايوجد ذلك فى الدنيا الا فى معرفة الله وصفاته وعجائب
ملكوته من ارضه وسمٰواته ولاتنال ذلك فى الاخرة الا بهذه
المعرفة والعمل بها فان كنت لاتشتاق الى معرفة الله تعالى ولم
تجد لها لذة فلاغروى ان العنين لايشتاق الى لذة الجماع والصبى
لايشتاق الى لذة الملك فان هذه اللذات يختص بادراكها الرجال
دون المخنثين والصبيان فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها
الرجال الذين لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله فلايشتاق الى
هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف
ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم
يدرك ومن لم يدرك بقى مع المحرومين فى اسفل سافلين ومن

يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اعاذنا الله من الخذلان فانه سبب الحرمان

فصل فيما ينفي به مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل اما العلم النافع لمرض الحسد فهو ان تعلم حقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين فمهما عرفت هذا يقينا ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد ساخط لقضاء الله تعالى غير راض بقسمته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية في الدين وكان يقال الحسود ساخط على ربه في انفاذ اقداره اذ ليس يرى قضاء الله عدلا ولا لنعمه من الناس اهلا وقد انضاف الى هذا انك غاش لرجل من المسلمين تارك لنصيحته مفارق لاولياء الله في حبهم الخير لعباده مشارك لابليس والكفار في محبتهم البلاء للمسلمين وزوال النعم عنهم وهذه خبائث في القلب تاكل الحسنات كما تاكل النار الحطب واما كونه ضررا في الدنيا فهو تالم بحسرات الحسد وينحل من اجلها الجسد ثم لا يجد لحسراته انتهاء ولا يرجو لسقام جسده شفاء وقد قال ابن المعتز الحسد سقام الجسد ثم تنحط رتبته وتنخفض منزلته لنفور الناس عنه ولذلك قيل الحسود لا يسود مع ما يظهر منه من الاخلاق الذميمة وقد قال بعض العلماء للحاسد ثلاث علامات يتملق اذا حضر ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة وقال ابن المعتز

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه طالبا لما لا يجد
فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله تعالى وعذابه من
غير نفع يناله مع ضرر يتحمله وغم يلازمه فيهلك دينه ودنياه
من غير جدوى ولا فائدة واما انه لا ضرر على المحسود في دينه
ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك فلابد من دوامها
الى اجل محدود ويقال شكا نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية
على الناس فاوحى الله اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها؛
فمهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا
ولا اثم في الاخرة فلو كانت النعمة تزول بالحسد لكان لم يبق
لله عليك من نعمة ايضا لانك لا تخلو من عدو يحسدك ولزالت
على المؤمنين نعمة الايمان لان الكفار يحسدون لهم الايمان
قال الله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
الاية نعم فالحسود ضال بارادته الضلال لغيره فان
ارادة الكفر كفر فهو ضال بارادته ولا تزول النعمة بحسده
فكما لا تزول النعمة عنك بحسد غيرك فكذلك غيرك لا تزول
عنه النعمة بحسدك واما نفع المحسود بحسدك في الدنيا والدين
فهو واضح اما منفعته في الدنيا فانه مظلوم من جهتك
لا سيما اذا اخرجت الحسد الى القول والفعل باللعنة والشتم
وذكر مساويه وذلك ايضا هدايا منك تهدى اليه حسناتك
فانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل فاضفت اليه نعمة
حسنا لك فاضفت الى نفسك شقاوة غم الحسد الى شقاوة
الخيبة في الحسنات واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض
الخلق مساءة الاعداء وان يكونوا معذبين مغمومين ولا

عذاب ولاغم اعظم مما انت فيه من الم الحسد فقد فعلت بنفسك ماهو مراد اعدائك ولذلك قيل

لامات اعداؤك بل خلدوا ÷ حتى يروا منك الذي يكمد
لازلت محسودًا على نعمة ÷ فانما الكامل من يحسد

وقد روى عن بعض العلماء انه قال المحسود من الهم كساقى السم فاذا سرى سمه سرى عنه همه وقد قيل العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد وربما كان الحسد ايضا منبها على فضل المحسود ونقصان الحسود كما قال ابو تمام

واذا اراد الله نشر فضيلة ÷ طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ÷ ماكان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للعواقب لم تزل ÷ للحاسد النعما على المحسود

فاذا تفكر الحاسد فيما ذكرنا واتبع الدين والعقل فى اجتناب الحسد واكله الحسنات ومايستقبحه العقل من نتائج الحسد التى هى اذم المذمومات فساعد القضا ورضى به كل الرضى دعاه ذلك الى ترك الحسد وشارك الاولياء فى المحبة للمسلمين فقهر حينئذ نفسه على مذموم خلقها بالرياضة والتهذيب فيتظاهر بالتخلق حتى يصير بالمواظبة والعادة كالخلق قال ابو تمام

فلم اجد الاخلاق الا تخلقا ÷ ولم اجد الافضال الا تفضلا

ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه قال لرجل كن عالما فان لم تستطع فكن متعلما فان لم تستطع فاحبهم وان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله مخرجا وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرء مع من احب وفى الحديث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ثلاثة المحسن
والمحب والكافّ عنه اى يكف عنه الاذى والبغض والكراهة
فهذه هي ادوية الحسد فهي نافعة جدا الا انها مرة جدا ولكن
النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة
الشفاء ولكن مادام الانسان محبا للدنيا وللجاه فلابد ان يحسد
من استاثر بهما وحظى بالرياسة دونه وان يغمه ذلك لامحالة
وانما غاية المجاهدة فيه ان يكره ذلك من نفسه ولا يغمه ولا
يظهره بقول ولا فعل فاذا كف ظاهره ومنع جوارحه عن ايذاء
المحسود والزم قلبه مع ذلك كراهة ما يترشح عنه من حب
زوال النعمة عنه حتى كانه يمقت نفسه على ما في طبعه فتكون
تلك الكراهة من جهة الفعل في مقابلة الميل من جهة الطبع
فقد ادّى الواجب عليه ولا يقدر الانسان الا على هذا ولا
يدخل تحت اختياره في اغلب الاحوال اكثر من هذا ما دام
ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير قلبه مستغرقا بحب الله
تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت
قلبه الى تفاضل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين الرحمة
ويرى العباد وجميع افعالهم افعالا لله تعالى وهم له مسخرون
وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب
بعد ذلك الى طبعه والشيطان الى منازعته اياه بالوسوسة
وذهب آخرون الى ان الحاسد لا ياثم اذا لم يظهر اثر الحسد
على الجوارح لما روى عن الحسن ان رجلا ساله هل يحسد
المؤمن قال ما انساك بني يعقوب قال نعم ولكن غمه في صدرك
فلا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا روى عنه موقوفا

ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فيما وجدت والاولى ان
يحمل هذا على ما ذكرنا من ان تكون فيه كراهة من جهة الدين والفعل
في مقابلة حب الطمع لزوال تلك النعمة فان جميع ما ورد من
الاخبار في ذم الحسد يدل على ظاهره على ان كل حاسد اثم والحسد
عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال ومحله القلب دون الجوارح
وكل محب مساءة المسلمين فهو حاسد لان له فيهم ثلاثة احوال
احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل
قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود ان لو كانت لك
حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا الثانية
ان تحب ذلك بقلبك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او
بجوارحك فهو هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهي بين
الطرفين ان تحسد بقلبك من غير مقتك نفسك على حسدك *
ولا انكار منك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها
وهذا محل الخلاف والاظهر ان لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك
وضعفه والله اعلم واحكم وبه العون والتوفيق

الفصل الخامس في ذم البخل

قال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم وقال ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل الاية
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طعام الجواد
دواء وطعام البخيل داء وروى انه سمع رجلا يقول الشحيح
اغدر من الظالم فقال لعن الله الشحيح ولعن الظالم وعنه ايضا
قال اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا

دماءهم واستحلوا محارمهم ودماءهم فقطعوا ارحامهم وقال عليه السلام لايدخل الجنة بخيل ولاخب ولاخائن ولاسيئ المملكة وفي رواية ولاجبار وفي رواية ولامنان وعنه عليه السلام انه قال ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وعنه عليه السلام انه قال ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال مثل المنافق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثدييهما الى تراقيهما فاما المنافق فلاينفق شيئا الااتسعت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلايريد ان ينفق شيئا الاقلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها فلاتتسع وقال عليه السلام خصلتان لايجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال في دعائه اللهم اني اعوذبك من البخل واعوذبك من الجبن واعوذبك ان ارد الى ارذل العمر وقال اياكم والظلم فان الظلم ظلمة يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لايحب الفحش ولا التفحش يوم القيامة واياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا وروى انه قال للانصار من سيدكم قالوا الجد بن قيس على بخل به فقال عليه السلام واي داء ادوى من البخل قالوا وكيف ذلك يارسول قال ان قوما نزلوا بساحل البحر فكرهوا لبخلهم نزول الاضياف بهم وقالوا ليبعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال الى الاضياف ببعد النساء وتعتذر النساء ببعد الرجال ففعلوا وطال ذلك بينهم فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء وفي رواية

اخرى انه قال عليه السلام يا بنى سلامة من سيدكم قالوا سيدنا
الجد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال اى داء ادوى من البخل
ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفى رواية اخرى قالوا سيدنا الجد
ابن قيس قال بمَ سودتموه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك
لنتزه بالبخل قال واى داء ادوى من البخل ليس ذلك سيدكم
قالوا ومن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال شر ما فى الرجل شح هالع وجبن
خالع قال وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبى عليه السلام وما
يدريك انه شهيد فلعله قد يتكلم بما لا يعنيه او يبخل فيما لا ينقصه
وعن جبير بن مطعم قال بينما نسير مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومع الناس مقبلة من حنين اذ علقت رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاعراب يسئلونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت
رداءه فوقف عليه السلام فقال اعطونى ردائى لو كان لى
عدد هذه العضدة نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا
كذوبا ولا جبانا وعن عمر قال قسم النبى صلى الله عليه وسلم قسما
فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال عليه السلام انهم
يخيرونى بين ان يسئلونى بالفحش او يبخلونى ولست ببخيل وعن
ابى سعيد الخدرى قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلان فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده
فلقيهما عمر فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل
عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة

الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم يسئلنى فينطلق بمسئلته متابطها
وهى نار فقال عمر فلم تعطيه ما هو نار فقال ما يابون الا ان
يسئلونى ويابى الله لى البخل وعن ابن عباس رضى الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال الجود من جود الله فجودوا يجد الله
عليكم الا ان الله خلق الجود فجعله فى صورة رجل فجعل له راسا
راسخا فى اصل شجرة طوبى وشبك اغصانها باغصان سدرة
المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها
ادخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان فى الجنة وخلق
البخل ومقته وجعل له راسا راسخا فى اصل شجرة الزقوم
ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله
النار الا ان البخل من الكفر والكفر فى النار وعنه عليه السلام
انه قال السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج الجنة الا سخى والبخل
شجرة تنبت فى النار ولا يلج النار الا بخيل وعنه عليه السلام
انه قال ان الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته وعن
ابى بزرة عنه انه قال السخى الجهول احب الى الله من العابد البخيل
وعن ابى هريرة عنه انه قال لا يجتمع الشح مع الايمان فى
قلب عبد وقال ايضا لا ينبغى للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا
وعنه عليه السلام انه قال يقول قائلكم الشحيح اغدر من الظالم
واى ظلم اعظم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته
وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق
باستار الكعبة وهو يقول بحرمة البيت الا غفرت لى ذنبى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لى

قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم أم الارض
قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار *
قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات
قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش
قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال ذنبك اعظم ام الله قال بل
الله اعظم واعلا قال ويحك فصف لي ذنبك فقال يا رسول الله
انا رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني يسالني فكانما
يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة
لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف الف عام وبكيت حتى
تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت
لئيم لكبك الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر والكفر
في النار ويحك اما علمت ان الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه
فأولئك هم المفلحون * الاثار * وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال
لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور *
وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان واظهرت انهار الخمر وانهار
العسل واللبن فقال لها اظهري سرورك وجمالك وكراسيك
وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي
فقالت طوبى لمن دخلني فقال تعالى وعزتي لا اسكننك بخيلا
وعن اخت عمر بن عبد العزيز انها قالت اف للبخيل لو كان البخل
قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وعن طلحة بن عبد الله
انه قال انا نجد باموالنا ما يجد البخيل ولكنا نتصبر وقال بعض الحكماء

البخل جلباب المسكنة وقال بعض البلغاء البخيل حارس نعمته * وخازن ورثته وانشد لبعض الشعراء

اذا كنت جماعا المال ممسكا ۞ فانت عليه خازن وامين
تؤديه مذموما الى غير حامد ۞ فياكله عفوا وانت دفين

وقال بعض الادباء البخيل ليس له خليل وعن محمد بن المنكدر انه قال كان يقول اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم اشرارهم وجعل ارزاقهم بايدى بخلائهم وقال الشعبى لا ادرى ايهم ابعد غورا فى جهنم البخيل او الكذاب وعن علىّ انه قال فى بعض خطبه انه سياتى على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما فى يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندى تكلم فقال خير الناس من الفى عند السؤال سخيا وعند الغضب وقورا وفى القول متانيا وفى الرفعة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا وقام الرومى فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وحكى ان بعض ذوى النباهة تظاهر بحب الثناء مع امساك فيه فقال بعض الشعراء

اراك تؤمل حسن الثنا ۞ ولم يرزق الله ذاك البخيلا
وكيف يسود اخو بطنة ۞ يمن كثيرا ويعطى قليلا

وعن الضحاك فى قوله وجعلنا فى اعناقهم اغلالا قال البخل يعنى امسك الله ايديهم عن الانفاق فى سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وعن كعب انه قال ما من صباح الا وقد وكل به ملكان

ينادي ان اللهم عجل للمسك ماله تلفا وعجل للمنفق خلفا وفي
رواية عن ابي الدرداء ما من يوم غربت شمسه الا وملكان
ينادي ان الحديث وعن عروة بن الزبير قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد
من الناس قريب من النار وعنه صلى الله عليه وسلم انه بلغه
عن الزبير امساك فجبذ عمامته اليه فقال يا زبير انا رسول الله
اليك والى غيرك يقول انفق أنفق عليك ولا توك فأوك عليك
وعن الاصمعي قال سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال
لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينيه فكانما يرى
السائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه وذكر في كتاب العقد ان
عبد الله بن الزبير كان من البخلاء وكان تكفيه اكلة في ايام *
ويقول انما بطني شبر في شبر فما عسى ان يكفيه قال فقال فيه
ابو وجرة مولى الزبير

لو كان بطنك شبرا قد شبعت وقد ٭ ابقيت خيرا كثيرا للمساكين
فان تصبك من الايام جائحة ٭ لم تبك منك على دنيا ولا دين
ما زلت في سورة الاعراف تدرسها ٭ حتى فؤادي كمثل الخز في اللين
انا امرأ كنت مولاه فضيعني ٭ يرجو الفلاح لعندي حق مغبون

قال واقبل اليه اعرابي فقال له اعطني واقاتل عنك اهل
الشام فقال اذهب فقاتل فان اعييت اعطيتك فقال اراك
جعلت روحي نقدا ودراهمك نسيئة قال واتاه اعرابي
يسأله حملانا ويذكر ان ناقته نقبت عليه فقال انعلها بسبت
فقال الاعرابي انما اتيتك مستوصلا ولم اتك مستوصفا

وقال فلاحملت ناقة حملتني اليك فقال ان وصاحبها قال وابن
الزبير القائل اكلتم تمرى وعصيتم امرى فقال فيه الشاعر
رايت ابابكر وربك غالب * على امره يرجو الخلافة بالتمر
وعن ابى حنيفة قال لا اعدل بخيلا لانه يحمل البخل على الاستقصاء
فياخذ اكثر من حقه خيفة ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون
مامون الامانة وقال على واللہ ما استقصى كريم قط قال اللہ
تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض يعنى عرف النبى عائشة
اى اعلمها افشاء بعض حديثه اياها وهو تحريمه مارية القبطية
واعرض عن بعض قيل حديثه لها ان الخلافة تكون لابيها بعده
اعرض عنه لئلا تنتشر والله اعلم وعن الجاحظ انه قال ما بقى
من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء واكل القديد وحك الجرب
وعن بشر بن الحارث انه قال البخيل لا غيبة له قال ومدحت
امراة عند النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة
الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذًا وعن بشر انه قال النظر
الى البخيل يقسى القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين
وفى كتاب العقد ومن امثال العرب فى البخل قولهم ماهو الا
ابنة عطا وعقدة رشا لان عقدة الرشا المبلول لا تكاد تحل
وعن يحيى بن معاذ انه قال يابى القلب للاسخياء الا حبا ولو
كانوا فجارا وللبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز
ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه وحكى ان يحيى بن زكريا
عليهما السلام لقى ابليس اللعين فى صورته فقال يا ابليس اخبرنى
باحب الناس اليك وابغضهم عندك فقال احب الناس الى المؤمن
البخيل وابغضهم الىّ الفاسق السخى قال لم قال لان البخيل قد كفانى

بخله والفاسق السخي اخاف ان يطلع الله عليه في سخائه فيقبل ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى ما اخبرتك ويقال ضيف البخيل آمن من التخمة ومن كتاب العقد قال قيل لمدينة ما الجرح الذي لا يندمل قالت حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده قيل فما الذل قالت وقوف الشريف الى باب الدنيء ثم لا يؤذن له قيل فما الشرف قالت اتخاذ المنن في رقاب الرجال قال وتقول العرب لمن لم يظفر بحاجته وجاء خائبا جاء فلان على حاجبيه صوفة وانشد لابي عطاء السندي في يزيد بن عمر بن هبيرة

ثلاث حكتهن لقوم قيس ؛ طلبت بها الاخوة والثناء
رجعن على حواجبهن صوف ؛ وعند الله يحتسب الجزاء

فصل ومن كتاب سراج الملوك قال الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان عليه السلام يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووسواسها قال وفرق مفرقون بينهما فقالوا الشح اشد من البخل فالبخل اكثر ما يقال في النفقة واسبابها قال الله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والشح مبني على الكراهة والامتناع فهو يكون في المال وفي سائر البدن قال الله تعالى اشحة على الخير الاية وقال تعالى ومن يوق شح نفسه الاية وعن طاوس قال الشح ان يبخل الرجل بما في ايدي الناس والبخل ان يبخل بما في يده وعن ابن عمر قال الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح بما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيمسكه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده ولذلك قال ابن المبارك سخاء النفس بما في ايدي الناس افضل من سخاء النفس بالبذل وقال رجل لابن مسعود

انى اخاف ان اكون هلكت سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون الاية وانا رجل شحيح لايكاد يخرج من يدى شيء قال ليس ذلك بالشح الذى ذكره الله * ولكن الشح ان تاكل لحم اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وليس بالشح وقال ابن عباس يتبع هواه وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال برئ من الشح من ادى الزكاة واقرى الضيف واعطى فى النائبة وقال ابن زيد من لم ياخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح الى منع شيء امره الله به فقد وقى شح نفسه واعلم ان البخل يكون من سوء الظن بالله تعالى انه لايخلف ولايثيب وهذا يوهن التصديق بما تكفل الله به ويؤدى ذلك الى الامتناع من جميع اوامر الله التى بين العبد وبين الخالق وبين الخلق من ترك معاونتهم والنصح لهم وروى ان كسرى قال لاصحابه اى شيء اضر بابن آدم قالوا الفقر قال الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح لايشبع والله اعلم ۞ فصل فى اخبار البخلاء

ومن كتاب العقد قال اجمع الناس على بخل اهل مرو ثم اهل خراسان قال وقال ثمامة بن اشرس ما رايت الديك فى بلد قط الا وهو يدعو الدجاج لتلتقط الحب معه الا بمرو فانى رايته ياكل وحده فعلمت ان لؤمهم فى الماء قال ورايت بمرو طفلا صغيرا وبيده بيضة فقلت اعطنى هذه البيضة فقال ليس تسع يدك فعلمت ان اللؤم والمنع فيهم طبع مركب قال واشتكى رجل مروزى صدره من سعال فدلوه على سويق اللوز فاستثقل النفقة فراى الصبر على الوجع

اخف عليه فبينما هو يماطل الايام اذ اتيح له بعض الموفقين فدله
على ماء النخالة فقال انه يجلو الصدر فامر بالنخالة فطبخت له فشرب
من مائها فجلا صدره فوجده يعصم فلما حضر غداءه امر به فرفع
الى العشاء فقال لام عياله اطبخي لاهل بيتنا النخالة فاني وجدت
ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت قد جمع الله لك بهذه النخالة
دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة قال وقال رجل مروزى
دخلت على رجل من اهل خراسان بليل فاذا هو بمسرجة فيها
فتيل فى غاية الرقة وقد القى فى دهن المسرجة شيء من ملح وقد
علق عليها عود بخيط معقود الى المسرجة فاذا غشى المصباح
اشخص راس الفتيلة بالعود فقلت له ما بال هذا العود مربوطا
قال قد شرب الدهن فاذا لم نحفظه وضاع احتجنا الى غيره فلم
نجده الا عطشانا فاذا كان هذا دائما ضاع من دهننا فى الشهر
بقدر ضياء ليلة قال فبينما انا اتعجب واسال الله العافية اذ
دخل عليه شيخ من اهل مرو فنظر الى العود فقال ابا فلان فررت
من شيء فوقعت فيما هو شر منه اما علمت ان الريح والشمس
ياخذان من سائر الاشياء اوليس بهذا العود البارحة عند
انطفاء السراج اروا وهو عند اسراجك الليلة اعطش
قال قد كنت انا جاهلا مثلك حتى وفقنا الله لما هو ارشد
اربط عافاك الله مكان العود ابرة كبيرة او مسلة صغيرة فان
الحديد ابقى ومع ذلك غير نشاف والعود والقصبة ربما ـ
تتعلق به الشعرة من قطن الفتيلة فتنقص منها وربما كان ذلك
سببا لانطفائها فقال الخرسانى الاوانك لا تعلم انك من المسرفين
حتى تسمع باعمال الصالحين قال وكان ثمامة بن اشرس يقول

اياكم واعداء الخبز ان تادموا بها واعلموا ان اعدى عدوله المملوح فلولا ان الله اعان عليه بالماء لاهلك الحرث والنسل وكان يقول كلوا الباقلاء بقشره فان الباقلاء يقول من اكلني بقشري فقد اكلني ومن اكلني بغير قشري فانا اكلته قال ومن البخلاء هشام ابن عبد الملك قال خالد بن صفوان دخلت على هشام فحدثته واظرفته فقال سل حاجتك فقلت تزيد في عطائي عشرة دنانير فاطرق مليا ثم قال لم وفيم وبم أللعبادة احدثتها ام لبلاء حسن ابتليته امير المؤمنين الا يا ابن صفوان ولو كان اكره السؤال لم تحتمله بيت المال فقلت وفقك الله يا امير المؤمنين وسد دك وانت كما قال الاول

اذا المال لم يوجب عليك عطاؤه ❊ صنيعة قربى او صديق توامقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة ❊ ولم يستلبك المال الا حقائقه

فقيل لخالد ما حملك على تزيين البخل فقال احببت ان يمنع غيري فيكثر من يلومه قال وخرج هشام بن عبد الملك متنزها ومعه الابرش الكلبي فمر براهب في دير فعدل اليه فادخله الراهب بستانا له فجعل يجتني له اطيب الفاكهة فقال له هشام يا راهب بعني بستانك هذا فسكت عنه ثم اعاد عليه الكلام فسكت فقال ما لك لا تجيبني فقال الراهب وددت ان الناس ما توا كلهم غيرك قال لماذا ويحك قال لعلك تشبع فالتفت هشام الى الابرش الكلبي فقال اسمعت ما يقول هذا فقال والله ما ان لقيك حر مثله قال وحضر اعرابي سفرة هشام بن عبد الملك فبينما هو يأكل معه اذ تعلقت شعرة في لقمة الاعرابي فقال له هشام عندك شعرة في لقمتك يا اعرابي قال وانك تلاحظني

ملاحظة من يرى الشعرة في لقمتي والله لا اكلت عندك ابن الفرج
وهو يقول

ولَلموتُ خيرٌ من زيارة باخل * يلاحظ اطراف الاكيل على عمد

وقال ايضا

ولو عليك اتكالي في الغداء اذا * لكنتُ اولَ مدفونٍ من الجوع
يقول عند دعاء الضيف مبتدئا * صوتَ دليلٍ وداعٍ غير مسموع

ومن كتاب الغزالي قال وكان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه فقرب اليه ضيا هجة بيض فاكل منه واكثر وجعل يشرب الماء وانتفخ بطنه فنزل به الكرب والموت وجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله لطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال هاه اتقيا ضيا هجة بيض اموت ولا اتقيا ضيا هجة بيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى بكسائه التين فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن شيئا من القران قال نعم وقرأ والتين والزيتون وطور سينين فقال واين التين قال تحت كسائك قال ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يالفه عنه وقال له قائل صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال افما ياكل معه احد قال بلى الذباب وقال سوءة له انت خاص به وثوبك مخرق فقال لي والله ما اقدر على ابرة اخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى الكوفة مملوءًا ابرًا ثم جاء جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يضمنون عنه ابرة وسالوه اعرناها لنخيط بها قميص يوسف الذي قدّ

من دبرما فعل وفي كتاب العقد قال اخذ المعنى محمد بن مسلمة يهجو
به ابن الاغلب فقال

لوانّ قصرك يا ابن اغلبَ ممتلٍ ✦ اِبرًا على سَعَة الفضا والمنزل
واتاك يوسف يستعيرك ابرة ✦ منها لِقَدّ قميصه لم تفعلِ

وقال آخر

لسانك احلى من جنا عسلٍ وعْدا ✦ وكفّك بالمعروف اضيق من قفل
تمنّي الذي ياتيك حتى اذا انتهى ✦ الى امَدٍ ناولته طرف الحبل

ومن كتاب العقد قال بعضهم دخلت على يحيى بن خالد بن عبد الله
ابن امية وقوم ياكلون معه فمدّ يده الى رغيف من الخوان
فرفعه وجعل يرطله بيده ويقول يزعمون ان خبزي صغير فمن
هذا الزاني ابن الزانية الذي ياكل من هذا نصف رغيف قال
ودخلت عليه مرة اخرى والمائدة موضوعة والناس قد اكلوا
فمددت يدي لاكل فقال اجهز على الجرحا ولا تتعرض للاصحاء
يقول عرض للدجاجة التي نيل منها والفرخ المنزوع الفخذ واما
الصحيح فلا تتعرض له قال وشوى لابي جعفر الهاشمي دجاج ففقد
فخذا من دجاجة فامر فنودي في داره من هذا الذي تعاطى فعقر
والله لا يخبز في هذا التنور شهرا ويرد فقال ابنه الاكبر لا تؤاخذنا
بما فعل السفهاء منا قال دعبل كنا يوما عند سهل بن هارون
فاطلنا الحديث حتى ضرّبه الجوع فاوتي بغدائه فاذا بصحفة
قديمة فيها مرق من لحم ديك قد هرم لا يحز فيه سكين ولا يؤثر
فيه ضرس فاخذ قطعة خبز فقلب بها ما في الصحفة ففقد
الراس فبقي مطرقا ساعة ثم رفع راسه الى الغلام فقال
اين الراس قال رميت به قال ولم قال ظننت انك لا تاكله قال

ولاى شى عظننت ذلك والله انى لامقت من يرمى برجله فضلا
عن راسه والراس زين وفيه الحواس ومنه يصيح الديك
ودماغه عجب وفيه عينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب
مثل عين الديك ودماغه ينفع لوجع الكليــة ولم ير عظم
قط اهش من عظم راسه فان كان بلغ من جهلك الا تأكله
فان عندنا من يأكله انظر اين هو قال والله لا ادرى اين
رميت به قال ولكنى والله ادرى رميته فى بطنك وفى كتاب الغزالى قال
ويقال كان مروان بن ابى حفصة لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم
فيرسل غلامه فيشترى له راسا فيأكله فقيل له نراك
لا تأكل الا الراس فى الصيف والشتاء قال نعم الراس اعرف
بسعره فآمن من خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغشنى فيه
وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه واما الراس
ان مس اذنا او عينا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا
اكل عينه لونا واذنه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونـًا
واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لى فيه موافق قال وخرج يوما
يريد المهدى الخليفة فقالت له امراة من اهله مالى عليك
ان رجعت بالجائزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك
درهما فاعطى ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق قال
واشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب
بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وفى كتاب العقد قال
وقد وقع درهم بيد سليمان بن مزاحم فجعل يقلبه ويقول
فى شق لا اله الا الله وفى شق اخر قل هو الله احد ما ينبغى لهذا
ان يكون الا تعويذا او رقية ورمى به فى الصندوق ومن البخلاء

ابو الاسود الدؤلى قال ودخل اعرابى وهو فى فسطاط له وبين يديه طبق رطب فقال السلام عليكم فقال ابو الاسود كلمة مقولة قال الاعرابى ءادخل قال وراءك اوسع لك قال ان الرمضاء احرقت قدمى قال بُل عليهما تبردان قال اتاذن لى فاكل معك قال سياتيك ما قدر لك قال بالله مارايت رجلا الأم منك قال قد رايت الا انك نسيت ثم اقبل ابو الاسود ياكل حتى لم يبق فى الطبق الا تميرات نبذها الى الاعرابى فجعل يمسحها بكسائه فقال له ابو الاسود يا هذا ان الذى تمسحها به اقذر من الذى تمسحها منه قال اكره ان ادعها للشيطان قال والله ولا لجبريل وميكائيل ماكنت لتدعها الهيثم بن عدى قال نزل على ابى حفصة والد مروان بن ابى حفصة الشاعر رجل باليمامة فاخلى له المنزل ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه تلك الليلة فخرج الضيف فاشترى ما يحتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا ايها الخارج من بيته ❊ وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزادٍ له ❊ فارجع تكن ضيفا على الضيف

قال آخر فى هذا المعنى

تراهم خشية الاضياف خرسا ❊ يقيمون الصلاة بلا اذان

وقال آخر فى هذا المعنى

قوم اذا اكلوا اخفوا كلامهم ❊ واستوثقوا من رتاج الباب والدار
قوم اذا نبح الاضياف كلبهم ❊ قالوا لامهم بولى على النار

وانشد لبعض الاعراب

ان هذا الفتى يصون رغيفا ❊ ما اليه لناظر من سبيل
هو فى صفرتين من ادم الطا ❊ ئف فى سلتين فى منديل

في جراب في جوف تابوت موسى ❊ والمفاتيح عند ميكائيل
واخبار البخلاء والاشعار المقولة فيهم كثيرة تركتها مخافة
التطويل بلا فائدة التحصيل ❊ احتجاج البخلاء في بخلهم ❊
ومن كتاب العقد الاصمعي قال ابو الاسود الدؤلي لو اطعنا المساكين
في اموالنا لكنا اسوء حالا منهم وقال لبنيه لا تطيعوا المساكين
في اموالكم فانهم لا يقنعون منكم حتى يروكم في مثل حالهم وقال
لا تجادوا الله عز وجل ولو شاء ان يغني الناس كلهم لفعل ولكنه
علم ان قوما لا يصلح لهم الا الفقر وقوم لا يصلح لهم الا الغنى
وقال رجل من تغلب اتيت رجلا من كندة اساله فقال
يا اخا بني تغلب اني لم اسئلك حتى احرم من هو اقرب منك الي
اني والله لو مكنت الناس من داري لنقضوها طوبة طوبة
والله يا اخا بني تغلب ما بقي في يدي من مالي واهلي وعرضي
الا ما منعته من الناس وهذا نظير معنى قول الآخر من اعطى
في الفضول قصر في الحقوق وقال لقمان لابنه يا بني اوصيك
باثنين لن تزال بخير ما تمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك
لمعادك وقال ابو الاسود امساكك ما في يدك خير من طلبك
ما في يد غيرك وانشد في هذا المعنى

يلومونني في البخل جهلا وضلة ❊ وللبخل خير من سؤال بخيل

ونظيره قول المتلمس

وحفظ المال ايسر من لقاه ❊ وضرب في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه ❊ ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقيل لخالد بن صفوان مالك لا تنفق فان مالك عريض فقال
الدهر اعرض منه قيل كانك تامل ان تعيش الدهر كله قال لا -

ولكنى اخاف ان لا اموت فى اوله وقال الجاحظ
قلت للحيرانى اترضى ان يقال لك بخيل قال لا اعدمنى الله هذا
الاسم لانه لا يقال لى بخيل الا وانا ذو مال فسلم لى المال وسمنى
باى اسم شئت قلت ولا يقال لك سخى الا وانت ذو مال فقد
جمع الله لهذا الاسم المال والحمد وجمع لذلك الاسم
المال والذم قال بينهما فرق عجيب ان فى قولهم بخيل سببا لمكث
المال فى ملكى وفى قولهم سخى سبب لخروجه من ملكى واسم
البخل فيه حزم واسم السخاء فيه تضييع والمال نافع ومكرم
لاهله والحمد ريح سخرية وما اقل غنى الحمد عنه اذا جاع بطنه
وعرى جسده وجاع عياله وشمت عدوه وقال محمد بن الجهم
من شان من استغنى عنك الا يقيم معك ومن احتاج اليك
ان لا يزول ومن حبك لصديقك وظنك بمودته الا تبذل له
ما يغنيه عنك وان تتلطف له فيما يحوجه اليك وقد قيل فى
مثل هذا اجع كلبك يتبعك وسمنه ياكلك فمن اغنى صديقه
فقد اعانه على الغدر وقطع اسبابه من الشكر والمعين على
الغدر شريك الغادر كما ان مزين الفجور شريك الفاجر وقال
يزيد بن عمرو الاسدى لبنيه يا بنى تعلموا الرد فانه اشد من
العطا فلان تعلم بنو تميم ان عند احدكم مائة الف اعظم فى
اعينهم ممن لو قسمها عليهم ولان يقال لاحدكم بخيل وهو غنى
خير من ان يقال له سخى وهو فقير وقال رجل لثمامة بن اشرس
ان لى اليك حاجة قال وانا لى اليك حاجة قال وما حاجتك
التى قال لا اذكرها حتى تضمن قضاءها قال قد فعلت
قال حاجتى اليك ان لا تسالنى حاجة قال لا وقال حسين

فانصرف الرجل وقال مر

ابن المنذر وددت لو ان لي مثل احد ذهبا لا انتفع منه بشئ قيل فما
كنت تصنع به قال لكثرة من يخدمني عليه لان المال مخدوم وقال
بعض الحكماء عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه الا انه عز في
قلبك وذل في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيما والنفع فيه
عظيما ومن الاشعار التي تمثل بها البخلاء

وزهدني في كل خير صنعته * الى الناس ما جربت من قلة الشكر

وقال آخر

ارفع قميصك ما اهتديت لجيبه * فاذا اضلك جيبه فاستبدل

وقول ابن هرمة

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

وقال سهل بن هارون لو قسمت بين الناس مائة الف لكان
اكثر للائمي وقوله قول ابن الجهم منع الجميع ارضاء للجميع *
ولسهل في كتاب العقد رسالة مشهورة يحتج فيها للبخل تركتها
مخافة التطويل والذي يقطع به جميع احتجاج البخلاء هو ان الله
امر بالانفاق ووعد عليه الفضل والخلف والثواب والمغفرة.
ونهى عن البخل وذمه ووعد عليه العقاب وامر بمجاهدة الهوى
في انفاق المال الذي هو محبوب النفس اعظم المجاهدة لها ونهى
تعالى عن موافقة الهوى وفي امساك المال اعظم شهوات
النفس وايضا ان السخي محبب الى القلوب وقد اتفقت الالسن
على مدحه والبخيل مبغض الى القلوب وقد اتفقت الالسنة على
ذمه والله تعالى يوصف بالجود والكرم ولا يوصف بالشح والبخل
والبخيل يسيء الظن بالله والسخي بخلافه والله المستعان فصل
اعلم ان البخل ذريعة الى كل مذمة وقد يحدث في الانسان بسببه

اربعة اخلاق وناهيك بها ذما وهي الحرص والشره وسوء الظن
ومنع الحقوق فاما الحرص فهو شدة الكدح والاسراف في الطلب
واما الشره فهو استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة فهنا
فرق بين الحرص والشره وفي الحديث من لا يجد يه من العيش
ما يكفيه لم يجد ما عاش ما يغنيه وقال بعض الحكماء الشره من
غرائز اللوم واما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها اهل فان
كانت بالخالق كانت شكا يؤل الى الضلال وان كانت بالمخارق
كانت استخانة يصير بها مختانا وخوانا لان ظن الانسان بغيره
بحسب ما يراه من نفسه فان وجد فيها خيرا ظنه بغيره وان
راى منها سوءا اعتقده في الناس وقد قيل في المثل كل اناء ينضح
بما فيه فان قيل قد تقدم من قول الحكماء ان من الحزم سوء
الظن قيل تاويله قلة الاسترسال اليهم لا اعتقاد السوء فيهم
واما منع الحقوق فان نفس البخيل لا تسمح بفراق محبوبها فاذا
مال البخيل الى هذه الاخلاق المذمومة لم يبق معه خير
موجود ولا اصلاح مامول والله اعلم فصل في علاج البخل
اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما
حب الشهوة التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل
وان كان قصير الامل ولكن له اولاد قاموا في قلبه مقام طول
الامل وقد جاء في الحديث الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف
الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بضمان الرب تعالى قوى
البخل لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس
من معه ما يكفيه طول عمره اذا اقتصر على ما جرت به العادة
في النفقة ويفضل الفا وهو شيخ وربما يكون شيخا كبيرا ولا ولد

له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة
نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يتلذذ بوجودها
فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فيضيع او ياخذها اعداؤه
ومع هذا لا تسمح نفسه ان ياكل او يتصدق وهذا مرض في
القلب عظيم عسير العلاج ولا سيما في كبر السن فهو مرض
مزمن لا يرجى علاجه لان المقصود بالمال قضاء الحاجة
والفاضل عن قضاء حاجة الانسان بمثابة الحجر فحب الدنانير
بلا قضاء حاجة كحب الحجر وذلك غاية الضلال فهذه
اسباب حب المال وانما علاج كل علة بما يضادها فعلاج
حب الشهوة بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل
بكثرة ذكر الموت وبموت الاقران ويعالج التفات القلب الى
الولد بان الذى خلقه تكفل برزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه
شيئا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده
ليتركه بخير وينقلب هو الى شر فان كان ولده تقيا صارت له
المنفعة وان كان فاسقا استعان بماله على المعصية ويكثر التأمل
ايضا في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم ويعالج ايضا قلبه
بان يتفكر في مقصود المال ولماذا خلق من اجله فلا يحفظ
منه الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه ثوابا ليوم فقره
ويتفكر في شؤم البخل به وفي قول الله تعالى ومنهم من عاهد الله
لئن اتانا من فضله الى قوله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
فاعقبهم نفاقا الاية وبلغنا ان هذه الاية نزلت في ثعلبة ابن
حاطب وقصة ثعلبة بن حاطب وذلك انه روى عن ابي
امامة الباهلي ان ثعلبة قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني

مالًا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فالح
عليه مرتين فقال يا ثعلبة اما لك فيّ اسوة اما ترضى ان تكون
مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال
ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله
ان يرزقني مالًا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن فقال
عليه السلام اللهم ارزق ثعلبة مالًا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو
الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها
حتى جعل يصلي الظهر والعصر مع الجماعة ويدع ما سواهما فنمت
وكثرت حتى ترك الصلاة في الجماعة الا الجمعة فطفقت تنمو كما ينمو
الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان في يوم الجمعة فيسئلهم
عن الاخبار فقال صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة بن حاطب
فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره
كله فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم
صدقة الاية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من
جهينة ورجلا من بني سليم وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما
ان يخرجا وياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب
وبفلان رجل من بني سليم فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة
واقرآه كتاب النبي عليه السلام فقال ما هذه الا اخت الجزية
انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما
فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما
راياها قالا لا يجب عليك هذا وما نريد نأخذ هذا منك قال بل
خذاها ونفسي بها طيبة فانما هي لتاخذاها فلما فرغا من
صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال اروني

كتابكما فانظر فيه فقال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى اري رأيي
فانطلقا حتى لقيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راٰهما قال ياويح
تغلبة قبل ان يعلماه ودعا للسلمي فاخبراه بالذي صنع تغلبة وبالذي
صنع السلمي فانزل الله تعالى في تغلبة ومنهم من عاهد الله لئن
اتانا من فضله لنصّدقن ولنكونن من الصالحين الاية وعند
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب تغلبة فسمع
ما انزل فيه فخرج حتى اتى تغلبة فقال لا ام لك يا تغلبة قد انزل الله
فيك فخرج حتى اتى النبي عليه السلام فساله ان يقبل منه صدقته
فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب
على راسه فقال عليه السلام هذا عملك امرتك فلم تطعني
فلما ابى ان يقبل منه رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه
وجاء بها الى عمر رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه فتوفي تغلبة
بعد خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشؤمه فصل
وحكى ان ذا القرنين اتى على أمّة من الامم ليس في ايديهم شيء
مما ينتفع به من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا
تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم
وقد قيض الله لهم في ذلك معايش من نبات الارض فارسل
ذو القرنين الى ملكهم فقيل له اجب الملك ذا القرنين فقال
مالي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين فقال له ارسلت اليك
لتاتيني فابيتَ حتى جئتُ انا فقال لو كانت اليك حاجة لاتيتك
فقال ذو القرنين مالي اراكم على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا
وما ذلك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم من الذهب والفضة

فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهنا ها الان احد الم يعط منها شيئا
الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم احتفرتم
قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها وكنستموها وصليتم عندها
قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا منعتنا قبورنا من الامل قال
واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض فلا اتخذتم البهائم من
الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا ان
يجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي
ابن آدم ادنى العيش من الطعام فان ما جاوز الحنك لم يجد له طعما
كائنا ما كان من الطعام ثم بسط يده ملك تلك الارض خلف
ذى القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدرى من هذا
قال لا ادرى قال هو ملك من ملوك الارض اعطاه الله
سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم فلما رأى الله ذلك منه
حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى
يجازيه به في آخرته ثم تناول جمجمة ثانية وقال يا ذا القرنين اتدرى
من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد
كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الظلم والغشم فتواضع
وخشع لله وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد
احصى الله عليه عمله حتى يجازيه في آخرته ثم اهوى الى
جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهذه *
فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هلا
كنت في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا شريكا فيما آتاني الله من هذا
المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال
ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق

قال ولو قال يعادونك لما فى يدك من الملك والمال والدنيا ولا
احد احدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة
الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا بـه
والله اعلم فهذه المعانى والحكايات ادوية لعلاج البخل من
جهة العلم والمعرفة مع ما سنورده ان شاء الله من الاخبار
والحكايات فى مدح السخاء وفضله فاذا تامل الانسان ذلك
بنور البصيرة عرف ان اعطاء المال خير له من امساكه فى
الدنيا والاخرة فاذا تحقق ما ذكرنا هاجت رغبته فى البذل
ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغى ان يجيب الخاطر الاول
ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ليصده عن
الصدقة ويقال كان بعض مشايخ السلف فى موضع الخلا
فدعا تلميذا له فقال انزع القميص عنى وادفعه الى فلان فقال
هلا صبرت حتى تخرج فقال لم آمن على نفسي ان تتغير وكان قد
خطر لى بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول
العشق الا بالسفر عن مستقر المعشوق ثم يتكلف امر الصبر فيسلو
عنه قلبه فكذلك الذى يريد ان يعالج البخل ينبغى ان يفارق
المال تكلفا مع الجهد مرة بعد اخرى حتى يميت من نفسه صفة
البخل فيصير السخاء له طبعا ويسقط عنه التعب فيه وعن
وهب قال ما تخلق عبد بخلق اربعين صباحا الا جعل الله ذلك
طبيعة فيه ومن عرف آفة المال لم يأخذ منه الا قدر الحاجة
ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس امساكه
ذلك بخلا منه وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه بل
يبذله وانما هو كالماء على شاطئ النهر لا يبخل به احد لقناعة

الناس منه بقدر الحاجة فهذه ادوية من جهة العمل فى علاج
البخل ايضا لان من لم يسلك هذا السبيل حتى يتجافى قلبه عن
متاع الدنيا أنس بها واحبها فان كان له مثلاً الف متاع كان
له الف محبوب ولذلك اذا سرق له واحد منها الم به مصيبة
بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة
لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو فى حياته على خطر
المصيبة بالفقد والهلاك وقد روى انه حمل الى بعض الملوك
قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم يُر له نظير ففرح الملك به
فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه
فقرا او مصيبة قال وكيف قال ان انكسر كان مصيبة لا جبر
لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان
يحمل اليك فى أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق أن كسر يوما
فعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل
الينا وهكذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة
لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم
بالصبر عنها وعدوة لله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها
فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس ولا
يمكن تحصيلهما الا بالمال وهو بذل الدنانير والدراهم فالمال
ياكل غيره ثم نفسه حتى يفنى كالنار تاكل غيرها فاذا اعدمته
اكلت نفسها فماتت وها نحن نذكر فضيلة السخاء ۞

فصل فى فضل السخاء

اعلم ان المال ان كان مفقودًا فينبغى ان يكون حال العبد القناعة
وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغى ان يكون حاله الايثار والسخاء

واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من اخلاق
الانبياء وهو اصل من اصول النجاة وعنه عليه السلام حيث قال
السخاء شجرة في الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا
قاده ذلك الغصن الى الجنة وعن جابر عنه انه قال عن جبريل عن ربه
عز وجل ان هذا دين ارتضيه لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق
فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية ما صحبتموه وعن عائشة عنه
عليه السلام انه قال ما جبل الله وليا له الا على السخاء وحسن الخلق
وعنه ايضا انه قال خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله
فاما اللذان يحبهما الله فالسخاء وحسن الخلق واما اللذان يبغضهما
فالبخل وسوء الخلق فاذا اراد الله بعبده خيرا استعمله على حوائج
الناس وعنه عليه السلام انه قال تجافوا عن ذنب السخي فان الله
اخذ بيده كلما عثر وعن ابن مسعود رحمه الله عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة
البعير وان الله ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وعن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الاسلام شيئا الا
اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثيرة من شاء الصدقة فرجع
الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى العاقة
وعن ابن عمر عنه ايضا انه قال ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد
فمن بخل وامسك عن العباد انقلها الله الى غيره وعن الهلالي انه قال
أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسارى من بني العنبس فامر
بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي يا رسول الله الرب واحد والدين
واحد والذنب والحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه السلام نزل
جبريل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء واترك هذا فان الله شكر له

سخاءً فيه وعن ابي سعيد الخدري عنه عليه السلام انه قال يقول الله
عز وجل اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني
جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم
سخطي وعنه ايضا انه قال من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة
الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال ويروى
ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه
سخي وعن جابر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وجعل
عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ان الجود من شيم
اهل هذا البيت الاثار وعن علي بن ابي طالب قال اذا اقبلت
الدنيا فانفق منها فانها لا تبقى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها
لا تبقى وانشد

لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلةٌ * فليس ينقصها التبذير والسَّرَفُ
فان تولت فاحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما ادبرت خَلَفُ

وقال بعض البلغاء جود الرجل يحببه الى اضداده وبخله يبغضه
الى اولاده وقال بعض الفصحاء خير المال ما استرق حرا وخير
الاعمال ما استحق شكرا وقيل في منثور الحكم الجودُ اَعزُّ موجود
ويروى ان معاوية سال الحسن بن علي عن المروءة والنجدة والكرم
فقال اما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه
بضيعته وحسن المنازعة والاقدام في الكراهة واما النجدة فالذب
عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل
السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل وانشد
لصالح بن عبد القدوس

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ✤ ويستره عنهم جميعاً سخاؤه
تغطّ باثواب السخاء فانني ✤ ارى كل عيب فالسخاء غطاؤه

قال ورفع رجل الى الحسن بن علي رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسئلني الله عن ذل مقامه بين يديّ حتى اقرأ رقعته وعن ابن السماك قال عجباً لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بفعاله ويروى ان النعمان بن المنذر قال لجلسائه من افضل الناس عيشاً وانعمهم بالاً واكرمهم طبعاً واجلهم في النفوس قدراً فسكت القوم فقام فتى فقال ابيت اللعن افضل الناس عيشاً من عاش الناس في فضله قال صدقت وقيل لبعض الاعراب من سيدكم قال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وعن علي بن الحسين قال ليس السخي من وصف يبذل ماله لطلابه وانما السخي من يبتدي بحقوق الله في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يغنيه بثواب الله تاماً وعن جعفر الصادق انه قال لا مال اعود اي انفع من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة قال ورأى الاحنف رجلاً وفي يده درهم وقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قول العرب مالك ان انفقته كان لك وان امسكته كان عليك قال قائلهم

ذريني اكن للمال ربّاً ولا يكن ✤ لي المال ربّاً تحمدي عقبه غداً
اريني كريماً مات هزلاً لعلني ✤ ارى ما ترين او بخيلاً مخلدا

وقال ــــــ آخر

انت للمال الذي امسكته ۞ فاذا انفقته فالمال لك

قال وورث بعض السلف خمسين الف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسأل الله الجنة فى صلاتى لاخوانى فابخل عليهم بالدنيا وعن اسماء بنت خارجة انه كان يقول ما ابالى ان ارد احدا عن حاجته فانه ان كان كريما اصون عرضه وان كان لئيما اصون عنه عرضى ويقال كان مورق العجلى يتلطف فى ادخال الرزق على اخوانه فيضع عند احدهم الف درهم ويقول امسكها حتى اعود اليك ثم يرسل اليهم انتم فى حل منها قال العتبى عن الحكم بن عبد المطلب انه اعطى جميع ما يملكه فلما نفد ما عنده ركب فرسه واخذ رمحه يريد الغزو فمات بمسبح فاخبرنى رجل من اهل مسبح قال قدم علينا الحكم وهو مملق لا شئ معه فاغنانا قال وكيف اغناكم وهو مملق فقال ما اغنانا بمال ولكن علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا وقال الحسن بذل المجهود فى بذل الموجود غاية الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندى قيل فان لم يكن قال من كثرت اياديّ عنده قال وقال المهدى لشبيب ابن شيبة كيف رايت الناس فى دارى قال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا قال وتمثل متمثل عند عبد الله ابن جعفر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة ۞ حتى يصاب بها طريق المصنع

فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها ۞ لله او لذى القرابة او دع

وقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن

امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا ودخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها فقال يا ام المؤمنين اصابتني فاقة فقالت ما عندي شيء فلو كانت عندي عشرة الاف لبعثتها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة الاف من خالد بن اسيد فقالت ما اسرع ما ابتليت فارسلت بها في اثره فاشترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد محمد وابو بكر وعمر بنو المنكدر فكانوا عباد المدينة وقال اكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد متكأ والله اعلم قال الشاعر

اذا تكرمت عن بذل القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا يمنعك قلته * وكل ما سد فقرا فهو محمود

حكايات الاسخياء ومن كتاب سراج الملوك عن الاصمعي قال كانت حروب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر حتى مشى بين الناس في الصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وانا غلام الى ضرار بن القعقاع بن دارم فاستاذنت عليه فاذن لي فاذا هو في شملة يخبط نوى لعنزته حلوب فاخبرته بمجمع القوم فامهل حتى اكل العنز ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدينا فاتت بزيت وتمر قال فدعاني فقذرته ان اكل معه فلما فرغ وثب الى طين في الدار ملقى فغسل يده ثم صاح يا جارية اسقيني بماء فلما شرب مسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات وتمر البصرة بزيت الشام متى يؤدي شكر هذه النعمة ثم قال علي بردائي فاوتي برداء عدني فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد فصلى ركعتين فمشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حلت اعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الاحياء من

ديات الاموات فى ماله وانصرف وفى كتاب الغزالى وعن محمد
ابن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضى الله عنها قالت ان
ابن الزبير بعث اليها بمال فى غرارتين ثمانين ومائة الف فدعت بطبق
فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هات فطورى
فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم
ان تشترى لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتنى لفعلت وعن ابان
ابن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه
قريش فقال يقول لكم عبد الله تغدون اليوم عندى فاتوه حتى
ملؤا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر عبد الله بشراء
فاكهة فامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدم اليهم الفاكهة فلم يفرغوا
حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا فقال عبد الله لو كلائه
اموجود هذا كلما اردت قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء عندنا كل يوم الى انقضاء
شهر وعن مصعب بن الزبير قال حج معاوية فلما انصرف من المدينة
قال الحسين بن على لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج
معاوية قال الحسن بن على ان علىّ دينا ولا بد من اتيانه فركب فى اثره
حتى لحقه فسلم عليه فاخبره بدينه فامر له ببختىّ عليه ثمانون الف
دينار وقد اعيى وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية
ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه لابى محمد وعن واقد بن محمد
الواقدى قال حدثنى ابى انه رفع رقعة الى المامون يذكر له فيها
كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك
رجل اجتمعت فيك خصلتان سخاء وحياء فاما السخاء فهو الذى
اطلق ما فى يدك واما الحياء فهو الذى يمنعك من تبليغنا ما انت
عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد

في بسط يدك وان لم اكن اصبت بجنايتك على نفسك وانت حدثني
اذ كنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن انس
ان النبي عليه السلام قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح
ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الى كل عبد بقدر نفقته فمن
كثر كثر له ومن قلل قلل عليه قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون
اياي بالحديث احب الي من الجائزة ومن مائة الف قال وسال
رجل الحسن بن علي حاجة فقال له يا هذا احق سؤالك اياي يعظم
علي ومعرفتي بما يجب لك يكثر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت
اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان
قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتمال والاهتمام لما اتكلف
من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية
واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله فجعل يحاسبه على نفقاته
حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلاث مائة الف
فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة دينار قال هي عندي
فقال احضرها فاحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل
فقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع له الحسن رداءه
لكراء الحمالين فقال مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني
ارجو أن يكون لي عند الله اجر عظيم قال واجتمع قراء البصرة الى
عبد الله بن عباس وهو عامل البصرة فقالوا ان جارًا لنا صوامًا قوامًا
يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنيته له من ابن اخيه
وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام ابن عباس فاخذ
بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقًا فاخرج منه ست بدر
فقال احملوها فحملوها فقال ابن عباس ما انصفناه حيث

اعطيناه مايشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكون اعوانا
على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه
وما بنا من التكبر ما لانخدم اولياء الله ففعل ففعلوا ما قال وحكى
انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن اسعد اميرهم فقال
والله لاعلمن الشيطان انى عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت
الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم ورهنهم
بها حلى نسائه وقيمته خمس مائة الف الف فلما تعذر عليه ارتجاع
الحلى كتب اليهم ببيعه ودفع الفاضل منه عن حقوقهم الى من لم
تنله صلاته وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء
فقال للشاعر والله ما عندى ما اعطيك ولكن قدمنى الى
القاضى وادع على بعشرة الاف درهم حتى اقر لك بها فان اهلى
لا يتركوننى محبوسا ففعل فلم يمس حتى دفعت اليه عشرة الاف
درهم واخرج ابو مرثد من الحبس قال وكان معن ابن زائدة عاملا
على العراقين بالبصرة فحضر ببابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول
الى معن فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل
الامير البستان فعرفنى فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على
قصبة والقاها فى الماء الذى يدخل بستان معن وكان معن
على راس الماء فلما ابصر بالقصبة اخذها وقراها فاذا فيها
مكتوب

ايا جود معن ناج معنا بحاجتى ✽ فمالى الى معن سواك شفيع

قال فدعا بالرجل فانشد البيت فامر له بعشر بدر ووضع الامير
الخشبة تحت بساطه ثم قرا معن البيت فى اليوم الثانى فامر له
بمائة الف درهم فهرب لئلا تؤخذ منه ثم قراه بعد ذلك فدعا به

فلم يوجد فقال حق على ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالى دينار ولا
درهم ومن كتاب سراج الملوك قال واما طلحة بن عبد الله بن خلف
الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات قال وانما سمى بهذا الاسم لانه كان
عظيم البذل فى كل وجه وكان يبتاع الرقاب فيعتقها وكان كل معتق
يولد له ولد ذكر اسمه طلحة فبلغ عددهم الف رجل كل يسمى طلحة فسمى
لذلك طلحة الطلحات وفيه يقول القائل

رحم الله اعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

قال ابو الحسن المدنى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها
فقالوا هل من شراب قالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة
فى كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك فقالوا
هل من طعام قالت لا الا هذه فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم
ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما
فاكلوا فلما ابردوا وارتحلوا فقالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا
الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمى بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا
واقبل زوجها واخبرته خبر القوم والشاة فغضب فقال ويلك
تذبحين شاة لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد
ذلك الجأتهما الحاجة الى المدينة فدخلاها فجعلا ينقلان البعر
اليها ويبيعانه فمرت العجوز فى بعض سكك المدينة فاذا الحسن
ابن على جالس على باب داره فعرف العجوز وهى له منكرة فبعث
الحسن غلامه فدعا العجوز فقال لها يا امة الله اتعرفيننى قالت لا
قال انا ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بابى انت وامى انت هو
قال نعم ثم امر الحسن فاشتروا لها من شاء الصدقة الف شاة

وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلكِ اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين فقالت بالفي دينار والفي شاة فامر لها عبد الله بالفي شاة والفي دينار فقال لها لو بدأت بي لاتعبتهم فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة الاف دينار قال وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق وقد اقعده الدهر واضربه المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني قال واشترى عبدُ الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان في الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قال يبكون لدارهم فقال يا غلام ايتهم واُعلمهم ان الدار والمال لهم جميعًا قال وقيل انفذ هارون الرشيد الى مالك بن انس بخمس مائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعيد وانفذ اليه الف دينار فغضب هارون فقال اعطيتُه خمس مائة دينار واعطيته انت الف دينار وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان في غلتي كل يوم الف دينار فاستحييت ان اعطي مثلَه اقلّ من دخل يوم وحكى انه لم تجب عليه زكاة مع ان دخله كل يوم الف دينار وفي مثله يقول القائل

ملأت يدي من الدنيا مرارا ** فما طمع العواذل في اقتصاد

ولا وجبت على زكاة مالي * وهل تجب الزكاة على جواد
وروى ان امراة سالت الليث بن سعيد شيئا من عسل فامر لها
بزق وقال انها سالتنا على قدرها ونعطوها على قدر النعمة علينا
قال وكان الليث بن سعيد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة
وستين مسكينا وعن الاعمش قال اشتكت شاة عندي فكان خيثمة
ابن عبد الرحمن يعودها بالغدو والعشي ويقول هل استوفت علفها
وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه
فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من
ثلاث مائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبر ويروى ان عبد الملك
ابن مروان قال لاسما بن خارجة بلغتني عنك خصال فحدثني بها
قال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا تحدثني
بها قال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليسي قط ولا
صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا كانوا امن علي مني عليهم
ولا نصب لي رجل وجهه قط ليسئلني شيئا فاستكثرت شيئا
اعطيه اياه قال ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك
وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا كتب لمن ساله الصكاك
على نفسه حتى يخرج عطاءه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت

انى سمعت مع الصباح مناديا * يا من يعين على الفتى المعوان

قال ما حاجتك قال ديني وكم هو قال ثلاثون الف دينار قال لك
دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ
اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله
مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق
فهو منه في حل قال فعسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده وروى

ان الشافعي لما مرض مرض موته قال مُرُوا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر موته فحضر فقال ائتوني بتذكرته فأُتِيَ بها فنظر فاذا على الشافعي سبعون الف درهم دينا فكتبها على نفسه فقضاها عليه فقال هذا غسلي اياه اي اردته هذا وعن الشافعي قال لا ازال احب حماد بن سليمان لشيء بلغني عنه انه كان ذات يوم راكبا حمارا فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فاخرج صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة الاف دينار فضرب خباءه في موضع خارجا من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه فقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر فنفض الثوب وليس عليه شيء وانشد الشافعي لنفسه فيما قيل

يا لهف نفسي على مال اجود به ❊ على المقلين من اهل المروءات

ان اعتذاري الى من جاء يسئلني ❊ ما ليس عندي من احدى المصيبات

وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيئا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالناه عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكن بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيها وانشد للشافعي

اري نفسي تتوق الى المعاني ❊ ويقصر دون مبلغهن مالي

فلا نفسي تساعدني ببخل * ومالي لا يبلغني فعالي

وعن محمد بن عباد المهلبي قال دخل ابي على المامون فوصله بمائة الف درهم فلما قدم من عنده تصدق بها فاخبر بها المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المؤمنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى قال وجاء رجل الى سعيد ابن العاص فساله فقال يا غلام اعطه خمس مائة فرجع الغلام مستفهما فقال دنانير او دراهم فقال ما اردت الا دراهم فاما اذا رجعت فصيرها دنانير فقعد الرجل يبكي فقال ما يبكيك * فقال ابكي ان الارض تاكل مثلك وسال سعيدا رجل آخر فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى وينشد في هذا المعنى

لعمرك ما المصيبة هدم دار * ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن المصيبة موت حر * يموت لموته بشر كثير

قال ودخل ابو تمام على ابراهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافئه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه

ان حراما قبول مدحتنا * وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدنانير بالدراهم في الصرف حرام الا يدا بيد

فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه

أعجلتنا فاتاك عاجل برنا * قلا فلو امهلتنا لم يقلل
وخذ القليل وكن كانك لم تقل * ونكون نحن كاننا لم نفعل

ويروى انه كان لعثمان على طلحة خمسون الف درهم فقال له يوماً قد تهيأ مالك فاقبضه قال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروءتك وفي مثله قال الشاعر

اذا سيل معروفا تبسم ضاحكا * كانك تعطيه الذي انت سائله
هو البحر من اي النواحي اتيته * فلجته المعروف والجود ساحله

وفي مثله قال الشاعر

كريم اذا ما جئت تطلب نائله * حباك بما ضمت عليه اناملـه
فلو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائلـه

قال وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت معه ثقلا فقلت ما لك فقال اجتمع عندي مال قد غمني قلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه بينهم فسالت الخادم كم كان فقال اربع مائة الف قال وجاء اعرابي الى طلحة فساله فتقرب اليه برحم فقال ان هذا الرحم ما سالني به احد قبلك ان لي ارضا قد اعطى فيها عثمان ثلاث مائة الف فان شئت فاقبلها وان شئت بعتها لعثمان ودفع اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع الثمن اليه وينشد

وامارة بالبخل قلت لها اقصري * فذلك شيء ما اليه سبيـل
ارى الناس خلان الجواد ولا ارى * بخيلا له في العالمين خليـل
ومن خير حالات الفتى لو علمته * اذا نال شيئا ان يكون ينيـل
فاني رايت البخل يزري باهله * فاكرمت نفسي ان يقال بخيـل

ومن كتاب الجواهر ويحكى ان عبد الله بن عباس خرج يريد معاوية فاصابته سماء فرفعت له خيمة فيممها فاذا بها شيخ من الاعراب وامراته وابنتاه وعندهم عنز ورحب به وانزله فقال الشيخ اذبحها

لضيفي فقالت المراه تموت ابنتاي جوعا فقال الموت خير من اللؤم فاخذ الشفرة وهو يقول

يا امرتنا الا توقظي ابنتيه ÷ ان توقظا تنبعثا اليه
وتنزعا الشفرة من يديه ÷ ابغض بهذا وبها اليه

قال فذبح العنز فاضافه بها فلما اصبح ابن عباس رضي الله عنه قال لغلامه كم بقي من النفقة قال خمسمائة دينار فقال صبها للاعرابي قال يكفيك ضعف قيمة الشاة قال سبحان الله جاد علينا بدنياه كلها افلا نجود له نحن ببعض دنيانا قال فاعطاها الشيخ فارتحل يريد معاوية فلما انصرف من عنده اجتاز على الشيخ فوجده صاحب ابل ومراح فكان الشيخ ينشد فيه

توسمته لما رايت مهابة ÷ عليه فقلت المرء من آل هاشم
والا فمن آل المرار فانهم ÷ ملوك ملوك من ملوك اعاظم
فقمت الى عنز بقية اعنزه ÷ فاذبحتها فعل امرئ غير غاشم
فعوضني منها غنائي ولم يكن ÷ يساوي لحيمي غير خمس دراهم
بخمس مئين من دراهم صرفت ÷ الي فما جادت بها كف آدم
فقلت لعرسي في الخلا وصبيتي ÷ الحق هذا ام هو اضغاث حالم
فقالوا جميعا الابل الحق هذه ÷ تخب بها الركبان وسط المواسم

قال فبلغ ذلك معاوية فقال لله در ابن عباس من اي بيضة خرج وفي اي عش درج وهذه الحكايات قراتها قديما فحفظتها في مضطرب ولعلي لم ات بصريح الفاظها فقد اتيت بمعناها وانا استغفر الله على ما بدلت من الالفاظ وغيرها ويحكى ان رجلا اتى الى صديق له في اربع مائة دينار عليه فاخبره بها فوزن له اربع مائة فعاد يبكي فقالت له امراته لم اعطيته اذ شق

عليك فقال انما ابكى لانى لم اتفقد حاله حتى احتاج لمفاتحتى * والله اعلم وحكايات الاسخياء كثيرة ولو استقصيناها لطال الكتاب فصــــل اختلف الناس فى حد البخل والسخاء فقال قوم حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما وجب عليه فليس ببخيل وقال آخرون البخيل هو الذى يستصعب العطية وهذان القولان قاصران اذ من يرد اللحم الى القصاب او الخبز الى الخباز بنقصان حبة او نصف حبة لا يعد بخيلا بالانفاق وكذلك لا يكون بخيلا باستصعاب العطية دون الامساك وقد روى عن طلحة انه قال نجد فى اموالنا ما يجد البخيل ولكنا نتصبر وكذلك تكلموا فى السخاء والجود فقال قوم السخاء ان تسخو نفسك بما فى يديك ونهايته ان تسخو نفسك بما فى ايدى الناس ولا تبالى بمن اكل الدنيا وقال قوم الجود عطايا بلا منّ وقيل الجود عطية بغير مسئلة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن وقيل السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن امسك البعض واتى البعض فهو صاحب سخاء ومن اعطى الاكثر وامسك لنفسه الاقل فهو صاحب جود ومن قاسى الضرّ واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو بخيل ويقال اصل السخاء هو السماحة وان يؤتى ما يؤتيه عن طيب نفس فان اعطى عن منازعة نفس فهو متسخ وليس بسخى * وفى كتاب الغزالى قال وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود قال الى ونقول المال خلق لصلاح حاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن اعطاؤه الى ما لا يحسن الاعطاء فيه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ

ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل
حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان
يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما والجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين القبض والبسط فان
كان بذله في موضعه بطيبة نفس فهو سخي وان كان عن صبر
ومنازعة فهو متسخ وهذا القول عندي اعدل الاقوال لان من زاد
على حد السخاء فهو مبذر ومن قصر عنه فهو بخيل ومن وقف عليه
فهو كريم وحد السخاء على هذا المعنى هو بذل ما يحتاج اليه مستحقه
عند الحاجة ولان الحكماء قالت الفضائل هيئات متوسطة بين خلتين
ناقصتين وافعال الخير تتوسط بين رذيلتين فالشجاعة متوسطة
بين الجبن والتهور والسكينة واسطة بين السخط وضعف الغضب
والغيرة واسطة بين الحسد وسوء العادة والتواضع واسطة بين
الكبر ودناءة النفس والحلم واسطة بين افراط الغضب وعدمه والمودة
واسطة بين الملال وحسن الخلق والحياء واسطة بين الوقاحة والخفر
والوقار واسطة بين الهزل والسخافة والظرف واسطة بين الخلاعة
والعدلية والعلة واسطة بين الشرة وضعف الشهوة والحكمة واسطة
بين الشر والجهالة والسخاء واسطة بين التقتير والتبذير والله اعلم ❁
فاوسط الامور اعدلها فلذلك كان عليه السلام ما خير قط بين امرين
الا اختار اوسطهما وقال بعض الحكماء الخطأ في اعطاء ما لا ينبغي
ومنع ما ينبغي واحد وينشد

لا تجد بالعطاء في غير حق ❁ ليس في منع غير ذي الحق بخل

انما الجود ان تجود على من   هو للبذل والعطا منك اهل

واعلم ان السرف والتبذير قد يفترق معناهما فالسرف هو الجهل بمقادير الحقوق والتبذير هو الجهل بمواقع الحقوق وكلاهما مذموم وذم التبذير اعظم لان المسرف مخطئ في الزيادة والمبذر مخطئ في الجميع وقد قال معاوية كل سرف فبازائه حق مضيع وصدق لان المال اقل من ان يوضع في كل موضع من حق او غيره وقد قال بعض العلماء الحلال لا يحتمل السرف

واعلم انه لا يتم السخاء حتى تسخو نفس الانسان عما بيد غيره فلا يميل الى طلب ولا يكف عن بذل وقد حكى ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم عليه السلام اتدرى لم اتخذتك خليلا قال لا يا رب قال لانى رايتك تحب ان تعطى ولا تحب ان تاخذ وعن ايوب السجستانى انه قال لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عن اموال الناس والتجاوز عنهم قال وكتب كسرى الى ابنه هرمز يا بني استقلل الكثير مما تعطى واستكثر القليل مما تاخذ فان قرة عيون الكرام في الاعطاء وسرور اللئام في الاخذ ولا تعد الشحيح امينا ولا الكذاب حرا فانه لا عفة مع الشح ولا مروءة مع الكذب وقال بعض البلغاء السخاء ان تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا وينشد

اذا لم تكن نفس الشريف شريفة   وان كان ذا قدر فليس له شرف

والبذل على وجهين احدهما ما ابتدأ به الانسان من غير سؤال والثانى ما كان عن طلب وسؤال فالمبتدى اطبعهما سخاء واشرفهما عطاء وقد سئل علي عن السخاء فقال ما كان منه ابتداء واما ما كان منه عن مسئلة فحياء وتكرم وقال بعض الحكماء اجل النوال ما وصل قبل السؤال وقيل للحسن البصري ما السخاء فقال ان تجود بمالك في الله قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل وما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة

فصــــل اعلم ان النوال الذى يقع ابتداء يكون لاسباب منها ان يرى فاقة يتمكن من ازالتها فلا يدعه الكرم او الدين الا ان يكون زعيم اصلاحها رغبة فى الاجر ان تدين وفى الشكر ان تكرم ومنها ان يكون فى ماله فضل على كفايته فيضعها حيث تكون له ذخر اليوم فقره او حسن ثناء وحمد من اهله وينشـد

وما ضاع مال ورث الحمد اهله ❊ ولكن اموال البخيل تضيع

ومنها ان يكون لتعريض يتنبه عليه بفطنته فلا يدعه الكرم ان يغفل ولا الحياء ان يكف كالذى حكى ان رجلا ساير بعض الولاة فقال ما اهزل برذونك فقال يده مع ايدينا فوصله اكتفاء بهذا التعريض الذى بلغ ما لا يبلغه صريح السؤال ومنها ان يكون ذلك لرعاية يد او جزاء على صنيعة فيرى تادية الحق عليه طوعا ليكون من رق الاحسان عتيقا وقد قال بعض الحكماء المعروف رق والمكافات عتق قال ابو العتاهيـة

وليست ايادى الناس عندى غنيمة ❊ ورب يد عندى اشد من الاسر

ومنها ان يستعطف الناس بذلك ليذعنوا الرياسة هو لها محب وعلى طلبها منكب وقد قال بعض الادباء بالاحسان يرتبط الانسان وقال بعضهم من ابذل ماله ادرك اماله وينشـد

اترجوا ان تسود ولن تعنا ❊ فكيف يسود ذو الدعة البخيل

ومنهـا ان يدفع به سطوة الاعداء ليكونوا له اخوانا اما لصيانة عرض او حراسة مجد قال ابو تمـام

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ❊ ولا المجد فى كف امرئ والدراهم

ولم ار كالمعروف تدعى حقوقه ❊ مغارم فى الاقوام وهى مغانم

ومنها ان يولى بها صنيعة او لاها كى لاينسى ما اولاه لانه من الاحسان

مقطوع منسي قالت

وسمت امرأ بالعرف ثم اطرحته ومن افضل الاشياء رب الصنائع

ومنها ان يكون ذلك لمحبة يؤثر بها المحبوب على ماله لان النفس الى محبوبها اشوق فلا يبخل عليه بماله ومنها ان يعطى ذلك لغير سبب وانما هي سجية فطر عليها وشيمة طبع عليها فلا يميز بين مستحق ومحروم كما قال بشار

ليس يعطيك للرجاء وللخو + ف ولكن يلذ طعم العطاء

وقد اختلف في هذا فقال قوم هذا هو السخاء طبعا والممدوح منه والتمييز بشطر البخل والبذل لسبب الجاه ضرورة وقال الحسن بن سهل اذا لم اعط الا مستحقا فكاني اعطيت غريما وقال بعض السلف العجب لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه وانشد البشار

وما الناس الا صاحبان فمنهم + سخي ومغلول اليدين من البخل

وسامح يدا ما امكنتك فانها + تغل وتثرى والعواذل في شغل

وقال آخرون هذا خارج عن السخاء المحمود الى التبذير المذموم لان العطاء اذا كان لغير سبب كان المنع لغير سبب لان المال يقصر عن الحقوق فما يناله من الذم على منع المستحق اكثر مما يناله من حمد غير المستحق وحسبك بمن كانت افعاله تصدر من غير تمييز وتوجد لغير علة قال الشاعر

لو كان المال يأتينا فكنا + نبذره وليس لنا عقول

فلما ان تولى المال عنا + عقلنا حين ليس لنا فضول

واما اذا كان البذل عن سؤال فشروطه معتبرة في السائل والمسؤل اما ما كان معتبرا في السائل فهو ثلاثة شروط احدها ان يكون السؤال لضرورة فلا لوم عليه ولا حرج قال الشاعر

الا قبح الله الضرورة انها * تعلم اعلى الخلق ادنى الخلائق
والله در الاتساع فانه * يبين فضل السبق من غير سابق
فان ارتفعت الضرورة ودعت الحاجة الى السؤال لدفع ضرر يمكن
ان يكون ويمكن ان لا يكون فان النفس الشريفة تحتمل من الضر ما احتملت
ومن الشدة ما تحملت ليبقى تجملها قال الشاعر
على كل حال يأكل المرء زاده * على البؤس والضراء والحدثان
فالفضل في مثل هذا ما قيل لبعض الزهاد لو سألت حمارك لاعطاك
قال والله لا اسأل الدنيا من يملكها فكيف من لا يملكها ووصف
بعض الشعراء قوما فقال
اذا افتقروا عضوا على الفقر حسبة * وان ايسروا عادوا سراعا الى الفقر
واما ان يسأل لغير ضرورة مست ولا حاجة دعت فذلك صريح
اللؤم ومحض الدناءة وقل ما تجد مثله ملحوظا ومولا محظوظا
لان الحرمان ساقه الى اخبث المطاعم فلم يبق لوجهه ماء الا اراقه
ولا ذل الا اذاقه ولو استقبح العار لوجد غير السؤال مكسبا يمونه
وقد قال الشاعر
لا تطلبن معيشة بتذلل * فليأتينك رزقك المقدور
واعلم بانك آخذ كل الذي * هو في الكتاب محبر مسطور
والثاني من شروط السؤال ان يضيق الوقت على ابطائه فلا يجد
لنفسه في التأخير فسحة فيصير حينئذ من المعذورين وداخلا في
عدد المضطرين واما اذا كان الوقت متسعا فتعجيل السؤال لؤم
وقنوط قال
ابى لى اغضاء الجفون على القذى * يقيني ان لا عسر الا مفرج
الا ربما ضاق الفضاء باهله * وامكن من بين الاسنة مخرج

والشرط الثالث اختيار المسؤل ان يكون مرجو الاجابة مامول النجح اما لحرمة السائل او لكرم في المسؤل فان من سال لئيما لا يرى حرمة ولا يولى مكرمة فهو في اختياره ملوم وفى سؤاله محروم وقد قال بعض الحكماء المخذول من كانت له الى اللئام حاجة وقال بعض البلغاء انذل من اللئيم سائله واقل من البخيل نائله قال الشاعر

من كان يامل ان يرى من ساقط نيلا اسيا ✤ فلقد رجا ان يجتنى من عوسج رطبا جنيا

واما الشروط المعتبرة فى المسؤل فثلاثة ايضا احدها ان يكتفى بتعريض السائل دون سؤاله ليصونه عن ذل الطلب فان الحال ناطقة وربما فهم المسؤل الاشارة فصرح بالعبارة تهجينا للسائل ليستحيي فكيف كما قال ابو تمام

من كان مفقود الحياء فوجهه ✤ من غير بواب له بواب

والثانى ان يتلقاه بالبشر والترحيب ليكون مشكورا ان اعطى ومعذورا ان منع قال وحكى ابن لنكك ان ابا بكر بن دريد قصد بعض الوزراء فى حاجة فلم يقضها وظهر له منه ضجر فقال

لا تدخلنك ضجرة من سائل ✤ فلخير دهرك ان ترى مسؤلا
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل ✤ فبقاء عزك ان ترى مامولا
تلقى الكريم فتستدل ببشره ✤ وترى العبوس على اللئيم دليلا
واعلم بانك عن قليل صائر ✤ خبرا فكن خبرا يروق جميلا

والشرط الثالث تصديق الامل وتحقيق الظن به ثم اعتبار حاله وحال السائل فانها لا تخلو من اربعة احوال احدها ان يكون السائل مستحقا والمسؤل متمكنا فالاجابة ها هنا تستحق كرما وتلزم مروءة وليس الى الرد سبيل الا من استولى عليه البخل فيكون كما قال فيه عبد الرحمن بن حسان

اني رايت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا
فاذا تذكرت المكارم مرة * في مجلس انتم به فتقنعوا

فاذا لم يكن للرد في مثل هذه الحالة سبيل نظر فان كان التاخير مضرا عجل بذله وقطع مطله وكانت اجابته فعلا لا قولا وقد قال بعض الحكماء من مروءة المطلوب اليه ان لا يلجا الى الالحاح عليه قال محمد بن الحازم

ومنتظر سؤالك بالعطايا * واشرف من عطاياه السؤال
اذا لم يات المعروف طوعا * فدعه فالتنزه عنه مال

فان كان في التاخير فسحة فقد اختلف مذاهب الفضلاء فيه فذهب بعضهم الى ان الاولى تعجيل الوعد قولا ثم يتعقبه الانجاز فعلا ليكون السائل مسرورا بعاجل الوعد ثم باجل الانجاز ويكون المسؤل مرهونا بالكرم ملحوظا بالوفاء وفي الحديث العدة عطية ومنهم من ذهب الى ان تعجيل البذل فعلا من غير وعد اولى وانما يقدم الوعد احد رجلين اما معوز ينتظر جدة واما شحيح يروض نفسه توطئة للعطاء وليس للوعد في غيرها تين الحالتين وجه يصلح لما يخاف في الوعد من تغير حال الانسان من يسار الى اعسار قال بعض الشعراء

يا ايها الملك المقدم امره شرقا وغربا * فامنن بختم صحيفتي ما دام هذا الطين رطبا
واعلم بان جفافه * مما يعيد السهل صعبا

والحالة الثانية ان يكون السائل غير مستوجب والمسؤل غير متمكن ففي الوعد فسحة وفي المنع عذر غير انه يلين عند الرد لينا يقيه الذم ويظهر عذرا ينفي عنه اللوم فليس كل مقل يعرف ولا كل معذر ينصف والثالثة ان يكون السائل مستوجبا والمسؤل

غير متمكن فيعطي ما امكن من يسير ليسد خلة ويوضح من القول او يظهر من التوجع ما يعذر به كما قال النظر العتبي

الله يعلم اني لست ذا بخل + ولست ملتمسا في البخل لي عللا
لكن طاقة مثلي غير خافية + والنمل يعذر في القدر الذي حملا

الحالة الرابعة ان يكون السائل غير مستوجب والمسؤل متمكنا فينظر فان خاف بالرد قدح عرض او قبح هجاء ممكن كان الى البذل مندوبا صيانة لا جودا وحكى عن الاصمعي قال كتب الحسن بن علي الى اخيه الحسين انه يعاب علينا اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى العرض فان ذلك امكن من الناس من غلب المسئلة وامر بالبذل لئلا يقابل الرجاء بالخيبة ولما فيه من اعتياد البذل المفضي الى السخاء كذلك اعتياد الرد مفض الى الشح وانشد الاصمعي

كانك في الكتاب وجدت لالا + محرمة عليك فلا تحل
فما تدري اذا اعطيت مالا + ايكثر من سماحك ام يقل
اذا حضر الشتاء فانت صيف + وان حضر المصيف فانت ظل

ومن الناس من غلب المنع في هذا اذا كان العطاء في غير حق يقصر به عن الحقوق اذا عرضت والله اعلم واما من وعد بالبذل والنوال فلا سبيل له الى الرد والمنع لانه قد صار بوعده مرهونا وصار وعده بالوفاء مقرونا فان رد السائل استوجب مع ذم المنع لوما ولخلف الوعد ومقت القادر وهجنة الكذوب ثم لا سبيل الى مطله بعد الوعد لما في المطل من تكدير المنع وتحقيق الشكر والعرب تقول المطل احد المنعين واليأس احد النجحين قال بشار بن برد

اظلت علينا منك يوما غمامة + اضاءت لنا برقا فابطا رشاشها
فلا غيمها يجلي فييأس طامع + ولا غيثها ياتي فيروى عطاشها

ثم اذا انجز وعده بالعطاء فليكن مسرورا بها اولى اذ كانت الارزاق مقدرة فجملت على يده جارية ومن جهته واصلة وحكى ان رجلا شكى كثرة عياله الى بعض الزهاد فقال انظر من كان منهم ليس رزقه على الله فحوله الى منزلى ويروى عن بعض السلف انه كان يقول اذا جاءكم المسكين جاءكم الغسال وقال عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى اليد العليا المنفقة واليد السفلى السائلة قال الشاعر

فانك لاتدرى اذا جاء سائل * اانت بما تعطيه ام هو اسعد
عسى سائل ذو حاجة ان منعته * من اليوم سؤلا ان يكون له غد

ويروى ان ابن سيرين قال لرجل كان ياتيه على دابة ففقدها فقال ما فعل برذونك قال اشتدت على مؤنته فبعته قال افتراه خلق رزقه عندك وانشد لابن الرومى

ان لله غير مرعاك مرعى * ترتعيه وغير مائك ماء
ان لله بالبرية لطفا * سبق الامهات والاباء

فاذا سخطت نفسه بالعطية فاولاها فينبغى ان يكون قصده ابتغاء وجه الله تعالى ليرضاها ولا يضيع عنده جزاءها كالذى حكى عن ابى مهاصر رحمه الله انه اعطى بغلا له ليحمل عليه مريضا من الغرباء فقالوا اين نلقاك قال بالبرية اش ان وند دمغون اراد يوم القيامة وروى ان امراة وقفت ببابه سائلة فقال ادخلى فاعتذرت اليه من رثاثة ثيابها فرمى اليها كساء تكحلا وهى الطاق بالبرية واعطاها ويبة شعير وويبة تين فخرجت ثم رمت بالطاق فقال ما اعطيته لك لترديه وروى ان اعرابيا اتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال

يا عمر الخير جزيت الجنه * اكس بناتى وامهنه
وكن لنا من الزمان جنه * واجعل جوابى ان ان انه * اقسم بالله لتفعلنه

قال عمر رضي الله عنه فان لم افعل فماذا يكون فقال
انّ اباحفص لاذهبنّه * قال ان ذهبتُ فماذا يكون فقال تُسئَل عن
حالى وحالهنّه * وموقف المسؤل بينهنّه * امّا الى نار واما جنّه *
فبكى عمر رحمه حتى اخضلت الدموع لحيته فقال عمر لغلامه أعطه
قميصى لذلك اليوم لا لشعره اما والله لا املك غيره فاذا كان العطاء
على هذا الوجه خلا عن طلب جزاء وشكر وعرى عن امتنان ونشر
فكان ذلك اشرف للباذل واهنأ للسائل اما اذا كان العطاء لطلب
الشكر والثنا فالمعطي خارج عن حكم السخاء داخل فى باب السمعة
والرياء وفى هذين من الذم ما ينافى السخاء والكرم وان طلب به
الجزاء والمكافاة كان تاجرا مربحا بالتجارة وقد روى عن ابن عباس
رضي الله عنه فى قوله تعالى ولا تمنن تستكثر انه الذى يعطي عطية
يلتمس بها افضل منها وعن الحسن قال معناها لا تمنن بعملك تستكثره
على ربك وانما ينبغي لمن عنده فضل من المال ان يجعله برّا مذخورا
لهول يوم النشور لان له فى ماله شريكين ياخذانه من غير مشورته
وهما المصائب والورثة فان استطاع ان لا يكون اخس الثلاثة فليفعل
وقيل للبخيل لم حبست مالك قال للنوائب قيل قد نزلت بك قال

مالك من مالك الا الذى * قدمت فابذل طائعا مالكا
تقول اعمالى ولو فتشوا * رايت اعمالك اعمى لكا

فينبغي لمن قدر على اسداء المعروف ان يعجله حذر فواته ويبادر به
خيفة عجزه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من فتح له
باب خير فلينتهزه فانه لا يدرى متى يغلق عنه وعنه ايضا انه قال
ثمرة المعروف تعجيل السراج وقيل لانوشروان ما اعظم المصائب
عندكم قال ان تقدر على المعروف ولا تصنعه حتى يفوت وقال

بعض السلف من اخر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها قال الشاعر
اذا هبت رياحك فاغتنمها * فان لكل عاصفة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها * ولا تدري السكون متى يكون
واعلم ان للمعروف شروطا لا يتم الا بها من ذلك ستره وقد قال بعض الحكماء اذا اصطنعت المعروف فاستره فاذا اصطنع اليك فانشره على ان ستر المعروف من اقوى اسباب ظهوره وابلغ دواعي نشره لما جبلت عليه النفوس من اظهار ما اخفى واعلان ما اكتتم * وانشد لسهل بن هارون
خل اذا جئته يوما لتسأله * اعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا
يخفي صنائعه والله يظهرها * ان الجميل اذا اخفيته ظهرا
ومن شروط المعروف تصغيره وتقليله وقد روى عن العباس بن عبد المطلب انه قال لا يتم المعروف الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته فقد هنيته واذا اصغرته فقد عظمته واذا استرته فقد اتممته قال الشاعر
زادك معروفك عندي عظما * انه عندك مستور حقير
وتناسيت كان لم تاته * وهو عند الناس مشهور كثير
ومن شروط المعروف مجانبة الامتنان به لما فيه من اسقاط الشكر واحباط الاجر قال الشاعر
ابطلت بالمن ما قدمت من حسن * ليس الكريم اذا اعطى بمنان
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويمحق الاجر ثم تلى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وينشد للشافعي
لا تحملن لمن يمن عليك * من الانام منه

واختر لنفسك حظها * واصبر فان الصبر جُنه
منن الرجال على القلوب اشد من وقع الاسنه

ومن شروط المعروف ان لا يحتقر منه شيئا فان فعل الخير افضل من تركه وقد روى عن النبي عليه السلام انه قال لا يمنعكم من المعروف صغره وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة على ان من المعروف ما لا مشقة فيه على موليه وانما هو جاه يستظل به الادنى ويرتفق به التابع وقد قال الشاعر

ظل الفتى ينفع من دونه * وما له فى ظله حظ

واعلم ان الانسان لا يستطيع ان يوسع جميع الناس معروفه ولكن ينبغى ان يعتمد به اهل الفضل والرعاية ليكون معروفه فيهم ناميا وصنيعه عندهم زاكيا وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنفع الصنيعة الا عند ذى حسب ودين وقال اذا اراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه فى اهل الحفاظ وقيل فى منثور الحكم لا خير فى معروف الى غير عروف وقال بعض الحكماء على قدر الغارس يكون اجتناء الغارس فنظمه الشاعر فقال

لعمرك ما المعروف فى غير اهله * وفى اهله الا كبعض المزارع
فمستودع ضاع الذى كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع
فمزرعة طابت واضعف نبتها * ومزرعة اكدت على كل زارع
وما الناس فى شكر الصنيعة عندهم * وفى كفرها الا كبعض المزارع

واما من اهدى اليه المعروف فقد صار به موثوقا ولزمه ان كان من اهل المكافئات ان يكافئ عليها والا فليقابل المعروف بنشره ويقابل الفاعل بشكره وقد روى عن النبى عليه السلام انه قال من اودع معروفا فلينشره ومن نشره فقد ادى شكره وان كتمه فقد كفره

وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتمثل بهذين البيتين

ارفع ضعيفك لا يحوبك ضعفه ÷ يوما فتدركه العواقب قدنما
يجزيك او يثني عليك فان من ÷ اثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال عليه السلام ردى على قول اليهودي قاتله الله لقد اتاني جبريل عليه السلام برسالة من عند ربي تعالى ايما رجل صنع الى اخيه صنيعة فلم يجد لها جزاء الا الدعاء والثناء فقد كافاه وقيل في منثور الحكم المعروف رق والمكافاة عتق وقال بعض الادباء

شكر الاله بحسن الثنا ÷ وشكر الولاة بصدق الولا
وشكر النظير بحسن الجزا ÷ وشكر من دون بسيب العطا

وقال بعض العلماء من لم يشكر الانعام فاعدده من الانعام ومن اشكر الناس الذي يقول

لا شكرنك معروفا هممت به ÷ ان اهتمامك بالمعروف معروف
ولا الومك ان لم يمضه قدر ÷ فالشيء بالقدر المحتوم معروف

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يشكر الله من لم يشكر الناس فان من شكر معروف من احسن اليه فقد ادى حق النعمة التي عليه ولم يبق عليه الا استدامة ذلك انما الشكر ليكون مستحقا المزيد من جهة صاحب الاحسان المفيد وصلى الله على سيدنا محمد **فصل في بيان الايثار وفضله** اعلم ان السخاء والبخل ينقسم كل واحد منهما الى درجات فارفع درجات السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه كما ان اخس درجات البخل ان يبخل على نفسه مع الحاجة فيمرض ولا يتداوى ويشتهي الشيء فيمنعه البخل من قضاء شهوته فهذا يبخل على نفسه مع

الحاجة وذلك يؤثر غيره على نفسه مع الحاجة فانظر ما بين الرجلين
فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار
درجة في السخاء وقد اثنى الله على الصحابة فقال ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة وعن انس قال اهدى لبعض الصحابة
راس شاة مشوى وكان مجهودا فبعث به الى رجل له فوجه به
الى بيت اخر فتداولته سبع بيوت حتى رجع الى الاول فنزلت الاية
ويؤثرون على انفسهم وعن حذيفة العدوى قال انطلقت يوما
الى اليرموك اطلب ابن عم لى ومعى شيء من الماء وانا اقول ان كان
به رمق سقيته فاذا انا به بين القتلى فقلت له اسقيك فاشار الى
نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمى ان انطلق اليه فجئته فاذا
هو هشام بن العاص فقلت له اسقيك فسمع اخر يقول آه فاشار
هشام ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات ورجعت الى
هشام فاذا هو قد مات ورجعت الى ابن عم لى فاذا هو قد مات
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل اشتهى
شهوة واثر على نفسه اخاه غفر له وعن نافع قال اشتهى ابن عمر
سمكة بعد ما نقه من مرضه فالتمست له بالمدينة فلم يوجد
الا بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف وشويت وجيء بها
على رغيف فوضعت بين يديه فقام السائل بالباب فقال لفها
برغيفها فادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها
منذ كذا وكذا فقال لفها فادفعها اليه قال ففعل الغلام فقال
للسائل هل لك ان تاخذ درهما وتردها قال نعم فاخذها منه
ووضعها بين يديه فقال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم
فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحديث المتقدم

وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثة ايام متواليات حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا
كنا نؤثر على انفسنا قال ونزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يجد عنده اهله شيئا فذهب به رجل من الانصار الى اهله فوضع
بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام
كأنه يأكل ولا يأكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله
صلى الله عليه لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم ويقال ايضا فيه
نزلت ويؤثرون على انفسهم فالجود من اخلاق الانبياء والايثار اعلى
درجات السخاء وكان ذلك من دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سماه الله عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن سهل بن عبد الله
قال ان موسى عليه السلام قال يارب ارني بعض درجات محمد وامته
قال ياموسى انك لن تطيق ذلك لكن اريك منزلة من منازله جليلة
عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال وكشف له عن ملكوت
السماء ونظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها قال يارب
بماذا بلغته به هذه الكرامة قال بخلق اخصصته به من بينهم
وهو الايثار ياموسى لا ياتي احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا
استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله
ابن جعفر وهو احد الاجواد الى ضيعة له فنزل على حائط قوم وفيه
غلام اسود يعمل فيه اذ أوتي الغلام بقوته ثلاثة اقراص ودخل الحائط
كلب فدنى من الغلام فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني
والثالث فاكلهما وعبد الله ينظر فقال عبد الله يا غلام كم قوتك كل
يوم قال مارايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب
انه جاء من مسافر بعيد جائع فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال

اطوى يومى هذا قال عبد الله الام على السخاء فهذا اسخى منى فاشترى الغلام والحائط وما فيه من الالات فاعتق الغلام فوهبه له وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فاتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذ بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال فقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم رجع بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة فقعد ناحية ووقعت الكلاب بالميتة حتى اكلتها وذلك الكلب ينظر ثم رجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب الى تلك العظام فاكل ما بقى على العظم قليلا ثم انصرف ومن كتاب سراج الملوك قال ويروى ان ابراهيم بن ادهم قال لشقيق الزاهد على م بنيتم امركم هذا قال اذا وجدنا اكلنا واذا لم نجد صبرنا قال ابراهيم هكذا تعمل الكلاب ببلخ اذا وجدت اكلت وان منعت صبرت قال نحن اذا وجدنا آثرنا وان لم نجد صبرنا ويروى ان امراة من المتعبدات قالت ليحيى بن هلال وهو فى جماعة من اصحابه ما السخاء عندكم فى الدنيا قال البذل والايثار قالت فما السخاء فى الدين قال ان تعبد الله سبحانه سخية به نفسك غير مكرهة قالت افتريدون على ذلك اجرا قال نعم لان الله وعد على الحسنة بعشر امثالها قالت فاذا اعطيتم واحدا واخذتم عشرا فباى شىء سخيتم وانما السخاء ان تعبدوا الله متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك اجرا الا تستحيون ان يطلع الله على قلوبكم فيعلم منها انها تريد شيئا بشىء ويقال السخاء فى الدين ان تسخى بنفسك وتتلفها باراقة دمك لله تعالى سماحة من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا حتى يفصل الله بك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك والله اعلم

الفصل السادس

في الاستعجال قال الله تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان
الانسان عجولا وقال ايضا خلق الانسان من عجل قيل من طين وقيل
هو من المقلوب تقديره خلق العجل من الانسان وعن حاتم الاصم انه
قال كان يقال العجلة من الشيطان الا في خمسة فانها من سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهي اطعام الضيف اذا دخل وتجهيز الميت اذا
مات وتزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب والتوبة من الذنب
اذا اذنب وفي الخبر ان نوحا عليه السلام قال لابليس لعنه الله وذلك
ان الله اوحى الى نوح عليه السلام ان كلمه فاني سانطقه بحجتي عليه
فقال اي عدو الله اي اخلاق بني ادم اعون لك ولجنودك على اضلاله
فقال له ابليس نعم الخبير سالت اذا وجدنا ابن ادم شحيحا وحريصا او
حسودا او جبارا او عجولا تلقفناه فان اجتمعت لنا فيه هذه الاخلاق
سميناه فينا شيطانا مريدا رجيما وساخبرك عن هذه الاخلاق بما
تعرف به الحق الم تعلم ان الله اسكن اباك ادم الجنة ثم فوضها اليه
بجميع ما فيها وحرم عليه شجرة واحدة وحمله الحرص على تناولها
فخرج بالحرص من جميع الجنة الم تعلم ان الله تعالى عرضنا للسجود لادم
فادركني الحسد والبغي فخرجت بذلك من ملكوت السموات وصرت
شيطانا لعينا الم تعلم ان ابن ادم قابيل شح باخته على اخيه فحمله الشح
على ان قتل اخاه فصيره الى العقوق والى النار الم تعلم انما هلك من
هلك من قومك بالتجبر في الارض والتكبر فصاروا بذلك الى النار الم
تعلم ان العجلة والحدة حملاك على ان دعوت الله على ابنك فغيرت
دعوتك لونه والوان اولاده من بعده الى يوم القيامة والله اعلم
واعلم ان العجلة تبدو منها اربع آفات احدها ان العابد ربما يقصد
منزلة في الخير فيجتهد فربما يستعجل في ادراكها وليس ذلك بوقتها فاما

ان يفتر ويترك الاجتهاد وييأس منها فيحرم تلك المنزلة واما ان يغلو في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال إن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقال شر السير الحقحقة وهو الاسراع وفي المثل السائر ان لم تستعجل تصل قال الشاعر

قد يُدرك المتأني بعض حاجتِه * وقد يكونُ مع المستعجل الزَلَلُ

والثانية ان تكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى ويكثر الدعاء ويجد فربما استعجل الاجابة قبل وقتها فلا يجدها فيفتر ويسأم ويترك الدعاء ويحرم حاجته الثالثة ان يظلمه انسان فيغيظه فيستعجل في الدعاء عليه كالذى قدمنا من دعاء نوح عليه السلام على ابنه حام فربما يهلك مسلم بسببه او يتجاوز الحد في الدعاء عليه فيقع في معصية الرابعة ان اصل العبادة وملاكها الورع واصل الورع النظر والبحث التام في كل شيء يعرض للمتورع من اكل او شرب او لبس او كلام او فعل فاذا كان الرجل مستعجلا في الامور غير متامل ولا متثبت لم يقع منه توقف ونظر في الامور كما ينبغي فيقع في الحرام والشبه والخطأ والغلط فيفوته الورع واى خير في عبادة بلا ورع ولذلك قيل المؤمن وقاف والمنافق وثاب وفي الحديث المؤمن كيس فطن حذر متثبت وقاف لا يعجل عالم ورع * والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يبالي من اين اكتسب وفيما انفق واذا كان في العجلة الانقطاع عن منازل الخير وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه وخطر فوات الورع الذى هو راس المال فحقيق على الانسان ان يهتم لها بالازالة واصلاح النفس منها وحقيقة العجلة هي المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام على الامر فاول

خاطر دون التوقف فيه والاستعجال اتباع ذلك والعمل به وضدها
الاناءة وهي المعنى الراتب في القلب الباعث على الاحتياط في الامور
والنظر فيها والتأني في اتباعها والعمل بها واما التوقف فضده التعسف
قال بعض العلماء الفرق بين التوقف والتأني ان التوقف قبل الدخول
في الامر حتى يستبين له رشده والتأني بعد الدخول فيه حتى يعطي لكل
جزء حقه ثم مقدمات الاناءة ذكر وجوه الخطر في الامور التي تعترض
الانسان وضروب الآفات المخوفة فيها وذكر ما في النظر والتثبت
من السلامة وما في التعسف والاستعجال من الندامة **فصل**
اعلم ان الحلم والرفق والاناءة خصال محمودة في الانسان واظنها نتيجة
حسن الخلق اما الحلم فحده ضبط النفس عند هيجان الغضب والتحلم
تكلف ذلك وقد قيل للاحنف بن قيس انت حليم قال لا انما انا
اتحلم فقيل له من اين تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما كان
من حلمه قال كان ذات يوم في مجلس متقلدا سيفه عاقدا حبوته وهو
يحدث جلساءه اذ جيء باحد بنيه مقتولا وبابن اخيه مكتوفا فمضى
على حديثه حتى اتمه ثم التفت الى احد بنيه فقال ما هذا قال هذا
ابنك قتله ابن اخيك قال فوالله ما تغير له لون ولا تلجلج له لسان
ولا حل حبوته فنظر الى ابن اخيه فقال رميت سهمك في جسمك
وقطعت يدك بيدك ثم قال لابنه اطلق كتاف ابن عمك وادفن اخاك
وادفع لامه مائة ناقة فانها غريبة فينا مسكينة ثم انشا يقول

اقول للنفس تاسيا وتعزية * احدى يدي اصابتني فلم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخي حيث ادعوه وذا ولدي

وقد تقدم في فضل الحلم ما يكفي واما الرفق فضده العنف والخرق
ونتيجة الرفق الاناءة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق ومعنى حسن الخلق

ان يكون الانسان سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور
طيب الكلمة واما الاناءة فقد تقدم معناها قال الشاعر

اناةً وحلماً وانتظار ابهم غداً ✦ فما انا بالواني ولا الضرع الغمر

فصل في فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل
ذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال
يا عائشة انه من اعطى حظه من الرفق اعطى حظه من خير الدنيا
والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة
وعنه عليه السلام انه قال اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق
وقال ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا
اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا وقال عليه السلام
ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال عليه السلام
يا عائشة ارفقي فان الله تعالى اذا اراد باهل بيت خيرا يدلهم على باب
الرفق وعنه عليه السلام ايما والٍ ولي فلانَ ورفق رفق الله به
يوم القيامة وقال عليه السلام اتدرون من يحرم على النار كل لين
سهل قريب وقال عليه السلام الرفق يمن والخرق شوم وقال التأني
من الله والعجلة من الشيطان وينشد

الرفق يمنٌ والاناة سعادة ✦ والطيش اقبح بالرجال واخرق
لو سار الف مدجج في حاجةٍ ✦ لم يقضها الا الذي يترفق

ويروى عنه عليه السلام ان رجلا اتاه فقال يا رسول الله ان الله
قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله
مرتين او ثلاثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص مرتين او ثلاثا

قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان
كان سوى ذلك فانته وعن عائشة انها كانت معه عليه السلام في
سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال يا عائشة
عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه
وفي الخبر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق
والده والبر واللين اخواه والصبر امير جنوده الآثار قال بعض
العلماء لاصحابه اتدرون ما الرفق قالوا قل قال قد قيل ان تضع الامور
مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه
والسوط في موضعه هذه اشارة الى انه لابد من مزج الغلظة باللين
والفظاظة بالرفق كما روي عن لقمان انه قال لابنه يا بني لا تكن حلوا
عند السفهاء فيبتلعوك ولا مرا عند الفقهاء فيرفضوك وينشد

وَضعُ النَّدى في موضِعِ السيفِ بالعلى ✽ مُضِرٌّ كوضعِ السيفِ في موضِعِ النَّدى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت
الطباع الى العنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر
وعن عمرو بن العاص انه قال لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون
ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة
من يقدر على ضرك ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان
جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة
بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا واعلموا
انه لا حلم احب الى الله ولا اعظم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض
الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافية فيمن

بين ظهرانيه برزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق من الحلم وقال بعض السلف ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العمل يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وروى ان عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التأني فكتب اليه معاوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناءة وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العاجل مخطئ او كاد ان يكون مخطئا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي فاجابه عمرو واعلم انه وان حث الشرع على الرفق فان العنف في محله حسن ايضا وقد روى عن ابن عون الانصاري انه قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة الين منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد لك منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انه لا يعطونك بالشدة شيئا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه فههنا اثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من تميز موضع الرفق عن موضع العنف ويستعمل كلا في موضعه وان اشكل عليه بعض الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح صعب في الاكثر والله اعلم

فصل في حسن الخلق

قال الله لنبيه عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم وعن عبد الله بن عمر قال قلت لعائشة رضي الله عنها صفي لي خلق رسول الله فقالت لي اما تقرا القران كان خلقه القران وحسبك بهذا الاسم منقبة بالرسول وتعريفا له بحسن الخلق اذ القران يجمع كل فضيلة وينهى عن كل نقيصة ورذيلة قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال عليه السلام

ماهنا ياجبريل قال ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتحسن الى من اساء اليك فانظر اين اخلاق الخاصة اليوم فضلا عن العامة فان احدهم ليقطع من وصله ويحرم من اعطاه ويظلم من سالمه ويغضب على التهمة وانما اقتصر على هذه الكلمة لانها اصل الفضائل وينبوع المناقب لان في اخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطاء المانع وفي الامر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفي تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وتنزيه النفس عن مجازاة السفيه ومماراة اللجوج فهذه الاصول الثلاثة تتضمن محاسن الشرع نصا وتنبيها وقال عليه السلام بعثت لاتمم محاسن الاخلاق وعنه ايضا سئل اى المؤمنين افضل ايمانا قال احسنهم خلقا وقال ان الله اختار لكم الاسلام دينا فاكرموه بحسن الخلق والسخاء فانه لا يكمل الا بهما وقال عليه السلام اثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن خلقك للناس وقال عليه السلام يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق وقال رجل يا رسول الله اوصني قال اتق الله حيث ما كنت قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن قال عليه السلام احبكم الي احسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقال حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوى الداء قالوا بلى قال الخلق الدني واللسان البذى وقال بعض البلغاء من ساء خلقه ضاق رزقه وعلة هذا القول ظاهرة وقال بعض البلغاء الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة والسيء الخلق

الناس منه فى بلاء وهو من نفسه فى عناء وقال بعض الادباء عاشر
اهلك باحسن اخلاقك فان الثواء فيهم قليل وقال عليه السلام
ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار وينشد

اذا لم تتسع اخلاق قوم ✥ يضق بهم الفسيح من البلاد
اذا ما المرء لم يخلق لبيبا ✥ فليس اللب عن قدم الولاد

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم انه لايخاصم
ولايخاصم من شدة معرفته بالله عز وجل وقيل معناه لم يؤثر فيك
جفاء الخلق بعد معرفتك بالخلق وقيل حسن الخلق استصغار ما منك
واستعظام ما اليك وقيل حسن الخلق تحمل اثقال الخلق وقيل هو كف
الاذى واحتمال الجور وقيل حسن الخلق احتمال المكروه بحسن المداراة
وقيل حسن الخلق قبول مايرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق
بلاضجر ولا ملق وقال بعض الحكماء فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق
فاذا حسنت اخلاق الانسان كثر مصافوه وقل معادوه فسهلت
عليه الامور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب وفى الحديث
عنه عليه السلام انه قال لن تسعوا الناس باموالكم فاسعوها
ببسط الوجوه وحسن الخلق وهذا الفصل واسع جدا تركت بعضه
واختصرت مخافة التطويل والله اعلم الباب الثانى فى اللسان
اعلم ان اللسان ترجمان القلب يعبر عن مستودعات ضمائره ويخبر
عن مكنونات سرائره فيحق على العاقل ان يحذر من زلله بالامساك
عنه او بالاقلال منه لان اللسان اشد الاعضاء جماحا وطغيانا
واكثرها فسادا وعدوانا وروى ان بعض الصحابة قال يارسول الله
ما اكثر ماتخاف على فاخذ عليه السلام بلسان نفسه ثم قال هذا
وقال عليه السلام لايستكمل العبد الايمان حتى يخزن من لسانه

وروى انه قال والذى نفسى بيده لايستقيم احدكم حتى يستقيم دينه ولا يستقيم دينه حتى يستقيم قلبه ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وعنه عليه السلام انه قال افضل العبادات الصمت وحسن الخلق وقال عليه السلام رحم الله من قال خيرا فغنم او سكت عن شر فسلم وقال لمعاذ يا معاذ انت سالم ما سكت فاذا تكلمت فلك او عليك وقال بعض العلماء وجدت نفسى تحمل مؤنة الصوم فى الحر الشديد بالبصرة ولا تحمل ترك كلمة لاتعنيها وعن ابى هريرة انه قال من لم يران كلامه من عمله وان خلقه من دينه هلك وهو لايشعر وقال بعض العلماء سعد من لسانه صموت وطعمه قوت وعن ابن مسعود رحمه الله انه قال ماشئ احق بطول سجن من اللسان وعن ابن عمر انه قال من عد كلامه من عمله قل كلامه الافيما يعنيه وعن ابن عباس رحمه الله انه رءى بين الركن والمقام قائما اخذا بثمرة لسانه وهو يقول ويحك قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم فقيل له يا ابن عباس مالك اخذا بثمرة لسانك فقال بلغنى ان العبد ليس عليه شئ من جسده باحنق منه على لسانه يوم القيامة فعلى الانسان ان يتحفظ منه جدا فليذكر فى ذلك خمسة اصول احدها ماروى عن ابى سعيد الخدرى انه قال اذا اصبح ابن ادم قالت اعضاءه كلها للسانه نناشدك الله فينا فانك اذا استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا قيل المعنى فى ذلك ان نطق اللسان يؤثر فى اعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان نحو ماروى عن مالك بن دينار انه قال اذا رايت قسوة فى قلبك ووهنا فى بدنك وحرمانا فى رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لايعنيك الثانى حفظ الوقت لان اكثر مايتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى اقله ان يكون لغوا يضيق الوقت به وذكر عن حسان بن ابى سنان انه مر على غرفة فقال منذ كم بنيت هذه الغرفة ثم اقبل على نفسه فقال يا نفس الغرور تسئلين عما لايعنيك

فسافيها بصوم سنة وفي الخبر ان رجلا قتل في المعركة فقال قائل هنيئا له
بالجنة فقال عليه السلام فما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ولقد
احسن القائل

اغتنم ركعتين زلفى الى الله اذا كنت فارغا مستريحا
واذا ما هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا

الاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحات فان من يكثر الكلام لا بد له
ان يقع في غيبة المسلمين والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات كما
روي ان مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا يرمي به حسناته
شرقا وغربا ويمينا وشمالا الاصل الرابع السلامة من آفات الدنيا وقال
بعض السلف لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال بعض الحكماء
مقتل الرجل بين فكيه قال الشاعر

ايا رب السنة كالسيوف + تقطع اعناق اصحابها
وما ينتقص من سباب الرجال + يزد في نهاها والبابها

وقال بعض البلغاء كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على
الجميل واقتصر منه على القليل واياك وما يسخط سلطانك او يوحش
اخوانك فمن اسخط سلطانه تعرض للمنية ومن اوحش اخوانه تبرأ
من الحرية وقال بعضهم لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شانك
وينشد لابن مطيع

لسان المرء ليث في كمين + اذا خلا عليه له اغاره
فصنه عن الخنا بلجام صمت + تكن لك في بليته ستاره

الاصل الخامس ذكر آفات الآخرة وعاقبتها وقد قال عليه السلام
لمعاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم
وفي حديث آخر ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيهوى بها في نار جهنم سبعين

خوفا فاذا تحقق العبد هذه الاصول وعلم ان لسانه انما خلق لذكر الله تعالى وتلاوة كتابه وارشاد الخلق الى طريقه والاظهار ما في ضميره من حاجات نفسه دينا ودنيا فليستعمله في مقتضى هذه المعاني والا فقد كفر نعمة الله فيه واستحق العقوبة بمساويه والواجب عليه ان يحفظ لسانه من كل لفظ قبيح ولاسيما الاشياء كاصول وسنذكر ذلك في فصول

الفصل الاول

في الكذب فليحفظ منه الانسان جهده لا في جد ولا هزل لانه جماع كل شر واصل كل ذم قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله الاية وقال تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكذب فاتحة الكفر وقال من كذب واصر فهو في النار خالدا مخلدا وقال عليه السلام الكذب ريبة والصدق طمانينة وعن صفوان بن سليم انه قال قيل يا رسول الله افيكون المؤمن جبانا قال نعم قيل افيكون بخيلا قال نعم قيل افيكون كذابا قال لا وقال بعض الحكماء الكذاب لص لان اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك وقال بعض الحكماء الخرس خير من الكذب وصدق اللسان اول السعادة وقال بعض الشعراء

وما شيء اذا فكرت فيه ÷ باذهب للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير فيه ÷ واذهب بالبهاء من الرجال

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحروا الصدق وان رايتم فيه الهلكة فان فيه النجاة وتجنبوا الكذب وان رايتم فيه النجاة فان فيه الهلكة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لان يضعني الصدق وقل ما يفعل احب الي من ان يرفعني الكذب وقال بعض العلماء ليكن مرجعك الى الحق ومفزعك الى الصدق والحق اقوى معين والصدق افضل قرين وينشد

عود لسانك صدق القول تحظ به ÷ ان اللسان لما عودت منقاد

موكل بتقاضي ما سننت له ÷ في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

وفي منثور الحكم من قل صدقه قل صديقه واعلم ان للكذاب قبل خبرته امارات دالة عليه منها انك اذا لقنته لحديث تلقنه ولم يكن بين ما تلقنه وبين ما اورده فرق عنده ومنها انك اذا شككته فيه تشكك حتى كاد ان يرجع ولولاك ما تخالجه فيه شك ومنها انك اذا اوردت عليه قوله حصر وارتبك ولم يكن عنده برهان الصدق ولذلك قال علي الكذب كالسراب ومنها ما يظهر عليه من ريبة الكاذب وذلة المتهوم لان هذه الامور لا يمكن للانسان دفعها عن نفسه لما في الطبع من آثارها ولذلك قالت الحكماء العينان انم من اللسان وقال بعض العلماء الوجوه مرايا تريك اسرار البرايا وينشد

تريك اعينهم ما في صدورهم ✽ ان العيون يؤدي سرها النظر

واذا اتهم بالكذب نسبت اليه شوارد الكذب المجهولة وزيادات معقولة حتى يصير الكاذب مكذوبا عليه فيجمع معرة الكذب منه ومعرة الكذب عليه وقال بعض الشعراء

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه
ما ان سمعت بكذبة ✽ من غيره نسبت اليه

وعن محمد بن مسلم انه قال ما كان شيء ابغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب وما اطلع عليه السلام على كذبة من احد الا خرجت من صدره حتى يحدث الاخر توبة وكان يقول علة الكذوب اقبح علة وزلة المرتقي اشد زلة وقال ميمون من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه وصدق لانه ان تحرى الصدق اتهم حتى لا يعتقد قوله قال الشاعر

اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكن ✽ يصدق في شيء وان كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه ✽ وتلقاه ذا حفظ اذا كان صادقا

والكذب جماع كل شر واصل كل اثم الا ترى ان شاهد الزور كاذب مردود

الشهادة وكذلك الحاكم بغير ما انزل الله وكذلك القاذف كاذب وقال
ابن المقفع لا تتهاونن بارسال الكذبة من الهزل فانها تسرع الى ابطال الحق
وفي منثور الحكم لا يلزم الكذب شيئا الا غلب عليه وينشد

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليله
فعلى الملفق والمزور لعنة الله العظيمه
وانا المهذب ليس لي في الزور والبهتان شيمه

واعلم ان الكذب من امهات الكبائر ولكن قد وردت السنة بارخاص الكذب
في الحرب واصلاح ذات البين على وجوه التورية والتاويل دون التصريح
لان السنة لا تجوز ان ترد باباحة الكذب لما فيه من التنفير وانما ذلك على
طريق التورية والتعريض كما سئل عليه السلام وقد تطرف بدرا وانفرد
عن اصحابه فقال له رجل ممن انت فقال من ماء فورّى عن الاخبار بنسبه
بامر محتمل فظن السائل انه عنى القبيلة المنسوبة الى ذلك وانما اراد عليه السلام
انه من الماء الذي خلق منه الانسان فبلغ ما احب من اخفاء نسبه وصدقه
في خبره وقد قال عليه السلام ان في المعارض لمندوحة عن الكذب وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان في المعارض ما يكفي ان يعف الرجل عن
الكذب والله اعلم **الفصل الثاني** خلف الوعد وليحذر ان يعد لمعدّ
وعدا ثم يخلفه فان اخلاف الوعد من خباثث الاخلاق وامارات النفاق
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا وعدت اخاك قليلا
او كثيرا فلا تخلفه فتستبدل بالمودة بغضا الا ان عدة المؤمن اخذ بالكف
وقال عليه السلام العدة عطية وقال في صفة المؤمن انه من اذا تحدث
صدق واذا أوتمن لم يخن وصفة المنافق انه من اذا تحدث كذب واذا وعد
اخلف واذا أوتمن خان قال الشاعر

نفاق المرء يعرف في ثلاث ❊ وان عرفوا له طول السجود
اذا كذب الحديث وخان فيه ❊ امانته ولم يف بالعهود

وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لا تعد احدا وعدا ولكن من اسمع ما تقول فان يقدر الله شيئا يكن ان شاء الله فان وعدته فلا تخلفه فانه من ابواب النفاق وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسماعيل في ذلك فقال واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد قيل كان بينه وبين ابليس لعنه الله موعدا ان لا يبرح حتى يعود اليه وكان في ضميره انه لو اقام سنة لم يخلف موعده حتى اتى جبريل عليه السلام فقال ان الفاجر الذي سالك ان تقعد حتى يعود اليك ابليس فلا تقعد له ولا كرامة فسماه الله صادق الوعد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم وعد رجلا عند شجرة بظاهر المدينة فنسي الرجل الوعد فقعد النبي عليه السلام عن المدينة ثلاثة ايام فخرج الناس في طلبه والرجل معهم ناسيا الوعد فقال له عليه السلام انك لو لم تاتني لكان الحشر من هاهنا وكذلك لا يعطي احد اعهدا الا وفي به قال تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال عليه السلام لا دين لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له ومن كتاب الضياء قال ابو مالك بين العهد والوعد فرق قال وصفة العهد هو ان ينقض عهدا بينه وبين الله فيما تعبده به من امر الدين او نقض عهد اخذه عليه امام عادل او كان فيه لاحد اتلاف مال او نفس او ادخال ضرر كثير قال فهذه صفة العهد واما صفة الوعد فهو ما لا يتعلق به حق لمخلوق ولا يؤدي الى ضرر فقال وهذا ونحوه مما ياثم به الناس دون الكفر والهلاك قال ابو محمد من وعد وعدا ثم اخلفه فتلف به مال او نفس ضمن والله اعلم واما اسير المشركين اذا اعطاهم العهد على ان

يرجع اليهم فلا يحل له الوفاء بذلك لانه رجوع الى الشرك واما اسير اهل القبلة فلا يحل له ان ينقض العهد بل يرجع اليهم والله اعلم والذي ينبغي للانسان ان لا يعد احدا شيئا بل يكون احسانه فعلا لا قولا واذا تكلم بكلام صدقه بعمل وينشد لمحمود الوراق

القول ما صدقه الفعل ❊ والفعل ما وكده العقل

لا يثبت القول اذا لم يكن ❊ يطلبه من تحته الاصل

وعن سفيان الثوري انه قال ان للكذب منازل فاسواها اثرا واعظمها ضررا خلف الوعد والله اعلم الفصل الثالث

في الغيبة وليحفظ لسانه من الغيبة لانها وان كانت صدقا فهي في القبح والمعرة تزيد على الكذب ونقض العهد لانها جناية وهتك ستر يحدثان عن حسد وغدر قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ويعني والله اعلم انه كما لا يحل له لحمه ميتا فلا تحل له غيبته حيا وفي الخبر الغيبة اشد من ثلاثين زنية في الاسلام وروي ان امراتين صامتا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وجعلتا تغتابان الناس فاخبر بذلك النبي عليه السلام فقال صامتا على ما احل لهما وافطرتا على ما حرم عليهما وروي انه قال يا ابا هريرة ان احببت ان يفشي الله لك الثناء الحسن في الدنيا والاخرة فكف لسانك عن غيبة المسلمين وعنه عليه السلام انه قال نظرت في النار ليلة اسري بي فاذا بقوم ياكلون الجيف فقلت ما هذا يا جبريل فقال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس وقال ايضا ما صام من ظل ياكل لحوم الناس وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لا يعجبنكم من الرجل طنطنته ولكن من ادى الامانة وكف عن اعراض الناس فهو الرجل وعن ابن عباس انه قال اذكر اخاك

اذا توارى عنك بما تحب ان يذكرك اذا تواريت عنه وعن مالك بن دينار انه قال كفى بالمرء شرا ان لا يكون صالحا ويقع فى الصالحين وقال عدى ابن حاتم الغيبة رعى اللئام وينشد

لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا ❊ فيكشف الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ❊ ولا تعب احدا منهم بما فيكا

وعن الحسن البصرى انه كان يقول الغيبة فاكهة الناس وقال ابن السماك لا تعن الناس على غيبتك بسوء غيبك وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ رحمه الله اقطع لسانك عن حملة القران وطلاب العلم ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن ابى قلابة انه قال ان فى الغيبة خراب القلب من الهدى فنسال الله العصمة وحسبك من الغيبة شؤما محقها الحسنات وابطالها الطاعات وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الغيبة تفطر الصائم وتنقض الوضوء وبلغنا عن الحسن انه قيل له ان فلانا اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب فقال بلغنا انك اهديت لنا حسناتك فاردنا ان نكافئك بهذا فاعذرنى على التمام فقال ابراهيم بن ادهم لما بلغه يا مكذوب بخلت بدنياك عن اصدقائك وجدت بحسناتك على اعدائك فما انت بما تبخل عنهم بمعذور ولا انت فيما سخوت به بمشكور وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال احذروا على حسناتكم ان تنسل منكم بالاغتياب كما ينسل الماء من يد احدكم وعنه ايضا انه قال ما النار باليبيس باسرع من الغيبة فى حسنات العبد وعن بن السماك انه قال لو كنت مغتابا لاغتبت امى لانها احق بحسناتى وذكر عن حاتم الاصم انه فاته القيام ذات ليلة فلما اصبح عزته زوجته فقال ان اقواما صلوا البارحة فلما اصبحوا نالوا منى فتكون صلاتهم فى ميزانى يوم القيامة ومعنى الغيبة ان تذكر انسانا

بما يكرهه لو سمعه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الغيبة
فقال هي ان تقول في اخيك ما يكره فان كنت صادقا فقد اغتبته وان كنت
كاذبا فقد بهتته وروي ان امراة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم تستفتيه
فلما خرجت قالت عائشة يا رسول الله ما اقصرها فقال مهلا اياك والغيبة
قالت يا رسول الله انما قلتُ ما فيها قال اجل ولولا ذلك لكان بهتانا
ويقال اياك وغيبة القراء المرائين وهو ان يفهم المقصود من غير تصريح
مثل قولك اصلح الله فلانا لقد غمني ما جرى عليه فيجمع بين خبثين احدهما
الغيبة اذا تحصلت بالتفهيم والاخرى تزكية النفس والتمدح بالصلاح؛
لانه ان كان المقصود بقوله اصلحه الله الدعاء له فليدع في السر وان اغتم
بسبب فعله فلا يظهره للناس والذي يمنع الانسان من الغيبة ان ينظر
في عيوبه فان عجز عن تطهير نفسه منها ومع ذلك لا يحب من يفضحه فليعلم
ان عجز اخيه كعجزه هو وكراهته من يفضحه ككراهته هو والله اعلم والغيبة
المحرمة انما هي غيبة المسلم واما المنافق والمبتدع فلا لقوله عليه السلام
اذكر الفاسق بما فيه ليعرفه الناس وعنه عليه السلام انه قال ثلاثة
لا غيبة لهم الامام الجائر وشارب الخمر والمعلن بفسقه وقال ايضا من
القى جلباب الحياء فلا غيبة له واما المسلم اذا اغتابه او قذفه فعليه التوبة
والتحلل منه وقد ورد في الحديث ان الغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها
وان تاب ولم يجد من اغتابه ان يحاله فانه قد ورد في الحديث انه يستغفر
له فيكون ذلك كفارة له والمستمع للغيبة شريك للمغتاب وانما الواجب
عليه ان ينكر على المغتاب وان لم يقدر فليعتزله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من ذب عن لحم اخيه بظهر الغيب كان حقا على الله ان يحرم لحمه
على النار والخسيس باخ يرى الكلاب تغرق في لحم اخيه فلا تحركه الشفقة على
الذب عليه والله اعلم ويقال من يغتاب الناس كمثل الجعل يعجز عن نيل الطيب

ويتكب على العذرة فالغيبة مراتع الشيطان وادام السنة الغافلين وهى فاكهة القراء فانا لله وانا اليه راجعون

الفصل الرابع في النميمة والسعاية

اعلم ان النميمة تجمع الى مذمة الغيبة رداءة وشرا وتضم الى لؤمها دناءة وغدرا لانها تؤل الى تقاطع المتواصلين وتباغض المتحابين قال الله تعالى فى وصف الكافر هماز مشاء بنميم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للناس العيوب وعنه ايضا قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون كل قتات ملعون كل منان الشغار المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة وفى حديث اخر ملعون من حرش بين بهيمتين والقتات النمام وقيل النمام هو الذى يكون مع قوم يتحدثون فينم حديثهم والقتات هو الذى يستمع عليهم وهم لا يعلمون فينم حديثهم والمنان هو الذى يصنع الخير ويمن به قال الشاعر

فلا زلت منسوبا الى كل نعمة ❊ ولا زلت منسوبا اليك النمائم
تمشيت فينا بالنميمة وانما ❊ يفرق بين الاحباء النمائم

وقيل فى منثور الحكم النميمة سيف قاتل وقال بعض الادباء لم يمش ماش شر من واش قال الشاعر

من نم فى الناس لا تؤمن عقاربه ❊ على الصديق ولا تؤمن افاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به احد ❊ من اين جاء ولا من اين يأتيه

وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قتات وعنه ايضا قال من مشى بنميمة بين اثنين سلط الله عليه نارا تحرقه فى قبره الى يوم القيامة وقال عليه السلام شر الناس ذو الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وعن ابن عباس ان النبى عليه السلام مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير

أمّا احدهما فكان لا يستبرئ من البول واما الاخر فكان يمشي بالنميمة ثم اخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم فعلت ذلك قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك ببركة يديه عليه السلام واما السعاية فهي شر من الغيبة والنميمة وهي المهلكة الحالقة لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولؤم النميمة التغرير بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاحوال ومعنى السعاية ان يسعى انسان الى ذي سلطان بانسان اخر فيهلكه وقد روى عن ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ديوث ولا قلاع فالديوث هو الذي يجمع بين الرجال والنساء سمي بذلك لانه يذب عنهم والقلاع هو الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء فلا يزال يقع في الرجل المتمكن عند الامير حتى يقلعه ولذلك سمي قلاعا وقال بعض الحكماء الساعي بين منزلتين قبيحتين اما ان يكون صدق فقد خان الامانة واما ان يكون كذب فقد خان في المروءة وقال بعض حكماء الفرس الصدق يزين كل احد الا السعاية فان الساعي اذم واثم ما يكون اذا صدق وانشد للستالي

فعلى الملتقي والمزوِّر ❊ لعنةُ الله العظيمهْ
ان كنتَ تفخر بالسعايه ❊ والمغارة والنميمهْ
فانا المهذَّبُ ليس لي ❊ في الزور والبهتان شيمه

قال الراجز

يا ايها المولع بالسعايه ❊ شُلّتْ يدا مُخطيك في الرمايه
اضرمتَ نارا ما لها من غايه ❊ اخسس بذاك الخلق والعنايه
تلك لعمري خصلة الخزايه ❊ للقاعدين القعدة الغسايه

ويُروى ان اسقف نجران لما اتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا امير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال رجل يأتي الامام

بالحديث الكذب فيقتله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه واما
فقال ما اراك ابعدت ويروى ان رجلا سعى بجار له الى الوليد بن عبد الملك
فقال له الوليد اما انت فتخبرني انك جار سوء وان شئت ارسلنا معك فان
كنت صادقا ابغضناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تركناك فقال
اتركني يا امير المؤمنين قال قد تركناك وروى ان رجلا سعى برجل الى الفضل
ابن سهيل فوضع الفضل على ظاهر كتابه نحن نرى قبول السعاية شرا منها
لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبل واجاز
لان من فعل شر من قال فاتقوا الساعي فانه ان كان في سعايته صادقا كان
أثما اذ لم يحفظ الحرمة ويستر العورة وقال حكيم العرب اياك والسعاة فانهم
اعداء عقلك ولصوص عدلك يفرقون بين قولك وفعلك وفي المثل السائر
من اطاع الواشي ضيع الصديق ويروى ان الاسكندر قال لساع سعى اليه
برجل اتحب ان نقبل منك ما تقول فيه على ان نقبل منه ما يقول فيك
قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر وقال بعض البلغاء النميمة دناءة
والسعاية رداءة وهما رأس الغدر واساس الشر وعن كعب قال اصاب
الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج ببني اسرائيل يستسقي
مرارا فلم يُسقوا فاوحى الله تعالى اليه لا استجيبُ لك ولا لمن معك فان
فيكم نماما قال يارب دلني عليه حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى
انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا جميعا فسُقوا وقال مروان بن زنباعة
العبسي يا بني عبس من نقل اليكم نقل عنكم وكان بعض الحكماء يقول من
اراد ان يسلم من الاثم وتبقى له الاخوان فليكن قاضيا حكيما بينه وبينهم بالعدل
ولا يقبل قول احد في احد ولا في نفسه الا بشهادة عدول قال فانا قد
احببنا بقول اقوام وابغضنا بقول اقوام فاصبحنا على ما فعلنا نادمين وبيان
من لطف الله تعالى في النميمة أن حكم بفسق صاحبها حتى لا يقبل له قول

ويستريح الخلق من شره لما علم الله من شؤمها واستظهاره شرها وعموم مضرتها في الورى والله اعلم الفصل الخامس جامع الجملة من منكرات اللسان يجب على الانسان التحفظ منها من ذلك صوت الغناء والمزامير عند اللهو والنعمة قال الله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قيل هو الغناء والباطل وفي الحديث الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ومنها الدعاء بالويل والثبور ورفع الصوت عند النياحة قيل في قوله تعالى ولا يعصينك في معروف اى لاينحن وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان في الدنيا والاخرة صوت مزمار عند نعمة ومرنة عند مصيبة وبكى عليه السلام لما مات ولده ابراهيم فقيل له اتبكي وتنهانا عن البكاء فقال انما بكيت رحمة له ولكن انما نهيتكم الحديث ومنها القذف بالزنى وهو من اعظم الكبائر لان على صاحبه الحد في الدنيا والعذاب في الاخرة قال الله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الى قوله ولهم عذاب عظيم ومنها الحكم بغير ما انزل الله قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وقال عليه السلام الحكام ثلاثة اثنان في النار وهما الحاكم بالهوى والحاكم بالجهل وواحد في الجنة وهو الحاكم بالحق ومنها شهادة الزور وقال عليه السلام عدلت بشهادة الزور الشرك بالله ثم قرا واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور ومنها القول بغير علم وهو مقرون بالشرك وغيره قال الله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش الى قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وفي الحديث من افتى مسئلة بغير علم او فسر رؤيا بغير علم كان كمن وقع من السماء فصادف بئرا لا قعر له ولو انه اصاب الحق ومنها اللعن للمخلوقات من طعام وارض وحيوان ما خلا اهل الكبائر من الجن والانس وفي الحديث

المؤمن لا يكون طعانا ولا لعانا وقال عليه السلام اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه ومنها الثناء على النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقيل لبعض الحكماء ما الصدق القبيح قال ثناء المرء على نفسه وصدق لان ذلك يورث المقت عند الله تعالى ويحط قال الله تعالى ولا تجسسوا وقال ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم فاوجب العذاب لمن احب ذلك فكيف بمن اذاعه وافشاه ومنها التنابز بالالقاب قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومنها السخر قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم وعن عبد الرحمن بن زيد انه قال انه استهزاء المسلم بمن اعلن بفسقه والله اعلم ومنها الدعاء بالسوء على احد من الخلق وان كان ظالما فانه ينبغي للمظلوم ان يكل امره الى الله وفي الحديث من دعا على من ظلمه فقد انتصر وفي حديث اخر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم فضل عنده يطالبه به يوم القيامة ويروى ان بعضهم طول لسانه على الحجاج فقال بعض السلف ان الله لينتقم للحجاج ممن تعرض له بلسانه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه ومنها المراء والجدال ومناقشة الناس في الكلام فان ذلك اذى للمخاطب وتجهيل له مع الثناء على النفس والاتصاف بمزيد او فضل والفهم في ذلك والتعرض لعداوة الناس فانه لا يمارى سفيها الا اذاه ولا حليما الا احقد عليه وجفاه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في رياض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة والشيطان يستجر الحمقاء الى الشر بمعرض الخير بان يقول لهم اظهروا الحق ولا تداهنوا نعم اظهار الحق حسن مع من يقبل من الانسان ويفهم عنه ولكن ذلك على وجه الهيبة والبذ عنه

الفصل السادس في فصول حفظ اللسان

ومنها الغيبة عند الناس وفيها الكلام في جهال الناس بحيث من غير حاجة [illegible]

التي هي من نقية فطرة النفس وهي تحتوي على كتمان السر والمشورة والنصيحة

فصل في كتمان السر فالواجب على الانسان حفظ لسانه عن اذاعة السر المودع فيه لانه امانة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حدث الرجل حديثه ثم التفت فهو امانة الا ترى الى النبي صلى الله عليه وسلم سماه سرا ولو لم يستكتمه فكيف اذا استكتمه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذي نعمة محسودٌ عليها وعن علي بن ابي طالب انه قال سرك اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره وقال بعض الحكماء لابنه يا بُني كن جوادا بالمال في موضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع الخلق وقال النبي صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانات وقال بعض الادباء من كتم سره كان الخيار اليه ومن افشى سره كان الخيار عليه وقد قال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فلما افشى يوسف عليه رؤياه بمشهد امراة يعقوب اخبرت اخوته فحل به ما حل واعلم ان حمل ثقل الاموال اخف من حمل ثقل الاسرار لما يلحقه في كتمان السر من القلق والكرب فاذا اذاعه استراح قلبه فكانما القى عن نفسه حملا فمن قلق بسره فغيره به اقلق وينشد

اذا ضاق صدرُ المرءِ من سر نفسه ❊ فصدرُ الذي يستودع السرَّ اضيقُ
اذا المرءُ افشى سرَّه بلسانه ❊ فلام عليه غيرَه فهو احمقُ

وعن عمر بن عبد العزيز انه قال القلوب اوعية والشفاه اقفالها والالسنة مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاحَ سره ويقال ان من اعجب الامرات اغلاق الدنيا كلما كثر خزانه كان اوثق بها الا السر فكلما كثر خزانه كان اضيع له قال الشاعر وهو انس بن اسيد

لا تُفشِ سرَّك الا اليك ❊ فان لكل نصيحٍ نصيحا

الم تر ان غواة الرجـال ❊ لايتركون اديما صحيحا

وكان يقال اصبر الناس من لا يفشي سره الى صديقه مخافة ان يقع بينهما شر فيفشيه وكان يقال لا تطلع النساء على سرك يصلح لك امرك وقال انوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات واعلم ان اذاعة الرجل سر غيره اقبح من اظهار سر نفسه لانه يبوء باحدى وصمتين اما الخيانة ان كان مؤتمنا او النميمة ان كان مستودعا واما الضرر فربما استويا فيه او تفاضلا وكلاهما مذموم قال الاحنف بن قيس يضيق صدر احدكم بسره حتى يحدث به ثم يقول اكتمه علي وفي امثال الفرس اذا افشيت الى سرك واوصيتني ان لا ابوح به فهلا بدأت توصي نفسك قال الشاعر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث ❊ فافشته الرجال فلا تلوم

اذا عاتبت من افشى حديثي ❊ وسري عنده فانا الظلوم

وقيل لبعض الحكماء ما اصعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف ويكتم سره وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وفي منثور الحكم صدور الاحرار قبور الاسرار واعلم ان كتمان السر يدل على جواهر الرجال فكما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها كذلك لا خير في انسان لا يمسك سره ويقال من صفات امين السر ان يكون ذا عقل صادق ودين حاجز ونصح مبذول وود موفور وكتوما بالطبع فان هذه الامور تمنع من الاذاعة وتوجب حفظ الامانة فمن كانت فيه فهو عنقاء مغرب وينشد لجعفر بن عثمان

يا ذا الذي اودعني سره ❊ لا ترج ان تسمعه مني

لم آجره قط على خاطري * كانه لم يجر في اذني

واعلم ان الاسترسال بالسر يدل على ثلاثة احوال كلها مذمومة احدها ضيق الصدر وقلة الصبر حتى لا يتسع لسر ولا يقدر على صبر الثانية يدل على الغفلة عن تحرز العقلاء والسهو عن فطنة الاذكياء الثالثة انه ارتكب الغرر ولم يتوق من الخطر وقد قال بعض الحكماء سرك من دمك فاذا تكلمت به فقد ارقته وقال بعضهم تفرد بسرك ولا تذعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون واعلم ان من الاسرار ما لا استغناء به عن مطالعة صديق واستشارة ناصح وليختر العاقل لسره امينا ان لم يجد الى كتمانه سبيلا وليتحر في اختياره امين السر الذى قدمنا صفاته ان وجده والا فليختر خير من وجد وليحذر ان يودعه عند من يحب الوقوف عليه لان طالب الوديعة خائن وقيل في منثور الحكم لا تنكح خاطب سرك فانه للسر خوان قال صالح بن عبد القدوس لا تذع سرا الى طالبه منك ان طالب السر مذيع وليحذر كثرة المستودعين لسره لان ذلك سبب الاذاعة لامرين احدهما ان اجتماع شروط الامانة في الكثرة معوز والثاني ان كل واحد ينبغي اذاعة السر عن نفسه ويضيف ذلك الى غيره قال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي

وقال قيس بن حطيم

اجود بمكنون التلاد وانني * بسرك عمن سالني لضنين

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بيث وتكثير الوشاة قمين

قال بعض اراد بالاثنين المودع والمودع فيه ولا يبعد ان يريد به الشفتين وايضا فان سلم السر من اذاعتهم لم يسلم صاحبه من استطالتهم عليه ولذلك قالت الحكماء من افشى سره كثر المتامرون عليه فان اضطر فاودع سره امينا وجب على المستودع فيه حفظ الامانة بالتناسي

حتى لا يخطر له ببا له ويرى ذلك حرمة يرعاها ولا يستطيل على صاحبه
وحكى ان رجلا اسر الى صديق له حديثا سرا ثم قال له افهمتَ قال
بل جهلتُ قال احفظتَ قال بل نسيتُ قال بعض الشعراء

ولو قدرتُ على نسيان ما اشتملت منى الضلوع على الاسرار والخبر
لكنت اول من ينسى سرائره اذ كنت من نشرها يوما على خطر

وحكى ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناسُ فى مجلسه حفظَ السر فقال
عبد الله ومستودع سر اتضمنت ستره ÷ فاودعتُه من مستقر الحشا قبرا
فقال ابنه عبيد الله

وما السر من قلبى كثاوٍ بحفرةٍ لانى ارى المدفونَ منتظر الحشرا
ولكننى اخفيه حتى كأنه من الدهر يوما ما احطت به خبرا

ومن كتاب الضياء وحكى ان النبى عليه السلام رأى فى المنام ان ولد الحكم
يتداولون منبره بالمدينة كما يتداول الصبيان الكورة فخلا بابى بكر
وعمر رحمهما الله فقص عليهما رؤياه فلما تفرق سمع عليه السلام الحكم
ابن ابى العاص يخبر برؤياه فاشتد ذلك عليه فاتهم بافشاء سره عمرَ
ورابا بكر فقال اشهد ان ابا بكر ما فعل فقال عمر ولا انا والله يا رسول الله
قال فمن اظهر حديثى فقال عمر تعود الى مجلسك حتى نتحدث كما كنا
نتحدث فانا آتيك بمن افشى سرك ففعل عليه السلام فاقاموا فى
الحديث حتى كاد عليه السلام ان ينسى ما قعدَ له ثم خرج عمر مبادرا
فاذا الحكم يستمع فنفاه عليه السلام من المدينة مسئلة وعن
الوضاح بن عقبة انه قال اذا استسر معك اخوك سرا وانت تعلم
انه لا يحب اظهاره فاظهرته فانت آثم فان تقدم عليك فيه فاظهرته
فانت منافق وقال بعض الحكماء من طلب لسره موضعا فقد اشاد
به وصدق الا المضطر فلا لوم عليه اذا اختار له موضعا حصينا

واميناكتوما كما قال الشاعر

ومستودع سر اكتمت مكانه . عن الحس خوفا ان ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة . واودعته من حيث لا يبلغ النفس

فصل في المشورة قال الله تعالى لنبيه عليه السلام وشاورهم في الامر وعن قتادة قال امر بمشاورتهم تألفا لهم وتطييبا لانفسهم وقال الضحاك امر بمشاورتهم لما علم فيه من الفضل وقال الحسن ليستن به المسلمون وان كان عن مشورتهم غنيا وقد شاور عليه السلام ابابكر وعمر رضي الله عنهما في اسارى بدر فاختلفا عليه فمال الى راى ابى بكر فعاتبه الله على اخذ الفداء فقال لولا كتاب من الله سبق لمسكم الاية وقد شاور عليه السلام اصحابه حين اراد النزول نحو بدر وقد امرهم لما اجتمع الاحزاب بمصالحة عيينة ابن حصن الفزارى على بعض الثمار فاشاروا بترك ذلك فقبله فصح بما ذكرنا من الحزم لذى لب ان لا يبرم امرا الا بمشورة ذى الراى الناصح ومطالعة ذى العقل الراجح الا ترى الى ابراهيم عليه السلام حين امر بذبح ابنه عزيمة عليه فحمله حسن الادب على المشاورة فقال لابنه انظر ماذا ترى وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المشورة حصن من الندامة وامان من الملامة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال الرجال ثلاثة رجل ترد عليه الامور فيصدرها برايه ورجل يشاور فيما اشكل عليه وينزل حيث يامره اهل الراى ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا وعن ابن عباس قال الرجال ثلاثة رجل ونصف رجل ولا شيء فالرجل هو المشاور في اموره ونصف رجل المشاور في بعض اموره ولا شيء الذى لا يشاور وقيل ان عمر رحمه الله يشاور حتى المراة وقال سيف ابن ذى يزن من اعجب برايه لم يشاور ومن استبد برايه كان من الصواب بعيدا وقيل في منثور الحكم المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال بعض الحكماء

ماخاب من استخار ولا ندم من استشار وقال بزرجمهر اذا اشكل الرأي على الحازم كان بمنزلة من اضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها فالتمسها فوجدها كذلك الحازم يجمع وجوه الراي فيضرب بعضها ببعض حتى يخلص الصواب وقال عمر رحمه الله الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين والثلاثة الاراء لا تكاد تنقطع وينشد لبشار بن برد

اذا بلغ الراي المشورة فاستعن . براي نصيح او مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة . مكان الخوافي قوة للقوادم

وقال بعض الاعراب ما عثرت حتى عثر قومي قيل له وكيف قال لا افعل شيئا حتى اشاورهم ويقال لو لم يكن في فضيلة المشورة الا ان الانسان اذا استبد برأيه فاصاب سلبت فائدة اصابته وان كانت حسنة لانه لا بد من قائل يقول هذا اتفاق ولو فعل كذا لكان احسن فاذا شاور فاصاب حمدت الجماعة رأيه لانهم انما يحمدون نفوسهم فاذا اخطا حملوا خطاه لانهم عن انفسهم يكافحون والله اعلم فاذا عزم على المشاورة فليتخير من اجتمعت فيه خمس خصال احداها عقل كامل مع تجربة سالفة فان بكثرة التجارب تصح الروية لانه قيل في منثور الحكم كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم فقالوا نحن الف رجل وفينا حازم ونحن نطيعه فكأنا الف حازم وقال بعض السلف لابنه احذر مشاورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر عداوة العاقل اذا كان عدوا وكان يقال اياك ومشاورة رجلين شاب معجب بنفسه قليل التجارب او كبير قد اخذ الدهر من عقله كما اخذ من جسمه والثانية ان يكون ذا دين وتقى لانه عماد كل صلاح وباب لكل نجاح ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة وقال عليه السلام من اراد امرا فليشاور

امرأ مسلما وفقه الله لارشد أموره والثالثة ان يكون ناصحا ودودا فان النصح والمودة يمحضان الراى وقال بعض الحكماء لاتشاور الا الحازم غير الحسود واللبيب غير الحقود واياك ومشاورة النساء فان رايهن الى الافن وعزمهن الى الوهن والرابعة ان يكون سليم الفكر من هم قاطع وغم شاغل لان الراى لايسلم مع الهموم وقد قالت الحكماء لاتشاور معلما ولاراعي غنم ولاكثير القعود مع النساء ولاصاحب حاجة يريد قضاءها ولاجائعا ولامن يرهقه احد السبيلين وقالوا لاراى لحاقن ولالحاقب ولالحازق ولاتشاور من لادقيق عنده فالحاقب الذي يجد في بطنه رزءا او الحازق الذى يضيق عليه الخف والله اعلم

الخصلة الخامسة ان لايكون له في الامر المستشار غرض يتابعه ولاهوى يساعده فان الاغراض جاذبة والهوى صادّ والرأى اذا عارضه الهوى وجاذبته الاغراض فسد وينشد

وقد تحكم الايام من كان جاهلا ۰ ويردى الهوى ذا الراى وهو لبيب
ويحمد في الامر الفتى وهو مخطئ ۰ ويعذل في الاحسان وهو مصيب

فاذا استكملت هذه الخصال في رجل كان اهلا للمشورة ومعدنا للراى فلا يعدل عنه الانسان استيثاقا برايه فان راى غير ذى الحاجة اسلم وهو الى الصواب اقرب لخلوص الفكر وخلوه من الهوى والشهوة وقد قال بعض الحكماء نصف رايك مع اخيك فشاوره ليكمل لك الراى وينشد

خليلى ليس الراى في صدر واحد ۰ اشيرا علىّ اليوم ماتريان

وقال بعض البلغاء اذا اشتكلت عليك الامور فارجع الى رأى العقلاء فلأن تسال وتسلم خير من ان تستبدّ وتندم وقد قيل في منثور الحكم من اكثر المشاورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند

الخطاء عاذرا وان كان الخطأ من الجماعة بعيدا ثم اذا استشار
الجماعة وقد اختلف اهل الراى فى اجتماعهم عليه او افراد
كل واحد منهم فمذهب الفرس ان الاجتماع اولى ليذكر
كل واحد ما نتجه فكره حتى ان كان فيه قدح نقض عليه
بالمناظرة وذهب غيرهم الى ان انفراد كل واحد منهم اولى
ليجيل رايه طمعا فى الحظوة والصواب والله اعلم ثم اذا اشار
على الانسان من استشاره بالراى اخذ به وامضاه فان
اصاب فذاك وان اخطأ فلا يوجه اللوم على المستشار
فانما على الناصح الاجتهاد دون ضمان النجح ولاسيما والاقدار
غالبة تجرى على ما ليس فى التقدير واذا ظفر براى خامل
اغتنمه فان الراى كالضالة تؤخذ حيث ما وجدت ولا تترك
لذلة صاحبها والدرة لا يضيعها مهانة غائصها والله اعلم

(فصل) فى النصيحة اعلم ان النصيحة للخلق اجمعين
من سنة المرسلين قال الله تعالى حكاية عن شعيب صلوات
الله على نبينا وعليه ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين
فى امثالها من القرآن وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال الدين النصيحة قالها ثلاثا قيل لمن يا رسول الله
قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم
والنصح فى اللغة فعل الشئ الذى به الصلاح تقول العرب هذا
قميص منصوح اى مخيط ماخوذ من النصاحة وهى السلوك
التى يخاط بها وعن معاذ عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم العمل لله ومناصحة اولى
الامر والاعتصام بجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من

وراءهم وقال عليه السلام ان العبد اذا نصح لسيده
وادى عبادة الله فله اجره مرتين وعن ابى الدرداء انه
قال العلم يبلغه البار والفاجر والحكمة ينطق بها البر
والفاجر والنصيحة لله لا تثبتا الا فى قلوب المؤمنين
الذين نصحت قلوبهم وصدقت نياتهم فالنصيحة لله
سبحانه وصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يليق به
والخضوع له ظاهرا وباطنا والقيام بتعظيمه والبعد
عن مساخطته وموالات من اطاعه ومعادات من
عصاه والجهاد فى رد العصاة اليه قولا وفعلا والقيام
بحقوقه والرغبة فى محابه وارادة ماذكرنا لعباده
والنصيحة لكتابه اقامة حدوده وتلاوته بالتفكر
فى معانيه والذب عنه وحفظه من تاويل المحرفين
والنصيحة لرسوله موازرته ونصرته حيا وميتا
واتباع سنته واحياء طريقته فى بث الدعوة وتاليف
الكلمة والنصيحة للائمة معاونتهم ونصرتهم فى جمع
الكلمة لهم مااستقاموا على الطريقة واقامة الحق
والنصح لخاصة المسلمين الشفقة عليهم وموالاتهم
والنصيحة لعامتهم ان يحلم عنهم ويعلموا دينهم والنصيحة
لجميع الملل ان يحب اسلامهم ويدعوهم اليه بالقول
وبالسيف ان كان ذا سلطان حتى يسلموا او يكونوا ذمة
فتؤدى حقوقهم وان يصانوا عن الظلم والله اعلم واعلم
ان النصيحة مرة لا يقبلها الا اولوا العزم كان عمر رحمه
الله يقول رحم الله عبدا اهدى الى عيوبى وعن ميمون

ابن مهران انه قال قال لي عمر بن عبد العزيز قل لي في وجهي
ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما
يكره وكان يقال اخوك من احتمل ثقل نصيحتك وينشد
عن ابي العيناء * * *
النصح ارخص ما باع الرجال فلا * ترد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى مناهجها * على الرجال ذوي الالباب والفهم
وقيل في منثور الحكم ودلك من نصحك وقلاك من مشى
في هواك والنصيحة لله في ارضه هي التي بعث بها المرسلون
ولكن النفوس مستثقلة لها مائلة الى ما يوافق هواها ولبعضهم
عرضت نصيحتي مني ليحيى * فقال غششتني والنصح مر
وما بي ان اكون اعيب يحيى * ويحيى طاهر الاخلاق بر
ولكن قد اتاني ان يحيى * يقال عليه في نفعاء شر
فقلت له تجنب كل شيء * يعاب عليك ان الحر حر
وعن وهب انه قال انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن
الاختيار لنفسه وقالت العلماء لن ينصحك امرء لا ينصح نفسه
وقال بعضهم رأيي ورأيك في المعرفة امثل لنفسك من
رأيك لانه خلو من هواك قال الله تعالى عن نبيه عليه
السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين قال الشاعر
وعلى النصيح نصيحتي * وعلي عصيان النصيح
وعن ابي الدرداء انه قال ان شئتم لانصحن لكم ان احب
عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويعملون
في الارض نصحا قال *
اجب اخاك اذا استشارك ناصحا * وعلى اخيك نصيحة لا ترد د

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حق المسلم على المسلم اذا استنصحه ان ينصحه اعلم انه لا عذر لمن استشير ان يكتم رايا عدوا كان المستشير له او صديقا لان النبي عليه السلام قال المستشير معان والمستشار مؤتمن ولا ينبغي للانسان ان يشير قبل ان يستشار الا فيما مست الحاجة اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن لقمان قال لابنه اذا استشهدت فاشهد واذا استعنت فاعن واذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر قال الشاعر *

من الناس من ان يستشرك فتجتهد * له الراي يستغششك ما لم تتابع

فلا تمنحن الراي من ليس اهله * فلا انت محمود ولا الراي نافعه

وانما ذكرنا فصل النصيحة ههنا لانه من باب التحفظ من آفات اللسان وهي مما ينبغي ان يتكلم بها الانسان لان النصيحة من حق المستشير على المستشار فذكرناها بجانب فصل المشورة والله تعالى نستهديه الرشاد والهداية *

(الفصل السابع) في حفظ اللسان عن المدح والتمادح

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمادحوا واحثوا التراب في وجوه المادحين وعن مكحول عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تكونوا عيابين ولا لعانين ولا متمادحين ولا متماوتين وروى ان بعض الصحابة قيل له لا تزال بخير ما ابقاك الله فوجد من قول المادح فقال اني ما لا احسبك اعرابيا وما يدريك ما يغلق عليه بابي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يزكي رجلا فقال له قطعت مطاه لو سمعك ما افلح بعدها وعن عمر رضي الله عنه انه قال المدح

ذبح وقال ابن المقطع قابل المدح كمادح نفسه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والتمدح فانه الذبح ان
كان احدكم يمدح اخاه لا محالة فليقل احسب ولا ازكى
على الله احدا وقال بعض الحكماء من رضي ان يمدح بما ليس
فيه فقد امكن التساخر منه الساخر وقيل فيما انزل الله من
الكتب السالفة عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف
يفرح وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب
وقال بعض الشعراء * * *

يا جاهلا غره افراط مادحه * لا يغلبن جهل من اطراك علمك بك
اثنى وقال بلا علم احاط به * وانت اعلم بالمحصول من ربك

وروى ان بعض الخلفاء سال رجلا عن شيء فقال له يا امير
المؤمنين انت خيرمنا واعلم فغضب وقال لم امرك ان
تزكيني وروى ان رجلا مدح بعض السلف فغضب فقال
اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك واشهدك على مقته وحكى
الاصمعي ان ابابكر الصديق رضي الله عنه كان اذا مدح قال
اللهم انت اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني
خيرا مما يحسبون واغفرلي مالا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون
وقال الشاعر

اذا المرء لم يمدح بحسن فعاله * فمادحه يهذى وان كان مفصحا

وينبغي للانسان ان يحفظ لسانه عن المدح ويمقت نفسه
عند سماعه من غيره لان المدح عادة المتملقين وحرفة
المتقربين الى الجورة من الجهال والسلاطين جعلوا النفاق
عندهم عادة ومكسبا والتملق خديعة وملعبا فاذا وجدوه

مقبولا الى العقول الضعيفة غروا اربابها باعتقاد كذبهم
وجعلوا ذلك ذريعة الى استخفافهم والاستهزاء بهم وهذا
امر ينبغي للعاقل ان يضبط نفسه عن ان يستفزها المدح
ويمنعها من تصديق المادح لما فان للنفس ميلا الى حب الثناء
وسماع المدح كما قال الشاعر *
يهوى الثناء مبرز ومقصر * حب الثناء طبيعة الانسان
ويعلم ان المتقرب اليه بالمدح يسرف مع القبول ويكف مع
المنع والاباء ولتكن تهمة المادح اغلب عليه فقل مدح كان
جميعه صدقا ولا يغلبه حسن الظن على تصديق مدح هو
اعرف بحقيقته فان لم يفعل وسامح نفسه في مدة الصبوة
وتابعها على هذه الشهوة تشاغل بذلك عن الفضائل الممدوحة
ولهى بها عن المحاسن الممنوحة فصار الظاهر من مدحه كذبا
والباطن من ذمه صدقا وعند تقابلهما يكون الصدق الزم
الامرين والله اعلم واعلم ان المدح ربما آل بصاحبه الى ان
يصير مادح نفسه اما لتوهمه ان الناس قد غفلوا عن
فضله واما ان يخدعهم بتدليس نفسه فيعتقد وان
قوله حق متبع واما ليتلذذ بسماع الثناء ويسر نفسه بالمدح
والاطراء كما يتغنى لنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا مطربا
ولاي ذلك كان فهو الجهل الصريح والنقص الفاضح كما قال الشاعر
وما شرف ان يمدح المرء نفسه * ولكن اخلاقا تذم وتمدح
وما كل حين يصدق المرء ظنه * ولا كل اصحاب التجارة تربح
ولا كل من ترجو لغيبك حافظ * ولا كل من ضم الوديعة يصلح
وينبغي للعاقل ان يسترشد اخوان الصدق الذين هم

اصفياء القلوب ومرايا المحاسن والعيوب على ماينبهون
عليه من مساويء التى صرفه حسن الظن عنها فانهم امكن
نظرا واسلم فكرا ويجعل تنبيههم اياه على مساويه عوضا
من تصديق المدح فيه وقد قال عليه السلام المؤمن مرآة
المؤمن اذا رآى فيه عيبا اصلحه وقد قال عمر رضى الله عنه
رحم الله عبدا اهدى الينا مساوينا وقيل لبعض الحكماء
اتحب ان تهدى اليك عيوبك قال نعم من ناصح وقيل فى
منثور الحكم من اظهر عيب نفسه فقد زكاها والله اعلم

(الفصل الثامن) فى حفظ اللسان من الاسترسال
فى المزاح والضحك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
المزاح استدراج من الشيطان واختداع من الهوى وقال
عمر بن عبد العزيز اتقوا المزاح فانها حمقة تورث ضغينة
وقال انما المزاح سباب الا ان صاحبه يضحك وقيل فى منثور
الحكم المزاح ياكل الهيبة كما تاكل النار الحطب وقال النخعى
المزاح من سخف او بطر وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال اياكم والمزاح فان فيه التذابح ان خيره لا ينال
وشره لا يقال قال النيسابورى

شر مزاح المرء لا يقال * وخيره يا صاح لا ينال

وقال بعض الادباء من كثر مزاحه زالت هيبته ومن كثر
خلافه طابت غيبته وقال بعض البلغاء من قل عقله
كثر هزله ويقال المزاح مخلفة للصداقة مذهبة للمروءة
مكسبة للعداوة ويقال لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح
وقيل المزاح لقاح الضغينة وسباب النوكا ويقال المزاح

اوله فرح وآخره ترح قال المنيسابورى *

ان المزاح بدؤه حلاوه * لكنما اخره عداوه

وقد يقال ان كثرة المزاح من الفتى تدعو الى التلاح يحقد منه الرجل الشريف ويجترى بسخفه السخيف واوصى بعض الحكماء ابنه فقال يا بنى اياك والمزاح فانه يذهب ببهاء المؤمن ويطفئ نوره ومن يكثر من شئ عرف به قال وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله امنع الناس من المزاح فانه يذهب المروءة ويوغر الصدر وحكى ان خالد بن صفوان ذكر المزاح فقال يصك احدكم صاحبه باشد من الجندل وينفشه احرف من الخردل ويفرغ عليه احر من المرجل ثم يقول انما كنت امازحك ويروى ان بعض الاشراف مازح صديقا له بكلمة فتهاجرا حتى ماتا وينشد * * *

اما اللجاجة والمزاح فدعهما * خلقان لا ارضاهما لصديق

انى بلوتهما فلم احمدهما * لمجاور دان ولا لرفيق

ويقال انما سمى المزاح مزاحا لانه ازيح عن الحق ولعمرى ان المزاح يزيح عن الحقوق ويخرج الى القطيعة والعقوق ويصم المازح بزوال الهيبة والبهاء وجرءة السفهاء عليه والغوغاء ويؤذى الممازح بلدغته ويحزن قلبه بحرقته ان امسكه عنه تغيظ وان اجاب صاحبه تورط بسقوط الادب وحق على العاقل ان يتقيه وينزه نفسه عن وصمة مساويه قال *

فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والدنس الرذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا
اعلم ان المزاح قل ما يعري منه من كان سهلا فان كان لا بد للعاقل منه فليتوخ به ايناس المصاحب والتودد الى المخالط وليقتصد في مزاحه فان الافراط منه يذهب البهاء ويجرى السفهاء والتقصير فيه يقبض المؤانس ويوحش المصاحب وليكن مزاحه بما انس من القول وبسط من مستحسن الفعل نحو ما روى عن الشعبي انه سئل عن أكل لحم الشيطان فقال نحن نرضى منه بالكفاف وقيل له ما اسم امرأة ابليس قال ذلك نكاح ما شهدناه وقد كان صهيب بن سنان رحمه الله مزاحا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتأكل تمرا وبك رمد فقال يا رسول الله انما امضغ على الناحية الاخرى وانما استجاز لصهيب يتعرض له بالمزاح لان استخباره عليه السلام قد كان يتضمن المزاح فاجابه بما وفق استخباره مساعدة له وتقربا من قلبه لان من جعل جواب الرسول عليه السلام هزلا فقد عصى الله تعالى وصهيب كان أطوع لله ولرسوله من ان يكون منه بهذه المنزلة وقد قال عليه السلام انا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش وفي وجه آخر يجوز فيه المزاح ايضا وهو ان ينفي الانسان بمزاحه عن نفسه ما يطرا عليه من هم ومنام او يبس طبيعة او حادث وحشة ولذلك قال ابو الدرداء او غيره انى لا ستجم نفسي بشيء من اللهو وقد يما قيل لا بد للمصدور ان ينفث لان النفس ملولة ولها في اللهو

والمزاح استراحة ونشاط الى مملول العبادة قال الشاعر

افد طبعك المكدود بالهم راحة * يجم وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن * بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يبعد ان يكون على هذا الوجه وقد قال عليه السلام انى لامزح ولا اقول الا حقا فمن مزاحه عليه السلام مثل قوله للعجوز التي قالت ادع الله ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجائز فصرخت فتبسم وقال لها عليه السلام اما قرأت انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا ومثل قوله لمحمد ابن ابي طلحة وكان له نغير فمات فاذا رآه قال ابا عمير ما فعل النغير وهو طير هذا ومثله من المزاح وهو حق كله ويروى ان عليا اوتى برجل ومعه خصم له فقال له الخصم انه احتلم على امى فقال على ارى ان يقام في الشمس ويضرب ظله الحد وفي رواية قال الرجل احتلمت على امى فقال على هذه القولة ويروى ان رجلا قال لغلام بكم تعمل معى قال بطعامى قال احسن قليلا فقال الغلام اصوم الاثنين والخميس هذا وامثاله من المزاح لا باس به واما الاسترسال في ممازحة العدو فليحذره العاقل لئلا يجعل له طريقا الى اعلان المساوى ويتسبب به في التشفي وقد قال بعض الحكماء اذا مازحت عدوك ظهرت عيوبك واما ما فيه اغراء الى ريبة او يتوهم الجاهل انه ارخاص في معصية فينبغي ان يتوقى نحو ما روى عن ابي صالح بن حسان انه قال لاصحابه يوما مازحا افقه الناس وصاح البيت قوله

اذا قلت هات نوليني تبرمت * وقالت معاذ الله من فعل ما حرم

فما نولت حتى تضرعت عندها * وانبأتها ما ارخص الله فى اللمم
هذا ومثله يتوهمه الجاهل اذا سمعه ان الله تعالى رخص
فى الصغائر من الذنوب فيجترى على القبلة المحرمة والنظرة
والمحسة ويظنها صغائر والله تعالى لم يرخص فى ارتكاب
معصية صغيرة ولا كبيرة وكذلك المزاح الذى يخرج الى
حد الخلاعة ويورث المجنة والمذمة كالذى حكى عن ابى
معاوية الضرير وكان محدثا انه خرج يوما على اصحابه وهو يقول
فاذا المعدة جاشت فارمها بالمنجنيق * بثلاث من نبيذ ليس بالحلو الرقيق
انظر الى ما جنا على نفسه بخلاعته حيث جعل للتهمة عليها
طريقة فيما لعله برىء منه ومن مستسمج المزاح ما حكى ان
القشيرى وقف عليه شيخ من الاعراب فقال ممن انت فقال
من بنى عقيل قال من اى عقيل قال من بنى خفاجة فقال القشيرى
رايت شيخا من بنى خفاجة فقال الاعرابى ما شانه فقال له اذا
جن الظلام حاجة قال الاعرابى ما هيه قال كحاجة الديك الى
الدجاجة فاستغرق الاعرابى ضاحكا فقال قاتلك الله ما اعرفك
بسرائر القوم وهذا غاية ما يتسامح به الكبراء من الخلاعة
والنزاهة عن مثل هذا اولى وليحذر الانسان من الاسترسال
فى المزاح وذكر ان ابا هريرة كان مسترسلا فى مزاحه
قال وحكى ابن قتيبة فى المعارف ان مروان كان
يستخلفه على المدينة فيركب حمارا مشدودا ببردعة
فيسير فيلقى الرجل فيقول الطريق قد جاء الامير قال
وربما اتى الصبيان وهم يلعبون فلا يشعرون حتى يلقى
نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفزع الصبيان فيفرون

وهذا خروج عن القدر والمزاح المستسمج به ولايبعد ان
يكون له تاويل عنده يسوغ فى الشرع وانما الاحسن ما
قدمناه من مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى
ايض ان امراة اتته عليه السلام فى حاجة لزوجها فقال لها
ومن زوجك قالت فلان قال الذى فى عينه بياض قالت لا
فقال بلى فانصرفت عجلى الى زوجها فجعلت تتامل عينه فقال
لها ما شانك فقالت اخبرنى النبى عليه السلام ان فى عينك
بياضا فقال لها اما ترين ان بياض عينى اكثر من سوادها
و يروى ان ابن سيرين ساله رجل عن رجل فقال له توفى
البارحة فلما راى جزع السائل عليه تلى هذه الآية الله يتوفى
الانفس حين موتها الآية والله اعلم * (فصل) * فى
الضحك والفرح اعلم ان كثرة الضحك واظهار الفرح بالدنيا
ليس من اخلاق الصالحين واعتياد الضحك ايض شاغل عن
الامور المهمة وليس لمن اكثر منه وقار ولا هيبة وعن
عائشة رضى الله عنها انها قالت ما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم مستجمعا ضحكا حتى ارى لهواته انما كان
يتبسم وعن ابى ذر عنه عليه السلام انه قال اياك وكثرة
الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه وعنه عليه
السلام انه قال احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها
بالجوع تنظروا الى عظمة الله وقال اعطوا قلوبكم حظها
من قلة الطعام يكثر فكرها ويقل ضحكها فان الله يبغض
كل غافل وضاحك وعن الحسن انه قال يا ابن آدم اياك
وكثرة الضحك فانه يميت القلوب وعن عروة بن الزبير

انه قال انما افرح فى ساعة الغفلة فكيف يفرح من
يمشي بين الجنة والنار ولا يدرى الى ايتهما يصير ويقال
اقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وروى عن طلحة انه ضحك
يوما فوثب على نفسه فقال فيم الضحك انما يضحك من قطع
الاهوال وجاز الصراط ثم قال ءاليت ان لا افتر ضاحكا حتى
اعلم بم تقع الواقعة فما رئى ضاحكا حتى صار الى الله تعالى
وروى عن وهيب بن الوردي انه نظر الى قوم يضحكون فى
يوم الفطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين
ولئن كانوا لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وينشد

عجبت لضحك المرء والموت خلفه * وللمشترى دنياه بالدين اعجب
واعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين اعجب

وروى عن مالك بن دينار انه قال ما رايت محمد بن واسع قط
ضاحكا ولقد كان يبكى حتى نرحمه قال ولقد ذكرت له ذلك
فقال وكيف يضحك من لا يدرى بم يختم له وروى انه جلس
يوما الى ثابت البنانى فسمعه يمزح فقال له محمد تمزح فى
مجلسك ولقد كنا نجلس الى الحسن فكان اذا خرج الينا خرج
كانه قد عاين الآخرة ثم جاء يحدثنا عنها وعن جعفر بن سليمان
انه قال كنت اذا وجدت من قلبى قساوة ذهبت فنظرت فى
وجه محمد بن واسع وكنت اذا نظرت اليه حسبته وجه ثكلى
وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة انها الضحك مع الاستهزاء وعن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه انه قال من كثر ضحكه قلت هيبته
وعن على بن ابى طالب انه قال اذا ضحك العالم ضحكة مج من

العلم مجة وقيل فى منثور الحكم ضحك المؤمن غفلة من قلبه وحسبك وعيدا على الضحك وتهديدا قول الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا الآية والقول فى الضحك كالقول فى المزاح ان تجافاه الانسان نفر عنه واوحش منه وان الفه كانت حاله كما وصفنا فليكن حاله عند الايناس بدل الضحك تبسما وبشرى لان النبى عليه السلام كان يتبسم حتى تبدو نواجذه وهذا ابلغ فى الايناس من الضحك الذى يكون استهزاء او تعجبا وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه التبسم دعابة والله اعلم وبه الحول والتوفيق *

*(الفصل التاسع) * فى كف اللسان عن الشماتة وعما لا يعنيه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك ويروى ان على بن ابى طالب اوتى برجل قد جنى جناية فرأى ناسا يسيرون خلفه فقال لا مرحبا بوجوه لا ترى الا عند سوءة وقال الله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام قال لاخيه فلا تشمت بى الاعداء ويروى فى قصة ايوب عليه السلام انه قيل له اى شئ كان فى بلائك اشد عليك قال شماتة الاعداء قال الشاعر *

اذا ما الدهر جر على اناس * كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

وقال آخر

ذهب الذين من الثقات عرفتهم * لم يبق الا شامت او حاسد
فاذا اصفا لك من زمانك واحد فهو المراد واين ذاك الواحد

وعلى الانسان ان يضبط نفسه حتى لا تفرح بمساءة احد
ويكف لسانه حتى لا يشمت باحد فان ذلك ليس من اخلاق
العقلاء والاولياء لان العاقل قد تيقن ان الدنيا دار البلايا
وان من كان فيها الا يعطى له الامان من الرزايا والاولياء من
صفاتهم الرحمة لاهل البلاء وقد روى ان الله تعالى اوحى الى
موسى عليه السلام يا موسى ارحم عبادى المبتلى منهم والمعافى
قال يارب هذا المبتلى ارحمه فما بال المعافى قال لقلة شكره
اياى على عافيتى له *(فصل)* وينبغى للانسان ان
يحترز من كثرة الكلام فيما لا يعنيه فيكفيه منه ما يبلغ
به حاجته فلا ينبغى ان يكثر الحكايات ولا السؤال عن
تفاصيل البلاد الا ان يريد الانتقال اليها وقد روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه وعنه ايضا انه قال اكثر الناس ذنوبا اكثرهم
كلاما فيما لا يعنيه وقيل لبعض الحكماء ما خير ما اعطى
العبد قال فراغ القلب عما لا يعنيه ليتفرغ لما يعنيه
ويروى انه قيل للقمان الحكيم بماذا نلت ما نلت من الحكمة
قال بثلاث خصال بصدق الحديث واداء الامانة وترك
ما لا يعنينى ويقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر
سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به
وفى اثر العلماء ان فى المباح من الكلام اربعة امور احدها
شغل الكرام الكاتبين بما لا فائدة فيه وحق على المرء ان
يستحيى منهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد الثانى ارسال كتاب الى الله سبحانه من اللغو والهذر

فليحذر العبد من ذلك وليخش الله تعالى و يروى ان بعض
السلف نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا انما تملى
كتابا الى ربك فانظر ما تملى الثالث قراءته بين يدى الملك
الجبار يوم القيامة على رؤوس الاشهاد بين الشدائد
والاهوال عطشا ناعريانا جيعانا مقطوعا عن الجنة محبوسا
عن النعمة الرابع اللوم والتعيير لماذا قلت وانقطاع الحجة
والحياء من رب العزة وقد قيل اياك والفضول فان
حسابه يطول وكفى بهذا واعظا لمن اتعظ وقد قال
النبى صلى الله عليه وسلم ان اللسان املك شئ للانسان
وان كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ذكر الله تعالى او امرا
بمعروف او نهيا عن منكر او اصلاحا بين مؤمنين ثم لم
تمض الايام حتى نزلت هذه الآية لا خير فى كثير من
نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين
الناس والله اعلم

(الفصل العاشر)

فى الصمت وفضيلة الكلام و يروى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال كيف يدخل احدكم الجنة مع لسانه
من تكلم فليقل خيرا او ليصمت وعنه عليه السلام
انه قال ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله ربه ويعلم
ما يقول وينشد

* * *

واذ خشيت ملامة من منطق * فاخزن لسانك فى اللهاة واطرق
واحبس لسانك ان تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

و يروى ان اعرابيا كان يجالس الشعبى فكان يكثر الصمت فقال
له الشعبى يوما ما لك لا تتكلم قال اسكت فاسلم واسمع فاعلم

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت السكوت قال ومتى اسكت قال اذا اشتهيت الكلام وكان بعض العلماء يجسم الرخصة فى الكلام ويقول اذا جالست الجهال فانصت لهم واذا جالست العلماء فانصت لهم قال فان فى انصاتك الى الجهال زيادة فى الحلم وفى انصاتك الى العلماء زيادة فى العلم وينشد * * *

لعمرك ان صمتك الف عام * لاصلح من كلامك فى الفضول
فامسك او ترى للقول وجها * يبين صوابه لذوى العقول

وقال بعض الحكماء اذا تكلمت فلا تتكلم الا بخير فلعله ان يكون آخر كلامك من الدنيا وكان بعض السلف يقول اطلب من يسكت فان من يتكلم كثير ويروى ان يونس عليه السلام كان يطيل الصمت بعد ما خرج من بطن الحوت فقيل له الا تتكلم فقال الكلام صيرنى الى بطن الحوت وينشد لابى نواس

خل جنبيك لرام * وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما السالم من الجـ * ـم فاه بلجام
كم كلام ساق حتفا * لفئام وفئام
ربما استفتح بالمز * ح مغاليق الحمام
والمنايا آكلات * شاربات للانام

وعن مجاهد انه قال ما شئ تكلم به العبد الا احصى عليه حتى انينه فى مرضه وعن عمر بن عبد العزيز انه قال من لم يعد كلامه من عمله كثر خطاياه وقال بعض البلغاء احبس لسانك قبل ان يطيل حبسك او يتلف نفسك فلا شئ اولى

بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب ويسرع الى الجواب
وعن طاوس انه كان يقول لسانى سبع ان ارسلته اكلنى
وينشد لبعضهم * * * *
منع اللسان من الكلام لانه * كهف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا * لا تنسه واحمده فى الحالات
ويروى عن داود عليه السلام انه قال رب كلام ندمت
عليه وما ندمت على صمت قط وعن ابراهيم بن ادهم انه
قال من اتقى الله لم يدر ما يقول فانه يخاف من كل ما يتكلم به
من الخير والشر ان تكلم بالخير خاف المقت ان يقول ما لا يفعل
وان تكلم بالشر خاف العقوبة وقال بعض السلف اذا طلبت
صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك وانشدوا
القول كاللبن المحلوب ليس له * رد وكيف يرد الحالب اللبنا
فى ضرعه وكذاك القول ليس له * فى الصدر رد قبيحا كان او حسنا
وقال بعض الحكماء الزم الصمت تعد حكيما جاهلا كنت او
عالما وقال بعض الفصحاء اعقل لسانك الا عن حق توضحه
او باطل تدحضه او حكمة تنشرها او نعمة تشكرها وقيل
لبعضهم انك قد اطلت سجن لسانك فقال انه غير مامون
اذا اطلق قال الشاعر *
رايت اللسان على اهله * اذا ساسه الجهل ليثا مغيرا
ويروى عن ابى الحجاج العابد انه كان الزم نفسه ان لا يكلم
احدا وكان لزم مكة فدخل عليه هارون الرشيد فكلمه
فلم يجبه فكلم فى ذلك فكتب لهم فى الارض هو لا يقبل من الله
وقد امره ونهاه ويقبل منى انا انى اجل الله من ان انزل نفسى

هذه المنزلة وعن بعض اصحاب الربيع بن خيثم انه قال صحبت الربيع عشرين سنة فما اعلم اني سمعت منه في تلك العشرين الا كلمة تصعد ويقال لما قتل الحسين بن علي قال قوم اليوم يتكلم الربيع فاتوه فقالوا له قتل الحسين قتل ابن فاطمة فقال قتلوه فمد بها صوته ثم قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك الآية وروى عن بلشة زوج يوسف بن اسباط انها قالت كان اذا دخل شهر رمضان لم يكلم يوسف احدا حتى يفطر وكان اذا جاء السحر جاء الى الزنبيل معلقا فادخل يده فيه فما اصاب من شئ اكله ثم يخرج الى صلاة الفجر ثم لا ينصرف حتى يصلي العشاء فاذا انصرف صلى الى السحر فلا يزال دابه ذلك حتى يفطر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في بعض خطبه ايها الناس الا ادلكم على امرين خفيف مؤنتهما عظيم اجرهما لم يلق الله بمثلهما طول الصمت وحسن الخلق ومن احسن ما ينشد في الصمت *

ايها المرء لا تقولن قولا * لست تدرى ماذا نجاتك منه
واذا الناس اكثروا في حديث * ليس مما يزينهم فاله عنه
ولخزن القول ان في الصمت حكما * واذا انت قلت قولا فزنه

ويروى ان رجلا اتى بعض العلماء فاثنى عليه في وجهه ثم ساله عن الزهد في الدنيا ماهو فقال له يا بطال تسئل عن الزهد في الدنيا وانت لا تزهد في الكلام فكيف تزهد في الدنيا اذهب فاعمل في ضبط لسانك عشرين سنة ثم بعد ذلك فاسئل عن الزهد والله اعلم *(فصل)*

فى فضيله الكلام اعلم انه وان اطنبنا فى فضل الصمت
فان الكلام الحسن افضل منه لان فى الصمت السلامة
وفى التكلم بالخير الغنيمة والكرامة الا ترى الى قوله عليه
السلام رحم الله من قال خيرا فغنم او سكت عن شر
فسلم وقال الله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام
مع الملك فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين وانما
بان فضله بكلامه ويقال ان يوسف لما دخل على الملك كلمه
الملك بسبعين لسانا فاجابه يوسف عنها كلها ثم كلمه
يوسف بالعبرانية فلم يكن عند الملك منها شئ فقال ما هذا
اللسان فقال يوسف لسان ابراهيم واسحاق ويعقوب
ثم كلمه يوسف بالعربية فلم يعرفها الملك فقال ما هذا
اللسان قال لسان نبى يبعث فى آخر الزمان وهو لسان
امته وهو كلام اهل الجنة فى الجنة فقال له الملك يا يوسف
بارك الله لك فى العقل الذى به فهمت وبارك الله لك
فى الفهم الذى به نطقت وبارك الله لك [illegible]
به فسرت وعبرت ويقال من افضل [illegible]
يمدح بالكلام ولا يمدح الكلام بالصمت وما عبر عن شئ
فهو افضل منه وقال بعض العلماء ما احسن الكلام واحسن
منه معناه وما احسن المعنى واحسن [illegible]
احسن العمل واحسن منه ثوابه [illegible]
منه رضى من عملت له قال

لولا الكلام لما تبين الهدى * وتفصلت فى ديننا الاحكام

ويقال الصمت منام والكلام يقظة وقال بعض الادباء

كلام المرء وافداد به وقال بعض البلغاء يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى اصله بفعله وعن سليمان بن عبد الملك انه ذم الكلام في مجلسه فقال كلا ان من تكلم فاحسن قدر ان يسكت فيحسن وليس كل من سكت فاحسن قدر ان يتكلم فيحسن وانشد لابي الفتح البستي *

تكلم وسدد ما استطعت فانما * كلامك حي والسكوت جماد

فان لم تجد قولا سديدا تقوله * فصمتك عن غير السداد سداد

وقال بعض الحكماء ان الله رفع درجة اللسان عن سائر الجوارح فانطقه بتوحيده ويروى ان النبي عليه السلام قال لعمه العباس يعجبني جمالك قال وما جمال الرجل يا رسول الله قال لسانه وقال خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان هل كان الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة وقال بعض الحكماء اللسان وزير الانسان قال ابو تمام *

ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خدم الفؤاد

وقال الشاعر

رايت العز في ادب وعقل * وفي الجهل المذلة والهوان

وما حسن الرجال لهم بحسن * اذا لم يسعد الحسن البيان

كفى بالمرء عيبا ان تراه * له وجه وليس له لسان

واعلم ان للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها ولا يعرى من النقص الا باستيعابها وهي اربعة شروط احدها ان يكون الكلام لداع يدعوه اليه اما في اجتلاب نفع او دفع ضرر لان ما لا داعي له ولا سبب هذيان وهجر ومن سامح نفسه في الكلام اذا عرض ولم يراع صحة دواعيه واصابة

معانيه كان قوله مردودا ورايه مفلولا كالذى حكى ابن عائشة ان شابا كان يجالس الاحنف ويطيل الصمت فاعجب ذلك الاحنف فخلت الحلقة يوما فقال الاحنف تكلم يا ابن اخى فقال يا عم ارايت لو ان رجلا سقط من شرفة هذا المسجد اكان يضره شئ فقال يا ابن اخى ليتنا تركناك مستورا ثم تمثل الاحنف بقول الاعور الشنى

وكاين ترى من ساكت لك معجب * زيادته ونقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وكالذى حكى عن ابى يوسف الفقيه ان رجلا كان يجلس اليه فيطيل الصمت فقال له ابو يوسف الا تسئل قال بلى متى يفطر الصائم قال اذا غربت الشمس قال فان لم تغرب الى نصف الليل قال فتبسم ابو يوسف وتمثل ببيتى الخطفاء جد جرير فقال

عجبت بازراء العيى بنفسه * وصمت الذى قد كان بالعلم اعلما
وفى الصمت ستر للعيى وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

وانظر كيف ابان الكلام عن جهل هذين اذ لم يكن لهما داع اليه ولا روية فيما تكلما به ولو صدر عن روية ودعى اليه داع لسلما من شينه وبرءا من عيبه ولذلك قال عليه السلام لسان العاقل من وراء قلبه فاذا اراد الكلام رجع الى قلبه فان كان له تكلم وان كان عليه امسك وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له الشرط الثانى ان ياتى بالكلام فى موضعه فان الكلام فى غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به وما لا ينفع من الكلام فهو هذيان

فان قدم ما يقتضى التاخير كان عجلة وخرقا وان اخر ما
يقتضى التقديم كان توانيا وعجزا لان لكل مقام قولا وفى
كل زمان عملا وانشدوا *

تحدث بصدق ان تحدثت وليكن * لكل حديث من حديثك حين
وما القول الا كالثياب فبعضها * عليك وبعض فى التخوت مصون

وقال آخر

تضع الحديث على مواضعه * وكلامها من بعده نزر

[illegible] الشرط [illegible] الاقتصار منه على قدر الحاجة لانه ان لم
ينحصر كان اما عيا وحصرا ان قصر واما هذرا وخطلا ان
كثر ويروى ان اعرابيا تكلم عند النبى عليه السلام فطول
فقال له عليه السلام كم دون لسانك من حجاب فقال
شفتى [illegible] قال فان الله يكره الانبعاق فى الكلام
فنضر الله [illegible] اوجز فى كلامه واقتصر على حاجته
وحكى ان بعض الحكماء راى رجلا يكثر الكلام ويقل السكوت
فقال [illegible] انما خلق لك اذنين ولسانا واحدا ليكون
[illegible] تتكلم به وذهب بعضهم الى ان الكلام
اذا كثر [illegible] فهو البيان والسحر الحلال وقيل لا باس
[illegible] الا كثرة الكلام قال افتسمعون
[illegible] لا بل صوابا قال فالزيادة من الخير
خير [illegible] عن الجاحظ انه قال ليس الامر كما قال لان للكلام
غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال
[illegible] الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر
وقال بعض البلغاء عى تسلم به خير من نطق تندم عليه

فاقتصر من الكلام على ما يقيم حجتك ويبلغ حاجتك واياك
وفضوله فانها تزل القدم وتورث الندم وقال بعض
الفصحاء فم العاقل ملجم اذا هم بالكلام احجم وفم الجاهل
مطلق كلما شاء اطلق وقال الشاعر *
ان الكلام يغر القوم حلوته * حتى يلج بهم عي واكثار
وقول الجاحظ امثل لان الاكثار من الكلام وان كان
صوابا يمل السامع ويكل الخاطر فهو صادر عن اعجاب
لولاه لقصر عنه ومن اعجب بكلامه استرسل فيه
فيكثر زلله ويدوم عثاره وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابغضكم الى المتفيهق
المكثار والملح المهذار والله اعلم الشرط الرابع هو
اختيار اللفظ الذي يتكلم به لان اللسان عنوان الانسان
يترجم عن مجهوله ويبرهن عن محصوله فلزمه ان يكون
بتهذيب الفاظه جديرا وليس يصح اختيار الكلام الا
لمن اعتاد البلاغة ولزم الفصاحة فلا ياتي بلفظ مستكره
ولا بمعنى مختل لان البلاغة ليست معاني مقدرة ولا
الفاظا عارية وانما البلاغة ان تكون المعاني الصحيحة
مستودعة في الفاظ صحيحة فصيحة فتكون فصاحة
الالفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة وقيل لليوناني
ما البلاغة قال اختيار الكلام وتصحيح الاقسام وقيل
للرومي فقال حسن الاقتصاد عند البديهة والغزارة يوم
الاطالة وقيل للعربي فقال ما حسن ايجازه وقل مجازه
وقيل للحضرمي فقال ما كثر اعجازه وتناسبت صدوره واعجازه

قال الشـــاعر * * *

خير الكلام قليل * على كثير دليـــل
والعي معنى قصير * يحويه لفظ طويل
وفي الكلام فضول * وفيه قال وقيـــل

واما صحة المعانى فتكون من ثلاثة اوجه احدها ايضـاح تفسيرها حتى لا تكون مشكلة ولا مجملة والثانى استيفاء تقسيمها حتى لا يدخل فيه ما ليس منها ولا يخرج عنهـــا ما هو منها والثالث صحة مقابلاتها اعنى مقابلة المعنى بما يوافقه فى الائتلاف او بما يضاده مع الاختلاف واما فصاحة الالفاظ فتكون من ثلاثة اوجه احدها مجانبة الغريب الوحشى حتى لا يمجه سمع ولا ينفر منه طبع والثانى تنكب اللفظ المستبذل والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصى ولا ينبو عن فهمه عامى والثالث ان تكون بين الالفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة فالمناسبة معناها ان يكون المعنى يليق ببعض الالفاظ والمطابقة معناها ان تكون الالفاظ كالقوالب لمعانيها فلا يزيد عليها ولا ينقص منها وقد قال بعض البلغاء لا يكون البليغ بليغا حتى يكون معنى كلامه اسبق الى فهمك من لفظه الى سمعك واما معاطات الاعراب وتجنب اللحن فانما هو من صفة الصواب والبلاغة اعلى منه رتبة واشرف منزلة وليس لمن لحن فى كلامه مدخل فى الادباء فضلا عن ان يكون فى عدد البلغاء الفصحاء واعلم ان للكلام آدابا ان اغفلها

المتكلم اذهب رونق كلامه وشغل الناس عن محاسن لفظه
مساوى ادبه منها ان لا يتجاوز فى مدح ولا يسرف فى
ذم وعلى ان السلامة من الكذب فيهما متعذرة وحكى
عن الاحنف انه قال سهرت ليلتى اتفكر فى كلمة ارضى بها
سلطانى ولا اسخط بها ربى فما وجدتها وعن ابن مسعود
انه قال ان الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه ويخرج
وما معه دينه قيل وكيف ذلك قال يرضيه بما يسخط
الله تعالى قال وسمع ابن الرومى رجلا يصف رجلا ويبالغ
فى مدحه فقال ابن الرومى *

اذا ما وصفت امرأ لامرئ * فلا تغل فى وصفه واقصد
فانك ان تغل تغل الظنون * فيه الى الامد الابعد
فيضؤل من حيث فخمته * بفضل المغيب على المشهد

ومنها ان لا تبعثه الرغبة ولا الرهبة على الاسترسال فى
وعد او وعيد يعجز عن الوفاء بهما فان من اطلق بهما لسانه
ولم يستقل بهما فعله صار وعده نكثا ووعيده عجزا
وحكى ان سليمان عليه السلام مر بعصفور يدور حول عصفورة
فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا لا يا نبى الله فقال انه
يخطبها الى نفسه وهو يقول زوجينى نفسك اسكنك
اى غرف دمشق شئت قال سليمان عليه السلام وكذب
العصفور غرف دمشق مبنية بالصخر وليس يقدر ان
يسكنها هناك ولكن كل خاطب كذاب ومنها ان يراعى
مخارج كلامه بحسب مقاصده فان كان ترغيبا قرنه
باللين واللطف وان كان ترهيبا قرنه بالخشونة والعنف

لئلا يتعطل المقصود بهما ويصير الكلام لغوا وقد قال ابو الاسود الدؤلى لابنه اذا كنت فى قوم فلا تتكلم بكلام من فوقك فيمقتوك ولا بكلام من دونك فيزدروك ومنها ان لا يرفع بكلامه صوتا مستقبحا ولا ينزعج انزعاجا مستهجنا وليكف عن حركة تكون طيشا وعن اشارة تكون عيثا فان نقص الطيش اكثر من فضل البلاغة وقد حكى ان الحجاج قال لاعرابى اخطيب انا قال نعم لولا انك تكثر الرد وتشير باليد وتقول امابعد ومنها ان يتجافى هجر القول وفحش الكلام وليعدل الى الكناية عما يستقبح صريحه ليبلغ الغرض ولسانه نزه وعن محمد بن على فى تاويل قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قال كانوا اذا ذكروا الفروج كنوا عنها وما يجرى مجرى فحش القول فى وجوب اجتنابه ماكان مستنكر الظاهر وان كان مع التامل سليما مثل قول الشاعر

انى شيخ كبير كافر بالله سيرى * انت ربى والهى رازق الطفل الصغير

يريد بقوله كافر اى لابس لان الكفر فى اللغة التغطية وقوله بالله سيرى اقسم عليها بالله ان تسير وقوله انت ربى يعنى مربى ولدك والهى رازق الطفل الصغير كما انه رازق الكبير انظر الى هذا التكلف البشيع ما اعتاض به صاحبه الا لوما بما الكفر ان احسن فيه الظن او ذما ان قوى فيه الارتياب ولعل مايكون ذلك الا من خليع بطر او متباب اشر ومنها ان يجتنب امثال العامة الغوغاء ويتخصص بامثال العلماء والادباء فان لكل صنف من الناس امثالا تشاكلهم فلا تجد لساقط الامثال ساقطا قال الصنوبرى *

وللسقاط امثال فمنها * تمثلهم لدا الشئ المريب
اذا ماكنت ذا بول صحيح * الا فاضرب به وجه الطبيب

ولذلك علتان احداهما ان الامثال من هواجس الهمم مع تجرد لذى الهمة الساقطة فلم تجد لذى الهمة الساقطة الامثلا مرذولا والثانى ان الامثال مستخرجة من احوال المتمثلين بها فبحسب ماهم عليه يكون امثالهم واعلم ان للامثال مواقع فى الاسماع وتاثيرا فى القلوب لان المعانى بها لائحة والعقول لها موافقة ولذلك ضرب الله الامثال فى كتابه واوضح بها الحجة على خلقه لانها مقبولة فى القلوب ولها اربعة شروط احدها صحة التشبيه واصابة التمثيل والثانى ان يكون العلم بها سابقا والكلام عليها موافقا والثالث ان يسرع وصولها الى الفهم من غير كد فكر فى استخراجها الرابع ان يناسب حال السامع ليكون ابلغ تاثيرا واحسن موقعا فاذا جمعت الامثال هذه الشروط الاربعة كانت زينة الكلام وحلا المعانى والله اعلم والحكم وبالحول والتوفيق

(الباب الثالث) فى تنزيه السمع اعلم ارشدك الله ان كل لفظ يجب العقاب عليه حرام عليك الاستماع اليه فان القائل والمستمع شريكان فى شر القول وخيره قال الله سبحانه وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها الى قوله انكم اذا مثلهم وفى الحديث المستمع شريك القائل والمستمع الى الغيبة احد المغتابين فالواجب على الانسان ان يصون سمعه عن لفظ المنكر والبدعة والفحش والخنا كما انه واجب عليه ان يصون لسانه عن التكلم به قال الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث الاية قيل انها نزلت فى استماع الغنا وعن ابن مسعود

رحمه الله انه قال الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء
الزرع وروى عن نافع انه قال سمع ابن عمر في سفر صوت زمارة راع
فعدل راحلته عن الطريق وجعل اصبعيه في اذنيه وهو يقول
يا نافع اتسمع فاقول نعم حتى اذا قلت لا ارسل اصبعيه وعاود
الطريق ويقال الاستماع الى الغناء ينبت النفاق في القلب
ويحرق خصب الايمان وفي الحديث من سمع صوت غناء فالتذ
به لم تقبل له صلاة الى ذلك الوقت من الغد ومن غنا كذلك ورد
الخبر وعن محمد بن المكندر انه قال بلغنا ان الله عز وجل يقول
يوم القيامة اين عبادي الذين كانوا ينزهون انفسهم واسماعهم
عن اللهو ومزامير الشيطان احلوهم رياض المسك واخبروهم اني
قد احللت عليهم رضواني وسئل القاسم بن محمد عن الغناء احرام
هو فسكت ثم اعيد عليه السؤال فقال للسائل ان الحرام هو ما حرمه
الله في القرآن ارايت اذا اوتي بالحق والباطل الى الله عز وجل في
ايهما يكون الغناء قال السائل في الباطل قال له القاسم وانت فافت
لنفسك وروى عن النبي عليه السلام انه قال من استمع الى حديث
قوم وهم يفرون منه صب في اذنيه الآنك يوم القيامة وقال
بعض العلماء اذا رايت قوما اجتمعوا الصوت الغناء فلعبوا ولهوا
فاجتنبوهم فانهم عن سبيل الحق قد ضلوا وعموا وقال نزهوا
اصواتكم عن صوت الغناء والشتم فانه يقسي القلوب ويصم
الهمم ويخرج عظمة الله من قلب سامعه وينبت خصب النفاق
في قلب قائله ولا تصغوا لفحشاء الكلام فانه شر لكم ووبال عليكم
فان الشر اذا ثبت في القلب صعبت على العبد معالجة زواله والخير
اذا رسخ في القلب سهلت على العبد معالجة كماله ويقال نزه سمعك

عن كلام النساء فان فيه لذة ومكامن الفتنة فمن سمع كلاما والتذبه اشتاق الى الرؤية فعلى العبد صيانة سمعه عن الخنا وفضول الكلام وذلك لامرين احدهما كما قدمنا ان المستمع شريك القائل قال الشاعر *

تحرمن الطرق اوساطها * وعد عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند استماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

والامر الثانى ان ذلك يهيج الخواطر والوساوس فى القلب ثم تبدو الاشتغال من البدن فما يبقى بعد ذلك شئ للعبادة ويقال مثل الكلام الذى يقع فى قلب انسان وسمعه كالطعام الذى يقع فى جوفه منه الغذاء النافع ومنه السم النافع بل بقاء الكلام فى القلب اعظم واطول لان الطعام يزول عن المعدة وله دواء يزيل عن الجسم اثره واما الكلام فى القلب فربما يبقى طول عمر الانسان ولا ينساه فان كان كلاما رديئا فلا يزال يتبعه ويعنيه وترد بسببه وساوس فى القلب يحتاج ان يعرض عنها وعن ذكرها ويستعيذ بالله من شرها ولا يامن ان تحمله على بلية توقعه فى آفة عظيمة بسبب ذلك ولو حفظ سمعه عما لا يعنيه لكان من هذه المؤنة مستريحا قال *

احب الفتى ينفى الفواحش سمعه * كان به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعى الصدر لا باسط اذى * ولا مانع خيرا ولا قائل هجرا

وروى عن الحسن انه قال ان المؤمن اسير فى الدنيا يسعى فى فكاك رقبته لا يامن شيئا حتى يلقى الله تعالى يعلم انه ماخوذ عليه فى لسانه وسمعه وسائر جوارحه والله اعلم *

(الباب الرابع) في غض البصر اعلم ان لكل شئ سببا وسبب العفة غض البصر فليحذر الانسان ان ينظر الى ما حرم الله عليه تلذذا وليحفظ من خطاب سيده ما عهد به اليه قال الله سبحانه قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية يعني يكفوا عن النظر الى ما لا ينبغي لان الله تعالى انما خلق العينين ليهتدى بهما العبد في الظلمات ويستعين بهما في الحاجات وينظر بهما الى ملكوت الارض والسموات فيعتبر بما فيهما من الآيات فالواجب ان يحفظهما الانسان من ثلاثة اشياء احدها ان لا ينظر الى غير ذات محرم منه وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال النظر الى محاسن النساء سهم مسموم من نبال ابليس فمن غض بصره اذاقه الله عبادة يجد طعم لذتها وروى عن ابي مرداس مهاصر رحمه الله انه نظر الى امراة مكشوفة الراس فصام لذلك سنة وعن محمد بن سيرين انه قال ما ثبت في وجه امراة قط الا ثلاث نسوة امي واختي وامراتي ويقال ان حسان بن ابي سنان انصرف من العيد فقالت له امراته كم من امراة حسنا نظرت اليها اليوم فقال لها ويحك ما جاوز بصري ابهامي منذ خرجت عنك حتى رجعت اليك وقال بعض العلماء النظرة الاولى فجأة والثانية فتنة والثالثة ريبة ومن كتاب محجة السعادة قال ولا تجعل محاسن النساء علقا لعينيك فتخرج عظمة الله من قلبك فان النظر الى محاسن النساء خربة للدين فانهن شباك نصبن فيصطاد بهن اللعين فاحذروهن فانهن كحل جهنم لاعينكم وسموم اراقيها لفروجكم وقسوة تميت قلوبكم ومرض يشين

ايمانكم وداء يبعدكم عن مليككم فلهن تمثيل يعرض عنها خياركم
ويستنشقها شراركم وقال ابن عبد الله محاسن النساء بحر
من سم نافع وغض البصر سفينة من عود مانع فمن ركب
السفينة نجا ومن تخلف عنها غرق وقال بعض المتقدمين
لا يجوز ترديد النظر الى امراة شابة من ذوى المحارم الا عند
الضرورة كالشهادة ونحوها ولهذا ابيح النظر الى النساء
القواعد التى لا يرجون نكاحا والسلامة من ذلك افضل
وقال ابن عبد الله يا ابن آدم دينك قطن ومحاسن النساء زيت
ومكائد الشيطان نار واياك والجمع بينهم فانه مراد الشيطان
وامنيته والثانى ان لا ينظر بهما الى الصور المليحة بشهوة
قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الى قوله ذلك
ازكى لهم ويقال فى هذه الآية ثلاثة معان تاديب وتنبيه
وتهديد اما التاديب فقوله قل للمؤمنين يغضوا الآية وهو
امر واجب لابد للعبد من امتثاله والتاديب بآداب سيده والا
فقد استحق العقاب والطرد والحجاب واما التنبيه فقوله
ذلك ازكى لهم اى اطهر لقلوبهم لان الزكاة الطهارة وقيل
ازكى لهم انمى لخيرهم واكثر لان الزكاة فى الاصل النمو
والزيادة فنبه ان فى غض البصر تطهير القلب وتكثير
الطاعة والخير وفى ارساله بالنظر الى الحرام تعمدا ذنب كبير
وربما فسد به القلب ابدا وقد ورد فى الخبر ان العبد لينظر
النظرة ينغل فيها قلبه كما ينغل الاديم فى الدباغ لا ينتفع به
ابدا واما التهديد فقوله ان الله خبير بما يصنعون وقوله
يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وينشد *

ان العيون على القلوب اذا جنت * كانت بليتها على الانسان
وقد روى عن عيسى عليه السلام انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها لصاحبها فتنة وقال على بن ابى طالب العيون مصائد الشيطان وقال النبى عليه السلام لعلى بن ابى طالب لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك والثانية عليك وفى قوله لا تتبع النظرة النظرة تاويلان احدهما لا تتبع نظر عينيك نظر قلبك والثانى لا تتبع النظرة الاولى التى وقعت سهوا بالنظرة الثانية التى توقعها عمدا وقال بعض الحكماء من ارسل طرفه اورده حتفه واطال اسفه وقال ذو النون نعم حاجب الشهوة غض البصر قال الشاعر * * *
وانت اذا ارسلت طرفك رائدا * لعينك يوما اتبعتك المناظر
رايت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر
وفى المثل رب حرب جنيت من لفظة وعشق غرس من لحظة ومن كتاب محجة السعادة قال ابن عبد الحميد غضوا ابصاركم عن محارم الله عز وجل تجل عظمته فى قلوبكم وتجول فى ملكوت السماء عقولكم وقال ابن عبد الله غضوا ابصاركم فانه يزيد الايمان كمالا ويزيد المؤمن جمالا ويزيد الشيطان نكالا وتجدد لذات الطاعة فى قلوبكم وتبدو معالم الايمان فى صدوركم قال ابن عبد الحميد رايت امراة كنت اعرفها مجتازة لبعض حاجاتها فمرت برجل فاهتز لرؤيتها اهتزازا عظيما وانا انظر اليه فنظر اليه ابن عبد الله وقال له اردد نظرك واغضض بصرك واغتنم عمرك واحذر الاناث وانبذ الشهوات

فان العرض ءات وكل شهوة تزول تورث حزنا يطول ولا تقرع من الشر بابا هو عندك مقفول فان شر الذكور من تلذذ بالمحظور وهتك المستور ولا تجعل دينك نفقة لشهوتك ولا محرما طعما لمقلتك ولا تحول دنياك من آخرتك فان النظر الى الشر شر والوقوف مع الحق مر ولن يخفى على الله من امرك امر ولو عرفت ما خلقت له لاشتغلت عما انت فيه لكن الغافلون في سكرة وحيرة وروى ان بعض العلماء كان اذا مشى لم يلتفت وكان يقول من هون العالم ان يكثر الالتفات اذا مشى ويقال كثرة الالتفات من علامة النفاق وروى ان رجلا وقف على باب النبي عليه السلام ليستأذنه فوقف على الباب فقال له النبي عليه السلام هكذا عنك انما الاستئذان لاجل النظر وعن سعيد بن جبير انه قال انما جاءت فتنة داود عليه السلام من اجل النظرة فقال داود لابنه سليمان عليه السلام امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى بن زكرياء عليه السلام ما بدأ الزنا قال النظر والتمني وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لان يزاحم احدكم جملا اجرب مطليا بقطران احب اليه من ان يزاحم امراة وقال مجاهد غض البصر يورث محبة الله تعالى ويقال كان الربيع بن خيثم من مداومته على غض البصر ان النساء اذا مررن به كن يقلن ما اجمله الا انه اعمى وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال من سره ان ينظر الى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى هدى عمرو بن الاسود كان اذا خرج من بيته خرج متقنعا بثوبه آخذا بيمينه على شماله يمشي الى المسجد وينظر

الى موضع قدميه واذا دخل المسجد قال الحمد لله رب العالمين
الذى عافانى من الخبيث وانشدوا لمحمود الوراق *
من اطلق الطرف اجتنا شهوة * وحارس الشهوة غض البصر
يطوى لسان المرء اخباره * والطرف لا يملك طى الخبر
وللدارمى
ما ضر جارا الى اجاوره * ان لا يكون لبابه ستر
غيره
واذا بدت لى جارتى فرايتها * فمن المروءة ان اغض جفونى
ويقال نظر بعض القراء الى غلام بشهوة فعوقب بنسيان
القرآن ويقال نظر حماد بن الهيثم الى غلام فقال كم من عزيز
اذله الله بنظرة جعلها سببا لخسران دنياه وآخرته فلقيه
وهو عليه بها ساخط شغله بوجه خائل وبلاء قاتل فاحبط
الله عمله وخيب من عفوه امله قال ونظر طلحة بن رويم الى
غلام فقال ويحك يا عين كم تنظرين ومن نظر الله اليك لا ترعوين
ومن اليم عقابه لا ترهبين ومن شديد وعيده لا تخافين وفيما
يدنيك من جناته لا ترغبين حتى متى انا من نظرك فى عناء
وقلبى منك فى بلاء وجسمى منك فى ضنى اتاح الله لك العمى
وحكم لى عليك باحسن القضاء حتى لا تنظرين ارضا ولا سماء
وعوضنى منك جميل الرضى قال ونظر غانم بن هشام الى
غلام فقرا ذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون ثم قال اللهم لا تستدرجنا من حيث لا نعلم
وارجع بنا الى توبة تقربنا من رحمتك وتدنينا من عفوك
ولا تسلط علينا لحظات هى اعمل فى قلوبنا من السيوف المرهفات

خ مائل

والمنايا القاضيات قال بعض الشعراء *

ساق طرفي الى فؤادي البلايا * ان طرفي على الفؤاد مشوم
ان يكن ينفع البكاء عليهم * فابك حتى تموت يا محروم

وقال ونظر تميم بن علوان الى غلام فقال واشؤم نظري واشؤم صباحي قيل له ما امرك قال نظرت الى وجه خلقه الله بلاء على الناظرين وفتنة للعاصين وقد تخوفت ان اكون في نظري هذا من جملة الفاسقين قال ونظر امية بن ابي الصلت الى غلام فقال اين الفرار من سجن الله وقد ... بملائكة غلاظ شداد تبارك الله ما اعظم ما امتحنني به من النظر الى هذا الغلام ما شبهت نظري اليه الا بنار وقعت في قصب يوم ريح عاصف فما ابقت ولا تركت ثم قال استغفر الله ما جنته عيناي على قلبي لقد خفت ان لا انجو من معرته ولو وافقت القيامة بعمل سبعين صديقا ثم بكى حتى كاد ان يقضي ثم قال يا طرفي والله لاشغلنك بالبكاء عن النظر الى البلاء ونظر الحكم الى غلام فقال عيون تنظر وقلوب تشغل ونفوس تذهل وارواح تذهب واجساد تضنى واعمار تفنى وصحف لا تطوى وكتب لا تبلى وذنوب لا تنسى فسبحان من اضحك هذه العيون بالنظر الى المنايا القاضيات فليتها اذ نظرت ما ابت ولا رجعت قال شعر

يقولون لا تنظر فتلك بلية * بلى كل ذي عينين لا بد ناظر

وقال بعض الصوفية رايت راهبا في بعض بلاد الشام قد اشرف من صومعته وهو يكلم غلاما جميلا من النصارى ويتبسم اليه فقلت له ينبغي لمن كان بهذه المنزلة ...

الراهب ان لا يتبسم في وجه من لا تؤمن فتنته عليه ولا
سرعة احتيال الشيطان اليه قال فبكى فقال هو لعمري
كما قلت غير اني اعاهد الله تعالى ان لا افتح عيني سنة عقوبة
لها ثم غض عينيه وادخل راسه في صومعته فانصرفت
عنه وهو يبكي وينتحب قال ونظر بعض الصوفية الى
غلام فقرا وعنت الوجوه للحي القيوم الآية ثم قال كأن
عيوننا ليست لها اطباق وكأن نفوسنا ليست لها اغلاق من
نظرة تطغيها وشهوة ترديها قال ونظر علي بن طاهر الى
غلام فقال ان العيون رسل القلوب الى حاجتها مساعدة لها
على شهواتها ولا اعلم رسولا اشد خيانة ولا ادل على بلية
كامنة منها احذرك يا نفسي من نظر يكون اوله حيرة وآخره
حسرة قال ونظر احمد بن ابي الحواري الى رجل يضاحك
غلاما جميلا فقال ايها الناظر الى هلكته والواقف على
معرته لقلة معرفته هل تدري بين يدي من انت واقف
قال وبين يدي من انا قال بين يدي من تمور السماء لهيبته
وتسير الجبال لخشيته وتقف المياه بقدرته وتسكن
الرياح لعظمته وتذل الملوك لعزته فقال فسقط الرجل
مغشيا عليه وانشدوا *

نظرت عيني لحيني * منظرا اوفى شيني

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
العينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما
اللمس والرجلان تزنيان وزناهما المشي والقلب يتمنى
ويشتهي ويصدق ذلك ويكذبه الفرج الثالث ان لا ينظر

بهما الى عورة آدمى ذكرا كان او انثى وقد قال عليه السلام
ملعون من نظر الى عورة اخيه او قال الى فرج اخيه وقال
لعن الله الناظر والمنظور اليه يعنى فى امر العورة فالانثى
عورة بجميع بدنها وعورة الرجل من السرة الى الركبة والامة
مثل الرجل فى العورة ولكن نظر الشهوة حرام الى الرجال
والنساء وعن ابى الدرداء انه قال من غض بصره عن
نظرة الحرام زوج من الحور العين حيث احب ومن اطلع
فى بيوت الناس حشر يوم القيامة اعمى وعن داود الطائى
انه قال لرجل وقد احد النظر الى بعض من ينظر اليه قال
يا هذا اردد نظرك اليك فانه بلغنى ان الرجل يسئل عن
فضل نظره كما يسئل من فضل عمله قال وسئل يحيى بن
معاذ عن سبب الذنب فقال اعقل ما تقول فانها من مسائل
الصديقين اكشفه لك فان للذنب اسبابا ظاهرة وباطنة
فاول سببه الخطرة فان تداركتها ذهبت والا تولدت منها
الفكرة فان تداركتها ذهبت والا امتزجت الوسوسة بالفكرة
فتولدت بينهما الشهوة فان تداركت الشهوة بطلت وهذا
كله بعد فى الباطن والا تولد منها الطلب فتقع فى اسباب
الظاهر فى الطلب والسعى والوجود والموافقة قال فحرب
الصديقين مع الخطرة وحرب الابدال مع الفكرة وحرب
الزاهدين مع الشهوة وحرب التوابين مع الطلب وحرب
اهل التخليط مع الفكر وقال غيره اول الذنب النظرة ثم الخطرة
الى سائر اسبابه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من اطلع فى كتاب اخيه بغير اذنه فكانما ينظر فى النار وجملة

الا مران الله حرم النظر بالشهوة والنظر الى كل عورة والنظر
الى كل مستور عن الناس من كتاب سرا وبيت فيه حرمة
والنظر الى المسلم بعين المحقرة والنظر الى الدنيا بعين الرغبة
واما النظر الى المباح فليس بحرام ولكن التنزه عن كثرة
النظر افضل وفيما يروى عن بعض الحكماء انه قال اصل فساد
الدنيا والدين فى الفضول الاربعة فضول الكلام وفضول الطعام
وفضول اللباس وفضول النظر وقال بعض العلماء كل كلام
ليس بذكر الله فهو لغو وكل صمت ليس فيه تفكر فهو سهو وكل
نظر ليس فيه اعتبار فهو لهو وقال بعضهم البصر شبيه بالمرآة
المصقولة ومحاسن النساء تتجلى فيها والقلب ناظر لما يتجلى فى
المرآة فيلتذ به فيكون ضعف همته وعمى بصيرته بقدر ما
تمكن فيه من لذة ما يتجلى فى المرآة فاذا انظر فى انواع الملكوت
عشى عنها واذا نظر الى ظلمة ما يتجلى فى المرآة ارتاح الى ذلك
قال ومثله ايضا كمثل العين المرمودة اذا نظرت الى شعاع
الشمس او ضوء النهار عشيت عن ذلك واذا نظرت الى سواد
الظلمة ارتاحت اليها فمن كانت هذه صفته كانت ناصيته
بيد الشيطان قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا الآية فهذه صفة القلب الاعمى على الحقيقة
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور واعلم
ان حفظ الجوارح فريضة وترك الفضول فضيلة قال الله
سبحانه ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا
وينشد لابراهيم الشامى *

يامن يبيت على اللذات معتكفا * هل انت عن طلب اللذات منزجر

وعامل الجل سوف تشهده * يوما تكور فيه الشمس والقمر
لاتحقرن يسير الخير تفعله * فرب نفع لشئ وهو محتقر
وجانب الشر لا تسلك طريقته * ولا يكن لك في اصحابه اثر
فكل نفس ستجزي بالذى عملت * وليس للخلق من ديانهم وزد
تاتى الجلود وايدينا وارجلنا * فيشهدون معا والسمع والبصر
فنبئني كل من كانت جوارحه * هي الشهود عليه كيف يعتذر
ام اين يهرب ام ماذا يقول وهل * يطيق دفعا لها ام كيف ينتصر

(فصل) في ضبط الفرج عن الحرام قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الآية وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العفاف الى الله الفرج والبطن وقال عليه السلام من وقى شر ذبذبه ولقلقه وقبقبه فقد وقى يريد بذبذبه فرجه ولقلقه لسانه والقبقب البطن وروى ان معاوية سأل عمر عن المروءة فقال تقوى الله وصلة الرحم وسأل المغيرة فقال هي العفة عما حرم الله والحرفة فيما احل الله وسأل يزيد ابنه فقال هي الصبر على البلوى والشكر على النعماء والعفو عند المقدرة فقال معاوية انت مني حقا وقال انوشروان لابنه هرمز الكامل المروءة من حصن دينه ووصل رحمه واكرم اخوانه وقال بعض الحكماء من احب المكارم اجتنب المحارم ويقال عار الفضيحة يكدر لذتها وانشد للحسن بن علي * * *

الموت خير من ركوب العار * والعار خير من دخول النار
والله من هذا وهذا جار *

اعلم انه لا يصل العبد الى حفظ الفرج الا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن

الفكرة وحفظ البطن عن الشبهة والشبع فان هذه مغارس
الشهوة ومحركاتها فاذا لم يحترس من ذلك غاية الاحتراس
فانه قل ما ينجو من شر فرجه فان فكر فى الزنا ولم يفعله كان
كما روى عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر بنى اسراءيل
ان موسى نهاكم عن الزنا فنعما نهاكم عنه وانى انهاكم ان تحدثوا
به انفسكم فان مثل من حدث به نفسه ولم يعمل به كمثل بيت
مزخرف يوقد فيه فان لم يحترق اسود من الدخان فلعمرى
لكذلك فان وقع فى زنا الفرج سلب الايمان كما قال عليه
السلام اذا زنا الزانى سلب الايمان واذا تاب البسه وقال
عليه السلام لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن مع ما
ينضم الى سلب الايمان من عقوبات الدنيا والآخرة كما روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والزنا فان
فيه ست خصال ثلاثا فى الدنيا وثلاثا فى الآخرة فاللواتى
فى الدنيا يقطع الرزق ويذهب بالبهاء ويعجل الفناء واللواتى
فى الآخرة سوء الحساب وسخط الرحمن والخلود فى النار وقد
قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة واوجب عليه
الحد فى الدنيا بالجلد والرجم مع ما يتحمل صاحبه من العار
سواء هذا الزنا كان منه بالاناث او بالذكور او بالبهائم وقد
قال الله تعالى مخبرا عن لوط عليه السلام اتاتون الذكران من
العالمين الآية وقال عليه السلام لعن الله من عمل عمل قوم لوط
قالها ثلاثا ثم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل
والمفعول به وذكر عن ابى بكر رضى الله عنه فى رجل وجد فى بعض
نواحى العرب ينكح كما تنكح المراة وقامت عليه بذلك بينة

فكان اشدهم فيه قول على بن ابى طالب وقال ان هذا ذنب
لم تعص الله به امة من الامم الا امة واحدة فصنع الله بها
ما علمتم ارى ان تحرقه بالنار فكتب ابوبكر الى خالد بن الوليد
ان يحرقه بالنار فحرقه بالنار فيما بلغنا غير واحد من الامراء
واوجبت طائفة على فاعله الرجم احصن اولم يحصن روى
ذلك عن على ايض وابن عباس وجابر بن زيد والشعبى وغيرهم
وذكروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اقتلوا
البهيمة وناكحها وقيل ان امراة سالت جابر بن زيد رضى الله عنه
فقالت ان زوجى كان ياتى شاتى افيحل لى لبنها فقال تسئلين
عن لبن شاتك وقد حرم عليك زوجك فكره جابر لبنها وقد
كرهوا ان يستمنى الرجل بيده لقوله تعالى والذين هم لفروجهم
حافظون ويروى ان ابن عباس او غيره سئل عن ذلك فقال
ذلك نائك نفسه ويقال انه يجئ يوم القيامة ويده حبلى
منه ويروى ان شابا كان فى مجلس ابن عباس فلما افترق
المجلس بقى الشاب فساله ابن عباس فقال اردت ان اسالك
وانا اجلك واهابك فقال ابن عباس العالم بمنزلة الوالد
فما افضيت به الى والدك فافض به الى عالمك فقال اليست
لى زوجة وربما استمنى بيدى فاعرض عنه ابن عباس
ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا
والله اعلم واحكم ويروى ان قوم لوط كانت فيهم عشر خصال
فاهلكهم الله بها كانوا يتغوطون فى الطرقات وتحت الاشجار
المثمرة وفى المياه الجارية وفى شطوط الانهار وكانوا يقذفون
الناس بالحصى فيعورونهم فاذا اجتمعوا فى المجالس اظهروا المنكر

باخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل
ان يتغوطوا ويأتون الطامة الكبرى وهى اللوطية قال الله تعالى
ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر
ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلاهق وضرب الدفوف وشرب
الخمور وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق ولبس الحرير
وتزيد عليهم هذه الامة باتيان النساء بعضهن بعضا *

(فصل) اعلم ان الداعى للزنا شيئان احدهما ارسال
الطرف وقد تقدم فيه ما فيه الكفاية والثانى اتباع الشهوة
لانها خداعة للعقول مستحسنة للقبائح وليس عطب الا
وهى له سبب ولذلك قال النبى عليه السلام اربع من كن
فيه وجبت له الجنة وحفظ من الشيطان من ملك نفسه
حين ترغب وحين ترهب وحين تشتهى وحين تغضب
وقهرها عن هذه الامور يكون بثلاثة امور احدها غض الطرف
عن اثارتها فانه الرائد المهلك والرسول الخائن المهالك وروى
عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تقبلوا
الى بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هى يا رسول الله قال
اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اؤتمن
فلا يخن وغضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم
والثانى ترغيبها فى الحلال [illegible] واقناعها بالمباح بدلا
لان الله عز وجل [illegible] شيئا الا واغنى عنه بمباح من جنسه
لما عليه من [illegible] تركيب الفطرة ليكون ذلك عونا
على [illegible] رضى الله
عنه انه [illegible] الا واعان عليه ولا نهى عن شى

الا واغنى عنه الثالث اشعار النفس بتقوى الله عز وجل
في اوامره واتقاؤه في زواجره والزامها ما الزم من طاعته وتحذيرها
ما حذر من معصيته واعلامها انه لا يخفى عليه ضمير ولا يعزب
عنه قطمير وانه يجازي المحسن ويكافي المسيئ بذلك نزلت
كتبه وبلغت رسله وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان آخر
ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية وآخر
ما نزل من التوراة اذا لم تستح فاصنع ما شئت وآخر ما نزل من
الانجيل شر الناس من لا يبالى ان يراه الناس مسيئا وآخر ما
نزل من الزبور من يزرع خيرا يحصد غبطة واعون الاشياء
على ترك الزنا ومخالفة الهوى الصبر وادامة الصوم مع تقليل
الطعام واشغال النفس مع الحياء وهو على ثلاثة اوجه
احدها حياؤه من الله تعالى والثاني حياؤه من الناس
والثالث حياؤه من نفسه فاما حياؤه من الله تعالى فيكون
بامتثال اوامره والكف عن زواجره وعن ابن مسعود رضى الله
عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا
من الله حق الحياء قيل يا رسول الله كيف نستحيى من الله
حق الحياء قال من حفظ الراس وما حوى والبطن وما وعا
وترك زينة الحياة الدنيا وذكر الموت والبلا فقد استحيى من
الله حق الحيا وروى ان علقمة بن علاثة قال يا رسول الله
عظني فقال استحيى من الله استحياءك من ذي الهيبة من
قومك وهذا النوع من الحياء يكون من قوة اليقين وقد
قال عليه السلام الحياء نظام الايمان فاذا انحل نظام الشيئ
تبدد ما فيه وتفرق واما حياؤه من الناس فيكون بكف

الاذى والمجاهرة بالقبيح وقد قال عليه السلام ان من تقوى
الله اتقاء الناس وروى ان حذيفة رضى الله عنه اتى الجمعة
فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس فقال لا خير
فيمن لا يستحيى من الناس وينشد لبشار بن برد *
ولقد اصرف الفؤاد عن الشى * ء حياء وجبة فى السواد
امسك النفس بالعفاف وامسى * ذاكرا فى غد حديثا لاعاد
وهذا النوع من الحياء يكون من كمال المروءة وحب الثناء ولذلك
قال عليه السلام من القى جلباب الحياء فلا غيبة له يعنى لقلة
مروءته وقال ايضا ان من مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه
ومجلسه والفه وجليسه وانشد لبعض الشعراء *
واعرض عن مطاعم قد اراها * واتركها وفى بطنى انطواء
اما والله ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
ورب قبيحة ما حال بينى * وبين ركوبها الا الحياء
اذا رزق الفتى وجها وقوحا * تقلب فى الامور كما يشاء
وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقال مما ادرك الناس من كلام النبوة
اذا لم تستحيى فاصنع ما شئت قيل معناه اذا لم يستحيى دعاه
ترك الحياء الى ان يعمل ما يشاء فليستحيى فان الحياء يردع
الانسان وقيل معناه اذا عرضت عليك افعالك التى هممت
بها فلم تستحيى منها لحسنها فاصنع ما شئت منها قال الشاعر
اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحيى فافعل ما تشاء

آخر

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * ولم تخش مخلوقا فما شئت فاصنع
واما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات

وقد قال بعض الحكماء ليكن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك من غيرك وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فمتى كمل حياء الانسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه اسباب الخير وانتفت عنه اسباب الشر مع ما قدمنا من مجاهدة النفس وترك الخلوة بمن لا تؤمن منه الفتنة والتباعد عنهم فان ذلك من اقوى اسباب السلامة قال الشاعر *

واني ليثنيني عن الجهل والخنا * وعن شتم ذي القربى خلائق اربع
حياء واسلام وتقوى وانني * كريم ومثلي من يضر وينفع

ولا ينبغي للانسان ان يحسن الظن بنفسه فيخلو بمن لا تؤمن فتنته من امرأة او غلام اعتمادا على انه قوي على مجاهدة نفسه عند هجوم الشهوة عليه قال الشاعر *

لا تامنن على النساء اخا اخي * ما في الرجال على النساء امين
كل الرجال وان تعفف جهده * لا بد ان بنظرة سيخون

وهذا يوسف الصديق صلى الله على نبينا وعليه في عصمته يقول ان النفس لامارة بالسوء الآية وقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن الآية وقال عليه السلام لا يخلون احدكم بامرأة ليست بذات محرم منه فان الشيطان احدهما او قال ثالثهما وليحذر ايضا عن مواضع التهمة فان من يدخل مداخل السوء يتهم وكفى بصاحب التهمة شرا ان صحت عليه التهمة افتضح وان لم تصح ارتهن في الائمة المتهومين وتحمل ذلة المذنبين وقد

قال عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وليحذر ان يجعل الى نفسه سبيلا من تصديق التهم فما كل ريبة ينفيها حسن الثقة هذا رسول الله وهو ابعد خلق الله من الريب واصونهم عن التهم وقف مع زوجته صفية ذات ليلة على باب مسجده يحادثها وكان معتكفا فمر به رجلان من الانصار فلما رأياه اسرعا فقال لهما على رسلكما انها صفية بنت حيى فقالا سبحان الله او يتخالجنا شك فيك يا رسول الله فقال مه ان الشيطان ليجرى من احدكم مجرى لحمه ودمه فخشيت ان يقذف فى قلوبكما سوءا فكيف بمن تخالجت فيه الشكوك وركبت فيه الشهوات وليس بمعصوم هل يعرى فى مواقف الريب من قاذف محقق ولائم مصدق وقد روى ان فتح الموصلى انه قال صحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الابدال كلهم اوصونى عند فراقى اياهم وقالوا اتق معاشرة الاحداث وفى كتاب عن بعض العلماء قال من اصعب الآفات صحبة الاحداث قال ومن ابتلاه الله بشئ من ذلك فباجماع الشيوخ ان ذلك عبدا هانه الله وخذله بل عن نفسه قد شغله ولو بالف كرامة اهله قال واصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يعده هينا قال الله تعالى ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وروى انه قيل لبعض العلماء الزاهد العارف يزنى فاطرق ثم رفع راسه فقرا وكان امر الله قدرا مقدورا والمانع من التهمة شيئان الحياء والحذر فاذا استعملهما الانسان ترك مظان التهم ولم يقف موقف الاعتذار ولم يختلج فى نزاهته شك ولم يقدح فى عرضه آفك وقال سهل بن هارون مؤنة المتوقف ايسر من

تكلف التعسف وقال بعض الحكماء من احسن ظنه فيمن لا
يخاف الله تعالى فهو مخدوع وينشد لابى بكر الموصلى يقول

احسنت ظنى باهل دهرى * فحسن ظنى بهم دهانى
لا آمن الناس بعد هذا * ما الخوف الا من الامان

وقد روى عن النبى عليه السلام انه قال اذا لم يشق امرء الا
بما عمل فقد سعد والله اعلم * (فصل) * فى حكايات
الاعفاء من الرجال والنساء قال الله سبحانه ولمن خاف مقام
ربه جنتان وقال النبى صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم
الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله يريد ظل عرشه فذكر منهم رجلا
دعته امراة ذات حسن وجمال فقال انى اخاف الله ويقال دخلت
بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما ارى شيئا
مما كان يقول جميل فقالت يا امير المؤمنين انه كان يرنو الى
بعينين ليستا فى راسه قال وكيف صادفته فى عفته فقالت
كما وصف نفسه حيث يقول *

لا والذى تسجد الجباه له * ما لى بما دون ثوبها خبر
ولا بفيها ولا هممت به * ما كان الا الحديث والنظر

* (اخرى) * وحكى ان عبد الملك بن مروان وجد على بعض
عماله فحبسه فقيده فى داره فاشرفت عليه جارية لعبد
الملك فنظر اليها وانشات تقول

ايها الرامى بالطرف وفى الطرف الحتوف * ان ترد الوصل فقد امكنك الظبى الالوف

فاجابها الفتى

ان ترينى زانى العينين فالفرج عفيف * ليس الا النظر الفاتر والشعر الظريف

فاجابته

قد اردناك على ان تعتنق ظبيا رسوفا * فتأبيت فلا زلت لقيدك حليفا

فاجابها

ما تأبيت لأني كنت للظبي عنوفا * غير اني خفت ربا كان بي برا لطيفا

قال فبلغ ذلك عبد الملك فدعا به فزوجها اياه ودفعها اليه والله اعلم *(اخرى)* وحكى عن محمد بن السماك انه قال كان عندنا بالكوفة فتى من الزهاد وكان يخرج من منزله الى المسجد فهويته جارية من العرب على طريقه فلما عيل صبرها ترصدت له في الطريق ونادت يا فتى سألتك بمن ترجوه لشدتك الا توقفت على قليلا واستمعت كلامي فلما سمع ذلك الفتى ارتعد وقال تكلمي وامضي فان هذا موقف التهمة ويحك ما كلام النساء للرجال الذين ليسوا لهن بمحرم فقالت الجارية والله ما حملني على ذلك جرأة تقدمت مني على كلام الرجال غير ان المقادير تسوق العباد الى مثل هذا والذي حملني على اني لقيتك بنفسي في هذا الامر اني اعلم انكم معاشر النساك امثال القوارير اد في شئ يعيبه وجملة ما اكلمك به اني قد اصبحت وقلبي فارغ من احوال الدنيا كلها الا منك فالله الله في امري فاني اسئل الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما عسر من امرك والسلام قال فلما سمع كلامها تغير لونه واطرق مليا ثم قال اف لشيطان علمك هذا الكلام والله لاكيدنه فيك ثم انصرف الى مسجده وكان طويل الصلاة فعارضته الفكرة فيها فاستعاذ بالله منها فانصرف الى منزله فقدم فطوره فقال لا حاجة لي فيه وانقطع عن ورده تلك الليلة وعرضت له وساوس من امر الجارية فلما ان اصبح

دعى بدواة وقرطاس فكتب بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد
يا جارية انك تدعونى الى المعاصى كانما لى ولك جنة من
عذاب الله اعلمى ان الله تعالى اذا عصى ستر وحلم فاذا عاد
العبد الى المعصية عاد الله فى ستره وحلمه فاذا اتخذ العبد
المعصية شعارا وجعلها دثارا غضب الله عليه غضبا
لا يقوم لغضبه السموات والارضون وما فيهن وعليهن
يا جارية ان يكن ماذكرت باطلا فانى احذرك يوم الطامة
والصاخة والواقعة يوم تكون السماء كالمهل وتجث
الملائكة على الركب لصولة الجبار لا يستمكن منه الجاب
وتطايرت منهم الكتب بالايمان والشمائل فالسعيد يومئذ
من قدم عملا يكون انسا له فى وحدته واخا مساعدا له فى
وحشته وان يكن ما ذكرت حقا فانى ادلك على الطبيب الشفيق
الرفيق الذى يداوى فعليك بصدق المسئلة وحقيقة
الاستكانة لعله يكشف عنك ماذكرت فانى متشاغل عنك
بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر
ثم طوى الكتاب وخرج فاذا الجارية جالسة فرمى الكتاب
فى حجرها فاخذته مسرورة ورجع الفتى الى منزله فاقام اياما
لا يخرج الى مسجده فلما كان بعد ايام قال والله لاخرجن
فلعلها قد انقطعت فنظر اليها جالسة فهم بالرجوع فنادته
يا فتى سالتك بالله لما وقفت على اكلمك فهذا آخر يوم اكلمك
الا بين يدى الله فلما سمع وقف فقالت قد فهمت ما خوفتنى
به والله انى لكذلك واعلم يا فتى انه كلما طالت المدة عظم
البلاء فعظنى فوالله لا قطعن حنجرة طمعى فيك باليأس

ولا تغضض كفي منك بالا فلاس فقال لها يا جارية احذرك من
نفسك لنفسك وفكيها من حبسك ثم ذهب ليولي فتعلقت
به فقال لها ما وراءك فقالت تحفظ عني هذه الابيات وهي

لا انسى ما انسى منه يوم موقفه * اذ جئت انبئه جهدي وبلواي
وقد نشرت له صحفي فغض لها * منه الجفون ولم ينصت لشكواي
وطرفه خاشع من خوف سيده * يا حسنه خائفا من خوف مولاي
لا لبسن لهذا الدهر مدرعة * واهجرن هواي خوف عقباي
ولا ابوح بما قد كنت تكرهه * ولا ادعيت ولو حققت معناي

قال فانصرفت الى منزلها فلم تزل راكعة ساجدة قائمة صائمة
وكان اذا غلب عليها الامر تدعو بكتابه وتضعه على عينيها
فيقال لها وما يغني عنك هذا فتقول وهل دواء غيره وكانت
اذا جن عليها الليل نادت

يا وارث الارض هب لي منك مغفرة * فكدت افعل فعل الماجن الزاني
وانظر الى قلبي يا مشتكى حزني * بنظرة منك تجلو كل احزاني

قال فلم تزل كذلك حتى فارقت الدنيا فبلغ الفتى وفاتها
فحزن عليها واخبر والدته فقالت يا بني الا اخبرتني با ول
حديثها كنت ازوجك بها حلالا فقال اليك عني يا اماه والله
لقد وهبتها لله تعالى منذ اول نظرة نظرت اليها فكنت استحيي
ان ارجع في شئ وهبته له فلبث الفتى كذلك مدة والجارية
ما تختلج بقلبه ثم انه رآها في المنام وعليها ثياب بيض
قال فلانة قالت فلانة قال ما فعل الله بك قالت غفر لي بثلاث
دعوات كنت اقولهن دبر كل صلاة اللهم اني اعوذ بك من دنيا
تمنع خير الآخرة واعوذ بك من امل يمنع خير العمل واعوذ بك

من حياة تمنع خير الممات قال الفتى فهل تذكرينني قالت والله
انى كثيرة الذكر لك وقد سألت ربي ان يجمع بيني وبينك في
الآخرة فما لبث الفتى الا اياما حتى لحق بالجارية * (اخرى) *
حكى ان فتى من المتعبدين احب جارية في حيه فبعث اليها
ياهذه انك وقعت في قلبي موقعا شغلتني به عن كثير مما كنت
احبه من طاعة الله عز وجل وذكر الآخرة فكيف السبيل الى
الاتصال بك فارسلت اليه اما كان في طاعة الله وذكر الآخرة
ما يشغلك عن التمسك بحبائل النساء فاستحيي حياء شديدا
وقال المعذرة الى الله فيما صنعت وندم على الذى كان وانشأ يقول
ولربما عدل الفتى عن رشده * فيرى البصيرة بعدها فيراجع
غيره
كم قد ظفرت بمن اهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
اهوى الملاح واهوى ان اجالسهم * وليس لى في حرام منهم وطر
ويكفى في حفظ الفرج قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الآية وقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم الآية وقوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا
الآية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما *

* (الباب الخامس في حفظ البطن واصلاحه) *

وليعلم ان البطن اشق الاعضاء اصلاحا على الانسان واعظمها
عليه ضررا لانه المنبع والمعدن ومنه تهييج الامور في الاعضاء
من عفة وجماح وقوة وضعف فعلى الانسان حفظه عن الحرام
والشبهة اولا ثم عن فضول الحلال ثانيا ثم كيفية تناوله من
الحلال وهذا الباب يشتمل على ثلاثة فصول احدها في مذمة

الحرام والثاني في فضيلة الحلال والثالث في حد الحلال والحرام
وكيفية التناول من الحلال *(الفصل الاول في مذمة الحرام)*
وليعلم ان الحرام والشبهة يلزم الانسان البحث عنهما لثلاثة
امور احدها حذرا من نار جهنم قال الله عز وجل الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا الآية وقال
النبي عليه السلام كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به
وقال النبي عليه السلام من لم يبال من اين اكتسب المال لم
يبال الله من اي باب ادخله النار وقال عليه السلام القليل
من اموال الناس يورث النار وعنه عليه السلام انه قال
من اكتسب المال من حرام فان تصدق به لم يتقبل منه وان
تركه وراءه كان زاده الى النار وفي حديث آخر من اصاب
مالا من مأثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في
سبيل الله جمع الله ذلك جمعا ثم قذفه في النار والثاني
ان آكل الحرام والشبهة مطرود عن خدمة الله غير موفق
لطاعته اذ لا يصلح لخدمة الله الا كل طاهر مطهر الا ترى
ان الله تعالى منع الجنب عن الدخول الى بيته ومنع المحدث
عن مس كتابه فقال الله تعالى لا تقربوا الصلاة الى قوله ولا
جنبا الا عابري سبيل وقال لا يمسه الا المطهرون مع ان
الجنابة والحدث اثر مباح فكيف بمن هو منغمس في اقذار الحرام
ونجاسة الشبهة والحطام متى يدعى الى خدمة الغني العزيز
وذكره الشريف كلا فلا يكون ذلك وقد روي عن يحيى بن معاذ
انه قال الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى ومفاتيحها الدعاء
واسنانها لقمة الحلال فاذا لم يكن للمفتاح اسنان فلا ينفتح

الباب واذالم ينفتح باب الخزانة كيف يصل الى مافيها من
الطاعة والثالث ان اكل الحرام والشبهة محروم وان اتفق
له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فاذا لا يكون
له من ذلك الا العناء والكد وشغل الوقت وقد روى عن
ابن عباس عن النبي عليه السلام انه قال ان لله ملكا على بيت
المقدس ينادى من اكل الحرام لم يقبل منه صرف ولا عدل قيل
الصرف النافلة والعدل الفريضة وعنه عليه السلام انه
قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم
يقبل الله صلاته مادام عليه وعن ابن عباس انه قال لا يقبل
الله صلاة امرء وفى جوفه حرام ولما ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحريص على الدنيا قال اشعث اغبر مشردا
فى الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع
يديه ويقول يارب فلا يستجاب لذلك وفيما يحكى عن
ابليس اللعين انه كان يقول خصلة واحدة اريدها من بنى آدم
ثم اخلى بينه وبين ما يريد من العباده اراد كون كسبه
حراما ان صلى صلى بحرام او صام فافطر على حرام او حج بحرام
لم يقبل منه وعن سفيان الثورى انه قال من انفق من الحرام
فى طاعة الله كمن طهر الثوب بالبول والبول لا يطهره الا الماء
والذنب لا يكفره الا الحلال وروى فى اثر السلف ان الواعظ
اذا جلس للناس قالت العلماء تفقدوا منه ثلاثا فان كان
معتقدا البدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق
وان كان سيء اللقمة فعن الهوى ينطق فان لم يكن مكين العقل
فانه يفسد بكلامه اكثر مما يصلح فلا تجالسوه ويقال اذا طاب

المكسب زكى العمل ويقال من اكل من الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهوتاويل قول الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وفى حديث ابى هريرة انه قال المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت العروق بالسقم ومثل الطعام من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوى استقام البنيان وارتفع واذا ضعف الاساس او اعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف الآية *

(الفصل الثانى فى فضيلة الحلال) قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات وهى الحلال قبل العمل وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفى رواية زهده الله فى الدنيا وروى ان سعدا سال النبى صلى الله عليه وسلم ان يسئل الله ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك وقال

عليه السلام العبادة عشرة اجزاء فتسعة منها في طلب الحلال
وعنه عليه السلام انه قال من امسى وانيا في طلب الحلال بات
مغفورا له واصبح والله عنه راض وروى ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم ساله فقال
تكهنت لقوم فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء حتى كادت
نفسه ان تخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق
وخالط الامعاء وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر
بذلك فقال اوما علمتم ان الصديق لا يدخل في جوفه الا طيبا
وكذلك روى ان عمر رضي الله عنه شرب من ابل الصدقة غلطا
وادخل اصبعه وتقيأ وعن بعض السلف انه قال لم يدرك من
ادرك الا من كان يعقل ما يدخل في جوفه وعن عائشة رضي
الله عنها انها قالت يا رسول الله من المسلم قال الذي اذا امسى
سال من اين كسرته قالت يا رسول الله اوكلف الناس هذا قال
نعم ولكنهم غشموا المعيشة غشما وقال بعض العلماء لا يبلغ
العبد حقيقة الايمان حتى تكون فيه اربع خصال اداء الفرائض
بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن
والصبر على ذلك الى الموت وقال من احب ان يكاشف باب
الصديقين فلا ياكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة اوضرورة
وقال بعض السلف ان اول لقمة ياكلها العبد من الحلال يغفر له
بها ما سلف من ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال
تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق الشجر والله اعلم *

(فصل في الشبهة) وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور متشابهات

لا يعلمها كثير من الناس فمن ترك الشبهات فقد استبرى لدينه وعرضه وقال عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال عليه السلام الامور ثلاثة امر بان رشده فاتبعوه وامر بان غيه فاجتنبوه وامر اشكل عليكم فكلوه الى عالمه فلما كان الامر على ما وصفنا كان الواجب على الانسان استعمال الحلال واجتناب الحرام والورع عن الشبهات وقد قال بعض العلماء رد درهم من الشبهة احب الى من ان اتصدق بمائة الف ومائة الف حتى تبلغ ستمائة الف وقال اجتمع الفضيل وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الى الا انى لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت الى هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافى فغشى على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل قال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله على ان لا آكل خبزا ابدا فكان يشرب اللبن فاتته امراة بلبن فسالها فقالت هو من شاة بنى فلان فسال عن ثمنها وانه من اين لهم فذكرت ذلك فلما ادناه من فيه قال بقى انها من اين كانت ترعى فسكتت فلم يشربه قال لانها كانت ترعى من موضع للمسلمين فيه حق فقالت له امه اشرب يغفر الله لك فقال ما احب ان يغفر لى وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته والله اعلم * (الفصل الثالث) * فى حد الحرام والشبهة والتناول من الحلال اختلف العلماء فى حد الحرام والشبهة فقال بعضهم ما تيقنت كونه ملكا

للغير منهيا عنه فى الشرع فهو حرام محض واما اذا لم يكن
لك يقين بذلك ولكن يغلب فى ظنك انه كذلك فهو شبهة
وقال آخرون بل الحرام المحض ما يكون به علم او غالب ظن لان
غلبة الظن مما يجرى مجرى العلم فى كثير من الاحكام واما اذا
تساوى الامران فى ذلك حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح
عندك فذلك شبهة يشبه انه حلال ويشبه انه حرام ثم
الامتناع عن الذى هو حرام محض فرض لازم وعن الذى هو
شبهة تقوى وورع وذلك على ثلاث درجات احدها ورع
الصالحين وهو الامتناع عن كل ما يتطرق اليه احتمال التحريم
وذلك كالاكل ممن اكثر ماله حلال ولكنه لا يتقى الحرام
فالورع اجتنابه لقوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وقد قال اصحابنا الريبة على وجهين محققة ومعارضة فالمحققة
مثل ما يكون فى ايدى السرايا وقطاع الطرق حدثان غارتهم
وذلك كالحرام المحض والمعارضة مثل ما يكون فى ايدى من لا
يتقى الحرام فالتخرج عن معاملته ورع الصالحين الدرجة
الثانية ورع المتقين وهو كل ما لا شبهة فى حله ولكن يخاف
منه ان يؤدى الى محرم وهو ترك ما لا باس فيه مخافة ما فيه
الباس وقال عليه السلام انما سمى المتقون متقين لتركهم
ما لا باس فيه مخافة الباس وقال ابن عباس كنا ندع تسعة
اعشار الحلال مخافة ان نقع فى الحرام وقال ابو الدرداء ان
تمام التقوى ان يتقى العبد فى مثقال ذرة حتى يترك بعض
ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما فيكون حجابا بينه
وبين النار الدرجة الثالثة ورع الصديقين وهو ترك ما لا

باس فيه اصلا ولا يخاف ان يؤدى الى ما به الباس ولكنه
يتناول لغير الله او يقصد به غير التقوى على عبادة الله كما روى
عن بعضهم انه شرب دواء فقالت له امرأته لو مشيت في الدار
قليلا حتى يعمل الدواء فيك فقال هذه مشية لا اعرفها فكانه
لم تحضره نية تتعلق بالدين في مشيته تلك وكما روى عن
ذى النون المصرى انه كان جائعا محبوسا فبعثت له اخته
في الله طعاما على يد السجان فلم يأكل فاعتذر عليها وقال
جاءنى على طبق ظالم يعنى القوة التي اوصلت اليه الطعام
اكتسبت بالغذاء الحرام وهذه اقصى درجات الورع اعنى
ورع الصديقين والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو الامتناع
عن كل ما تحرمه الفتوى وذلك الورع فرض واجب وله غاية
وهو ورع الصديقين وهو الامتناع عن كل ما ليس لله مما
اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه
وبينهما درجات في الاختلاط وكلما كان العبد اشد تضييقا على
نفسه كان اخف ظهرا يوم القيامة *(مسئلة)* فان
قيل ما تقول في قبول جوائز السلطان في هذا الزمان فاعلم ان
بعض السلف قال قد اختلف العلماء في ذلك فقال قوم
كل ما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال آخرون لا يحل ان
يأخذ ما لا يتحقق انه حلال لان الاغلب في هذه الاعصار
على اموال السلاطين الحرام والحلال في ايديهم معدوم او عزيز
وقال قوم ان صلات السلاطين تحل للغنى والفقير اذا لم يتحقق
انها حرام وانما التباعة على المعطى قالوا لان النبى عليه السلام
قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واقترض من اليهود مع

قوله تعالى فيهم اكالون للسحت قالوا وقد ادرك جماعة من
الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم الاموال منهم ابو هريرة
وابو سعيد الخدري و زيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد
الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة وابن عباس وابن عمر
فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد من عبد الملك
واخذ بن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين
منهم الشعبي والحسن البصري وابراهيم النخعي وغيرهم
وقال آخرون لا يحل من اموالهم شئ لغني ولا لفقير اذهم
موسومون بالظلم والغالب على اموالهم السحت [illegible]
والحكم للاغلب فيلزم الاجتناب [illegible]
انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير
ان ذلك عين الغصب فليس له اخذه الا ان يرده على مالكه
ولا حرج على الفقير ان ياخذ من مال السلطان لانه ان كان ذلك
من مال السلطان فله اخذه بلا شك وان كان من فيء او خراج
او عشر فالفقير فيه حق وكذلك اهل [illegible] وقد روى عن علي
انه قال خذ من السلطان ما اعطاك فانما يعطيك من الحلال
وما ياخذ من الحلال اكثر وعن علي بن ابي طالب ايضا انه قال
من دخل الاسلام طائعا وقرا القرآن ظاهرا فله في بيت مال
المسلمين كل سنة مائتا درهم وفي رواية مائتا دينار فان لم
ياخذها في الدنيا اخذها في الآخرة [illegible]
فالفقير والغارم [illegible]
مغصوب ولا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده على صاحبه
وذريته فلا مخلص للسلطان منه الا ان يتصدق به وما

كان الله ليامره بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن قبوله
اوياذن للفقير فى القبول وهو عليه حرام فاذا للفقيران
ياخذ الا عين الغصب والحرام والذى ارى والله اعلم ان
اموال السلاطين اليوم الغالب عليها الحرام لان اكثرها من
الخراج المضروب على المسلمين ومن المكوسات والغصب
بخلاف الاموال التى كانت فى ايدى الملوك والجبابرة الماضين
من الامويين والعباسيين وغيرهم ولذلك ساغ لجابر بن
زيد وابى بلال مرداس وغيرهم من الصحابة والتابعين الاخذ
منهم وقد روى ان جابر بن زيد ساله رجل عن جار له عشار
يهدى اليه فقال خذ من جارك ما اعطاك وروى عن سعيد
ابن جبير انه اكل من طعام العشارين والتنزه عن مثل هذا
افضل * (مسئلة) * فان قيل ما تقول فى صلة اهل
الاسواق وغيرهم ممن ليس له نظر فى المعاملات قيل له اذا
كان ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج على الآخذ
منه ولا يلزم البحث بان يقول فسد الزمان لان ذلك سوء
ظن بالمسلمين وتجسس عن احوالهم ثم اعلم ما هو الاصل
فى هذا الباب وهو ان ها هنا شيئين احدهما حكم الشرع
الظاهر الموضوع على اليسر والسماحة وهو ان تاخذ ما اتاك
به من ظاهره الصلاح ولا تسئل الا ان استربته او تيقنت
انه حرام او غصب بعينه والثانى حكم الورع الموضوع على
التضييق والتشديد كما قيل الامر على المتقى اضيق من عقد
التسعين فحكم الورع ان لا ياخذ شيئا من احد حتى يسئل او
يبحث غاية البحث كما سال ابو بكر غلامه عن اللبن الذى شربه

فتقياه وكما سال عمر عن اللبن الذى شربه فاخبر انه من
ابل الصدقة والورع ايضا من الشرع وكلاهما فى الاصل
واحد لكن للشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط
فحكم الجواز يقال له حكم الشرع وحكم الافضل الاحوط
يقال له حكم الورع وهما واحد فى الاصل غير ان حكم الورع
شديد فمن سلك طريقه فلا بد له ان يوطن نفسه على
احتمال الشدائد والا فلا يتم له ذلك وليكن عنده اكل
ما يتداوله الناس فى ايديهم بمنزلة الميتة لا يقدم عليها
الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا مقدار ما يبلغه
الى الطاعة فيكون له عذر فى ذلك ولا يضره ان كان فى
اصله شبهة او هو حرام مجهول فان الله تعالى اولى
بالعذر ولهذا قال الحسن البصرى اذا فسد السوق
فعليكم بالقوت وقد روى عن وهيب بن الورد انه كان
يجوع نفسه يوما او يومين او ثلاثة ثم ياخذ رغيفا فيقول
اللهم انك تعلم انى لا اقوى على العبادة واخشى الضعف والالم
آكله اللهم وان كان فيه شئ من خبث او حرام فلا تؤاخذنى
ثم يبل الرغيف فى الماء فياكله ويقال ان بعض الورعين قيل
له من اين تاكل فقال مما تاكلون ولكن ليس من ياكل ويبكى
مثل من ياكل ويضحك وقال يد اصغر من يد ولقمة اصغر
من لقمة فهكذا كانوا يتحرزون من الشبهات فهذه طريقة
الطبقة العليا من اهل الورع فيما بلغنا واما من دونهم فلهم
احتياط وبحث على مقدار ولهم ايضا نصيب من الورع على
مقدار وبقدر ما يتعنى الانسان يكون ما يتمنى والله تعالى

لايضيع اجر من احسن عملا * (الفصل الرابع) * في الاخذ
من الحلال فان قال قائل فهذا جانب الحرام قد بينته فاخبرنا
عن جانب الحلال وباحد الفصول الذى يلزم منه الحساب
وما المقدار الذى اذا اخذه العبد يكون ذلك ادبا ولا يكون
فضولا ولا عليه فيه حبس ولا حساب قيل له قال بعض
المصنف اعلم ان احوال المباح فى الجملة ثلاثة اقسام احدها
ان ياخذها العبد مكاثرا مفاخرا مباهيا مرائيا فيكون
الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله الحبس
والحساب واللوم والتعيير وهو منكر وشر ويستوجب
على باطن فعله الذى هو التكاثر والتفاخر عذاب النار
وذلك القصد منه معصية وذنب لقوله تعالى انما
الحياة الدنيا لعب ولهو الآية وقال النبى عليه السلام
من طلب الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقى الله
وهو عليه غضبان فالوعيد حصل له على قصده ذلك
بقلبه * (القسم الثانى) * ان ياخذ الحلال لشهوة نفسه
لا غير فذلك شر يستوجب عليه الحبس والحساب لقوله
[illegible] وقال عليه السلام حلالها
حساب * (القسم الثالث) * ان ياخذ من الحلال فى حالة
العذر قدرا يستعين به على عبادة الله تعالى ويقتصر على ذلك
فذلك منه خير وحسنة وادب ولا حساب عليه ولا عتاب
بل يستوجب عليه الاجر والمدحة لقوله تعالى حكاية عن
المسلمين ربنا آتنا فى الدنيا حسنة الى قوله اولئك لهم
نصيب مما كسبوا [illegible] الدنيا حلالا

استعفافا عن المسئلة وتعطفا على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما قصد بها هذه المقاصد المحمودة لله سبحانه *

(فصل) في آفات فضول الحلال اعلم ان فضول الحلال هي آفة العبادة وبلية اهل الاجتهاد قال عليه السلام من اخذ من حلال الدنيا اكثر ما يكفيه اخذ حتفه وما يشعر قال بعض العلماء تاملت آفات الفضول فاذا هي عشر آفات هن اصول في هذا الشان الاولى ان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره وروى عن النبي عليه السلام انه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا اكثر عليه الماء وقد شبه ذلك بعض العلماء بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلي والبخار يرتفع اليه وكثرة البخار تكدره وتسميه الثانية ان في كثرة الاكل فتنة الاعضاء وانبعاثها للفضول والفساد وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والبطنة فانها مفسدة للدين مورثة للسقم مكسلة عن العبادة وقد صدق فان الرجل اذا كان شبعا نا بطرا اشتهت عينه النظر الى ما لا يعنيه من الحرام والفضول والاذن الاستماع اليه واللسان التكلم به والفرج الشهوة والرجل المشي اليه واذا كان جائعا كانت الاعضاء كلها ساكنة لا تطمح الى شئ منها وقال بعض العلماء البطن عضو ان جاع هو شبع سائر الاعضاء وان شبع جاع سائر الاعضاء وجملة الامر ان افعال الرجل واقواله على حسب طعامه وشرابه ان ادخل الحرام خرج الحرام وان

ادخل الفضول خرجت الفضول كأن الطعام بدل الافعال والافعال نبت تبدو منه والثالثة ان في كثرة الاكل قلة العلم والفهم لان البطنة تذهب الفطنة ولقد صدق بعض الحكماء حين قال اذا اردت حاجة من حوايج الدنيا والآخرة فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وهذا امر ظاهر علمه لمن اختبره والرابعة ان في كثرة الاكل قلة العبادة واذا اكثر الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت اعضاءه فلا يجيء منه شئ وان اجتهد ولقد ذكر عن يحيي عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال يحيي ما هذه فقال الشهوات التي اصيد بها بني آدم قال هل تجد لي شيأ قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلنا لك عن صلاتك فقال يحيي عليه السلام لا جرم اني لا اشبع بعدها ابدا فقال ابليس لعنه الله لا جرم اني لا انصح بعدها احدا ابدا فهذا فيمن لم يشبع في عمره الا ليلة واحدة فكيف بمن لم يجع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة قال بعض العلماء العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة والخامسة ان في كثرة الاكل فقد حلاوة العبادة وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ما شبعت منذ اسلمت لاجل حلاوة عبادة ربي ولا رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء ربي وهذه صفة المكاشفين وكان رضي الله عنه فيما بلغنا مكاشفا واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما فضلكم ابو بكر بفضل صلاة ولا صيام وانما هو شئ وقر في نفسه وقال بعض السلف احلى ما تكون العبادة

اذا التزق ظهرى ببطنى والسادسة ان فيه خطر الوقوع فى
الشبهة والحرام لان الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام يا تيك
جزفا جزفا والسابعة ان فيه شغل القلب والبدن بتحصيله
اولا وبتهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بافراغه والتخلص
منه رابعا ثم بالسلامة منه خامسا من ان تبدو منه فى
البدن افة او آفات وعلل وقد قال عليه السلام اصل كل
داء البردة يعنى الحمة واصل كل دواء اللازم يعنى الحمية ويقال
من رفع يده من الطعام وهو يشتهيه ولا ياكل الا وهو يشتهيه
واستفرغ بدنه من البول قبل النوم لم يحتج الى الطبيب ابدا
ويقال مكتوب على مائدة كسرى ليهنى طعام من اكله من حله
وافضل على ذوى الحاجة من فضله ما اكلته وانت تشتهيه
فقد اكلته وما اكلت وانت لا تشتهيه فقد اكلك ويقال
اجتمع اربعة من الاطباء عند هارون الرشيد او غيره
من الملوك طبيب هندى ورومى وعراقى وسوداوى
فقال الملك ليصف كل منكم الدواء الذى لا داء فيه فقال
الهندى هو الاهليلج الاسود وقال الرومى هو حب الرشاد
الابيض وقال العراقى هو الماء الحار وقال السوداوى
الاهليلج يعفن المعدة وحب الرشاد يرفق المعدة والماء
الحار يرخى المعدة فقالوا له ما الدواء الذى لا داء فيه قال
ان لا تضع يدك فى الطعام الا وانت تشتهيه وترفع منه
وانت تشتهيه فقالوا صدقت وايضا فان فى كثرة الاكل
مقت النفس وتكثير الوضوء وان المسلمين يدورون فى
المساجد والكثير الاكل يدور فى المزابل وعن مالك بن دينار

انه كان يقول مع زهده يا هؤلاء لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت مع ما فى هذا من طلب الدنيا والطمع الى الناس وتضييع الوقت بسبب الاكل ما لا يخفى الثامنة من امور الآخرة شدة سكرات الموت وقد ورد فى الخبر ان شدة سكرات الموت على قدر لذات الدنيا فمن اكثر من هذه اكثر له من تلك التاسعة نقصان الثواب فى الآخرة قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا الآية ويروى انه بقدر ما ياخذ العبد من لذات الدنيا ينقص له من لذات الآخرة وقد روى ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا محمد عليه السلام فقيل له ولا ينقص لك من آخرتك شئ خصه بذلك فدل ان لغيره النقصان الا ان يتفضل الله عليه بذلك ويروى ان سليمان عليه السلام كان ياكل الشعير ويطعم عياله دقيق القمح ويطعم المساكين الحوارى وروى ان عمر رضى الله عنه عطش فدعى بماء فاعطاه رجل ادوات فيها ماء نبذ فيها تمرات فلما قربها عمر من فيه وجد الماء باردا حلوا فامسك فقال اوه فقال الرجل ماء الوته حلاوة فقال عمر ذلك الذى منعنى ويحك لولا الآخرة لشاركناكم فى عيشكم والعاشرة ان كثرة الاكل تنسى اهل الجوع فى الدنيا حتى لا يتفضل عليهم مع ما يناله فى الآخرة من الحبس والحساب والتوبيخ واللوم فى ترك الادب فى اخذ الفضول وطلب الشهوة والله اعلم فهذه جملة العشر وفى واحدة منها كفاية لمن نظر واعتبر فعليك ايها المجتهد بالاحتياط البالغ فى القوة لئلا تقع فى حرام او شبهة فيلزمك العذاب ثم الاقتصاد من الحلال على ما يكون عمدة على عبادة الله تعالى لئلا تقع

فى شر وتبقى فى الحساب **فصـــل** فان قيل فما شرط
المباح حتى يصير خيرا وحسنة قيل له يحتاج فى الاصل الى
شرطين احدهما الحال والثانى القصد فاما الحال فهو ان
يكون فى حال عذر وضرورة ان لم ياخذ البلغة ينقطع بسبب
ذلك عن فرض او سنة او نفل هو افضل من ترك المباح فذلك
حال العذر واما القصد فهو ان يقصد باكله التقوى على
طاعة الله والاستعانة به على عبادته ومعنى القصد ان
يذكر بقلبه لولا ما فيه من التوصل الى عبادة الله لما اخذ
ذلك فان كان فى حال عذر ولم يكن له هذا القصد اوكان
به هذا القصد ولم يكن فى حال عذر فلا يصير ذلك الفعل
من جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ ذلك الادب
يحتاج الى بصيرة وقصد مجمل بانه لا ياخذ من الدنيا الا
للاستعانة بها على العبادة حتى انه ان سهى عن ذكر الحجة
فى بعض الاحوال اجزاه ذلك القصد المجمل عن تجديد ذكر الحجة
فان قيل فان اخذ الحلال بشهوة فهل ذلك معصية او
يلزمه عذاب وهل الاخذ بالعذر فرض ام لا قيل له ان ذلك
فضيلة وخير وحسنة والامر فيه امر تاديب وليس فى
تركه معصية ولا عذاب وانما عليه الحبس عن الجنة والحساب
عليه مدة بان يسئل العبد يوم القيامة عماذا اكتسب
وفيما نفق وماذا اراد بذلك والحبس عن الجنة مقدار
الحساب فى عرصة القيامة بين اهوالها ومخاوفها
عطشا نا عريانا وكفى بذلك بلية فان قيل فالله تعالى
قد احل لنا هذا الحلال فاللوم والتعيير فى اخذه لماذا

قيل له ذلك لترك الادب كمن اجلس على مائدة الملك فترك
الادب فانه يعير بذلك ويلام والاصل فى هذا الباب ان
الله تعالى خلق العبد لعبادته وهو عبد الله تعالى من كل
وجه فحق العبد ان يعبد الله تعالى من كل وجه يمكنه ذلك
ويجعل افعاله كلها عبادة من اى وجه امكنه وان لم يفعل
ذلك وآثر شهوته واشتغل عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك
من غير عذر والدار دار خدمة وعبادة لادار تنعم وشهوة
فقد استحق اللوم بذلك والتعيير من سيده فتأمل هذا
الاصل راشدا ولاحول ولا قوة الا بالله **فصل** واعلم
ان الداعى الى الاكل والشراب شيئان حاجة ماسة وشهوة
باعثة فالحاجة تدعو الى ما سد الجوعة وسكن العطش
وهذا مندوب اليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ النفس
وحراسة الحواس ولذلك ورد النهى عن الوصال فى الصوم
لانه يضعف الجسد ويعجز عن العبادة واما الشهوة فعلى
نوعين احدهما شهوة فى الاكثار على مقدار الكفاء والثانى
شهوة فى تناول الالوان الملذة فاما النوع الاول وهو شهوة
الزيادة على قدر الحاجة فهو ممنوع فى الشرع والعقل لان
تناول ما زاد على الكفاية نهم وشره مضر كما ان قدر الكفاية
مندوبا اليه فى العقل والشرع وقال بعض العلماء الرغب
لوم والنهم شوم قال الشاعر *

فكم من اكلة منعت اخاها * بلذة ساعة اكلات دهر
فكم من طالب يسعى لامر * وفيه هلاكه لو كان يدرى

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما ملأ ابن

آدم وعاء شرا من البطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح واما النوع الثانى وهو شهوة الاشياء الملذة وطلب الانواع الشهية فمذاهب الناس فى ذلك مختلفة فمنهم من يرى ان صرف النفس عنها اولى ليذل له قيادها حتى لا تطغى لان شهواتها غير متناهية فان اعطاها ذلك صار الانسان اسير شهوات لا تنقضى ومن كان كذلك لم يرج له صلاح وينشد لابى الفتح البستى *

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته * لتطلب الربح فيما فيه خسران
اقبل على النفس واستكمل فضائلها * فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وروى ان اباحازم كان يمر على الفاكهة ويشتهيها فيقول موعدك الجنة وقال آخرون بل تمكين النفس من لذاتها اولى لما فى ذلك من ارتياحها ونشاطها بنيل شهواتها فتنحسر عنها لذة المقهور وبلادة المحصور فلا تقصر عن درك مأمول ولا تكل عن استعانة فى الامور وقال آخرون بل توسط الامرين اولى لان فى اعطائها كل شهواتها سلاطة والنفس السليطة معاندة وفى منعها من جميع شهواتها بلادة والنفس البليدة عاجزة وفى منعها عن البعض كف لها عن السلاطة وفى تمكينها من البعض حسم لها عن البلادة وهذا لعمرى اشبه المذاهب بالسداد لان التوسط فى الامور احمد والله اعلم ثم عليك ايها الطالب بالادب فى الاكل والاكثار من الط... مضيعا للايام اذ علمنا يقينا ان العبادة لا يجىء منها شىء اذا امتلأ ...

المعدة وان اكرهت النفس على ذلك فلا تكون لتلك العبادة
لذة ولا حلاوة ولذلك قيل لا تطمع بحلاوة العبادة مع كثرة
الاكل فاى نور فى نفس بلا عبادة وفى عبادة بلا حلاوة
ولهذا المعنى روى عن ابراهيم بن ادهم انه قال صحبت
اكثر رجال الله تعالى فكانوا يوصوننى اذا رجعت الى ابناء
الدنيا فعظهم باربع قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة
ومن ينم كثيرا لا يجد فى عمره بركة ومن يطلب رضى الناس
فلا ينتظر رضى الرب تعالى ومن يكثر الكلام بفضول
وغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وقال بعض
العلماء جماع الخير كله فى هذه الخصال الاربع وبها صارت
الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والاعتزال عن
الخلق وسهر الليل وقال بعض الحكماء جاهد نفسك بانواع
الرياضات والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام
والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع
الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة
المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات
ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات **فصل** فعليك
ارشدك الله بمراعات هذه الاعضاء الخمسة المشروحة
فى هذه الابواب المتقدمة وهى القلب واللسان والعين
والسمع والبطن فاحترس عليها غاية الاحتراس حتى لا
توقعك فى معصية وحرام وفضول واسراف من حلال
فاذا حصلت صيانة هذه الاعضاء فرجوان تكفى شر سائر
الاركان من اليدين والرجلين لانهما تبع لهذه الاعضاء

واحفظ اليدين من ان تضرب بهما احدا ظلما او تناول بهما مالا حراما او تلمس بهما ملموسا حراما او تؤذى بهما احدا من الخلق او تكتب بهما مالا يحل النطق به فان القلم احد اللسانين فاحفظ القلم مما يجب حفظ اللسان منه واما الرجلان فاحفظهما عن المشى بهما الى الحرام او تسعى بهما الى باب سلطان ظالم بغير ضرورة لان ذلك تواضع له وتكثير لسواده وقد قال عليه السلام من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه هذا فى غنى صالح فما ظنك بغنى ظالم وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك باعضائك عمل من اعمالها فلا تحرك شيئا منها فى معصية الله تعالى اصلا واستعملها فى طاعة الله واعلم ان العبادة شطران احدهما شطر اكتساب الخيرات والشطر الثانى ترك السيئات وهى التقوى فشطر اجتناب المعاصى والسيئات على كل حال اسلم واصلح واشرف من شطر اكتساب الطاعات ولذلك قال العابد الثانى ليونس عليه السلام يا يونس من الناس من حببت اليهم الصلوات فلا يؤثرون عليها شيئا وهى عمود العدة بالنيات لله تعالى والصدق والتضرع والابتهال ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يؤثرون عليه شيئا ومنهم من حببت اليهم الصدقة فلا يؤثرون عليها شيئا يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال فاجعل صومك الصمت عن كل سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق بشئ افضل منه ولا تصم بشئ ازكى منه فاذا اجتناب المعاصى اولى بالرعاية والاجتهاد فيه فان حصل لك الشطران جميعا اكتساب الطاعات واجتناب المعاصى فقد استكمل امرك

وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت فان لم تبلغ الا الى احدهما فليكن ذلك جانب اجتناب المعاصى فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعا فما ينفعك قيام الليل وتعبه ثم يحبط بارادة واحدة وما ينفعك صيام نهارك وتفسده بكلمة واحدة ولقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قيل له ما تقول فى رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر والآخر قليل الخير قليل الشر فقال لا اعدل بالسلامة شيئا ومثال ما قلناه حال المريض وذلك ان معالجة المرض صنفان صنف هو الدواء وصنف هو الاحتماء فاذا اجتمعا فكانك بالمريض قد برئ وصح والا فالاحتماء بر اولى اذ لا ينفع دواء مع ترك الاحتماء ولقد ينفع الاحتماء مع ترك الدواء وقد قال عليه السلام اصل كل دواء الحمية والمعنى والله اعلم انها تغنى عن كل دواء وبالله التوفيق **فصل** اعلم ان هذه القناطر الاربعة المتقدمة هى قناطر العوائق عن الله وعن سلوك طريق الآخرة وهى الدنيا والشيطان والخلق والنفس اما الدنيا فحق لك ان تحذرها وتزهد فيها لان الامر فيها لا يخلو من ثلاثة اوجه ان كنت من اهل البصائر فحسبك ان الدنيا عدوة لله تعالى وهو حبيبك ووليك وان الدنيا نقيصة عقلك والعقل قيمتك واما ان كنت من ذوى الهمم فى عبادة الله تعالى والاجتهاد فيها فحسبك ان الدنيا بلغ من شؤمها ما يمنعك من ارادة العبادة فضلا عن اكتسابها واما ان كنت من اهل الغفلة لا بصيرة لك بالحقائق ولا همة لك تبعث على اكتساب المكارم فحسبك

ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقها او تفارقك كما قال الحسن ان بقيت لك الدنيا لم تبق لها فاى فائدة اذا فى طلبها وانفاق العمر العزيز عليها ولقد احسن القائل *

هب الدنيا تساق اليك عفوا * اليس مصير ذاك الى زوال
وما دنياك الا مثل ظل * اظلك ثم آذن بارتحال

فاذا نظرت بعقلك وعلمت ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها لا يفيئ بضرها وتباعاتها من كد البدن وشغل القلب فى الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل فى الآخرة زهدت فى فضولها ولا تاخذ منها الا ما لا بد لك منه لتستعين به على عبادة ربك وتدع التلذذ والتنعم الى الجنة دار النعيم فى جوار رب العالمين واما الشيطان فيكفيك منه ما قال الله لنبيه عليه السلام وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الآية فاذا كان الرسول عليه السلام مع معرفته بربه وعصمته من عدوه محتاجا الى ان يستعيذ من الشيطان فكيف بك مع جهلك ونقصك وخبث الشيطان وتجرده لمعاداتك فاذا لا ينجيك منه الا الاستعاذة بالله من مكائده والجد فى طاعة الله ودوام ذكره فان فعلت ذلك واظهرت عزيمة الرجال يئس منك الشيطان قال الله سبحانه انه ليس له سلطان على الذين امنوا الآية ولقد صدق ابو حازم حيث قال ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى فحلم وما بقى فامانى واما الشيطان فوالله لقد اطيع فما نفع ولقد عصى فما ضر والله اعلم واما الخلق فحسبك فيهم انك لو خالطتهم ووافقتهم فى اهوائهم

اثمت وافسدت امر آخرتك وان خالفتهم تعبت باذايا تهم
وجفواتهم وكدرت عليك امر دنياك ثم لا تامن ان يلجؤك الى
معاداتهم فتقع فى شرهم ولانهم ان مدحوك وعظموك الخاف
عليك الفتنة والعجب وان دموك وحقروك الخاف عليك
الحزن تارة والغضب لغير الله اخرى فكلا الامرين آفة
مهلكة ثم اذكر حالك معهم بعد ما صرت فى القبر ثلاثة ايام
كيف يتركونك ويهجرونك وينسونك فلا يكادون يذكرونك
كانك لم ترهم يوما ولم يروك فلا يبقى هناك الا الله سبحانه
وصالح عملك افلا يكون من الغبن العظيم ان تضيع ايامك
مع هؤلاء الخلق مع قلة الوفاء منهم وقلة البقاء معهم
وتترك خدمة الله تعالى الذى اليه مصيرك وبه حولك
وتوفيقك ولا يبقى لك الا هو ابد الآبدين فعول عليه يا
مسكين فى جميع حاجاتك واتكل عليه فى جميع امورك
واعتصم به فى كل احوالك تجده امامك وعند جميع مهماتك
وبالله التوفيق واما النفس فحسبك منها ما تشاهده من
حالاتها ورداءة ارادتها وسوء اختيارتها فهى فى حال الشهوة
بهيمة وفى حال الغضب سبع وفى حال المصيبة تراها طفلا
وفى حال النعمة تراها فرعونا وفى حال الجوع تراها مجنونا وفى
حال الشبع تراها مختالا اذا اشبعتها بطرت وان اجوعتها صاحت
وجزعت وهى كما قال الاول *
كحمار السوء ان اشبعته * رمح الناس وان جاع نهق
فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها كما قال خالقها العالم
بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء وكفى بهذا تنبيها

لمن عقل ولقد صدق القائل واحسن *

توق نفسك واحذر من غوائلها * فالنفس اخبث من سبعين شيطانا

فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن على مخالفتها قلبك بكل حال تصب وتسلم ثم عليك بالجامها بالتقوى لاحيلة لها سواه وقد قال القائل *

انى ابتليت باربع يرموننى * بالنبل من قوس لها تاثير
ابليس والدنيا ونفسى والهوى * انت يارب على الخلاص قدير

ونسئل الله خير مسئول ان يمدنا بحسن التوفيق وان يعيننا على سواء الطريق فانه الكافى لكل مهم وهو على كل شئ قدير تمت قنطرة النفس بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه بمنه وكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

(القنطرة الثانية عشرة قنطرة العوارض) وفيها اربعة ابواب احدها باب الرزق وتطالب النفس به وكفايتها بالتوكل والثانى باب الاخطار التى تخطر على القلب من شئ يخافه الانسان او يرجوه او يريده او يكرهه ولا يدرى صلاحه فى ذلك او فساده وكفايتها بالتفويض والباب الثالث باب المصائب والشدائد وكفايتها بالصبر والباب الرابع القضاء من الله سبحانه بالخلق والامر يرد عليه حالا فحالا والنفس تسارع الى السخط وكفاية هذا الباب بالرضى عند نزول القضاء فهذه الاربعة هى العوارض التى تعترض الانسان فتشغله عن العبادة فالواجب عليه ان يسد سبيلها لئلا تشغله

عن مقصوده من عبادة الله سبحانه * (باب في الرزق) *
اعلم يا اخي رحمك الله ان الله تبارك وتعالى قسم الارزاق بين
عباده على ما شاء من تدبيره وان القدر سيجري عليك بقسمك
منه ويوفيكه غير منزا تدفيه بحولك وقوتك ولا منقص
منه بضعفك وعجزك قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا الآية وقال تعالى له مقاليد السموات والارض
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء الآية
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في
روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها واتقوا الله
واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوا
شيئا من فضل الله بمعصيته فانه لن ينال ما عند الله الا
بطاعة الله وعنه عليه السلام انه قال ان الجليل جل جلاله
لما استوى على عرشه قال عبادي انتم خلقي وانا ربكم ارزاقكم
بيدي فلا تتهموني بما تكفلت لكم فاطلبوا الي ارزاقكم
وارفعوا الي حوايجكم فقضاءها بيدي انصفوا من انفسكم
اصب عليكم ارزاقكم عبادي انفقوا انفق عليكم ووسعوا
اوسع عليكم فلا تضيقوا فاضيق عليكم ولا تضروا احدا
فاضركم ان باب الرزق مفتوح من فوق سبع سموات
موصل الى العرش لا يغلق ليلا ولا نهارا انزل الرزق على كل
امرئ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته من اكثر
اكثر له ومن امسك امسك عنه ويقال ان الله تعالى خلق
الارزاق قبل الاجسام بالفي عام ثم بسطها بين السماء والارض

ثم امر الرياح ومزقتها الى مشارق الارض ومغاربها فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فمنكم من وقع رزقه في الفي موضع ومنكم من وقع رزقه في خمسمائة موضع وغير ذلك وعنه عليه السلام انه قال لو فر احدكم من رزقه لادركه كما يدركه الموت وعن ابي حازم انه قال وجدت الدنيا شيئين فشئ منها هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشئ منها هو لغيري فذلك مالم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لي من غيري كما يمنع الذي لغيري مني ففي اي هذين فني عمري ووجدت ما اعطيت من الدنيا شيئين فشئ ياتي اجله قبل اجلي واغلب عليه وشئ ياتي اجلي قبل اجله فاموت واخلفه لمن بعدي ففي اي هذين اعصي ربي وقد قال الله سبحانه وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فكما لا يخفى عليه امرها فكذلك لا يضيعها في رزقها وقد روى عن انس بن مالك انه قال جئت يوما الى النبي صلى الله عليه وسلم بماء ليتوضى وطير على شجرة اعمى يضرب بمنقاره في الشجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا انس اتعرف ما يقول هذا الطائر فقلت الله ورسوله اعلم فقال عليه السلام يقول يارب انت خلقتني وسويت خلقتي واعميت بصري وقد جعت فاطعمني قال انس فما اتم النبي عليه السلام الكلام حتى جاءت جرادة الى فم الطائر فاكلها ثم جعل يضرب بمنقاره على الشجرة فقال النبي عليه السلام يا انس اتدري ما يقول قلت الله ورسوله اعلم قال يقول الطائر ومن يتوكل على الله

لا ينساه وقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون قيل المطر
وقيل مكتوب في السماء رزق فلان كذا وفلان كذا وما توعدون
قيل من خير وشر مكتوب في السماء وقيل وما توعدون يعني
الجنة فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
ويروى انه لما نزلت هذه الآية اشتمل قوم من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم على سيوفهم فقالوا يا رسول الله من
هذا الذي ضمن الله له رزقه فلم يرض به حتى اقسم له بنفسه
دلنا عليه قال وما تصنعون به قالوا نضربه بسيوفنا
وعن الاصمعي انه قال خرجت ذات يوم من مسجد البصرة
اذ طلع علي اعرابي حافيا متقلدا بسيفه فقال لي من الرجل
قلت من بني الاصمعي قال انت الاصمعي قلت نعم قال من
اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال او لله
كلام يتلوه الادميون قلت نعم قال اتل علي منه فابتدات
بالذاريات حتى بلغت وفي السماء رزقكم وما توعدون فقال
يا اصمعي هذا كلام ربي فقلت اي والله فقال حسبك
فقام الى ناقته فنحرها وقسم لحمها وكسر سيفه وولى وهو
يقول وفي السماء رزقكم وما توعدون فقضى الله لي الحج مع
هارون الرشيد فبينما انا اطوف اذا انا بالاعرابي مصفر
اللون فسلم علي فاجلسني فقال اتل علي ما كنت تتلوه فعرفته
فتحت السورة حتى بلغت وفي السماء رزقكم وما توعدون
الآية فصاح فقال وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يا اصمعي هل غير
هذا فقلت نعم فورب السماء والارض انه لحق الآية فصاح
الاعرابي فقال من ذا الذي اغضب الجليل جل جلاله حتى

اقسم وخرجت نفسه وكان يقال من لم يقنع برزقه
عذب نفسه وانشدوا *

على آية اقتل النفس هم * وقد قسم الله رزق الامم
واقسم في سورة الذاريات * على الرزق من ليس بالمتهم
فمن كان في ظلمات ثلاث * فلا بد للرزق ياتيه ثم
الاكل ما كان او ما يكون * فقد جف عنه مداد القلم

فاذا كنت يا اخي تعرف ربك وتعرف عدله فلا تتهمه في
رزقك فلا يحملنك الحرص وضيق النفس على ان تستبطئ رزقه
وفضله فانه لا يدعك حتى ياتيك بما قسم لك من حيث
لا تعلم وروى عن موسى عليه السلام انه قال في مناجاته
الهي اني جائع فاوحى الله اليه انى اعلم بذلك يا موسى قال
الهي فاطعمني قال حتى اريد قال تعالى الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر فدلنا تعالى بهذه الآية على التوكل والثقة
فاسكن يا اخي من اضطرابك ودع حيلتك وسل من بيده
البسط ان يوسع عليك وانشدوا *

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين

ويروى ان هرم بن حيان قال لاويس القرني رحمه الله اين
تامرني ان اكون فاومى الى الشام فقال هرم كيف المعيشة
بها قال اويس اف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما
تنفعها الموعظة فعليك يا مسكين بطلب الارزاق ممن
تكفل لك بها ولا تطلبها من طالب مثلك لا ضمان عليه
وان وعدك اخلفك وانشد والعلي بن ابي طالب

اتطلب رزق الله من عند غيره * وتصبح من خوف العواقب امنا
اترضى بصراف وان كان مشركا * ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا
كانك لم تعرف بما فى كتابه * فاصبحت مدخول اليقين مباينا

فصل وقال اهل العلم ان الرزق ينقسم على اربعة اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء وما به قوام البنية دون سائر الاسباب فالضمان من الله تعالى لهذا النوع والتوكل يجب بازائه بدليل العقل والشرع على ما سياتى ان شاء الله بيانه لان الله تعالى كلفنا خدمته وطاعته بابداننا فضمن ما يسد به خلل البنية لتقوم بما كلفنا وروى عن بعض مشايخ الكرامية ان ضمان ارزاق العباد واجب فى حكمة الله تعالى لثلاثة اوجه احدها انه السيد ونحن العبيد وعلى السيد مؤنة كفاية العبيد كما ان على العبد خدمة السيد الثانى انه انما خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه من مكانه فى وقته ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصلهم اليه والثالث انه كلفهم الخدمة وطلب الرزق شاغل عنها فوجب ان يكفيهم المؤنة ليتفرغوا للخدمة والقائل بالوجوب على الله مخطئ الا ان اراد ان ذلك واجب فى جوده وكرمه فنعم والله اعلم واما الرزق المقسوم فهو ما قسم الله سبحانه وكتبه فى اللوح المحفوظ من جميع ما ياكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر ووقت مؤقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتاخر عما كتبه

بعينه قال عليه السلام الرزق مقسوم مفروغ منه ليس تقوى تقى يزايده ولا فجور فاجر ينا قصه واما الرزق المملوك فهوما يملكه الانسان من اموال الدنيا على حسب ما قدر الله تعالى وقسم له ان يملكه وهو من رزق الله تعالى قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم اى مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله تعالى للمتقين من عباده بشرط التقوى حلالا من غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون منها فاعلم ذلك وبالله التوفيق فصل في التوكل قال الله تعالى وتوكل على الحي الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا قيل قرا بعض العلماء بهذه الآية فقال ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية ان يلجئ الى احد غير الله تعالى وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فجعل النبي والنبيون يمرون ومعهم الرهط والنبي ليس معه احد حتى رفع لى سواد عظيم فقلت ما هذا هذه امتى قيل هذا موسى وقومه قيل لى انظر الى الافق فاذا سواد يملأ الافق فقيل لى هذه امتك ويدخل الجنة مع هؤلاء سبعون الفا بغير حساب تضيئ وجوههم اضاءة القمر ثم دخل ولم يبين لهم فافاض القوم فقالوا نحن الذين امنوا واتبعوا رسوله فنحن هم او اولادنا ولدوا على الاسلام فانا ولدنا في الجاهلية وفي حديث آخر فقال بعض المسلمين نحن قد ذقنا الشرك وربما هؤلاء الانبياء ومن ياتى بعد من ابنائنا فبلغ ذلك النبى

صلى الله عليه وسلم فخرج فقال هم الذين لا يسترقون ولا
يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وقال عليه السلام
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطيور تغدو
خماصا وتروح بطانا من توكل عليه كفاه كل مئونة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى
اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قال سال بعض الحكماء من
اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربي من اين
يطعمني وقال رجل لاعرابي فى فلاة من اين معيشتك فقال
لو كنا لا نعيش الا من حيث نعلم لطال جوعنا وكان يقال
متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا وقال
دخل جماعة الى بعض الزهاد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم
اين هو فاطلبوه فقالوا نسأله فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه
وقالوا ندخل البيت فنتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة
قال ترك الحيلة وعن اويس القرني رحمه الله قال لو عبدت
الله تعالى بعبادة اهل السموات واهل الارض لما تقبل
منك حتى تصدقه قيل فكيف نصدقه قال تكون آمنا
بما تكفل الله به من امر رزقك وترى جسمك فارغا لعبادته
ويروى ان قوما من الاعراب زرعوا زرعا فلما بلغ اصابته
آفة فاشتد ذلك عليهم حتى رؤى فيهم فخرجت اعرابية منهم
فقالت ما لى اراكم جلوسا مغيرة الوانكم ميتة قلوبكم
هو ربنا فليفعل بنا ما شاء وليرزقنا من حيث شاء ثم قالت
لو ان فى صخرة فى البحر راسية * صما ململمة ملسا نواحيها
رزقا لنفس براها الله لانفلقت * حتى تؤدى اليها كل ما فيها

اوكان بين طباق السبع مسلكها * لسهل الله فى المرقى مراقيها
حتى تنال الذى فى اللوح خط لها * فان اتته والا سوف يا تيها

وعن سعيد بن جبير انه قال التوكل جماع الايمان **فصل**
اعلم ان التوكل محله القلب ومعناه ماخوذ من قولك توكل فلان على فلان وهو ان يتخذه بمنزله الوكيل القائم بامره وحقيقة التوكل هو سكون القلب فى ضمان الرب وهو ان تعلم ان الله تعالى لم يترك امرا مهملا بل فرغ من الاشياء وقدرها وان اختلف منها شئ فى المعقول او تشوش فى المحسوس او اضطرب فى المعهود فهو المدبر وشانه سوق المقادير الى المواقيت فحقيقة التوكل يرجع الى اصل واحد وهو ان تعلم ان الله تعالى لضامن لما تقوم به بنيتك مقدر لما يجرى عليك فتوطن نفسك على ذلك وتريح قلبك من التعلق الى غيره واما حصن التوكل الباعث عليه فهو ذكر ضمان الله تعالى وحصن حصن التوكل ذكر عظمة الله وكماله ونزاهته عن الخلف والسهو والعجز فاذا واظب القلب على هذه المعانى بعثته على التوكل على الله تعالى فى امر الرزق لانه تعالى قرن الرزق بالخلق فقال خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق منه تعالى لا غير كالخلق ثم لم يكتف بالادلة حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ثم لم يكتف بالوعد حتى ضمن فقال ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان حتى اقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ثم لم يكتف بذلك كله حتى امر بالتوكل فابلغ وانذر فقال وتوكل على الحى الذى لا يموت فمن لم يعبأ بقوله ولم يكتف بوعده ولم يطمئن

لضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله فهذه والله محنة عظيمة ومصيبة جسيمة وقد قال الحسن لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه ويروى ان الملائكة قالت عند نزول هذه الآية فورب السماء والارض الآية هلكت بنو آدم اغضبوا ربهم حتى اقسم لهم على ارزاقهم والله اعلم واحكم *(مسئلة)* اعلم ان الجاهل قد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن والتدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجاهل وذلك حرام فى الشرع لانه قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بارتكاب محرماته بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تاثير التوكل فى حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وذلك محصور فى اربعة اوجه احدها اما ان يكون لجلب نافع مفقود يحصله بالكسب او لحفظ موجود عنده يصونه بالادخار اولدفع ضار لئلا ينزل به كاللص والسباع اولازالة ضار قد نزل به كالتداوى من المرض فمقصود حركات العبد لا تعد وهذه الوجوه اما جلب نافع فيكون على ثلاثة اوجه احدها مقطوع به مثل الاسباب التى ارتبطت المسببات بها بتقدير الله عز وجل ارتباطا مطردا لا يختلف مثل الطعام الموضوع بين يدى الجائع المحتاج اليه فلا يمد اليد اليه فيقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعى ومد اليد سعى وحركة وكذلك مضغه بالاسنان فهذا جنون وليس من التوكل فى شئ فانه ان انتظر ان يخلق الله فيه شبعا دون اكل الخبز ودون ان يتحرك اليه او انتظر ان يسخر

له ملكا يمضغ له فقد جهل سنة الله فى البلاد والعباد وكان
بمنزلة من طمع فى الزرع بغير بذر ولا حرث وطمع فى الولد بغير
جماع زوجة وامثال هذا مما يكثر فليس التوكل فى هذا المقام
بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان يعلم ان الله خالق الطعام
واليد وانه الذى يطعمه ويسقيه واما الحال فيكون سكونه
واعتماده على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام اذ تجف اليد
ويسلب الطعام فى الحال فاذا كان هكذا علمه وحاله فليمد اليد
اليه فانه متوكل الوجه الثانى الاسباب التى ليست متعينة
لكن الغالب ان المسبب لا يحصل دونها كالذى يسافر فى البادية
بغير زاد فهذا متوكل بشرطين احدهما ان يكون قد راض نفسه
على الصبر على الطعام اسبوعا وما قاربه والثانى ان يكون
بحيث يتقوت بالحشيش او الاشياء الخسيسة فبين الوجهين
فرق لانه فى هذا الوجه يحتمل ان يجد طعاما او ينتهى الى محلة
او قرية والوجه الاول لا يحتمل ان يتحرك الطعام ممضوغا فى
فيه فبينهما فرق ولكن الثانى قريب من معنى الاول وقد روى
ان زاهدا اقام فى جبل اسبوعا وقال لا اسئل احدا فاوحى الله
اليه فوعزتى وجلالى لا ارزقك حتى تدخل الامصار ففعل
فاتاه الناس بالطعام فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتى
بزهدك اما علمت انى ارزق عبدى على ايدى عبادى احب الى
ان ارزقه بيد قدرتى ولذلك قال بعض العلماء لو انحاز الى
جبل لا ماء فيه ولا حشيش ولا يطرقه انسان وجلس فيه
متوكلا لكان آثما ساعيا فى اهلاك نفسه فلما كان الامر على
ما وصفنا كان التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة فالاول

متوكل بالحال والعلم والثانى متوكل بالحال والعلم والشرط اذ يمكن ان يؤخذ الزاد من صاحبه فيموت جوعا والله اعلم (الوجه) الثالث القاعد فى مسجد قرية تاركا للكسب فهذا متوكل ولكنه اضعف من الاول لانه بالقعود فى المصر متعرض لاسباب الرزق ولكن هذا لا يبطل توكله اذا كان نظره الى مسخر سكان البلد لا الى الساكن فى البلد والله اعلم وكما روى ان عابدا كان بالحرم وكان رجل يأتيه كل يوم بقرصتين يفطر عليهما ولا يشتغل بغير الله عز وجل فقالت له نفسه يا هذا اسكنت الى هذا المخلوق ونسيت رازق المخلوقين والله ليرزقنك على يد غيره ما هذه الغفلة وما هذا السكون لغير الله تعالى فبينما هو يعاتب نفسه فاذا هو بالرجل قد اتاه بالقرصتين فردهما عليه وانتهره وبقى العابد ثلاثة ايام لم يفتح عليه بقوت فشكى ذلك الى الله تعالى فنام فرآى فى منامه كانه واقف بين يدى الله فقال له عبدى لم رددت عبدى بما ارسلته به اليك فقال يارب بما قام فى نفسى من السكون الى غيرك فقال عبدى من ارسله اليك قال انت يارب قال فانت ممن تاخذه قال منك يارب قال فخذ لا تعد فنام الرجل الذى يأتيه بالقرصتين فرآى كانه واقف بين يدى الله تعالى فقال له لم قطعت عن عبدى القرصتين فقال يارب ردهما على وانتهرنى قال لمن كنت تعطى قال لك يارب قال فمر على عادتك وثوابك الجنة (الوجه الرابع) ان يكتسب على الوجه المباح فى الشرع يرى كسبه وبضاعته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم فى يد الكاتب فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك الكاتب بماذا يتحرك

والى ما ذا يميل فاذا كان هكذا فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد فى بيته اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما تقدم وقد قال بعض علماء السلف التوكل بالقلب والاكتساب بالبدن فاذا اكتسبت ببدنك واتكلت على الله بقلبك فانت متوكل وان تركت العمل ببدنك واشتغل قلبك بالخلق فلست بمتوكل وسيأتى شرح ذلك ان شاء الله فى باب القدر واما حفظ الموجود الذى فى ايدى الانسان بالصيانة والادخار فانه ان استوثق بما فى يده وظن انه لا يزول ولا يفارقه فهذا اتكال على غير الله واما ان اتكل على هذا وايقن انه من عند الله وهو قادر على ازالته وذهابه ولم يمنع حقا من حقوقه فهذا اتكال على الله ويقال من ضعف اليقين الاستيثاق بما فى يده دون ما فى يد الله وقيل ايضا الثقة بالموجود سوء ظن بالمعبود والله اعلم واما دفع ضار لم ينزل به من لص او سبع او غير ذلك من جميع المضار من الحر والبرد وغيرهما فان ذلك امر مامور به فى الشرع قال الله تعالى خذوا حذركم الآية وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم ظاهر بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة ليحترس به من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم الآية واما ازالة ضار قد نزل به كالتداوى من المرض فذلك مباح فى الشرع ايضا فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم امر بالمداوات وقال ان الذى انزل الداء

انزل الدواء ويقال انه عليه السلام شرب السناء بالتمر واستعاط بالسمسم وقال عليكم بالحبة السوداء فانها شفاء من كل داء الا السام يعني الموت ويروى ان موسى عليه السلام قال ممن الداء قال مني قال فممن الدواء قال مني قال فما ينفع الاطباء قال يطيبون نفوس عبادي فهذه الاخبار تدل على اباحة التداوي وازالة المضار اذا كان نظر الانسان الى رب الدواء يتوقع الشفاء والفرج من عنده لا الى الدواء في نفسه انه ينفع العلاج به او يضر تركه والله اعلم فان قيل اليس قد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى او اكتوى فقد برئ من التوكل قلنا اليس قد ظاهر بين درعين وشرب الدواء وسائر ما ذكرناه آنفا فان قيل فما المخرج قيل قال بعض العلماء من استرقى او اكتوى متوكلا على الرقية والكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه من التوكل ويلحقه برتبة الكفر اذا كان يضيف الحوادث الى غير الله واما من آمن بمسبب الاسباب وخالق الادوية وتعاطى المداوات بها على ما جرت عادة الله تعالى في خلقه غير معتمد على شئ من تلك الاسباب بل هو واثق القلب ان ما حصل من ذلك فبتيسيره وما تعسر فبتقديره فهذا متوكل على الله بشرط ان يسلك في جميع ذلك طريق الشرع والطاعة ولا يسلك طريق المعصية والمخالفة وبالله التوفيق

(الثاني باب الاخطار) التي تخطر على القلب من شئ يخافه الانسان او يرجوه او يريده او يكرهه ولا يدري فساده في ذلك او صلاحه فان عواقب الامور مبهمة فيشتغل

قلبه بذلك فانه ربما يقع فی فساد او مهلكة وتلك الاخطار
فی الجملة علی وجهين احدهما خطر الشك بانه يكون اولا يكون
او انك تصل اليه او لا تصل اليه وهذا يحتاج الی الاستثناء
او يقع فی باب النية والامل قال الله تعالی ولا تقولن لشیء
انی فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واصل الاستثناء رد
المشيئة الی الله تعالی مثل قولك ان شاء الله او ان اراد الله
او ان قدر الله او ان كان ذلك فی علم الله او ان كان فی اللوح
المحفوظ وترك الاستثناء ذنب من الذنوب وذلك ان
قال انا فاعل هذا غدا واما ان قال انا فاعل بعد غد او جميع
الاوقات المستقبلة غير غد ففيه قولان والذی ينبغی
للانسان ان يعتمد فی ذلك علی الله ويستخيره قال الله تعالی
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهیء لنا من امرنا رشدا وعن
جابر قال كان النبی صلی الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة
فی الامور كما يعلمنا السورة من القرآن اذا هم احدكم بالامر
فليركع ركعتين ثم يقول اللهم انی استخيرك بعلمك واستقدرك
بقدرتك واسئلك بفضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر
وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا
الامر خير لی فی دينی ومعاشی وعاقبة امری او قال فی عاجل
امری وآجله فاقدره لی وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لی
فی دينی ومعاشی وعاقبة امری او قال فی عاجل امری
وآجله فاصرفه عنی واصرفنی عنه وقدر لی الخير حيث
كان وارضنی به ويسمی حاجته وعنه عليه السلام انه
قال من سعادة ابن آدم استخارته الله والوجه الثانی

خطر الفساد بان لا تستيقن فيه الصلاح لنفسك وهو الذى
يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلفت عبارة العلماء فى الخطر
فقال بعضهم الخطر فى الفعل هو ان تكون دونه نجاة ويمكن ان
يجامعه ذنب فاما الايمان واتباع السنة والاستقامة على
ذلك فلا خطر فيها اذ لا تمكن دونه الايمان نجاة والاستقامة
لا يجامعها ذنب فاذا تصح ارادة الايمان والاستقامة بالحكم
وقال آخرون الخطر فى الفعل الاولى هو ما يمكن ان يعرض فيه
ما يكون الاشتغال بالعوارض اولى من الاقدام على ذلك
الفعل وذلك يقع فى المباحات والسنن والفرائض الا ترى
ان من يضيق عليه وقت الصلاة وقصد اداءها فقصده
حريق او غريق يمكن انقاذه فالاشتغال بانقاذ النفس من
الحريق والغريق اولى من الاقبال على صلاته فلا تصح اذا ارادة
المباحات والسنن وكثير من الفرائض بالحكم والله اعلم
فصل فالواجب على العبد ان يستكفى عارض الاخطار
بتفويض الامر كله الى الله تعالى قال الله سبحانه حكاية عن
مؤمن آل فرعون وافوض امرى الى الله الآية ثم قال جل وعلا
فوقاه الله سيئات ما مكروا الآية وقال عليه السلام لابن
مسعود ليقل همك ما قدر ياتك وما لم يقدر لا ياتيك وقوله
ليقل همك امر له بالتفويض وينشد *

نفس تنازعنى فقلت لها اقصرى * موت يريحك او صعود المنبر
ما قد قضى سيكون فاصطبرى له * ولك الامان من الذى لم يقدر
كى تعلمى ان المقدر كائن * لا بد منه صبرت او لم تصبرى

فعليك بتفويض الامور كلها الى الله تعالى وذلك لامرين احدهما

للطمانينة فى القلب فى تلك الحالة فان الامور اذا كانت خطرة مبهمة العواقب لا يدرى صلاحها من فسادها فمن لم يطمئن قلبه بتفويض الامر الى مالكه فانه يبقى مضطرب البال مختل الحال فاذا فوض الامر الى الله تعالى اطمأن قلبه وامن من الخطر وارتاح وقد قال بعض السلف دع التدبير الى من خلقك تسترح ويروى ان الله سبحانه اوحى الى داود عليه السلام تريد واريد ولا يكون الا ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد وينشد *

يريد العبد ان يؤتى مناه * ويابى الله الا ما اراد

يقول العبد فائدتى ومالى * وتقوى الله افضل ما استفاد

والثانى من الامرين حصول الصلاح والخير فى الاستقبال وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر فى صورة خير وكم من ضر فى صورة نفع وكم من سم فى هيئة شهد وانت الجاهل بالعواقب والاسرار فاذا اردت الامور قطعا واخذت فيها باختيارك متحكما فما اسرع ما تقع فى هلاك وانت لا تشعر ولقد حكى ان بعض العباد كان يسئل الله ان يريه ابليس اللعين فقيل له سل الله العافية فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لاهلكتك وعاقبتك فاغتر بقوله وقال فى نفسه ان عمرى بعيد افعل ما اريد ثم اتوب فوقع فى الفسق فترك العبادة فهلك ففى هذا ما ينهيك عن ترك التحكم فى ارادتك واللجاج فى مطلوبك واما اذا فوضت الامر اليه تعالى وسالته ان يختار لك ما هو صلاحك لم تلق الا السداد والخير

ان شاء الله تعالى ثم اذا استخرت ربك وفوضت اليه امرك
فلا تتهمه فيما اختار لك وان كان مكروها عندك فرب خير
في صورة شر ومحبوب في صورة مكروه وقد قال تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وفي قصة الخضر
مع موسى عليه السلام في سورة الكهف ما يدلك على ما
ذكرنا من خرق الخضر سفينة المساكين وقتل الغلام وتسوية
الجدار وانكار موسى عليه السلام ذلك عليه بظاهر الامر
حتى فسر ذلك الخضر عليه السلام قال الله تعالى حكاية عن
العبد الصالح وافوض امري الى الله الى آخر الآية اما ترى كيف
اعقبه ذلك الوقاية من الاسواء والنصرة على الاعداء والله
اعلم **فصل** فان قيل بين لنا موضع التفويض ومعناه
وحده وضده قيل له اما موضعه فاعلم ان المراد ثلاثة مراد
يعلم يقينا انه فساد وشر كالنار والعذاب وفي الافعال كالكفر
والمعاصي فلا سبيل الى ارادة ذلك والثاني مراد يعلم قطعا
انه صلاح كالجنة والايمان والطاعة فلك ارادتها بالحكم
لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه صلاح
وخير والثالث مراد لا يعلم يقينا انه صلاح لك او فساد
وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا موضع التفويض فليس
لك ان تريدها قطعا بل باستثناء وشرط الخير والصلاح
فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان اردت
ذلك بغير استثناء فهو طمع مذموم منهي عنه فموضع
الاستثناء اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا تستيقن
صلاحك فيه واما معنى التفويض فقد اختلفت فيه

عبارات العلماء فقال بعضهم معناه ترك اختيار ما فيه الخطر الى اختيار المدبر العالم بمصلحة الخلق وقال آخرون هو ترك الطمع والطمع هو ارادة الشئ المخاطر بالحكم وقيل التفويض هو ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تامن فيه الخطر واما ضد التفويض على هذا المعنى فهو عندهم الطمع والطمع عندهم فى الجملة يجرى على وجهين احدهما فى معنى الرجاء تريد شيئا لا خطر فيه او فيه خطر فتريده بالاستثناء وذلك ممدوح قال الله تعالى اطمع ان يغفر لى خطيئتى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا والثانى طمع مذموم قال عليه السلام اياكم والطمع فانه فقر حاضر وقال بعضهم الطمع المذموم شيئان احدهما سكون القلب عن منفعة مشكوك فيها والثانى ارادة الشئ بمخاطرة بالحكم قال وهذه الارادة تقابل التفويض والله اعلم وينشد

الى الله الا ما اراد وقدرا * وان بيت الانسان رايا ودبرا
يريد الفتى قصدا بعزم ونية * فتصرفه الاقدار عنه وما درا
فكم مركب فى البحر ام لبلدة * فدارت به الارياح دورا الى اخرى
وكم آخذ نهج اليمين بعزمة * فقادته انفاذ المقادير لليسرا
ففوض الى الرحمن قصدك كله * والق اليه فى عنا بملك العرا

(الباب الثالث باب المصائب والصبر)

قال الله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع الى قوله واولئك هم المهتدون اعلم ان الله تعالى لخبر المسلمين فى هذه الآية انه سيبتليهم بانواع البلايا فامرهم بالصبر لان الصبر هلاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة قال الله تعالى

وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ويقال ان
الله سبحانه ذكر الصبر فى كتابه فى نيف وسبعين موضعا
واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر فقال تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وقال تعالى وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا لما صبروا ثم امر بالصبر فقال واصبر وما صبرك
الا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين فمن امارات حسن التوفيق
وعلامة السعادة الصبر فى الملمات والرفق فى الامور وقد جمع
الله للصابرين امورا لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وكان عمر رضى الله عنه
يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعنى بالعدلين
الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق
العدلين على ظهر البعير وفى الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ما من مصيبة وان عظمت الا والصبر خير
منها وسئل عليه السلام عن الايمان فقال الصبر والسماح
وفسر ذلك بعض العلماء فقال الصبر لله على طاعته والسماح
لله بفرائضه وقال عليه السلام الصبر كنز من كنوز
الجنة وقال عليه السلام افضل الاعمال ما اكرهت عليه
النفوس وقال عليه السلام الصبر نصف الايمان وقال
من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه
منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان
تصبروا على ما انتم عليه احب الى من ان يوافينى كل امرئ
منكم بما عمل جميعكم ولكنى اخاف ان تفتح عليكم الدنيا فينكر
بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب

ظفر بكمال آية ثم قرا ما عندكم ينفد وما عند الله باق الآية
وقال عليه السلام لابن عباس اعمل على الرضى واليقين والا
ففى الصبر على ما تكره خير كثير وقال عيسى عليه السلام
انكم لا تدركون ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون وقال
عليه السلام لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين
وعن على بن ابى طالب انه قال بنى الاسلام على اربع دعائم اليقين
والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة
الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له
وعن ابى الدرداء قال ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر من الكروب
وعون على الخطوب وقال على بن ابى طالب الصبر مطية لا
تكبو والقناعة سيف لا ينبو وقال بعض العلماء لم اسمع
باعجب من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو ان الصبر
والشكر بعيران ما باليت ايهما ركبت وعن عبد الله بن عباس
انه قال افضل العدة الصبر على الشدة وقيل فى منثور الحكم
من احب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا وينشد لعبيد الله الابرص

اصبر النفس عند كل ملم * ان فى الصبر حيلة المحتال
لا يضيقن بالامور فقد * يكشف غماءها بغير احتيال
ربما تجزع النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

وقال بعض البلغاء ان لكل شئ ثمرة وثمرة الصبر الظفر وروى
ان ابن المقفع قال فى كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام اصبر
اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه
ان يكون الرجل قوى الجسد على الكد والعمل لان هذا من صفة

الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الغضب مرتبطا وبالله التوفيق بيان الاسامى التى تتخذ للصبر اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدنى كتحمل المشاق والثبات عليها من اعمال الطاعة وغيرها او بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض وغيرهما وقد يكون محمودا اذا وافق الشرع والضرب الثانى الصبر النفسى وهو ضبط النفس عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى وهذا هو الصبر التام المحمود ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمى عفة وان كان احتمال مكروه فان اساميه عند الناس مختلفة كاختلاف المكروه الذى عليه الصبر فان كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق دواعى الهوى فى رفع الصوت وضرب الخدد وشق الجيوب وغيرها وان كان فى احتمال الغنى سمى ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان فى حرب ومقاتلة سمى شجاعة ويضادده الجبن وان كان فى كظم الغيظ سمى حلما ويضادده التذمر وان كان فى نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ويضادده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان فى اخفاء الكلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمى زهدا ويضادده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة ويضادده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل فى الصبر فلذلك لما سئل النبى عليه السلام مرة عن الايمان فقال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله تعالى

اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين فى
البأساء اى المصيبة والضراء اى الفقر وحين البأس اى
القتال والحرب اولئك الذين صدقوا الآية فاذا هذه اقسام
الصبر بجميع متعلقاتها ومن يأخذ المعانى من الاسامى يظن
ان هذه احوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها من حيث رداء
الاسامى مختلفة والذى ينظر بنور الله تعالى ينظر المعانى
اولا فيتطلع على حقائقها لان الاسامى انما وضعت دالة
على المعانى والمعانى هى الاصول والالفاظ هى التوابع وبالله
التوفيق فصل اعلم ان الصبر على ستة اقسام وهو
فى كل قسم منها محمود فاول اقسامه واولاها الصبر على
امتثال اوامر الله تعالى والانتهاء عن مناهيه لان به تخلص
الطاعة ويصح الدين وتؤدى الفرائض ويستحق الثواب
كما قال فى محكم التنزيل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
ولذلك قال عليه السلام الصبر من الايمان بمنزلة الراس
من الجسد وليس لمن قل صبره على طاعة الله حظ من بر
ولا نصيب من صلاح وقد قال الحسن يا من يطلب من
الدنيا ما لا يلحقه اترجوا ان تلحق من الآخرة ما لا تطلبه
وقد قال بعض العلماء الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة
وقال عمر بن عبد العزيز للقاسم بن محمد اوصنى فقال عليك
بالصبر فى مواطن الصبر وقال بعض العلماء من نوى الصبر على
طاعة الله صبره الله عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن
معاصى الله عصمه الله منها ثم من العبادة ما يكره بسبب
الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها

مايكره بسببهما جميعا نحو الحج والجهاد فالصبر على الطاعة
صبر على الشدائد قال الله سبحانه يا ايها الذين امنوا اصبروا
قيل معناه على ما فرض الله عليكم وصابروا قيل معناه صابروا
عدوكم ورابطوا فيه تاويلان احدهما رابطوا على الجهاد والثاني
رابطوا على انتظار الصلاة بدليل قوله عليه السلام الا ادلكم
على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول
الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد
وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط قالها ثلاثا واعلم
ان المطيع يحتاج الى الصبر على طاعة الله في ثلاثة احوال
الاولة قبل الشروع في الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص
والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وذلك من الصبر
على الشدائد عند من يعرف حقائق النية والاخلاص وآفات
الرياء ومكائد النفس وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال
الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى وقال الله تعالى وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين الآية ولهذا المعنى قدم الله
الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
الحالة الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله تعالى في اثناء
عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويلازم الصبر
عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايض من شدائد الصبر ولعله
المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي صبروا
على اتمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج
الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للرياء والسمعة والصبر
عن النظر اليه بعين الاعجاب وعن كل ما يحبط عمله قال الله

تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة
عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض
ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله في
قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية
فالعدل قيل هو الفرض والاحسان قيل هو النفل وايتاء ذي
القربي هى المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر
وكذلك الصبر على المعاصى من اعظم الشدائد وقد جمع الله
انواع المعاصى في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقد
قال عليه السلام المهاجر من هاجر السوء والمجاهد من جاهد
هواه وقد قال عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر يعنى
جهاد العدو الى الجهاد الاكبر يعنى جهاد النفس وقال الحسن
البصرى الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عند ترك
ما نهى الله عنه وهو الافضل ثم ان كانت تلك المعاصى مما
يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصى
اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا
وتصريحا وانواع المزاح المؤذي للقلوب وانواع الكلمات
التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم
وفى علومهم وسيرهم وكل ذلك يحتاج في الكف عنه الى
الصبر الشديد فمن لم يصبر على الطاعة ويكف عن المعصية
لينال الجزيل الثواب ويسلم من اليم العذاب كان بعيدا عن
الرشاد حقيقا بالضلال وينشد لابى العتاهية *
اراك امرأ ترجو من الله عفوه * وانت على ما لا يحب مقيم
تدل على التقوى وانت مقصر * ايا من يداوى الناس وهو سقيم

وهذا النوع من الصبر انما يكون لفرط الجزع وشدة الخوف فان من خاف الله صبر على طاعته ومن جزع من عقابه وقف عند اوامره القسم الثاني الصبر على ما تقضت اوقاته من رزية اجهده الحزن عليها مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة فسائر انواع البلاء فالصبر على ذلك من اعلا مقامات الصبر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة وصبر على محارم الله فله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وانما فضلت هذه الرتبة على ما قبلها لان ذلك شديد على النفس وقد قال عليه السلام في دعائه واسئلك من اليقين ما تهون به على مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين وعن على انه قال الصبر على المصيبة ثلاثمائة درجة وعلى الطاعة ستمائة درجة وعلى المعصية تسعمائة درجة وقال بعض السلف والله ما نصبر على ما نحب فكيف الصبر على ما نكره وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال من اصيب بمصيبة فقال كما امر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى في مصيبتى واعقبنى خيرا منها الا فعل الله له ذلك وعزى عليه السلام

امراة اصيبت بابن لها فقال ان لله ما اخذ من عباده وله ما بقى
ولكل اجل مسمى فاحتسبى واصبرى فانما الصبر عند اول
الصدمة وقال عليه السلام ان الله اذا احب قوما ابتلاهم
فمن رضى فله الرضى ومن جزع فله الجزع وقال ايض ان من اجلال
الله عزوجل ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك وان لا تشكو
مصيبتك وروى عنه انه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة يذهب
الله حبيبتيه فيصبر ويحتسب فيرضى الله له بثواب غير الجنة
ويروى عنه انه قال قد يدرك الرجل درجة فى الجنة لا يدركها
بصيام ولا بقيام ولا بحج ولا جهاد قيل فيم يدركها قال ببلية اتت
عليه فى جسده فصبر واحتسب اومصيبة اتت عليه فى
ولده اوماله فصبر واحتسب وعنه عليه السلام انه قال
ما يصيب المسلم من نصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وقال من يرد
الله به خيرا يصب منه وكان بعض العلماء اذا قرأ هذه الآية
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب قال واعجبا اعطى واثنى
اى اعطى الصبر واثنى عليه وقال النبى عليه السلام ليعز
المسلمين فى مصائبهم المصيبة بى وينشد *

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها * نوب تنوب اليوم تكشف فى غد
واذا ذكرت مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبى محمد

وقال بعض العلماء ان الله ليبتلى عبده المؤمن بالبلاء بعد البلاء
حتى يمشى على الارض وما عليه من ذنب وقيل حبس الشبلى
فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم فقالوا احبابك

جاءوك زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال
لو كنتم احبابى لصبرتم على بلاءى وقال بعض السلف ان الله
ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وعن
داود قال لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن
بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضى فيما قد نال
وحسن الصبر فيما قد فات وقال الحسن لولا ثلاثة ما طاطأ
ابن ادم راسه الفقر والمرض والموت وانه مع ذلك لوثاب
وقال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهى الخروج منها
وقال حاتم الاصم ان الله عز وجل يحتج يوم القيامة باربعة انفس
على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمان وعلى الفقراء بعيسى
وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب صلوات الله على
نبينا وعليهم اجمعين وقال لقمان لابنه يا بنى الذهب يجرب
بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء وقال عليه السلام الجزاء
على قدر البلاء وكان يقال الصبر سلامة والطيش ندامة
ويقال اوحى الله تعالى الى عزير واذا نزلت بك نازلة او بلية
فلا تشتكى الى خلقى كما لا اشكوك الى ملائكتى عند صعود
مساويك وفضائحك ويروى عن انس بن مالك انه قال
مات ابن لابى طلحة الانصارى فقالت ام سليم لاهلها لا يعلمن
احدا ابا طلحة حتى اكون انا اعلمه فامسى صائما فراح اليها
من عند النبى صلى الله عليه وسلم فافطر ولم تره جزعا ثم اعتم
فدخلت مخدعا لها فتطيبت ثم دخلت معه اللحاف فاصابها
فلما كان فى السحر قالت له يا ابا طلحة ان رجلا اعار اهل بيت
عارية فاستمتعوا بها ثم اخذ عاريته فسخطوا قال بئس

ما اصنعوا صاحب العارية احق بعاريته قالت فاحتسبك
ولدك فلانا قال فهلا اعلمتنى قبل ان اقع هذا الموقع فصلى الصبح
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال نمتما
عريسين وفى ناحية بيتكما ميت بارك الله لكما فى ليلتكما
قال فولدت غلاما فسماه عبد الله فحمل القرآن وهو ابن سبع
سنين فما كان لام سليم من ابى طلحة ولد شبيهه وكان يقال
ثلاثة من راس الصبر ان لا تحدث بوجعك ولا تشكو مصيبتك
ولا تزكى نفسك ويروى ان عروة بن الزبير قدم على عبد الملك
فساله دفن اخيه فاذن له وقدم معه ابنه محمد على الوليد بن
عبد الملك فنفحت محمدا دابة فمات ووقعت فى رجل عروة الاكلة
فقطعها من الساق ولم يمسكه احد وهو شيخ كبير ولم يدع
ورده تلك الليلة الا انه قال لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
وتمثل بهذه الابيات *

لعمري ما اهويت كفى لريبة * ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها * ولا دلنى راى عليها ولا عقلى
واعلم انى لم تصبنى مصيبة * من الدهر الا قد اصابت فتى قبلى

وقال اللهم ان كنت ابتليت فلقد عافيت وان كنت اخذت فلقد
ابقيت اخذت عضوا وتركت اعضاء واخذت ابنا وتركت
ابناء قال وقدم على الوليد فى تلك الليلة رجل اعمى من عبس
فساله عن عينيه فقال بت ليلة فى بطن واد ولا اعلم فى الارض
عبسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل فذهب بما كان لى من
اهل ومال وولد غير بعير وصبى وكان البعير صعبا فاتبعته
فما جاوزت الصبى الا يسيرا حتى سمعت صوته فرجعت فاسبت

راس الذئب فى بطنه ثم اتبعت البعير لآخذه فنفحنى برجله فاصاب وجهى فحطمنى فاصاب عينى فاصبحت لا اهل لى ولا مال لى ولا ولد ولا بعير فقال الوليد انطلقوا به الى عروة ليعلم ان فى الارض من هو اعظم منه بلاء وكان يقال العاقل لا يذل باول نكبة ولا يفرح باول نعمة فربما اقلع المحبوب عن ما يضره واجلى المكروه عن ما يسره وقال بعض السلف مكاره الدنيا تنقسم قسمين فقسم فيه حيلة والاضطراب دواءه وقسم لا حيلة فيه والاصطبار شفاؤه وعن شريح انه قال انى لاصاب بالمصيبة فاحمد الله تعالى عليها اربع مرات احمده اذ لم تكن اعظم مما هى واحمد الله اذ رزقنى الصبر عليها واحمده تبارك اسمه اذ وفقنى للاسترجاع واحمده تعالى اذ لم يجعلها فى دينى وعن المدائنى انه قال رايت فى البادية امراة لم ار انضر جلدا ولا احسن وجها منها فقلت بالله ان فعل هذا بك الا اعتداء السرور فقالت كلا والله انى لبدع احزان وحلف هموم كان لى زوج وكان لى منه ابنان فذبح ابوهما شاة فقال احدهما ابنى لاخيه هلم افعل بك ما فعل ابونا بالشاة فذبحه فلما راى الدم فزع ففر نحو الجبل فاكله الذئب فخرج ابوه فى اثره فتاه فمات عطشا قال فقلت لها كيف رايك والصبر فقالت لو دام لى لدمت ولكنه كان جرحا فاندمل وفى رواية محمد بن خالد القرشى يرفعه قال خرجت حاجا فبينما انا اطوف اذا بامراة قد اضاء ما حولها من حسن وجهها فقال رجل كان الى جنبى والله ما رايت مثل هذه قط نضارة وحسنا وما ذاك الا من قلة الهم والحزن فلما سمعت ذلك قالت يا هذا الرجل

والله انى مكلومة الفؤاد بالهموم والاشجان مايشاركنى فيها
احد قال لها الرجل كيف ذلك قالت ذبح زوجى شاة ضحى بها
ولى ولدان صغيران يلعبان وعلى ثديى طفل يرضع فقمت
لاصنع لهم منها طعاما فقال ابنى الاكبر للاصغر الا اريك
كيف صنع ابى بالشاة قال نعم فاضجعه ووضع الشفرة
على حلقه فما رفع الشفرة حتى ذبحه فلما راى الدم وعلا
الصراخ خرج الصبى فارا نحو الجبل فرمقه ذئب فاكله
فانطلق ابوه فى اثره فمات عطشا فقمت ووضعت الطفل
فى الارض وخرجت الى الباب انظر ما فعل ابوهم فدب الطفل
الى البرمة التى على النار فوضع يده فيها فصبها على نفسه
وهى تغلى فتناثر لحمه من على عظمه فبلغ ذلك ابنة لى كانت عند
زوجها فضربت بنفسها الارض فماتت فافردنى الدهر من
بينهم فقال لها الرجل كيف صبرك على هذه المصائب الجليلة
قالت يا هذا ما من احد ميز الصبر والجزع الا وجد بينهما منهاجا
اما الصبر فحسن العلانية محمود العاقبة واما الجزع فصاحبه
غير معوض عوضا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ايكم يحب ان يصح ولا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله
قال اتحبون ان تكونوا مثل الحمير الصيالة الا تحبون ان تكونوا
اصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق ان الرجل لتكون له الدرجة
فى الجنة ما يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله تعالى بالبلاء
فيبلغ تلك الدرجة ويقال ما كرم عبد على الله تعالى الا ازداد
البلاء عليه شدة واعلم ان الصبر على المصائب يعقب الانسان
الراحة ويكسبه الاجر والثواب عنها فينبغى للانسان ان

يصبر طائعا والا احتمل هما لازما وصبر كارها آثما وقد قال عليه السلام ليس المصاب من اصيب بمصيبة ولكن المصاب من حرم اجر المصيبة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان صبرت مضى امر الله وكنت ماجورا وان جزعت مضى امر الله وكنت مازورا وقالت الحكماء الجزع اتعب من الصبر ففى الجزع التعب والوزر وفى الصبر الراحة والاجر وينشد *

فاذا تصبك مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وقال آخر

وعودت اجرا من فقيد فلا يكن * فقيدك لا ياتى واجرك يذهب

وعن على بن ابى طالب انه قال للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحقت ذلك منك الرحم وان تصبر ففى ثواب الله عز وجل وانك ان تصبر جرى عليك القلم وانت ماجور وان جزعت جرى عليك القلم وانت مازور فذكر ذلك ابو تمام فقال *

وقال على فى التعازى لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم

اتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتوجر اوتسلو سلو البهائم

خلقنا رجالا للتجلد والعزا * وتلك الغوانى للبكا والمآتم

وقال شبيب بن شبت للمهدى ان احق ما يصبر عليه ما لم يوجد سبيل الى دفعه فان قيل فبماذا توجد درجة الصبر فى المصائب وليس الامر فيه الى اختيار الانسان فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة فى الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة فى الملبس وغيره فهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغى ان يجتنب جميعها ويظهر الرضى بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد ان

ذلك كانت وديعة فاسترجعت ويقال الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره والله اعلم واما توجع القلب وفيضان الدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولذلك لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذه فقال انما بكيت رحمة له وانما يرحم الله من عباده الرحماء ولكن انما نهيتكم عن صوتين احمقين فاجرين خدش الخدود وشق الجيوب والله اعلم القسم الثالث الصبر على ما فات ادراكه من رغبة يرجوها ومسرة يأملها فان الصبر عنها يعقب السلو عنها والاسف عليها بعد الاياس منها يجدد الحزن والكمد من اجلها وقد قال الله تعالى لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر اولئك لهم الامن وهم مهتدون وقال بعض الحكماء اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لم يخطر ببالك فلم تقله وقال آخرون ان كنت تجزع على ما فات من يدك فاجزع على ما لم يصل اليك فنظمه الشاعر فقال * * *

لا تطل الحزن على فائت * فقلّ ما يجدى عليك الحزن
سيان محزون على فائت * ومضمر حزنا لما لم يكن

وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها ظفار فرأيت مكتوبا على باب قصر خراب هذه الابيات *

يا من الح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل في مثل * عند الاياس فاين الله والقدر
ثم الخطوب اذا احداثها طرقت * فاصبر فقد فاز اقوام لها صبروا

فكل ضيق له من بعده سعة * وكل فوت وشيكا بعده الظفر
قال وتحته مكتوب بخط آخر لو كان كل من صبر اعقب الظفر صبرت
ولكنا نجد الصبر في العاجل يفني العمر ويدني من القبر وما كان
احسن لذي العقل موته وهو طفل والسلام فقال بعض العلماء
لو رايته اكتبت تحته في الصبر استعجال الراحة وانتظار الفرج وحسن
الظن بالله تعالى واحراز الحسنات وفي الجزع استعجال الهم ونهك
البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله تعالى وحمل الاثم
وانتظار العقوبة وما كان احسن لذي العقل اجتناب هذا والسلام
القسم الرابع الصبر فيما يخشى حدوثه من نكبات الزمان وصولات
الاعداء ولا يتعين الانسان الى ذ نسيه هم ما لم يات فان اكثر الهموم
كاذبة والاغلب من الخوف مدفوع وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال الله تعالى في اصحاب نبيه
عليه السلام الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الآية
وقال عليه السلام بالصبر يتوقع الفرج وعن الحسن البصري انه
قال لا تحملن على يومك هم غدك فحسبك كل يوم همه وينشد
الهم فضل والمقدر كائن * فعلى م يشغل قلبه الانسان
وانشد الحارثة بن بدر

اذا الهم امسى ... وداء غامضه * ولست بمضيه وانت تعاذله
ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ * اذا هم امرا عوقته عواذله
وقل للفؤاد ان ... * من الهم افرح اكثر الهم باطله

القسم الخامس الصبر فيما ينتظر الانسان من رغبة يرجوها
ومسرة ينالها فانه اذا دهشته التطلع اليها انسدت عليه
سبل المطالب واستفز قلبه توسل انطائع فكان ذلك ابعد

لرجائه واعظم لبلائه واذا كان مع الرغبة وقورا وعند الطلب
صبورا انجلت عنه عماية الدهش وحيرة الطلب فابصر رشده
وعرف قصده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر ضياء
يعني والله اعلم انه يكشف الحيرة ويوضح حقائق الامور وقال
اكثم بن صيفي من صبر ظفر وقال النبي عليه السلام من يدمن
قرع الابواب يلج وانشد لمحمد بن بشير *

ان الامور اذا انسدت مطالبها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تايئسن ولو طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

وقال بعض الحكماء بحسن التاني تسهل المطالب وقيل الصبر
مفتاح الدرك وقال بعض البلغاء من صبر نال المنا ومن شكر
حصل النعماء القسم السادس الصبر على ما نزل بالانسان
من مكروه القضاء وحل به من مكائد الاعداء قال الله تعالى
لنبيه عليه السلام واصبر لحكم ربك وقال تعالى واصبر على
ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقال تعالى ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون فامره بالصبر على ذلك فقال
فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقالت الرسل
ولنصبرن على ما آذيتمونا وقال لتبلون في اموالكم وانفسكم
الى قوله اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم
الامور وقال لنبيه عليه السلام ولقد استهزئ برسل من
قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا الآية ويقال مكتوب
في الانجيل قال عيسى صلوات الله على نبينا وعليه لقد قيل
لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول

لا تقاوموا السن بالسن بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه
خدك الايسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك
للمشي ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى
ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم قسمة فقال
بعض الاعراب هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه فقال رحم
الله اخى موسى قد اوذى باكثر من هذا فصبر والله اعلم
و الصبر على اذى الناس من اعلا مراتب الصبر واعلم ان بالصبر
تستدفع مكائد الاعداء وبه تنفتح للانسان وجوه الاراء
قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا
واعلم ان الصبر معناه الحبس ومنه الحديث نهى عن قتل
البهائم صبرا وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم اى احبسها قال عنترة * * *
فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع
[illegible] نفسا مارفة فكل من لم يصبر نفسه على مفروض
[illegible] ضبطها عن مقتضى شهوات الطبع واظهار الجزع
[illegible] استحق التعزير اوره واستوجب عقوبة
[illegible] واعلم ان الصبر على السراء وتتابع النعماء
اشد من الصبر على الضراء وانواع البلاء فان من لم يضبط
نفسه عن الاسترسال فى شهوات الدنيا والتنعم بملاذها
[illegible] فيها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان قال الله تعالى
[illegible] ليطغى ان رآه استغنى وقال بعض العارفين
البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها الا صديق

وقال بعضهم الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ويروى
انه لما فتحت اموال الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء
فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فلذلك حذر الله
عباده من فتنة المال والزوجة والولد فقال تعالى لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقال ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم وقال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة
محزنة فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر
عليها هو ان لا يركن اليها وان يعلم ان ذلك مستودع عنده وان
لا يرسل نفسه فى الفرح بها ولا ينهمك فى اللهو واللعب والتنعم
بها وان يراعى حقوق الله تعالى فى ماله بالانفاق وفى يده ببذل
المعونة للخلق وفى لسانه ببذل الصدق وفى سائر ما انعم الله
تعالى عليه باقامة الشكر وانما كان الصبر على السراء اشد لانه
مقرون بالقدرة فمعلوم ان الجائع عند غيبة الطعام اقدر على
الصبر منه اذا حضرته الاطعمة اللذيذة وقدر عليها ولهذا
عظمت فتنة السراء والله اعلم فصل فى دواء الصبر على البلايا
والاقسام المتقدمة اعلم ان الذى انزل الداء انزل الدواء ووعد
الشفاء فالصبر وان كان شاقا على النفس فتحصيله ممكن
فى المعقول فنقول الصبر على المصائب والشدائد يهون على
النفس موقعها باسباب منها اشعار النفس بما تعلمه من
حلول الفناء وتقضى المسار اذ ليس فى الدنيا حال يدوم لاحد
ولا يبقى عليها احد كما قال الشاعر *

اصبر لدهر نال منك * فهكذا مضت الدهور
فرح وحزن تارة * لا الفرح دام ولا السرور

ويروى انه لما قتل بزرجمهر وجد في جيب قميصه رقعة مكتوب فيها اذا لم يكن جد ففيم الكد واذا لم يكن للامور دوام ففيم السرور واذا لم يرد الله دوام ملك ففيم الحيلة وانشد لسعد بن سليم *

انما الدنيا هبات * وعوال مُستردَه
شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شده

قال انوشروان ان احببت ان لا تغتم فلا تقتن فنظمه الشاعر فقال

الم تر ان الدهر من سوء فعله * يكدر ما اعطى ويسلب ما اسدى
ومن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يبال به فقدا

وقال آخر

لحكيم ابقراط خير قضية * ووصية تنفي الهموم الركدا
قالوا الهموم تكون من طمع الورى * في لبث ما في طبعه ان ينفدا
فاذا اقتنيت من الزجاجة قابلا * للكسر فانكسرت فلا تك مكمدا

ومنها ان يتصور انجلاء الشدائد وانكشاف الهموم عند اشتدادها عليه كما قال بعض البلغاء عند انسداد الفُرَج تبدو مطالع الفرج وروى عن ابن عباس ان سليمان بن داود عليهما السلام لما استكد شياطينه في البناء شكوا ذلك الى ابليس اللعين فقال الستم تذهبون فرغا وترجعون مشاغل قالوا بلى قال ففي هذا لكم راحة لكم نصف دهركم فبلغ ذلك سليمان فشغلهم ذاهبين وراجعين فشكوا ذلك الى ابليس فقال الستم تستريحون بالليل قالوا بلى قال ففي هذا لكم راحة لكم نصف دهركم فبلغ ذلك سليمان فشغلهم بالليل والنهار فشكوا ذلك الى ابليس فقال الآن

جاءكم الفرج فما لبث سليمان ان اصيب ميتا على عصاه فاذا
كان هذا فى نبي من انبياء الله تعالى لا يعمل الا بامره فكيف
بما جرته الاقدار من ابد عاديه وساقه القضاء من حوادث
نازلة هل تكون مع التناهى الا منقرضة وعند بلوغ الغاية
الا منحسرة وانشد لعثمان *

خليلى لا والله ما من ملمة * تدوم على حيّ وان هى حلت
فان نزلت يوما فلا تخضعن لها * ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت
وكم من كريم قد بلى بنوائب * فصابرها حتى مضت واضمحلت
وكم غمرة هاجت بامواج غمرة * تلقيتها بالصبر حتى تجلت
وكانت على الايام نفسى عزيزة * فلما رات صبرى على الذل ذلت

ويقال اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود عند
تناهى شدتى يكون فرجي وعند طول بلاءى يكون رجاءى
والله اعلم فاذا تصور الانسان انجلاء الشدائد عند اشتدادها
وانقضائها عند تقضى اوقاتها لا تنصرم قبلها ولا تستديم
بعدها ولا تنقضى بجزع ولا تطول بصبر وان كل يوم يمر
به فهو يذهب بشطر منها حتى تنقضى وهو عنها غافل
فاذا تصور ماذكرنا قويت نفسه على الصبر وانست به
وحكى ان الرشيد حبس رجلا ثم سال عنه بعد زمان فقال
للموكل به قل له كل يوم يمضى من نعيمك يمضى من بؤسى مثله
والامر قريب والحكم لله تعالى ويروى ان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انشد حين حضرته الوفاة *

الم تر ان ربك ليس تحصى * اياديه الحديدة والقديمة
تسل عن الهموم فليس شئ * يقيم وما همومك بالمقيمة

لعل الله ينظر بعد هذا * اليك بنظرة منه رحيمه
ومنها ان يعلم ان فيما وقى من الرزايا ما هو اعظم من رزيته
ليعلم انه ممنوح بحسن الدفع ولذلك قال عليه السلام
ان لله فى اثناء كل محنة منحة شعر *
يصاب الفتى فى اهله برزية * وما بعدها منه اهم واعظم
فان يصطبر فيها فاجر موفر * وان يك مجزاعا فوزر مقدم
وقيل للشعبى فى نائبة كيف اصبحت قال بين نعمتين خير
منشور وشر مستور قال الشاعر *
لا تكره المكروه عند نزوله * ان العواقب لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنه
وعن خباب بن الارث انه قال شكونا الى النبى صلى الله عليه
وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر
لنا الا تدعو الله لنا فقال كان الرجل فيمن كان قبلكم
يحفر له فى الارض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على
راسه فيشق باثنين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط
بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب وما يصده
ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من
صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم
تستعجلون ومنها ان يتاسى بذوى المصائب ويعلم انهم الاكثرون
عددا وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال الصقوا بذوى
الغير تتسع قلوبكم ويروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل
عليه السلام دلنى على اعبد اهل الارض قال فدله على رجل قطع
الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول

اللهم متعتني ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل يا باريا وصول * (حكاية) * وقال بعض العلماء كان في بعض الازمنة جبار يعذب الناس على دينهم فاوتي بامراة فامر بقطع يديها ورجليها فقطعتا وما تكلمت فلما اوتي بالنار لتكوى صرخت بالبكاء فقيل لها في ذلك فقالت والله ما جزعت من ناركم ولا اسفت على الدنيا ولكن ذكرتني هذه النار نار جهنم فصرخت من اجل ذلك قال وكحلت عيناها بمرود محمى بالنار وقيل لما امر بها لتقطع يداها ورجلاها قالت الحمد لله على السراء والضراء والشدة والرخاء والعافية والبلاء لقد كنت آمل في ذات الله ما هو اكثر من هذا فلما قطعت يداها ورجلاها جعل الدم يفور ولا ينقطع فلما احست بالموت قالت حياة كدرة وموتة طيبة لئن نلت ما املت من جزيل الثواب لقد نلت سرورا عظيما لا يضر معه كدر الدنيا الفانية اذا صرت الى الراحة الدائمة ثم اضطربت حتى ماتت * (حكاية اخرى) * وعن الحسن البصري انه قال تعبد رجل على راس جبل وكان اسمه عقيبا وكان في ذلك الزمان جبار يعذب الناس ليرجعوا عن دينهم فقال عقيب لو نزلت الى هذا الجبار فامرته بتقوى الله كان اوجب علي فنزل من الجبل فقال يا هذا اتق الله في عباده فقال له الجبار مثلك يامرني بتقوى الله لاعذبنك بعذاب لم اعذب به احدا من العالمين وامر به ان يسلخ وهو حي من قدمه الى راسه فلما بلغ السلخ الى بطنه ان انة شديدة فاوحى الله تعالى اليه يا عقيب اصبر اخرجك من

دار الحزن الى دار الفرح ومن دار الضيق الى دار السعة والسعادة
فلما بلغ السلخ الى وجهه صاح فاوحى الله اليه يا عقيب ابكيت
اهل سمواتى واهل ارضى واذهلت ملائكتى عن تسبيحى لئن
صحت الثالثة لاصبن عليهم العذاب صبا فصبر حتى سلخ
وجهه مخافة ان يؤخذ قومه بالعذاب *(حكاية اخرى)*
وكان على عهد بنى اسراءيل جبار يدعو الناس الى اكل لحم
الخنزير فاوتى بامراة تسمى سارة لها سبعة اولاد فدعى
باكبر بنيها اليا كل لحم الخنزير فقال ماكنت لاكل شيا حرمه
الله تعالى على ابدا فامر به فقطعت يداه ورجلاه وجميع
جسده عضوا عضوا حتى مات فدعى بالذى يليه ايضا فامتنع
عن الاكل فامر بقدر من نحاس فملئ زيتا فاحمى حتى غلا ثم
القى فيه فتناثر لحمه من على عظامه ثم دعى بالذى يليه
فامتنع وقال لانت اهون على واحقر من ان اكل مالا احله
الله لى فقال لاصحابه اتدرون ما اراد هذا اراد ان يغضبنى
فاعجل بقتله فامر به فسلخ جلده وهو حى فلم يزل يقتل كل
واحد بقتلة غير التى قتل بها صاحبه حتى بقى اصغرهم فالتفت
اليه والى امه فقال انطلقى بابنك واخلى به ومريه ان يا كل
لقمة واحدة ويعيش لك فقالت نعم فخلت معه فقالت له يابنى
تعلم ان اخوتك كان لى عليهم حق واحد ولى عليك حقان وذلك
انى ارضعت كل واحد منهم عامين وارضعتك اربعة اعوام
وذلك ان اباك توفى وانا حامل بك فنفست بك فادركنى الاشفاق
عليك فسالتك بالله ان تصبر كما صبر اخوتك ولا تاكل ما حرم الله
عليك فتلقى اخوتك يوم القيامة وتلحق بهم فقال الطفل يااماه

الحمد

الحمد لله الذي اسمعني منك هذا وانما كنت اخاف ان تريدي
مني غير هذا فجاءت بابنها الى الملك فقالت له دونك قد عزمت
عليه فابى ان ياكل فقتله فالحقه باخوته ثم قال لامهم ويحك
كلي لقمة واحدة واصنع بك ما شئت واعطيك ما شئت
فامتنعت وقتلها والله اعلم * (حكاية اخرى) * وعن الحسن
ابن علي بن ابي مريم انه قال كان رجل بالمصيصة قد مرت الاكلة
بنصف بدنه فلم يبق منه الا نصف روحه في بعض جسده
وهو على سرير مثقوب للبول وغير ذلك فدخلت عليه فقلت
له كيف اصبحت قال اصبحت ملك الدنيا مشتاقا الى الله
مالي عليه من حاجة الا ان يتوفاني على الاسلام (حكاية
اخرى) * قال ابو عبد الله وكان لي صديق فابتلاه الله بالجذام
حتى ذهبت يداه ورجلاه وعيناه فاتيت به فجعلته مع
المجذومين وكنت اتعاهده فغفلت عنه اياما ثم ذكرته
فاتيته فقلت يا هذا اني غفلت عنك فقال لي ان لي من لا يغفل
عني فقلت اني نسيتك فقال ان لي من لا ينساني ثم قلت
والله ما ذكرتك فقال ان لي من يذكرني ثم قال اليك عني لا تشغلني
عن ذكر الله تعالى فقلت الا ازوجك من امراة تنقيك وتغسلك
من هذه الاقذار فقال تزوجني وانا ملك الدنيا وعروس
الاخرة فقلت وما بيدك من الدنيا وانت ذاهب اليدين
والرجلين والعينين تاكل كما تاكل البهائم فقال رضاي عن الله
عز وجل حين ابان جوارحي واطلق بذكره لساني قال فما لبث
الا اياما يسيرة فمات فاخرجت كفنا كان فيه طول فقطعت
ما فضل منه وكفنته فيه فدفنته فبينما انا في منامي اذا انا

برجل قد وقف على لم ار احسن منه صورة فقال لي بخلت على
ولي الله بكفن طويل دونك كفنك قد رددناه اليك وكفناه
بالسندس والاستبرق فاستيقظت مرعوبا به واذا الكفن
عند راسي * (حكاية اخرى) * وعن عطية بن سليمان انه قال
صليت الجمعة فجلست الى يونس بن عبيدة حتى صليت العصر
فقال هل لكم في مشاهدة جنازة فمضيت وصليت على الجنازة
فقال هل لكم في زيارة فلان العابد فقلنا نعم فادخلنا على رجل
قد وقعت في فمه الاكلة حتى سقطت اضراسه فكان اذا اراد
ان يتكلم دعي بعقب فيه ماء وبقطنة فبل لسانه حتى ابتل
وكذلك يتكلم فلما اراد ان يتكلم دعي بالاناء وبالقطنة اذ
سقطت عيناه في الاناء فاخذهما بيده ثم استقبل القبلة
فقال الحمد لله الذي متعني بهما في صحتي وشبابي حتى فنيت
ايامي وحضر اجلي اخذهما ليبدلني خيرا منهما ثم شهق شهقة
ففاضت نفسه والله اعلم وعن وهب بن منبه انه مر برجل
اعمى مجذوم مقعد عريان وهو يقول الحمد لله على هذه النعمة
فقال له رجل كان مع وهب واي شئ عليك من النعمة وانت
اعمى مقعد مجذوم عريان فقال له يا هذا ارم ببصرك الى
اهل هذه المدينة ليس فيهم رجل يعرف الله مثلي افلا احمده
على هذه النعمة ويروى ان موسى عليه السلام قام في بني
اسرائيل بخطبة احسن فيها واعجب بها فقالت له بنو اسرائيل
اي الناس اعلم منك يا موسى قال لا فاوحى الله اليه يا موسى
اعلم منك عبد من عبيدي حملته الرسالة وبعثته رسولا
الى ملك جبار عنيد فقطع يديه ورجليه وجدع انفه

فصرفت اليه يديه ورجليه وانفه كما كان اول مرة ثم اعدته رسولا فمضى وهو يقول رضيت يارب رضيت يارب ولم يقل كما قلت اول وهلة ولهم على ذنب فاخاف ان يقتلون
(حكاية اخرى) وروى عن قاضى فلسطين انه قال بينما انا امشي اذ سمعت قائلا يقول اللهم لك الحمد حمدا يوافى شكر ما انعمت به على واشكرك شكرا استتم به دوام احسانك الى قال فقلت لاذهبن فانظر قائل هذا فذهبت فاذا انا برجل ليست له يدان ولا رجلان ملقى على ظهره قال فقلت اى نعمة لله عليك تحمده عليها واى عطاياه عليك تشكره عليها فقال سبحان الله اما ترى ما صنع بى سلبنى يدى ورجلى شغلنى عن المعاصى ووهب لى سمعى وبصرى اتفكر فى السموات والارض ومع هذا الوضر بنى بنار من السماء لم ازدد له على العطية الا شكرا وعلى البلاء الا صبرا ثم قال ان لى اليك حاجة قال فقلت فى نفسى ان قضاء حاجتك يقرب الى الله تعالى ثم قلت وما هى قال لى كان لى ولد ها هنا يطعمنى اذا جعت ويسقينى اذا عطشت ففقدته منذ ثلاثة ايام فان رايت ان تلتمسه قال فالتمسته فاذا انا بسبع قد افترسه فاكل بعضه فجمعت ما بقى من جسده فدفنته ثم رجعت الى الشيخ وانا افكر ما اعزيه به فذكرت ايوب المبتلى عليه السلام فجلست فقال الست صاحبى قلت بلى قال فما فعلت فى الحاجة فقلت ايما اعظم منزلة عند الله عز وجل انت ام ايوب المصطفى عليه السلام قال لى سبحان الله الجيت الى السؤال قال فقلت انما هو مثل مضروب

قال بل ايوب قلت كيف وجد الله عبده اذا اخذ ماله وفرق
جمعه وشتت عياله قال صابرا محتسبا قال قلت اصبر
واحتسب ولدك قال ما وراءك قلت ان ابنك افترسه
السبع فاكله فقال آه آه الحمد لله الذى لم يدع فى قلبى حسرة
الا اخرجها قال ثم غمض عينيه وطبق شفتيه فاذا هو ميت
قال فغطيته بشملة كانت عليه وجلست عنده اتفكر
كيف ادفنه فاذا انا بنفر قد اقبلوا فقلت لهم اعينونى على هذا
الميت حتى ندفنه فقال لى بعضهم اكشف عنه لعلنا نعرفه
فكشفت عنه الشملة فانكب عليه احدهم فجعل يقبله
وهو يقول يا ابى طال ما سجدت والناس نيام فقلت له
هل تعرفه قال نعم هذا ابو قلابة صاحب ابن عباس ابتلى
بهذا البلاء فاعتكف فى هذا الموضع صابرا محتسبا منذ
خمس عشرة سنة ثم قال لى اما انه كان له ولد فما فعل فاخبرته
الخبر فقال لى طال ما سمعته وهو يقول اللهم لا تخلف لى
ذرية تعصيك فتدخلها النار فالحمد لله الذى استجاب دعوته
قال فنمت من ليلتى تلك فرايته فى المنام فى روضة خضراء
عليه حلل خضر وحلل صفر وهو يتلو الوحى وهو يقول سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فقلت الست صاحبى قال
بلى قلت فما فعل الله بك قال انى قدمت على ربى فغفر لى
فان لله عز وجل درجة لن تنالوها الا بالشكر عند الرخاء
والصبر عند البلاء *(حكاية اخرى)* ويروى ان يونس
عليه السلام قال يا جبريل ارنى اعبد اهل الارض قال
فاوقفه على رجل قطع الجذام يديه ورجليه وهو يقول

يا الهي متعتني بهما ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت وبقي لي فيك الامل يا باريا وصول قال يونس يا جبريل احب ان تريني صواما قواما قال انه كذلك في صحته وقد امرت ان اسلب عينيه فاومى جبريل عليه السلام بعينه الى عيني المبتلى فسالتا على وجهه فرفع راسه الى السماء فقال متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وبقي لي فيك الامل يا باريا وصول فقال يونس يا عبد الله هل لك ان ندعو الله ونؤمن على دعائك ويرد الله عز وجل عليك جوارحك وتقوم الى عبادة ربك قال لا حاجة لي في ذلك قال له ولم قال ان كانت محبة ربي في هذا فانا اكره ان اوثر محبتي على محبته فقال جبريل عليه السلام يا يونس انه لا يوصل الى ثواب الله عز وجل الا بالشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يود اهل العافية ان جلودهم لو قرضت بالمقاريض لما يرون من ثواب اهل البلاء فاذا تفكر العاقل في هذه الحكايات وامثالها وتسلى باصحابها اورثه ذلك حسن العزاء فخف شجوه وقل هلعه وعلى هذا كانت مراثي الشعراء حتى قال البحتري

فلا عجب للاسد ان ظفرت بها * كلاب الاعادي من فصيح واعجم

فحربة وحشي سقت حمزة الردا * وموت علي من حسام ابن ملجم

وفي بعض الحكمة طوبى لمن غلب بتقواه هواه وبصبره شهوة نفسه الا وان الصبر كنز من كنوز الجنة لا يعطيه الله الا لعبد كريم عليه وما من عبد وهب الله له صبرا على الاذى وصبرا على البلاء وصبرا على المصائب الا وقد اوتي افضل ما اوتيه احد بعد الايمان قال ابو فراس *

المرء بين مصائب لا تنقضي * حتى يوارى شخصه فى رمسه
فمعجل يلقى الردا فى اهله * ومؤجل يلقى الردا فى نفسه
وقال عليه السلام اربع من اعطيهن فقد اعطى خير الدنيا
والآخرة قيل وماهن يا رسول الله قال قلب شاكر ولسان ذاكر
وبدن صابر وزوجة عفيفة لا تخونه فى نفسه وماله قال الشاعر

صبرت وكان الصبر خير معول * وهل جزع يجدى على فاجزع
صبرت على ما لو تحمل بعضه * جبال شرورا وشكت تتصدع
ورددت دمع العين حتى رددته * الى باطنى فالعين فى القلب تدمع

ومنها ان تعلم ان النعمة زائدة وانها لا محالة زائلة فعلى قدر السرور
منها يكون الحزن وقد قال فى منثور الحكم المفروح به هو المحزون
عليه وقيل من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يكره وقال
بعض الحكماء من علم ان كل حادثة الى انقضاء حسن عزاءه عند
نزول البلاء وقيل للحسن البصرى كيف ترى الدنيا فقال شغلني
توقع بلائها عن الفرح برخائها وانشد لبعض الشعراء *

حياتك بالهم مقرونة * فلا تقطع الدهر الا بهم
حلاوة دنياك ممزوجة * فلا تاكل الشهد الا بسم

ومنها ان يعلم ان سروره مقرون بمساءة غيره كما ان حزنه مقرون
بسرور غيره اذا كانت الدنيا تنتقل من صاحب الى صاحب فتكون
سرورا لمن وصلته وحزنا لمن فارقته ولذلك قال النبي عليه السلام
ما فرعت عصى على عصى الا فرح لها قوم وحزن آخرون وقال البحترى

متى اردت الدنيا نباهة خامل * فلا ترتقب الا خمول نبيه

واوضحه المتنبى فقال

بذا قضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

ومنها ان يعلم ان طوارق الانسان من دلائل فضله ومحنه من
شواهد نيله ولذلك احدى علتين اما لان الكمال معوز والنقص
لازم فاذا توفر الفضل عليه في امر صار النقص فيما سواه وقد قيل
من زاد في عقله نقص من رزقه وقد روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما انتقصت جارحة من الانسان الا كانت
ذكاء في عقله وينشد * * *
اذا جمعت بين امرأين صناعة * فاحببت ان تدرى الذى هو احذق
فلا تتفقد منهما غير ما جرت * به لهما الارزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع * وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق
واما لان الفضل محسود وبالاذى مقصود فلا يسلم من طعن
حاسد وترة معاد وقد قال الصنوبرى *
محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى * كالنار مخبرة بفضل العنبر
وقل ما تكون محنة فاضل الا من جهة ناقص وبلوى عالم
الا على يد جاهل لاستحكام العداوة بينهما بالمباينة
وحدوث الانتقام لاجل التقدم قال الشاعر *
فلا غرو ان يبلى اديب بجاهل * فمن ذنب التنين تنكسف الشمس
ومنها ما يستفيد من الحكمة بنوائب عصره فيطلب عدوه
ويستقيم حاله بما جرب من حالتى دهره في الشدة والرخاء
ويتعظ ايضا بما اختبر من امور زمانه فلا يغتر برخاء ولا
يطمع في استواء ولا يامل ان تبقى الدنيا على حالة فان من عرف
الدنيا وخبر احوالها هان عليه بؤسها ونعيمها وانشد بعض الادباء
اني رايت عواقب الدنيا * فتركت ما اهوى لما اخشى
فكرت في الدنيا وعالمها * فاذا جميع امورها تفنى

وبلوت اكثر اهلها فاذا * كل امرء فى شانه يسعى
اسنى منازلها وارفعها * فى العز اقربها من المهوى
تقفو مساويها محاسنها * لافرق بين النعى والبشرى
ولقد مررت على القبور فما * ميزت بين العبد والمولى
اتراك تذكر كم رايت من * الاحياء ثم رايتهم موتى

ومنها ان يتفكر فى حلاوة عاقبة الصبر وما اعد الله للصابرين من الثواب الجزيل وقد روى عن عمر بن عبد العزيز انه قال ما انعم الله على عبد نعمة انتزعها منه وعوضه الصبر منها الا كان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه وقرأ انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مصيبة وان عظمت الا والصبر خير منها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق نادى مناد اين اهل الصبر فيقوم ناس قليل فينطلقون سراعا الى الجنة فتستقبلهم الملائكة فتقول لهم انا نراكم سراعا الى الجنة هل حوسبتم فيقولون ليس علينا حساب لانا اهل الصبر اوما سمعتم الله تعالى يقول انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فتقول لهم الملائكة على م صبرتم فيقولون صبرنا على طاعة الله وعن معصية الله فتقول لهم الملائكة ادخلوها سلام عليكم بما صبرتم الآية وقال عليه السلام اول ما يقضى فيه يوم القيامة الدماء واول من يعطى الثواب الذين ذهبت ابصارهم واهل البلاء واما اهل الراية فتعقد لهم الراية فيبدا بالذين ذهبت ابصارهم ثم يعطى الناس على قدر اسقامهم

فيعطون من الثواب حتى انهم يودون لو قرضوا فى الدنيا بالمقاريض فاذا تذكر المصاب هذا الثواب وظفر باحد هذه الاسباب التى قدمناها تخففت عنه احزانه وتسهلت عليه اشجانه فصار وشيك السلوة قليل الجزع حسن العزاء وقد قال بعض الحكماء من حاذر لم يهلع ومن راقب لم يجزع ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا قال الشاعر *

هون عليك فكل الامر ينقطع * وخل عنك عنان الهم يندفع
فكل هم له من بعده فرج * وكل امر اذا ما ضاق يتسع
ان البلاء وان طال الزمان به * فالموت يقطعه اوسوف ينقطع

وقال آخر

مايكون الامر سهلا كله * انما الدهر سهول وحزون
هون الامر تعش فى راحة * قلما هونت الا سيهون
تطلب الراحة فى دار الفنا * ضل من يطلب شيئا لا يكون

وعن وهب بن منبه انه قال ليس بفقيه كامل الفقه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وذلك ان البلاء يتبعه الرخاء والرخاء يتبعه البلاء قال الشاعر *

يقولون اعمى قلت انى وربما * اكون وانى من فتى لبصير
اذا ابصر القلب المروءة والتقى * فان عماء العين ليس يضير
فان العمى اجر وذخر وعصمة * وانى الى هذا البلا لفقير

فاذا تصور العاقل الرزايا قبل ان ينزلن به هانت عليه عند نزولها قال الشاعر

تمثل ذو اللب فى لبه * مصائبه قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان فى نفسه مثلا
راى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره اولا

وذو الجهل يامن اياماته * وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان * ببعض مصائبه او غلا
ولو قدم الحزن فى نفسه * لعلمه الصبر عند البلا

وقال آخر

تعز فان الصبر بالحر اجمل * وليس على ريب الزمان معول
فلو كان يغنى ان يرى المرء جازعا * لنائبة او كان يغنى التذلل
لكان التعزى عند كل مصيبة * ونازلة بالحر اولى واجمل
وكيف وكل ليس يعدو حمامه * وما لامرئ عما قضى الله مزحل
فان تكن الايام فينا تبدلت * ببؤس ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت فينا قناة صليبة * ولا ذللتنا للتى ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوسا كريمة * تحمل ما لا يستطاع فتحمل

ومن لم يشعر نفسه ما ذكرناه من احوال الدنيا وتقضى مسارها ثم مصير اهلها الى القبور صرعا بين الجنادل والصخور قد فارقهم الاحباب حين سكنوا التراب الفته الحوادث جازعا وتضاعف عليه من شدة الاسى ما لا يطيق عليه صبرا ولا له دفعا

ومما يعين على شدة الجزع ويبعث على المصائب اسباب الهلع تذكره المصائب النازلة وتصوره المسار المنقضية حتى لا يجد مع التذكار سلوة ولا يخلط مع التصور تعزية وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تستغزروا الدموع بالتذكر وينشد

ولا يبعث الاحزان مثل التذكر * ويروى ان الحجاج بن يوسف لما مات ابنه محمد جزع عليه جزعا شديدا فقال اذا غسلتموه فآذنونى ذلك فاعلموه فلما دخل البيت عليه قال متمثلا

الآن لما كنت اجمل من مشى * وافتر نابك عن شباب القارح

وتكاملت فيك المروءة كلها * واعنت ذلك بالفعال الصالح
فقيل له اتق الله ايها الامير واسترجع فقال انا لله وانا
اليه راجعون ثم انشأ ابياتا تركتها مخافة التطويل ومما يبعث
على الجزع ايضا شدة الاسف والحسرة فلا يرى للمصيبة
عوضا ولا للمفقوده بدلا فيزداد بالاسف ولها وبالحسرة
هلعا ولذلك قال الله تعالى لكيلا على ما فاتكم الآية وقال بعض الشعراء
اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله
الياس يقطع احيانا بصاحبه * لا تاسفن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
ومما يبعث على الجزع ايضا كثرة الشكوى وبث الجزع وقيل
فى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر الذى لا شكوى
فيه ولا بث وقال عليه السلام ما صبر من بث قال الشاعر
ساكسب صبرا واحتسابا لانى * ارى الصبر سيفا ليس فيه فلول
عدانى ان اشكو الى الخلق اننى * عليل ومن اشكو اليه عليل
ويمنعنى الشكوى الى الله انه * عليم بما القاه قبل اقول
وقال تعالى حكاية عن نبيه يعقوب عليه السلام انما اشكو
بثى وحزنى الى الله وقيل مكتوب فى التوراة من اشتكى بمصيبة
نزلت به فانما يشكو ربه وحكى ان اعرابية دخلت من
البادية فسمعت صوارخ فى دار فقالت ما هذا فقيل لها
مات لهم ميت فقالت ما اراهم الا من ربهم يستغيثون
ومن قضائه يتبرمون وعن ثوابه يرغبون وينشد *
لا تكثر الشكوى الى الصديق * وارجع الى الخالق لا المخلوق
لا يخرج الغريق بالغريق * وقيل فى منثور الحكم من ضاق

قلبه اتسع لسانه و يبعث على الجزع ايضا الياس من جبر مصيبته والنظر الى من سلمت نعمته فيجتمع عليه مع حزن المصيبة قنوط الياس وانه افرد بالرزية من بين الناس فلا يتفق معهما صبر ولا يتسع لهما صدر ولذلك قيل المصيبة بالصبر اعظم المصيبتين وانشد لامراة من الاعراب

ايها الانسان صبرا * ان بعد العسر يسرا
كم راينا اليوم حرا * لم يكن بالامس حرا
ملك الصبر فاضحى * مالكا خيرا وشرا
اشرب الصبر وان * كان من الصبر امرا

وانشد لبعض اهل الادب

يراع الفتى للامر تبدو صدوره * فياس وفي عقباه ياتي سروره
الم تر ان الليل لما تكاملت * دجاه بدا به الصباح ونوره
فلا تصحبن الياس ان كنت عالما * لبيبا فان الدهر تنشو اموره

واعلم انه قد قل من صبر على شدة الا كان انكشافها سريعا وقد حكى ان بعض الكتاب يقال له ابو ايوب حبس في السجن خمس عشرة سنة حتى ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو طول حبسه وقلة صبره وورد عليه جواب رقعته فقال

صبرا ابا ايوب صبر مفرج * اذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذى عقد الذى انعقدت له * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها ان تنجلى ولعلها

فاجابه ابو ايوب

صبرتني ووعظتني وانالها * وستنجلى بان لا اقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

قال

قال فلم يلبث فى السجن بعد ذلك الا اياما حتى اطلق مكرما والله اعلم
وهذا الذى ذكرناه من الاشياء المتقدمة هو دواء الصبر على
سائر انواع البلايا والله اعلم دواء الصبر عن شهوة البطن
والفرج فانه اذا احتاج الانسان الى الصبر عن شهوة الجماع
اذا غلبت عليه بحيث لا يملك فرجه او يملك فرجه ولا يملك
عينيه او يملك عينيه ولكن لا يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال
تحدثه بمقتضيات الشهوة وتصرفه عن المواظبة على الذكر
والفكر والاعمال الصالحات فالسبيل الى تضعيف بواعث
الشهوة ثلاثة امور احدها ان يقطع مادة الشهوة وهى
الاغذية اللذيذة فلا بد من تقليلها بالصوم الدائم مع الاقتصار
عند الافطار على طعام قليل فى نفسه ضعيف فى جنسه
فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة وهذا ايضا هى
قطع العلف عن البهيمة الجموح لتضعف فتسقط قوته
الثانى قطع اسباب الجماع المهيجة له فى الحال فانه انما يهيج
بالنظر الى الصور المشتهات ولذلك قال عليه السلام النظر
سهم مسموم من سهام ابليس لانه يحرك القلب والقلب
يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة وتغميض الاجفان
والهروب من صوب رمى ابليس فانه انما يرمى هذا السهم
عن قوس الصور المشتهات فاذا اعتزلتها لم يصبك رمى
ابليس والثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذى
تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففى
المباحات ما يغنى عن المحرمات وهذا هو العلاج الانفع فى
حق الاكثر فان قطع الغذاء يقطع عن سائر الاعمال ثم

لا يقمع الشهوة قمعا شافيا فى حق الاكثر ولذلك قال عليه
السلام معاشر الشباب من استطاع منكم الباءه فليتزوج
ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة
اسباب فالعلاج الاول قطع الطعام يضاهى قطع علف
البهيمة الجموح لتسقط قوته والثانى يضاهى تغييب اللحم
عن الكلب والشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنه بسبب
المشاهدة لذلك والثالث يضاهى تسليتها بشئ قليل مما
يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على
التاديب والله اعلم وكذلك علاج الشهوة من الطعام على
هذا الحال وقد تقدم فى باب الزهد والقناعة وشهوة البطن
ما يغنى عن ذلك فهذا منهاج العلاج فى جميع انواع الصبر
وانما اشدها كف القلب عن حديث النفس وانما يشتد
ذلك عن متفرغ له فان قمع الشهوة الظاهرة وآثر العزلة
وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه
من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع علائق
الدنيا عن القلب ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والاولاد
والمال والجاه والاصدقاء والاعتزال من جبل الى جبل ان
قدر على ذلك مع يسير من القوت والقناعة ثم لا يكفى
كل ذلك ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله سبحانه ثم اذا
غلب ذلك على القلب فلا يكفى ما لم يكن له مجال فى ملكوت
السموات والارض وسائر معرفة الله تعالى وعجائب صنعه
وان لم يكن له مسير بالباطن الى الله تعالى فلا ينجيه الا العبادة
المتصلة المرتبة فى كل لحظة من القراءة والذكر والصلاة

مع احضار القلب معها واعلم ان هذا لا يمكن الا لمن رزقه الله
قوة اليقين ومنحه الصبر ومجاهدة الهوى بالجد المبين ومع
ذلك لا يسلم له الا اقل الاوقات اذ لا يخلو عن حوادث تشغله
عن الفكر والذكر من مرض او خوف او اذى انسان او تعلق قلب
باسباب المعيشة ولكن بعد قطع العلائق كلها تسلم له
اكثر الاوقات ان لم تنزل به ملمة واقعة وفي تلك الاوقات
يصفو القلب ويتيسر الفكر وهذا اقصى ما يقدر عليه الانسان
بالمجاهدة وقال بعض العلماء المسير من الدنيا الى الآخرة
سهل على المؤمن وهجر الخلق في جنب الحق شديد والمسير
بالنفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله اشد
فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق
واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه ولاجلها
الاعتزال واخمال النفس ولا يصلح ذلك الا بالزهد الكامل
والمجاهدة التامة حتى يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان
للشرع وذلك هو الملك الحقيقي وقد حكي عن بعض الملوك
قال لبعض الزهاد هل لك من حاجة قال وكيف اطلب منك
حاجة وملكي اعظم من ملكك قال وكيف قال من انت عبده
فهو عبدي قال وكيف ذلك قال انت عبد شهوتك وغضبك
وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيدي
فاذا هذا هو الملك في الدنيا الذي يسوق صاحبه الى ملك
الآخرة لا الملك الذي لا يخلو من المنازعات والمكدرات وطول
الهموم في التدبرات مع انقطاعه بالموت والفناء وبقاء
تباعته على الانسان في العقبى فما اعظم اغترار الانسان

اذ ظن انه ينال ملك الآخرة بطلبه ملك الدنيا الذى يصير به
الانسان مملوكا لشهوته وغضبه وبطنه وفرجه ومثل هذا
لايكون الا منكوسا فى الدنيا منكوسا فى الآخرة والله اعلم
واما علاج الصبر عن الرياسة والجاه فيحصل بثلاثة امور
احدها بالهرب عن مواضعها حتى لايشاهد اسبابه فيعسر
عليه الصبر والثانى ان يكلف نفسه ترك الاعمال التى
تقتضى التكبر ويستعملها اعمالا تفيده التواضع فى جميع
احواله من ملبس او مطعم او ماكل او مركب حتى يرسخ ذلك
فى نفسه فيكون متواضعا والثالث ان يراعى التدريج بالاشارة
لقوله عليه السلام ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق
ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع
ولا ظهرا ابقى فهذا علاج الرياسة وحب الجاه ويروى
عن بعض العلماء انه قيل له بماذا يقوى الصابر على صبره قال
اذا علم ان فى صبره رضى مولاه جل جلاله اما سمعت قول
الحكيم * رضيت وقد ارضى اذا كان مسخطى * من الامر مافيه رضى
صاحب الامر * فصل اعلم ان للصبر شروطا لا بد
من مراعاتها منها ان تعلم كيف تصبر لان الصبر معناه
حبس النفس عن الجزع ومعنى الجزع اضطراب النفس فى الشدة
والصبر ترك ذلك ومنها ان تعلم لمن تصبر لانه قيل فى
قوله الله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اى اصبروا فى الله
وصابروا بالله ورابطوا مع الله ومنها ان تعلم ماتريد بصبرك
وقد ذكرنا ثواب الصبر وجملة ذلك ان الصبر النجاة من
الشدائد والنجاح فى الامور والظفر بالاعداء والتقدم على

الناس ونيل الامامة وحسن الثناء والبشارة والصلاة
والرحمة وتحقيق الهدى والثواب الذى لا غاية له ولا نهاية
وذكر الآيات المذكور فيها ما ذكرنا من الكرامات يطول الكتاب
بها ومنها حسن النية واحتساب الاجر على ما صبر عليه
ولمن يصبر له فاذا اتى الانسان بهذه الشروط صار من
الصابرين الذين يوفى لهم الاجر بغير حساب والا فهو مثل
البهيمة نزل بها البلاء فاضطربت لذلك ثم هدى ذلك عنها
فهدات وبالله التوفيق وقد روى عن بعض العلماء انه قال
من عزم على قطع طريق الآخرة فليجعل فى نفسه اربعة
الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت
الابيض الجوع والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان
والاخضر الوقائع والشدائد بعضها فى اثر بعض والله اعلم
وهذا كله لا ينال الا بتوفيق الله تعالى وحسن عونه ولقد
روى ان الله تعالى اوحى الى ايوب عليه السلام يا ايوب
لا تعجبن من صبرك فانى قد علمت ما تجد كل شعرة من لحمك
ودمك ولولا انى اعطيت كل شعرة من ذلك صبرا ما صبرت
وبالله التوفيق * * *

* (الباب الرابع فى القضاء والقدر وورود انواعهما) *

قال الله سبحانه انا كل شئ خلقناه بقدر وقال تعالى ان
الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك يعنى العلم فى كتاب
الآية وفى الحديث اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب
فقال يا رب وما اكتب قال اكتب على فى خلقى فجرى القلم
بما هو كائن الى يوم القيامة وفى الحديث ان الرسول عليه

السلام قال قال الله تعالى انا الله الذى لا اله الا انا خلقت
الخير والشر فقدرته على يدى من يكون فطوبى لمن خلقته
للخير وقدرته على يديه وويل لمن خلقته للشر وقدرته
على يديه وعنه عليه السلام انه قال لكل امة مجوس ومجوس
هذه الامة القدرية ويروى انه لما احتضر عبادة بن
الصامت قال له ابنه عبد الرحمن يا ابت اوصنى قال
اجلسونى فلما اجلس قال يا بنى اتق الله ولن تتقى الله حتى
تؤمن بالله ولن تؤمن بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره
من الله وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك لم
يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
القدر على هذا فمن مات على غيره دخل النار وعن مالك بن
دينار قال قرات فى اثنين وسبعين كتابا من كتب الله عز وجل
ان من اضاف الى نفسه شيئا من الاستطاعة فقد كفر ولعله
يريد شيئا من القدر وعن محمد بن الحسن قال اختلف رجلان
فى القدر فتراضيا باول رجل يلقيانه فلقيا رجلا فقالا له ما
تقول فيما اختلفنا فقال اقول ان الذى جعل الشهد فى النحلة
هو الذى جعل السم فى الحية وعن ابن قتيبة انه قال بلغنى
ان رجلا من المتكلمين لقى نصرانيا فقال له الا تسلم فقال
النصرانى ان الله لم يرد فقال له المتكلم بل اراد ولكن الشيطان
لا يدعك قال النصرانى انى مع اقواهما وقال الله تعالى الفعال
لما يريد جل ربنا وتعالى ان يكون فى ملكه ما لا يريد وعن عمر
ابن عبد العزيز انه قال لو اراد الله ان لا يعصى ما خلق ابليس
فهو راس الخطيئة وقد بين ذلك فى آى من كتابه وفصلها

عقلها من عقلها وجهلها من جهلها فقال ما انتم عليه بفاتنين
الا من هو صال الجحيم وعن ابن عباس انه قال ما ياتى احد من
اهل الاهواء فيخاصمنى ابغض الى من القدرية وذلك انهم
لا يعلمون قدر عظمة الله تعالى لان الله لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون اما يقرؤن هذه الآية كما بدأكم تعودون كفارا
ومؤمنين ويروى ان بنى اسرائيل اختصموا فى القدر خمسمائة
سنة ثم انتهوا الى عالم من علمائهم فقالوا صف لنا القدر بكلام
قليل نفهمه عنك فقال حرمان العاقل وظفر الجاهل ويروى
ان رجلا سال على بن ابى طالب عن القدر فقال تسئلنى عن
شئ تملكه مع الله او من دون الله اياك ان تتكلم فاضرب
عنقك فقال ولم يا امير المؤمنين فقال نعم ان قلت تملكه
مع الله فقد جعلت نفسك شريكا مع الله وان قلت تملكه
من دون الله فقد جعلت نفسك معبودا من دون الله فقال
وما المخرج يا امير المؤمنين قال انت المالك لما ملكك الله
والقادر على ما عليه قدرك ولا حول لك على معصية الله الا
بعصمته ولا قوة لك على طاعة الله الا بتوفيقه اما سمعت
الناس يقولون لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

فصل اعلم يا اخى ان الامور مفروغ منها خير وشر
وشقاوة وسعادة وغنى وفقر وخلق وخلق ورزق واجل
وغير ذلك فلا يجرى فى العالم من حركة وسكون ونفع وضر
وطاعة ومعصية وايمان وكفر الا بما جرى به القلم وسبق
به القضاء والقدر وكذلك لا يطير طائر بجناحيه ولا يدب
حيوان على بطنه او رجليه ولا تسقط ورقة ولا تطير

بعوضة الا بقضاء وقدر وارادة من الله تعالى ومشيئة
كما لا يجري شئ من ذلك الا وقد سبق به علمه قال الله سبحانه
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبراها يعني من قبل ان نخلقها يعني النفس وقيل
من قبل ان نخلق المصيبة وقال لنبيه عليه السلام قل لن
يصيبنا الا ما كتب الله لنا وفي الحديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين الف سنة فالواجب على الانسان امتثال
ما امر به واجتناب ما نهى عنه ولا يتكلف الخوض في القضاء
والقدر فان ذلك من مخزون علم الله الذي استأثر به عن الخلق
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقد روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل افترض عليكم فرائض فلا
تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء
فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء من غير نسيان فلا تتكلفوها
رحمة من ربكم فاقبلوها وقال عليه السلام اعملوا فكلكم
ميسر لما خلق له وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحياة الدنيا الآية * (فصل) * في الجمع بين القضاء
والقدر وبين الطلب والحذر فان قال قائل كيف العمل فيما
سبقت به الاقدار وجفت به الاقلام وفرغ من قسمته
وكيف الحذر مما لا بد من كونه قيل له اعلم ان القدر والطلب
لا يتنافيان والتوكل والكسب لا يتضادان وذلك ان تعلم ان
كل ما قضى الله تعالى كائن لا محالة كما ان ما علم الله ان يكون فهو
كائن لا محالة ومن خالف المسلمين في القضاء والقدر فقد

وافقهم فى العلم فرب امر قدر الله وصوله اليك بعد الطلب
فلا يصل اليك الا بالطلب والطلب ايضا من القدر ولا فرق
بين الامر المطلوب وبين الطلب فى انهما مقدوران فمن ها هنا
ثبت انهما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع الكسب واخذ الحذر
مع الشروع فى العمل لان التوكل والحذر محلهما القلب والكسب
والعمل محلهما الجوارح قال الله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله
وقال تعالى خذوا حذركم فانفروا ثبات الآية وحكى ان رجلا
اتى النبى صلى الله عليه وسلم على ناقة فقال يا رسول الله ادعها
واتوكل فقال عليه السلام اعقلها وتوكل وحكى ان ابليس
لعنه الله قال لعيسى ابن مريم عليه السلام الست تقول
انه لن يصيبك الا ما قدر الله عليك قال نعم قال فارم نفسك
من ذروة الجبل فانه ان يقدر لك السلامة تسلم فقال له
يا ملعون ان الله يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه
فالتوكل والاعتصام بالقدرة يستمدان من الامر فالتوكل
هو الثقة بما ضمنه الله والقطع بكون ما يحكم به فعلى العبد
ان يحقق ان التقدير من قبل الله تعالى فان تعسر شئ فبتقديره
وان اتفق شئ فبتيسيره وليعتمد فى ذلك على الله سبحانه
مسبب الاسباب ومسخر الخلق والالباب بشرط ملازمة
الطاعة والامر لانه لا ينال ما عند الله الا بطاعته وقد قال
على من ابتغى امرا بمعصية الله كان له ابعد لما رجا واقرب لمجئ
ما اتقى ومن ظن ان الطلب والاسباب يناقضان التوكل
فقعد فى بيته متوكلا على ربه كان عن العقل خارجا وفى تيه
الجهل والجا ويقال له فيجب من هذا اذا جعت وحضر الطعام

ان لا تمد يدك اليه ولا تفتح فمك فان قال نعم كان الى العقل
احوج منه الى المعرفة والدليل على ان الطلب مامور به امر
اباحة قوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
وقال بعض العلماء في قول الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض قال لو رزقهم من غير كسب الا ترى ان الله تعالى
قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة الآية وانشد في هذا المعنى
الم تر ان الله قال لمريم * فهزي بجذع النخل يساقط الرطب
ولو شاء احنى الجذع من غير هزة * اليها ولكن كل شيء له سبب
ويقال في التوراة يا ابن آدم حرك يدك يسبب لك رزقك
وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله
حق توكله لرزقتم كما ترزق الطيور تغدو خماصا وتروح بطانا
فلم يقل تحمل ارزاقها اليها وكارها بل الهمها طلبه بالغدو والرواح
ويحكى ان بعض الملوك يرى من تصديق القدر وتكذيب الطلب
دون اهل زمانه من الملوك ما يحجزه عن الطلب والتدبير فاخرجه
اخوته من سلطانه وقهروه على مملكته فقال له بعض
الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه
صائر الى اخلاق ذوات الاجحرة من الحيوانات كالضب وسائر
الحشرات تنشأ في اجحرتها وفيها يكون موتها ثم جمعوا بين
القدر والطلب فقالوا انهما كالعدلين على ظهر ان حمل في واحد
منهما ارجح مما حمل في الآخر سقط حمله وتعب ظهره وان
عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وضربوا في ذلك مثلا
عجيبا وقالوا ان اعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر ولا قائد
للاعمى ولا حامل للمقعد فكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم

قوتهما احتسابا فلم يزالا فى عافية الى ان هلك الرجل المحتسب
فلبثا بعده اياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع
رايهما على ان يحمل الاعمى المقعد فيدوران فى القرية يستطعمان
اهلها ففعلا فنجح امرهما فلو لم يفعلا لهلكا فكذلك القدر
سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين
لصاحبه قال فاخذ ذلك الملك فى الطلب فظفر باعدائه
ورجع الى ملكه وكان يقول بعد ذلك لاتدع عن الطلب اتكالا
على القدر ولا تجهدن نفسك فى الطلب معتمدا عليه مستهينا
بالقدر فاذا اجهدت نفسك بالطلب بوجوه التدبير مصدقا
بالقدر نلت ما تحاول وان التوت مع ذلك عليك الامور
فذلك من عوق القدر وانك قد اتيت ذنبا وتفقد جوارحك
وتب الى الله من كل ذنب واخرج من كل مظلمة فاذا انت فعلت
قابلك الحظ وساعدك القدر ان شاء الله فصل فان قال
قائل هل يزيد الرزق بالطلب او ينقص بترك الطلب ام لا قيل له
عند بعضهم لا لان المكتوب فى اللوح المحفوظ مقدر موقت لا تبديل
لحكم الله ولا تغيير لقسمته وكتابته ويروى عن بعض العلماء من
اصحاب حاتم وشقيق ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد ولكن
المال يزيد وينقص وهذا عند اصحاب القول الاول فاسد لان
الدليل فى الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة واليه الاشارة
بقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولو كان يزيد
بالطلب وينقص بالترك لكان للاسا والفرح موضع اذ هو قصر
حتى فاته وشمر حتى حصله وقد قال عليه السلام ولو لم
تأتها لاتتك فان قال الثواب والعقاب ايضا مكتوبان فى اللوح

المحفوظ ثم يلزمنا طلبه فيزيد بالطلب وينقص بالترك فاعلم
ان طلب الثواب انما وجب لان الله تعالى امر به امراحتما واوعد
على تركه ولم يضمن الثواب على غير فعل منا و زيادة الثواب
والعقاب انما هي بفعل العبد والفرق بينهما فى نكتة وهو ماقال
بعض العلماء ان المكتوب فى اللوح المحفوظ قسمان قسم هومكتوب
مطلقا من غير شرط وتعليق بفعل العبد وهو الارزاق والآجال
الاترى كيف ذكرها الله تعالى مطلقا فقال ومامن دابة فى
الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى
كتاب مبين وقال فاذا جاء اجلهم لايستاخرون ساعة ولا
يستقدمون وقال النبي عليه السلام اربع فرغ منهن الخلق
والخلق والرزق والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق بشروط
وهو فعل العبد وذلك هو الثواب والعقاب الاترى كيف
ذكرها الله فى كتابه معلقين بفعل العبد فقال تعالى ولوان اهل
الكتاب امنوا واتقوا الكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات
النعيم وهذا بين فاعلمه فان قال نحن نجد الطالبين يجدون
الارزاق والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون قيل له
كانك مع ذلك لاتجد طالبا محروما فقيرا وفارغا مرزوقا غنيا
بلى ان هذا هو الاكثر ليعلم ان ذلك تقدير العزيز العليم وقد قيل
لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر قال وما اصنع بالمناظرة بالقدر
رايت ظاهرا فاستدللت به على باطن رايت احمق مرزوقا
وعاقلا محروما فعلمت ان التدبير ليس الى العباد وانشدوا

وكم قوى قوى فى تقلبه * مهذب الراى عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف فى تقلبه * كانه من خليج البحر يغترف

هذا دليل على ان الالــه له * في الخلق سر خفي ليس ينكشف
وفي الخبر ان العقل استاذن على البخت فقال اذهب لاحاجة
لي بك فقال العقل ولم قال انك تحتاج الي ولا احتاج اليك
ويروى ان حكيما قال لابنه يا بني رزقك الله جدا يخدمك
به ذووا العقول ولا رزقك الله عقلا تخدم به ذوي الجدود
وكان يقال افراط جد العاقل مضر بالجد وروي ان رجلا
خير في امر فابى ان يختار فقال انا بجدي اوثق مني بعقلي فاوزعوا
وفي الامثال اسع بجد لا بكد اسع بجد اودع جدك لا كدك
الجدا غنى من الجد ويقال اذا اقبل جد امرئ فالايام تساعده
والاسواء تباعده واذا ادبر فالايام تعاديه والنحوس تراوحه
وتغاديه واعلم ان زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى
الارض اقل من التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية وروي ان رجلا
قال لعلي بن ابي طالب ارايت ان جنبني الهدى وسلك بي طريق
الردى احسن الي ام اساء قال علي ان كنت استوجبت عليه شيئا
فقد اساء والا فهو يفعل ما يشاء وساله رجل عن القدر
فاعرض عنه فابى الا الجواب فقال علي اخبرني اخلقك الله كيف
شئت او كيف شاء فامسك الرجل فقال علي للحاضرين
اترونه يقول كما شاء اذا والله اضرب عنقه فقال الرجل كما
يشاء قال علي ايحييك كما يشاء او كما تشاء قال كما يشاء قال
علي ايميتك كيف يشاء او كما تشاء قال كما يشاء قال فيدخلك
حيث يشاء او حيث تشاء قال حيث يشاء قال فليس لك
من الامر شيء وينشد لبشار بن برد الاعمى

طبعت على ما بى غير مخير * هواى ولو خيرت كنت المهذبا
اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد * وقصر على ان انال المغيبا
واصرف عن قصدى وعلمى مقصر * وامسى فما اعقبت الا التعجبا
واعلم ان الهارب مما هو مقضى عليه كالمتقلب فى يد الطالب
كما قيل * * *
واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه نحوه تتوجه
وذكر فى كتاب سراج الملوك ان رجلا اخلا من خدمة السلطان
بمدينة اسكندرية فظفر به عرفاؤه فبينما هو يقتادونه
اذ مر على بئر فترامى الرجل فيها قال ولهذه المدينة اسراب يسير
الرجل فيها قائما من اولها الى آخرها فما زال الرجل يمشى تحت
الارض حتى وجد بئرا صاعدة فتعلق بها فاذا هو فى دار
السلطان فقبضه واديه ففر بزعمه من السلطان فمشى
اليه طائعا ويقال وقع الطاعون بالكوفة فمر ابن ابى ليلى
على حمار له يطلب النجاة فسمع منشدا يقول
لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى ميعة طيار
او ياتى الحتف على مقدار * فيصبح الله امام السار
فكر راجعا الى الكوفة فقال اذا كان الله امام السارى فلا مهرب
ثم من كتاب الباجى ان رجلا اراد التوجه الى ارض بها الطاعون
فتردد فحدا به غلام اعجمى فقال *
يا ايها المشعر هما لا تهم * انك ان تكتب لك الحما تحم
ولو علوت شاهقا من العلم * كيف توافيك وقد جف القلم
يروى فى الاسرائيليات ان نبيا مر بفخ منصوب واذا قريب
منه طائر فقال الطائر يا نبى الله هل رايت اقل عقلا من هذا

نصب هذا الفخ ليصيد بى فيه وانا انظر اليه قال فذهب فرجع
واذا بالطائر فى الفخ فقال له عجبا منك الست القائل آنفا
كذا وكذا فقال يا نبى الله اذا جاء الحين لم تبق اذن ولا عين
وبالله التوفيق فصل فى الرقا والتمائم والطب والكى
وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت امرنى النبى صلى الله
عليه وسلم ان استرقى من العين وعن ام سلمة انه عليه
السلام رأى فى بيتها جارية فى وجهها سعفة فقال استرقوا
لها فان بها النظرة وعنه عليه السلام لو كان شئ يسبق
القدر لسبقته العين وقال لحاضنتى ابنى جعفر مالى اراهما
صارعين فقالت يا رسول الله تسرع اليهما العين ولا يمنعنا
ان نسترقى لهما الا انا لا ندرى ما يوافقك فقال استرقوا لهما
وعن ثابت انه قال اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال قل اللهم رب الناس
مذهب الباس اشف انت الشافى لا شافى الا انت اشف
شفاء لا يغادر سقما وعن عائشة رضى الله عنها ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا
ورقية بعضنا تشفى سقيمنا باذن ربنا وروى عنه انه
كان اذا آوى الى فراشه نفث فى كفه بقل هو الله احد والمعوذتين
جميعا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده قالت
عائشة فلما اشتكى كان يامرنى ان نفعل به ذلك وروى عن
ابن عباس ان نفرا من اصحاب النبى عليه السلام مروا بماء فيه
لديغ اوسليم فقال رجل من اهل الماء هل فيكم من راق فانطلق
رجل منهم فجعل يقرأ بفاتحة الكتاب ويجمع بزاقه فيتفل فيه

فبرء فاتوا بشاة فقالوا لا ناخذها حتى نسئل رسول الله فسالوه فضحك وقال وما ادراك انها رقية اصبتم فخذوها واضربوا الى سهما ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله عز وجل وروى ان عائشة رضى الله عنها كانت ترى البثرة الصغيرة فى يدها فتلح عليها بالتعويذ فيقال انها صغيرة فتقول ان الله يعظم ما شاء من صغير ويصغر ما شاء من عظيم وقال بعض العلماء استعمل زيد بن اسلم على معدن بنى سليم وكان معدنا لا يزال يصيب الناس من قبل الجن فشكوا ذلك الى زيد فامرهم بالاذان وان يرفعوا اصواتهم به ففعلوا فارتفع ذلك عنهم وعن ابن عباس انه قال مر عيسى عليه السلام ببقرة قد اعترض ولدها فى بطنها فقالت يا روح الله ادع الله ان يخلصنى فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها فالقت ما فى بطنها فاذا عسر على المراة ولدها فليكتب لها هذا وعن ابن عباس انه قال اذا عسر على المراة ولدها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كانهم يوم يرون ما يوعدون الى آخر السورة وروى ان جبريل عليه السلام رقى النبى عليهما السلام فجعل جبريل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك من حاسد وعين ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كلام الله عز وجل وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ما كان بالسريانية والهندية مما لا يعرف معناه فانه لا يحل اعتقاده عند العلماء والله اعلم

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان النبي عليه السلام كان
يامر بالكلمات من الفزع شكى اليه خالد بن الوليد انه يفزع
في منامه فقال اذا اخذت مضجعك للمنام فقل بسم الله اعوذ
بكلمات الله التامات من غضبه وعذابه ومن شر عباده ومن
همزات الشياطين وان يحضرون فكان عبد الله بن عمرو من
ادرك من ولده علمه اياهن وامره ان يقولهن اذا اراد ان ينام
ومن لم يدرك كتبها وعلقها عليه والله اعلم واما الطب فروى
عن النبي عليه السلام انه قال الذى انزل الدواء الذى انزل الداء
وعنه عليه السلام انه قال الكمات من المن وماءها شفاء
للعين وقيل انه يخلط في الادوية وروى انه سئل سهل بن
سعد باى شئ دوى جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لما كسر على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضة
وادمي وجهه وكسرت رباعيته وكان على يختلف بالماء
في المجين وجاءت فاطمة تغسل عن وجهه الدم فلما رات
فاطمة الدم يزيد على الماء كثرة عمدت الى حصير فاحرقته
والصقته على جرح النبي عليه السلام فرقى الدم وعن عائشة
رضى الله عنها انها قالت لما ثقل النبي عليه السلام واشتد
وجعه استاذن ازواجه ان يمرض في بيتى فاذن له فخرج بين
رجلين تخط رجلاه في الارض فقال النبي عليه السلام بعد
ما دخل بيتها واشتد وجعه اهرقوا على ماء من سبع قرب
لم تحلل اوكيتهن لعلى اعهد الى الناس قالت فاجلسناه في مخضب
لحفصة زوج النبي عليه السلام فطفقنا نصب عليه من
تلك القرب حتى جعل يشير الينا ان قد فعلتن قالت ثم خرج

الى الناس فصلى بهم ثم خطبهم قال ويحتمل ان يكون النبي عليه السلام امر ان يصب عليه الماء من القرب التي لم تحلل اوكيتها مع ما روى عن ابن عباس رضي الله عنه عنه عليه السلام من تفضيل من لا يكتوى ولا يسترقى ليبين جواز ذلك مع ان تركه افضل وقد روى عن ابن عباس انه قال كويت من ذات الجنب والنبي عليه السلام حي وشهدني انس بن النظر وزيد بن ثابت وكواني ابو طلحة وقد روى ان سعد بن زرارة اكتوى في زمان النبي عليه السلام من الذبحة فمات وان عبد الله بن عمر اكتوى من اللقوة ورقى من العقرب ويحتمل ذلك ان يكون النبي عليه السلام انما فعل ذلك بوحي اوحى اليه انه اذا فعل ذلك سيبرا ويعهد الى الناس ويبلغهم ما امر بتبليغه وسائر الناس انما يقدم على التداوى رجاء ان يبرا دون قطع بذلك ولا يقين ولهذا تاثير في الشرع وقد اباح الله اكل الميتة للمضطر لانه متيقن زوال الجوعه بها ومنعت العلماء شرب الخمر للعطش والتداوى لانه غير متيقن ببرء دائه بها والله اعلم وقد روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشفاء في ثلاثة لعقة عسل وشرطة محجم وكية نار وانا انهى امتي عن الكي وفي حديث آخر ان كان في شئ من ادويتكم او يكون في شئ من ادويتكم خير ففي شرطة محجم وشربة عسل ولدغة نار توافق الدواء وما احب ان اكتوى قال وشكى الى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اخي يشتكي بطنه قال اسقه عسلا ثم اتاه فقال اسقه عسلا ثم اتاه الثالثة فقال اسقه عسلا ثم اتاه فقال صدق الله وكذب

بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه فبرئ وعنه عليه السلام
انه قال في الحبة السوداء شفاء من كل داء الا السام قال ابن
شهاب السام الموت والحبة السوداء الشونيز وقد روى
ان قوما قالوا لا يجوز شرب الدواء الا لمرض قد وقع بالمريض
واما شربه لدفع اصابة داء فممنوع واجاز ذلك آخرون
وهو مثل الحجامة لا تفعل غالبا الا لتوقع داء لم يوجد وقد قال
عليه السلام ان امثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري
وقد يصلح الانسان غرسه بالسقي ويلقح اشجاره وكل ذلك
لدفع ما يحذر حدوثه من الفساد وعن علي انه قال من ابتدأ
غذاءه بالملح اذهب الله تعالى عنه سبعين نوعا من البلاء
ومن اكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه
ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده
شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب ولحم
البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله
من الداء ولن تستشف النفساء بشئ افضل من الرطب
والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم
ومن اراد البقاء ولا بقاء الا لله فليباكر الغداء وليقلل
غشيان النساء وليخفف الردى يعني الدين وروى ان الحجاج
قال لبعض الاطباء صف لي صفة لاخذ بها ولا اعدوها قال
لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل
المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا
تاكل من الفاكهة الا نضيجا ولا تاكل طعاما الا اجدت
مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا شربت

فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبسن الغائط والبول فاذا اكلت
بالنهار فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة
خطوة وتقول العرب فى معناه تغد تمد تعش تمش يعنى تمدد
وقال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك
فما هى قال اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج
والبس الكتان قيل لاعرابى ما اسمنك قال اكلى الحار وشربى
القار والاتكاء على شمالى ويقال اربعة تقوى البدن اكل اللحم
وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان
واربعة تهين البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب
الماء على الريق وكثرة اكل الحموضة ويقال خمس خصال
تهد العمر وربما قتلن دخول الحمام على البطنة والمجامعة على
الامتلاء واكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق
ومجامعة العجوز وعن قتيبة قال ثلاثة يورثن الهزال شرب
الماء على الريق والنوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت
وقال يحيى بن خالد شيئان يورثان العقل التين اليابس
اذا اكل ودخان اللبان اذا بخر به وسبعة اشياء تفسد
العقل الاكثار من اكل البصل والباقلاء والجماع والخمر وكثرة
النظر فى المرآة والاستفراغ فى الضحك ودوام النظر فى البحر
وفى الحديث ثلاثة اشياء تورث النسيان اكل التفاح وسؤر
الفار ونبذ القملة وفى رواية اخرى والحجامة على النقرة والبول
فى الماء الراكد وقال ابن قتيبة اذا خرج الطعام قبل ست
ساعات فهو مكروه واذا بقى اكثر من اربع وعشرين ساعة
فهو ضرر والله اعلم وهذا الذى قدمناه من الادوية مباح

استعمالها وان ترك المداوات اتكالا على الله ورضى بقضائه
فذلك من اعلا مقامات التوكل وقد قيل لابى بكر الصديق
رضى الله عنه فى مرضه الا ندعو لك طبيبا قال قد دعوته
قيل فما قال لك قال قال لى انى فعال لما اريد وقيل لابى الدرداء
ما تشتكى قال ذنوبى قيل فما تشتهى قال الجنة قيل الا ندعو
لك طبيبا قال هو الذى اضجعنى وقيل لبعض الاطباء وقد
نهكته علة الا تعالج قال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء
واذا قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الامل وبئس
الدواء الاجل وينشد * * *

ما للطبيب يموت بالداء الذى * قد كان يبرأ مثله فيما مضى
هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه ومن اشترى

فصل فيما ورد من النهى عن التصديق بالنجوم والكهانة

وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الصبح بالحديبية على
اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على القوم فقال هل
تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم بالغيب قال قال اصبح
من عبادى مؤمن بى وكافر بى فاما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مؤمن به وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا
بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكوكب وذكر اهل العلم
فى معنى هذا الحديث ان من جعل الفعل للكواكب او قضى بنزول
المطر عن حلول الكوكب فى موضع من المواضع فهو كافر بالله
واما من وصف ذلك بان الله ينزل المطر متى ما شاء ويمسكه
متى ما شاء ولا فعل فيه ولا تاثير الكوكب ولا لغيره ولكن الله
اجرى العادة بارساله المطر فى اوقات ما وامساكه فى اوقات ما

وان هذا هو الاغلب مما اجرى الله العادة به وانه قد تنقض
هذه العادة لانها ليست بلازمة وانما هى غالب الحال وكذا
فى اوقات الانواء وبين ذلك قوله عليه السلام فى حديث
آخر اذا نشات بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة فحكم على
السحاب اذا كان على هذه الصفة بالغدق وكثرة المطر لان هذا
هو غالب عادة تلك الجهة لا ان لكونها بحرية وتشاؤمها بعد
ذلك تاثيرا فى نزول المطر او كثرته او قلته وعن عبد الله بن
عمر عن النبى عليه السلام انه قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن
الا الله لا يعلم احد ما يكون فى غد ولا يعلم احد ما يكون فى
الارحام ولا يعلم احد ماذا تكسب نفس غدا وما تدرى نفس
باى ارض تموت وما يدرى احد متى يجئ المطر وسئل بعض
العلماء عن الرجل ينظر فى النجوم فيقول الشمس تكسف غدا
والرجل يقدم وما اشبه ذلك فقال ارى ان يزجر عن هذا فان
لم يزدجر ادب والله اعلم وينشد لمنصور *

من كان يخشى زحلا * او كان يرجو المشترى
فاننى منه وان * كان ابى الاد فى برى

ولــه

وليس للنجم الى * ضر ولا نفع سبيل
وانما النجم على الاو * قات والسمت دليل

واما الكهان فقد روى عن عائشة ان ناسا سالوا النبى
عليه السلام عن الكهان فقال ليسوا بشئ فقالوا يا رسول الله
انهم يحدثون احيانا بشئ فيكون فقال تلك الكلمة من الجن
يخطفها الجنى فيقراها فى اذن وليه فيخلطون معها مائة

كذبة وقال عليه السلام من اتى عرافا اوكهانا وصدقه فيما
يقول فقد كفر بما انزل على محمد قال الشاعر *
لايعرف المرء يوما ما يتممه * الاكواذب ما يخبره الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال
وقد قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الامن
ارتضى من رسول الآية وقد قال قل لايعلم من فى السموات
والارض الغيب الا الله واحسب انى رايت عن جابر بن زيد
انه لايفرق بين الساحر والمنجم فى الضلال والله اعلم

فصل فى الفال والطيرة قال الله سبحانه قالوا اطيرنا
بك وبمن معك قال طائركم عند الله وقال وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه الآية وروى عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال لاعدوى ولاطيرة ويعجبنى الفال الصالح وفى
حديث آخر لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر وفر من
الجذام فرارك من الاسد قال اعرابى يارسول الله فما بال الابل
تكون فى الرمال لكانها الظباء فيخالطها البعير الاجرب فيجربها
فقال عليه السلام فمن اعدى الاول فالعدوى هو ما يظنه
الناس من تعدى العلل والامراض فاخبر انه لايعدى فقيل
يا رسول الله انا نرى النقبة من الجرب فى مشفر البعير فيعدى
الى جميعه قال فما اعدى الاول واما الطيرة فان العرب
كانت اذا ارادت سفرا نفرت اول طائر تلقاه فان طار يمنة
سارت وتيمنت وان طار شامة رجعت وتشاءمت فنهى
النبى عليه السلام عن ذلك فقال اقروا الطير على وكناتها
وروى ان النابغة الذبيانى تجهز هو وزبان بن يسار الفزارى

للغزو فسقطت على النابغة جرادة فقال جرادة تجرد وذات
لونين فتطير وبقي فمضى زبان ورجع فقال *
تخير طيرة فيها زياد * لتخبره وما فيها خبير
اقام مكان لقمان بن عاد * اشار له بحكمته مشير
تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * احايينا وباطله كثير
ومن يترح به لابد يوما * يجئ به نعي او بشير
وحكى عكرمة قال كنا جلوسا عند ابن عباس فمر طائر
يصيح فقال رجل من القوم خير فقال ابن عباس لا خير
ولا شر واعلم انه لا شئ افسد للراى واضر بالتدبير من
اعتقاد الطيرة ومن ظن ان خوار بقرة او نعيق غراب يرد
قضاء او يدفع مقدورا فقد جهل حكم الله وساق الى
نفسه الحرمان والتسم بالادبار بل قضاء الله غالب
وعلمه نافذ قال الشاعر *
طيرة الناس لا ترد قضاء * فاعذر الدهر لا تشبه بلوم
اى يوم تخصه بسعود * والمنايا ينزلن فى كل يوم
ليس يوم الا وفيه سعود * ونحوس تجرى لقوم وقوم
وقد كانت الفرس فيما بلغنا اكثر الناس طيرة وعن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ظننتم
فلا تحققوا واذا حسدتم فلا تبغوا واذا تطيرتم فامضوا
وعلى الله فتوكلوا فينبغى لمن منى بالطيرة وبلى بها ان يصرف
عن نفسه وساوس النوكا ودواعى الخيبة والحرمان ولا يجعل
للشيطان سلطانا عليه فى نقض عزائمه ومعارضة خالقه

وليعلم ان قضاء الله نافذ ورزق العبد له طالب وان
الحركة سببه فلا يثنيه عنها ما لا يضر مخلوقا ولا يدفع
مقدورا وليمض في عزائمه واثقا بالله تعالى ان اعطى ورضيا
به ان منع وينشد * * * *

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى * نجاحا ولا عن ريثهن يخيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب
ورب امور لا تضيرك طيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب

فان قال قائل ان النبي عليه السلام قال لا يردن هائم على
مصح قيل له يحتمل وجهين احدهما ان يكون الله تعالى قد
اجرى العادة بمرض الصحيح عند مجاورة المريض بنوع من
الامراض له والثاني يحتمل ان يريد به ما يطرا نفسه على
نفس المصح من الاشفاق والمخافة فنهى عن ذلك لاجل
الاذى والله اعلم واما الهامة المذكورة في الحديث المتقدم فهو
ما كانت العرب في الجاهلية تعتقده ان القتيل اذا طل دمه
ولم يؤخذ بثاره صاحت هامته من القبر اسقوني قال
الزبرقان بن برد * * * *

يا عمرو الا تدع شتمي ومنقصتي * اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وفي كتاب المسعودي قال وزعمت طائفة من العرب ان النفس
طائر ينبسط في جسم الانسان فاذا مات لم يزل طائفا به
متصورا في صورة طائر يصرخ على قبره ويسمونه الهامة
ويزعمون انه يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كالبوم فابطل
النبي عليه السلام ذلك فقال لا هامة ولا صفر وهي كالحية
تكون في الجوف تصيب الماشية والناس وهي عندهم اعدى

من الحرب قال الشاعر * * *
لا ينثار لما في القدر يرقبه * ولا يعض على شر سوف الصفر
وينبغى للانسان بل يجب عليه ان يتوكل على الله ولا يتطير
وقد قال عليه السلام كفارة الطيرة التوكل على الله وليقل
الانسان اذا عارضه فى الطيرة ما يكره ما روى عنه عليه السلام
انه قال من تطير فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا ياتى بالخيرات
الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم وروى ان رجلا جاء الى النبى عليه السلام فقال
يا رسول الله انا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا واموالنا ثم
تحولنا عنها الى اخرى فقلت فيها اموالنا وعددنا فقال
عليه السلام ذروها ذميمة وليس هذا منه على وجه الطيرة
ولكن على طريق التبرك بما فارق وترك ما استوحش عنه
الى ما انس به والله اعلم واما الفال ففيه تقوية على العزم
وباعث على الجد ومعونة على الظفر وقد روى ان النبى عليه
السلام كان يتفاءل فى غزواته وحروبه وروى انه سمع كلمة
فاعجبته فقال اخذنا فالك من فيك وروى عنه عليه
السلام انه قال من يحلب هذه اللقحة فقال رجل انا فقال
ما اسمك فقال موت فقال اجلس ثم قال من يحلب هذه
فقام رجل فقال انا فقال ما اسمك فقال حرب فقال اجلس
ثم قال عليه السلام من يحلب هذه فقام رجل فقال انا
فقال ما اسمك فقال يعيش فقال له احلب وروى ان عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه قال لرجل ما اسمك قال جمرة
قال ابن من قال ابن شهاب قال من من قال من الحرقة قال

ابن مسكنك قال بجرة النار قال بايها قال بذات لظى قال عمر
ادرك اهلك فقد احترقوا فكان كما قال عمر رحمه الله قال
بعض الحكماء فقد فرق الحذاق من اهل النظر بين الطيرة
والفال فقال الطيرة كانت العرب ترجع الى ما تمضيها وتجزى
على ما تقتضيها فمن هم بهم فرأى ما يتطير منه رجع عنه والفال
لا يرد المريد عما يريد هوا نما يقوى منته ويسر مهجته وينبغى
لمن تفاءل ان يتاول الفال باحسن التاويل ولا يجعل [illegible] الى نفسه سبيلا وقد قال النبى عليه السلام ان البلاء موكل
بالمنطق وقد حكى ان يوسف عليه السلام شكى الى الله سبحانه
طول السجن فاوحى الله اليه يا يوسف انت حبست نفسك
قلت رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه ولو قلت العافية احب الى
لعوفيت [illegible] ابن المؤمل بن اميل الشاعر [illegible] قال *
شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر
عمى فاتاه آت فى منامه فقال هذا ما طلبت وحكى ان الوليد
ابن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما فى المصحف فخرج قوله عز
وجل واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وانشا يقول
اتوعد كل جبار عنيد * فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقنى الوليد
فلم يلبث اياما الا وقتل شر قتلة وصلب راسه على قصره
ثم على سور بلده فنعوذ بالله من غضبه واعتمد يا اخى على
الله تعالى وتوكل عليه فانه لا راد لامره ولا معقب لحكمه
وينشد * * *
قالوا تقيم وقد احاطـ * بك العدو ولا تفر

فاجبتهم والشيخ منا * لم ينتفع بالعلم غر
لا نلت خيرا ما بقيت * ولا عداني الدهر شر
ان كنت اعلم ان غير * الله ينفع او يضر

غيره

ما قدر الله لا بد يدركني * من ذا الذي يدفع المقدور بالحذر
الله اولى بنا منا لا انفسنا * ان نحن الا مماليك لمقتدر

غيره

اقام عن المسير وقد انيخت * مطاياه وغرد حاديها
وقال اخاف عادية الليالي * على نفسي وان القى رداها
مشينا في خطى كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
وارزاق لنا قسمت علينا * فمن لم تاته منا اتاها
ومن كتبت منيته بارض * فليس يموت في ارض سواها

غيره

ليس كل الذي يدار من الامر * علينا يوافق المقدور
قدر الله مالنا وعلينا * قبل ان يبرم العدو الامور

فصل في الرضى بقضاء الله والتسليم لامره اعلم يا اخي ان كفاية ما يجري به المقادير هو الرضى بقضاء الله فيها والتسليم لامره تعالى وقد روى عن ابن عباس انه قال اول ما كتب الله في اللوح المحفوظ انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضاءى وشكر نعماءى وصبر لبلاءى كتبته صديقا ومن لم يستسلم لقضاءى ولم يصبر على بلاءى ولم يشكر نعماءى فليتخذ ربا سواى وروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين

يعالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام اى شئ من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله فى قلبه ما جعل فى قلبى من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه فالواجب على العبد ان يرضى بقضاء الله عز وجل لامرين احدهما ليتفرغ للعبادة لانه اذا لم يرض بالقضاء يكون مشغول القلب مهموما ابدا بانه لم كان كذا وكذا ولم لا يكون كذا وكذا وقد قال بعض العلماء ان حسرة الامور الماضية وتدبير الآتية قد ذهبت ببركة ساعتك والثانى من الامرين خطرما فى السخط من عذاب الله تعالى وقد روى فى الخبر ان نبيا من الانبياء شكى الى الله سبحانه ما ناله من المكروه فاوحى الله تعالى اليه الى كم تشكونى ولست باهل ذم ولا شكوى هكذا كان بدء شانك فى علم الغيب فكم تسخط قضاءى عليك اتريد ان اغير الدنيا لاجلك او ابدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضى ما تريد دون ما اريد فبعزتى حلفت لئن تلجلج هذا فى صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك النار ولا ابالى يا اخى انظر الى هذه السياسة العظيمة والوعد الهائل مع انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع ما يقول لئن تلجلج فى صدرك مرة اخرى هذا فى حديث النفس فكيف بمن يصرخ ويستغيث

ويشكو وينادى بالويل والصراخ من ربه على رؤس الملا ويتخذ على ذلك اعوانا واصحابا هذا لمن سخطه مرة فكيف بمن هو فى السخط على الله تعالى طول عمره وهذا لمن شكى اليه فكيف بمن شكى الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا ويلنشد

ان شئت ان تنقضى محياك طيبة * فاعط الرضى بالذى يرضى به الله
ان اضطرارا دنا فيما كرهت وما * احببت فالخير فيما الله اولاه

وقال بعض الحكماء العالم بالله تعالى يعمل على ..... الاعطاء والمنع عنده سواء وقال بعضهم من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال بعض العلماء الرضى عن الله والرحمة للمخلوقين درجة المرسلين وقال بعضهم *

رضيت بما قسم الله لى * وفوضت امرى الى خالقى
كما احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

فان قيل ما معنى الرضى بالقضاء وحقيقته وحكمه فاعلم ان اهل العلم قالوا الرضى ترك السخط والسخط ذكر غير ما قضى الله بانه اولى به واصلح له فيما لا يستيقن فساده وصلاحه هكذا الشرط فيه فان قيل اليس الشرور والمعاصى بقضاء الله وقدره فكيف يرضى العبد الشرور ويلزمه ذلك فاعلم ان الرضى انما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر فانما الشر هو المقضى فلا يكون رضى بالشر حينئذ وقد قالت المشايخ المقضيات اربع نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضى فيها بالقاضى والقضاء والمقضى وعليه الشكر من حيث انه نعمة والشدة يجب الرضى فيها بالقاضى والقضاء والمقضى وعليه الصبر من حيث انه شدة والخير يجب عليه فيه الرضى بالقاضى والقضاء

والمقضى وعليه ذكر المنة من حيث انه خير مقضى ووفقه الله له وان شر يجب عليه فيه الرضى بالقاضى والقضاء والمقضى من حيث انه مقضى لا من حيث انه شر والله اعلم وجملة الامر ان افعال الله تعالى على وجهين نعمة ونقمة فالواجب على العبد ان يعلم ان كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل فيرضى بذلك ولا يجور الله تعالى ولا يسخط فعله فان فعل فهو هالك وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل *

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما *

(القنطرة الثالثة عشرة قنطرة الخوف والرجاء)

وتسمى قنطرة البواعث وذلك ان العبد لما قطع قنطرة العوارض يرجع الى العبادة فنظر فاذا النفس كسلى فاترة لا تنشط للخير ولا تنبعث للعبادة كما يجب وينبغى وانما ميلها الى غفلة وراحة وبطالة بل الى شر وفضول وبشية فاحتاج معها هاهنا الى سائق يسوقها الى الخير والطاعة ويشطها له والى زاجر يزجرها عن الشر والمعصية ويفترها عنه وهما الخوف من عذاب الله والرجاء فى ثوابه عز وجل مع توابعهما من الحذر والاشفاق من مكر الله والمحبة والشوق الى لقائه فينبعث من هذه القنطرة بابان احدهما باب الخوف والثانى باب الرجاء

الباب الاول فى الخوف اعلم ان منازل العباد عند الله على قدر مخافتهم منه واعلمهم به ابعدهم امانا من مكره ومخافة

عقابه وقد ذكر الله عز وجل اقواما ووصفهم بالوجل عند ذكره والاشفاق من عذابه فقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية اى رقت لله مخافة من عذابه وقال تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل وعزتى وجلالى لا اجمع على عبدى خوفين ولا امنين ان امننى فى الدنيا اخفته فى الآخرة واذا خافنى فى الدنيا امنته فى الآخرة وعنه عليه السلام انه قال ما جاءنى جبريل قط الا وهو يرتعد فرقا من الجبار جل جلاله وعنه عليه السلام انه قال المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه وعن وهب بن منبه انه قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا كان يسمع خفقان قلبه من بعيد وروى ان النبى عليه السلام قرا يوما ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق به وقال بعض الحكماء ان لله عبادا اسكتتهم خشية من غير عى بهم ولا بكم وانهم لهم النبلاء الفصحاء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله تعالى عز وجل تقطعت قلوبهم وكلت السنتهم وطاشت عقولهم فرقا من الله عز وجل وهيبة له وانشد فى اصحاب ابى بلال مرداس رحمه الله *

الا فى الله لا فى الناس شالت * بداود واخوته الجذوع

مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا * تحوم عليهم طير وقوع

اطار الخوف نومهم فقاموا * واهل الامن فى الدنيا هجوع

اذا ما الليل اظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع

ويروى والله اعلم لما ظهر على ابليس لعنه الله ما ظهر طفق
جبريل وميكائيل يبكيان زمانا طويلا فاوحى الله تعالى
اليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا ربنا لا نامن مكرك
فقال الله لهما فكذلك كونا لا تأمنا مكرى وعن حاتم الاصم
انه قال لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة
فلقى آدم فيها ما لقى فلا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن
اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقى ولا تغتر برؤية الصالحين
فلا شخص اكبر من المصطفى عليه السلام فلم ينتفع بلقائه
اقاربه واعدائه وقال معاذ بن جبل رحمه الله ان المؤمن
لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم
وقال بعض العلماء ليس الخائف الذى يبكى ويعصر عينيه
ولكن الخائف من ترك ما يخاف ان يعذب عليه وقال الحكيم
من خاف الله هرب اليه ومن خاف من شئ هرب منه
ويقال علامة الخوف الحزن الدائم وسئل ذوالنون متى
يتيسر على العبد سبيل الخوف قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم
يحتمى من كل شئ يخاف منه طول السقم وقال بعضهم
ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقال حاتم الاصم لكل شئ
زينة وزينة العبادة الخوف وقال بعض العلماء صدق
الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا منها وباطنا وعن عائشة
رضى الله عنها انها قالت قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة هو الرجل يزنى ويسرق ويشرب الخمر قال لا ولكن الرجل يصوم
ويتصدق ويصلى ويخاف ان لا يقبل منه ذلك وروى عن النبى
صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام كان عنده فصار مثل

الفرخ فقال له مالك قال هبط اسرافيل الى الارض ولم يهبط
قبلها فظننت انه امر بى ثم بكى فقال ابليس عبد الله ثمانين
الف سنة ثم صار الى ما صار اليه فما زالا يبكيان حتى ناداهما
مناد من السماء قوما فان الله آمنكما ان يبتليكما بمعصية
فيعذبكما عليها والله اعلم **فصل** اعلم ان استقامة العبادة
لا تصح لطالبها الا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما اما
الخوف فيجب التزامه لامرين احدهما الزجر عن المعاصي فان
هذه النفس الامارة بالسوء ميالة الى [illegible] الفتنة
لا تنتهى عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ [illegible] هى
فى طبعها حرة يهمها الوفاء ويمنعها الحياء عن الجفاء وانما
هى كما قال القائل * * *

العبد يقرع بالعصى * والحر [illegible]

والتدبير فى امرها ان تقرعها [illegible]
ما ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية فانطلق ونزع
ثيابه وجعل يتمرغ فى الرمضا ويقول ذوقى فان نار جهنم اشد حرا
من هذه يا جيفة بالليل بطالة بالنهار والثانى [illegible] بالطاعة
فتهلك بل يقمعها بالذم والعتب والنقص من [illegible] الاوزار
التى فيها ضروب الاخطار وذلك نحو ما ذكر [illegible] عليه
وسلم انه قال لو اخذنى الله انا واخى عيسى بما عملت هاتان الاصبعان
لعذبنا بعذاب لم يعذب به احدا وعن الحسن كان يقول ما يؤمن احدنا
ان يكون قد اصاب ذنبا فاطبق باب المغفرة [illegible] وهو يعمل فى غير معمل
وعن ابن السماك فيما يعاتب به نفسه تقولين قول [illegible] عمل
المنافقين وفى الجنة تطمعين هيهات هيهات ان للجنة قوما آخرين ولهم اعمال غير

ما تعملين فهذه وامثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس وتكريرها عليها لئلا تعجب بطاعة الله او تقع فى معصيته وعن ابن المبارك انه قال الذى يهيج الخوف حتى يسكن فى القلب دوام المراقبة فى السر والعلانية وقد فرض الله على العباد ان يخافوه وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين واياى فارهبون وقال ولا تخشوا الناس واخشون فى امثالها ومن الآيات التى تهيج الخوف نحو قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وكقوله ليس باما نيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ونحو قوله وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فى امثالها فينبغى للانسان ان يتفكر فيما اوردناه من الاخبار والآيات حتى يتمكن الخوف من قلبه ويتفكر ايضا فى افعال الله سبحانه ومعاملاته اصنافا من خلقه من ذلك اولا ابليس اللعين الذى عبد الله سبحانه فى كتب اصحابنا ستة آلاف سنة او ماشاء الله وفى كتاب الغزالى ثمانين الف سنة فلم يترك لله تعالى فيما قيل موضع قدم الا وسجد لله تعالى فيه سجدة ثم ترك له امرا واحدا فطرده عن بابه ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا ابد الابدين ثم آدم عليه السلام صفيه ونبيه الذى خلقه بيده واسجد له ملائكته فاكل اكلة واحدة لم ياذن له فيها فنودى ان لا يجاورنى من عصانى فاهبط الى الارض فلم تقبل توبته فيما روى حتى بكى على ذلك مائتى سنة ولحقه من الهوان ما لحقه فبقيت ذريته فى تبعات ذلك على الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين صلوات الله عليه وعليهم اجمعين الذى احتمل من امر الدين ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودى فلا تسئلنى ما ليس لك به علم الآية حتى روى انه لم يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى اربعين سنة ثم ابراهيم خليل الرحمن لم تكن منه الا هفوة واحدة ويقال ثلاث هفوات

كلها يماحل بها عن الدين وذلك قوله حين كسر الاصنام وعلق
الفاس على الكبير منها فلما قيل له ءانت فعلت هذا بآلهتنا
يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا وقوله مكرا بهم اني سقيم
وقوله للجبار في امرأته انها اختي فكم خاف وتضرع وقال والذى
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روى انه كان يبكي من
شدة الخوف فيرسل الله تعالى اليه الامين جبريل عليه السلام
فيقول يا ابراهيم هل رايت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول
يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم موسى عليه السلام
لم تكن منه الا وكزة الكافر بالله قبطي الا انه لم يؤمر بذلك فكم
خاف واستغفر وقال رب اني ظلمت نفسي وفيما اوحى اليه
يا موسى لو ان النفس التي قتلت آمنت في طرفة عين اني خالقها
ورازقها الا اذقتك بها اليم العذاب ثم في زمانه بلعام بن باعوراء
ذكر الغزالي في كتابه انه كان بحيث نظر يرى العرش وزعم انه هو
المراد بقوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ولم
يقل آية واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك لولي من
اولياء الله حرمة واحدة سلبه الله معرفته وتركه بمنزلة الكلب
المطرود ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث حتى روى في كتاب
الغزالي قال سمعت بعض العلماء يقول انه كان في بدء امره بحيث
يكون في مجلسه اثني عشرة الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه
ثم صار فيما زعم بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع
نعوذ بالله من سخطه وخذلانه وفظيع عذابه وعقابه الذى لا
طاقة لنا به وذكر في بعض الكتب ان بلعام فضحته اتانه فقالت
ويلك يا بلعام تنكحني بالليل وتركبني بالنهار فانظر حب الدنيا

وشومها ماذا يجلب للعلماء فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير
وفي الاعمال تقصير والناقد بصير فان ختم بالخير اعمالنا واقالنا
عثراتنا فما ذلك عليه بعسير ثم انظر الى داود خليفة الله في
ارضه اذنب ذنبا واحدا فبكى عليه حتى قيل ان العشب نبت من
دموعه وعن بعض العلماء قال ان داود عليه السلام خر ساجدا
اربعين سنة فرفع راسه وما في جبهته مخازة لحم وعن الاوزاعي
قال كانت عينا داود عليه السلام كالقربتين تنطفان الماء
ولقد كانت الدموع اخذت في وجهه كجرية الماء في الارض وعن
مجاهد قال مكث اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت
المرعى من دموع عينيه فنودي يا داود اجائع فتطعم ام ظمآن
فتسقى ام عار فتكسى فاجيب في غير ما طلب فنحب نحبة فاحترق
العشب من حر جوفه ثم انزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال
يا رب اجعل خطيئتي في كفي فما كان يبسط كفه لطعام ولا شراب
ولا لشئ سوى ذلك الا راٰها فابكته وان كان ليؤتى بالقدح
ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفتيه حتى يفيض
من دموعه وزعموا ان توبته لم تقبل الى اربعين يوما وقيل الى اربعين
سنة والله اعلم ثم انظر الى يونس عليه السلام غضب غضبة واحدة في غير
موضعها فسجنه الجبار في بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما
فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فسمعت
الملائكة صوته فقالوا الهنا صوت معروف في موضع مجهول فقال تعالى
ذلك عبدي يونس فشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك غير اسمه فنسبه الى
سجنه فقال وذا النون الآية فقال فالتقمه الحوت الآية ثم ذكر نعمته ومنته
عليه فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه الآية فانظر الى هذه السياسة ايها

المسكين وكذلك هاجر الى سيد المرسلين اكرم الخلق على الله تعالى بقوله استقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا الآية حتى كان عليه السلام يقول شيبتني سورة هود واخواتها قيل يعني هذه الآية واشكالها في القرآن وقال تعالى واستغفر لذنبك الى ان من الله عليه بالغفران فقال ووضعنا عنك وزرك الآية وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فكان بعد ذلك عليه السلام يصلي الليل حتى تورمت قدماه فيقولون اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان يقول لو واخذني الله انا واخي عيسى بما فعلت هاتان الاصبعان لعذبنا بالنار وفي حديث آخر لعذبنا عذابا لم يعذب به احدا من العالمين وكان يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم الصحابة الذين هم خير قرن من هذه الامة كان يبدو منهم شئ من المزاح فنزل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الآية ثم وضع في هذه الامة مع كونها امة مرحومة من الحدود والسياسة العظيمة حتى كان بعض العلماء يقول لا يامن من قطع في خمسة دراهم خير عضو منه ان يكون عذابه هكذا غدا نسئل الله البار الرحيم ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه ارحم الراحمين فصل وفي كتاب المحاسبي قال معنى الخوف هو مطالعة القلب لسطوات الله تعالى ونقماته فيولد ذلك في القلب فزعا من خوف الوعيد وعلامته الفرار من مواطن العقوبات رجاء السلامة وشدة الحركة عند ذكر النار واهوال القيامة والفرار من الخلق وشدة البكاء والنفور من ذكر المعصية والعاصين وتغير اللون عند الحوادث مثل الريح العاصف والرعد القاصف والظلمة والزلزلة والخسوف واشباه ذلك وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الريح تغير وجهه ودخل وخرج وقد روى عن عطاء السلمي انه نظر الى سحابة نشات في السماء فوضع يده على ام راسه وجعل يبكي ويقول فلما راوه

عارضا مستقبل اوديتهم الى قوله ريح فيها عذاب اليم وقد روى ان رجلا من خثعم قرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فاضطرب مسروق وكان من الخائفين فقال اعد على ويحك فانى ارانى من المجرمين ولست من المتقين فاعادها عليه فشهق شهقة لحق منها الى الآخرة قال ويكون حاله عند سكون هيجان الخوف عنه قاعدا مستوفزا كانه ينظر شيئا يريده او يراد به كما قال ابن المبارك *

مستوفزين على رجل كانهم * ركب يريدون ان يمضوا وينتقلوا
قد صيروا الليلهم ابلا لخدمته * فلن يحطوا رحال الابل او يصلوا

قال والحركة التى يظن انه ماخوذ بها مثل الهدة والوجبة والصيحة على غفلة او كلمة يرجف منها قلبه مثل ما روى عن زرارة بن اوفى انه قرأ فى محرابه فاذا نقر فى الناقور الآية فشهق شهقة نقل بها من محرابه ميتا وقد روى عن بعضهم انه كان يوقد تحت قدر له فاصاب وجهه شئ من سواد القدر فقالت له ابنته يا ابتاه وجهك قد اسود فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما افاق مسح وجهه بيده وقال خفت ان يكون الله عزوجل سود وجهى فى الدنيا قبل الآخرة الاترى انه لما صادفت الكلمة ما قام فى وهمه من المخاوف فاستقرب قلبه فى تعجيل نكال الآخرة قال وتزايد الخائفين فى الخوف يكون على قدر لزوم القلب للاسباب المهيجة للخوف كالتى قدمناها فمنهم من يهيج الخوف فيؤلمه وينحله ويشغله على قدر ما وافق من رقة القلب وصفاء الذهن ثم ياخذ الخوف فى سائر الجسد على قدر قوة العلم فى السطوة والنقمة قال ومثلهم فى ذلك كركاب السفينة كلما اشتد عليهم هيجان الامواج وتجلجلت اشتدت المخاوف وهكذا اذا هاجت اسباب المعرفة من القلوب بسطوات الله تعالى ونقماته وجلاله وعظمته هاج فى القلب خوف تلف النفس حتى يكون كالغريق الذى لا يحسن السباحة فقد اشتد مخاوفه لخوف قلبه والله اعلم

(الباب الثانى فى الرجاء) قال الله تعالى

ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقال تعالى لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال سبحانه قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون الآية فحدث عن رحمة الله الواسعة ولاحرج وفى الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى مائة رحمة فواحدة منها اقسمها بين الجن والانس والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر منها تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة وفى خبر آخر انه تعالى قابض تلك الرحمة الواحدة فتتم بها مائة رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وفى خبر آخر ان الله تعالى يقول للمؤمنين يوم القيامة اما بيني وبينكم فقد وهبته لكم فتواهبوا فيما بينكم فادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها باعمالكم وقد روى ان النبى عليه السلام دخل من باب بنى شيبة فرأى قوما يضحكون فقال لهم لم تضحكون لا اراكم حتى اذا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى فقال جاءنى جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لا تقنط عبادى من رحمتى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم الآية وقال عليه السلام الله ارحم لعبدى المؤمن من الوالدة الشفيقة لولدها فى امثالها اكثر فمن ذا الذى يعرف غاية رحمة الله او يحسن وصفها اذ يغفر لعبده كفر مائة سنة او ما شاء الله بايمان ساعة واحدة كما قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال قولوا حطة يغفر لكم خطاياكم قيل معناه لحطط عنا خطايانا وقيل قولوا لا اله الا الله وقال عليه السلام الاسلام جب لما قبله فسوغ الله تعالى للمشرك اذا اسلم جميع ما فى يده من الاموال والانكحة وان اكتسبها حراما ولم يطالبه بشئ من مظالم العباد من الدماء وغيرها وهذا من سعة رحمته انظر الى سحرة فرعون جاءوا للحرب وحلفوا بعزة فرعون فلما امنوا بصدق من قلوبهم قبلهم الله وغفر لهم وافرغ عليهم الصبر وجعلهم رؤس الشهداء فى الجنة ابد الابدين هذا

لمن عرفه ساعة بعد الكفر والضلال فكيف بمن افنى عمره فى معرفته وطاعته وانظر الى اصحاب الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول اعمارهم حتى الهمهم فقالوا ربنا رب السموات والارض الآية كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ثم الزمهم الحشمة والمهابة حتى قال لاكرم الخلق عليه لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا بل كيف اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره فى كتابه العزيز مرات ثم جعله معهم فى الدنيا محجوبا ويدخله الجنة معهم مكرما فيما بلغنا فهذا فضله مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه اياما معدودة فكيف فضله مع عبده المؤمن الذى وحده وعبده سبعين سنة اوما شاء الله ونيته ان لو عاش سبعين الف سنة لما جحده ولا كفر به ثم انظر كيف عاتب يونس بن متى عليه السلام فى شان قومه حين انتبه من النوم وقد تيبست الشجرة التى اظلته فقال فيما بلغنا تحزن على شجرة من يقطين انبتها فى ساعة وايبستها فى ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون وفى الخبر ان الله تعالى لما رفع ابراهيم الى الملكوت رأى رجلا على فاحشة فدعى الله تعالى عليه فاهلكه ثم رأى آخر فاراد ان يدعو عليه فاوحى الله اليه يا ابراهيم دع عنك عبادى فان عبدى لا يخلو من ثلاث اما ان يتوب فاتوب عليه واما ان اخرج من صلبه ذرية تقدسنى واما ان يستكمل اجله فيكون خشبة فى جهنم او كلام هذا معناه وفى الخبر ايضا ان الله تعالى عاتب موسى عليه السلام فى امر قارون فقال استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتى وجلالى لو استغاث بى لاغثته فى مثل هذا من الاخبار والاحاديث التى تدل على سعة رحمة الله وفضله فاذا كان الله عز وجل قد اعطى عبده المؤمن من معرفته وافاض عليه من نعمه الغزيرة ومننه الكثيرة ما يستغرق الوصف من النعم الظاهرة والباطنة فنرجو من فضله العظيم ان يتم ذلك له فى الآخرة فان من بدأ بالاحسان والنعم قبل الاستحقاق فعليه الاتمام بان يجعل له من

التسع والتسعين رحمة الحظ الاوفر فنسئل الله تعالى ان لا يخيب آمالنا في فضله العظيم وان يحقق رجاءنا من احسانه العميم انه جواد كريم منان رحيم

فصل واعلم ان الامر كله يرجع الى اصل واحد وهو خاتمة العمل لان ملاك الاعمال خاتمتها فهذه هي التي تقصم الظهور وتذيب الاكباد وتدمي عيون العباد وقد قال بعض العلماء الغموم ثلاثة غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعاصي ان لا تغفر وغم المعرفة ان تسلب وقال اهل التحقيق بل الغم كله غم القبول لان من قبل الله منه حسنة واحدة فقد فاز جملة واحدة لانه اذا وقع القبول زالت المؤاخذة وقد روي عن معاذ رحمه الله او غيره قال لو قبل الله مني حسنة واحدة لا ابالي او كلام هذا معناه وقال آخرون الغم كله في خوف نزع المعرفة عند الموت وهذا قريب من الاول لان الله تعالى يقول يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين

فصل فعلى العبد ان يكون راغبا راهبا لانه اذا غلب عليه رهبة العقاب خيف عليه ان يكون من الآيسين من رحمة الله وقد قال تعالى ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وان غلب عليه الرغبة والرجاء لثواب الله خيف عليه ان يكون من الآمنين من مكر الله وقد قال تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقد روي عن لقمان الحكيم قال لابنه يا بني خف الله خوفا لا تايئس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تامن فيه من عقابه فقال يا ابتاه فكيف وانا لي قلب واحد فقال يا بني ان المؤمن لو شق قلبه وجد فيه نور رجاء ونور خوف ولو وزنا لم يمل احدهما بصاحبه وهذا كما ورد في الحديث لو وزنت خوف المؤمن ورجاءه بميزان تريص ما زاد احدهما على الآخر ومعنى تريص قيل محكم وقد اثنى الله تعالى على المؤمنين فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا الآية وينشد لابي تمام الطائي

اخاف الهي ثم ارجو نواله * ولكن خوفي غالب لرجائيا

ولولا رجاءي واتكالي على الذي * تفرد لي بالصنع كهلا وناشيا
لما ساغ لي عذب من الماء باردا * ولا الذ لي نوم ولا زلت باكيا
على سوء ما قد كان مني جهالة * ليالي فيها كنت لله عاصيا

وهذا كما قال بعض العلماء الخوف ما كان الانسان صحيحا افضل فاذا نزل به الموت فالرجاء افضل وقد روي عن حذيفة بن اليماني رحمه الله انه لما احتضر قال مرحبا بالرجاء على فاقة لا افرح من ندم اللهم انك امرتنا ان نعدل بين الخوف والرجاء فالآن الرجاء فيك امثل وقد روي عن ابي سليمان الداراني انه قال ينبغي ان يكون الخوف اغلب من الرجاء لانه اذا غلب الرجاء فسد القلب وروي عن يحيى بن معاذ انه قال رجاء المؤمن اكثر من خوفه والا كان ظالما قال وذلك ان الخوف من الغضب والرجاء طمع في الجنة وقد سبق من قضائه ان رحمته سبقت غضبه وعن وهب ابن منبه قال بلغ ابن عباس ان مجلسا كان في المسجد الحرام يجلس فيه ناس من قريش فيختصمون فترتفع اصواتهم فقال ابن عباس انطلق بنا اليهم فانطلقنا حتى وقفنا عليهم فقال لي ابن عباس اخبرهم بالكلام الذي كلم به الفتى ايوب عليه السلام في بلائه قال قلت قال الفتى اما كان من عظمة الله وذكر الموت ما يكل لسانك ويقطع قلبك ويكسر حجتك يا ايوب اما علمت ان لله عبادا اسكتتهم خشية الله تعالى من غير بكم وانهم لهم النبلاء الفصحاء الالباء العالمون بالله واياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله تقطعت قلوبهم وكلت السنتهم وطاشت عقولهم واحلامهم فرقا من الله وهيبة له فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية لا يستكثرون له الكثير ولا يرضون له القليل يعدون انفسهم مع الظالمين الخاطئين وانهم لنزاهم ابرار ومع المضيعين المفرطين وانهم لاكياس اقوياء ناحلون ذائبون فصل واعلم ان الرجاء الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي كما ان الخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجاء الحقيقي ولذلك قيل الرجاء كله لاهل الخوف لا الامن والخوف كله لاهل الرجاء الا الاياس ويُنشد *

وذي حرق اخفي مضيض اكتئابه * فنم عليه دمعه بانسكابه

بكت عينه لما بكت عين قلبه * ولولا بكاء العين لم يدر مابه

اذاب بخوف الله صحة جسمه * وابلى بتقواه رداء شبابه

تراه من الخوف المبرح والاسا * كميت دعاه ربه لحسابه

تفرد بالمولى ففر بدينه * الى جبل ياوى لبعض شعابه

اذا انصرف المحبوب من عند ربه * تبادرت الاملاك اخذ ركابه

الى جنة فيها الحرير لباسهم * ودر ومرجان سروج دوابه

وحور كامثال البدور نواعم * بلا عينه في الخلد خلف قبابه

بنفسي ولي لله له متهجد * اذا رقد النوام قام ببابه

يهيم فما يدري من الخوف والرجا * باي يديه اخذه لكتابه

واعلم ان العبد اذا كان صحيحا فالخوف اولى به فاذا ضعف ومرض واشرف على الآخرة فالرجاء به امثل كما تقدم عن حذيفة رحمه الله وذلك لما روي ان الله تعالى يقول انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي فيصير رجاؤه اولى في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم في زمان صحته ولذلك يقال لهم الا تخافوا ولا تحزنوا **فصل** فان قيل اليس قد جاءت الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله تعالى كقوله انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء في امثالها قيل له ان من حسن الظن بالله تعالى الحذر من معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد في طاعته وذلك ثمرة التصديق بوعد الله تعالى ووعيده وذلك ان الرجاء لا يكون الا على اصل ثابت صحيح اذا اجتهد العبد في طاعة الله تعالى وانتهى عن معصيته فيرجو حينئذ ان يتقبل الله منه ويتم له تقصيره ويعظم له الثواب ويعفو عن الزلل فان احسن الظن بعد هذا فهو الرجاء قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه الآية فمثاله

كمن زرع واجتهد وجمع بذرا ويقول ارجوان يحصل لي منه مائة قفيز فذلك
منه رجاء واما ان طمع ورجا بغير عمل فذلك منه امنية لا اصل لها ولاطائل
كمن لا يزرع ولا يعمل فيقول ارجوان يحصل لي مائة قفيز فيقال له من اين
لك هذا الرجاء وانما ذلك امنية لا اصل لها فكذلك اذا غفل عن الطاعة وارتكب
المعاصي ولم يبال بسخط الله ورضاه ووعده ووعيده ثم يقول ارجو من الله
الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل لها سماها رجاء وحسن
ظن بل ذلك خطأ وضلال وقد قال الله تعالى مخبرا عن المنافقين وغرتكم
الاماني وقال ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به
وقال جابر بن زيد رحمه الله اياكم والاماني فوالله ما نال بها عبد خيرا قط فيما
مضى ولا ينال فيما بقي وقال ان المومن احسن الظن فاحسن العمل ثم قرا اني
ظننت اني ملاق حسابيه والمنافق اساء الظن فاساء العمل ثم قرا وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارداكم الاية ومما يبين هذا الاصل قول النبي صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله الاماني وفي ذلك يقول الحسن البصري ان اقواما الهتهم اماني المغفرة حتى
خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول اني لحسن الظن بربي وكذب لو احسن
الظن بربه لاحسن العمل ثم تلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم الاية
وعن جعفر الضبعي قال رايت ابا ميسرة العابد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد
قلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب فقال هل رايت ما يدل على القنوط
ان رحمة الله قريب من المحسنين قال فابكاني قوله فاذا كل الرسل والابدال والاولياء
مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر من المعصية اتقول ما كان لهم حسن الظن بالله
بلى فانهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك
دون الاجتهاد في الطاعة امنية وغرور وليس لها حاصل ولا طائل الا انها تروح
على القلب ويغتبط بها المتمني كما قال القائل * حلي منا لك اذا اغتممت فانهن مراوح

وقال آخر

اذا تمنيت بت الليل مغتبطا * ان المنى رأس اموال المفاليس

فاعتبر بهذه النكتة من اجتهاد اهل الصفوة المجتهدين في الخدمة وتنبه من رقدتك والله تعالى ولي التوفيق **فصل** ومن تمكن الخوف يكون الحزن والاشفاق من الذنوب ولذلك قيل عن الحسن ان النبي عليه السلام قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قال الحسن فوالله ما اصبح فيها مؤمن الا حزينا قال وكيف لا يحزن المؤمن وقد حدث عن الله تعالى انه وارد جهنم ولم يأته انه صادر عنها والله ليلقين امراضا ومصائب وامورا تغيظه وليظلمن فما ينتصر يبتغي بذلك الثواب من الله عز وجل فما يزال حزينا فيها حتى يفارقها فاذا فارقها افضى الى الراحة والكرامة وقال ما عبد الله تعالى بمثل طول الحزن وقال مالك بن دينار ان القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب كما ان البيت اذا لم يسكن خرب ويروى عن حبيب بن ثابت انه قال ان حاجبي يعقوب عليه السلام قد وقعا على عينيه فقيل له ما بلغ بك هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب تشكوني فقال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفرها لي وقال الحسن وذكر هذه الآية وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال المؤمنون قوم ذلل ذلت والله الاسماع والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى والله ما بالقوم من مرض وانهم لاصحاء ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والله ما احزنهم حزن الناس ولا تعاظم في انفسهم ما طلبوا به الله ابكاهم الخوف من النار وانه من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة الا في مطعم او مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه قال وسمع سفيان الثوري يقول واحزناه فقيل له قل واقلة حزناه وينشد

احزن على انك لا تحزن * ولا تسئ ان كنت لا تحسن

اضعف عن الشر كما تدعي * ضعفا عن الخير وقد يمكن

وقال الحسن اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن في عمله ما يكفرها سلطت عليه

الغموم فتكون كفارة لذنوبه وعن ابن مسعود قال ان المؤمن ليرى ذنوبه كانه
قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ان ذنوبه كذباب مر على
انفه فقال به هكذا ومد يده فوق انفه وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت
من سره ان يسبق الدائب المجتهد فليكف نفسه عن الذنوب فانكم لن تلقوا الله
بشئ خير لكم من قلة الذنوب ويقال لا تنظر الى صغر الذنب ولكن انظر الى
من عصيت وعن عروة بن عامر قال ان العبد لتعرض عليه ذنوبه ويقول
لذنب منها قد كنت مشفقا منك فيغفر له وعن الحسن ان الرجل ليذنب الذنب
فلا يزال به كئيبا حتى يدخل الجنة وقيل لبعض العرب كيف اصبحت قال اصبحت عودا ركوبا
موقرا نعما وذنوبا ويروى ان كعب الاحبار قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا امير
المؤمنين انت ميت في ثلاث قال تجد ذلك في بعض الكتب قال تجد اسمي ونسبي
قال لا ولكني وجدت صفتك وسيرتك فقال عمر *

ابوعدني كعب ثلاثا اعدها * ولا شك ان القول ما قاله كعب
وما بي حذار الموت اني لميت * ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب

ويقال ان للذنوب ضعفا في القوة وظلمة في القلب وان للحسنات قوة في البدن
ونورا في القلب وكان الاوزاعي اذا رأى رجلا من الجند قال استغفر الله من
ذنوب سلطت بها هؤلاء علينا وعن الحسن قال ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم
به قيام الليل وقيل لسفيان الثوري لو دعوت الله لنا قال ترك الذنوب هو الدعاء
ولبعض بني عامر * * *

الم يان لي يا قلب ان اترك الصبا * وان ازجر القلب اللجوج عن الهوى
وما عذر من يعصي وقد شاب راسه * وابصر ابواب الضلالة والهدى
وان جن ليل كان بالليل نائما * واصبح بطال العشية والضحى
ولو قسم الذنب الذي قد اصبته * على الناس خاف الناس كلهم الردى

وعن الحسن قال انما المؤمن من جمع احسانا وشفقة وتلى هذه الآية والذين

هم من عذاب ربهم مشفقون واذا المنافق من جمع اساءة وامنا
وتلى قال انما اوتيته على علم عندى وينشد *
خلقت من التراب فصرت شيئا * وعلمت الفصيح من الخطاب
فعدت الى التراب فظلت فيه * كانى ما برحت من التراب
قال ولقى حكيم حكيما فقال له انى لاحبك فى الله فقال لو علمت منى ما اعلم
من نفسى لابغضتنى فى الله فقال له الاول لو اعلم من نفسى ما تعلمه انت
من نفسك لكان لى فيما اعلمه من نفسى شغل عن بغضك وقيل آخر شعر قال الزوالو
يا رب قد اسرفت نفسى وقد علمت * علما يقينا لقد احصيت آثارى
يا مخرج النفس من جسم اذا احتضرت * وفارج الكرب زحزحنى عن النار
وروى عن عيسى عليه السلام انه قال اذا عملت الحسنة فاله عنها فانها عند من
لا يضيعها واذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينك وانشدوا
يا خارب القلب عامر الامل * عشت وغرتك صحة البدن
لا انت قصرت فى القبيح ولا * محوت بعض القبيح بالحسن
فصل واعلم ان الحزن اذا كثر فى القلب واشتد لابد ان يثمر البكاء من خشية
الله واقرب ما يكون العبد من عفو الله ورحمته اذا كان باكيا من خشيته
وقد نعت الله تعالى اقواما وقال ويخرون للاذقان يبكون الآية وقال
خروا سجدا وبكيا وكان عليه السلام يبكى ويامر بالبكاء والتباكى وقال
ايها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم
على وجوههم كانها جداول ثم تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون
فلو ان السفن لجريت فيها لجرت وكان عليه السلام يصلى ويسمع لجوفه ازيز
كازيز المرجل وروى انه قال لابن مسعود اقرأ على قال فقلت اقرأ عليك وعليك
انزل قال فانى احب ان اسمعه من غيرى قال فقرأت سورة النساء حتى اذا بلغت
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رايت عينيه تذرفان فقال لى حسبك وعن

عقبة بن عامر الجهني قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وابك على
خطيئتك وامسك عليك لسانك وعن داود عليه السلام انه قال الهي ما جزاء من
بكى من خشيتك حتى تسيل دموعه على وجهه قال تعالى جزاؤه ان احرم وجهه على
لفح النار وان اومنه يوم الفزع الاكبر وعن معاذ بن جبل رحمه الله انه قال من بكى من
خشية الله غفر الله له ذنوبه فان لم يبك فتباكى اعطاه الله اجر الحزين المصاب
الصلاة والرحمة والهدى وعن كعب الاحبار انه قال والذى نفسي بيده لان ابكى
من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجهي احب الى من ان اتصدق بجبل من
ذهب وقال وهب فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده مضطجعا بعد ثلاث
على قبر وهو يبكي فقال ما هذا يا بني فقال اخبرتني ان جبريل اخبرك ان بين الجنة
والنار مفازة لا يطفي حرها الا الدموع قال ابك يا بني ودعا بعض الحكماء فقال
الهي ارزقني عينين هطالتين يبكيان من خشيتك قبل ان تكون الدموع دما والاضراس
جمرا وقال عبد الله بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الى من ان اتصدق
بالف دينار وقيل لبعضهم ان كثرة البكاء تذهب البصر قال له ذلك شهادة فبكى
حتى عمي وقيل لبعضهم م تبكي هذا البكاء الطويل فبكى ثم قال

بكيت على الذنوب لعظم جرمي * وحق لكل من يعصي البكاء
فلو كان البكاء يرد عني * لاسعدت الدموع معا دماء

ثم بكى حتى غشي عليه فنام الرجل عنه وتركه قال وكان الضحاك يبكي كل
عشية ويقول لا ادري ما صعد اليوم من عملي وروي عن عبد الرحمن بن عوف
رحمه الله انه اتي بطعام وكان صائما فقال قتل حمزة وهو خير مني ولم نجد
ما نكفنه به وقتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي راسه بدت
رجلاه وان غطيت رجلاه بدا راسه ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط انى قد خفت
ان تكون قد عجلت لنا حسناتنا في الدنيا ثم بكى حتى سمع نشيجه وحتى برد الطعام وينشد
الى الزهد فى الدنيا جنا الخز ليشه فى شبيه بخطاياهم الى الرحمن اباق

حدتهم نحوه الرغبا ت والرهبات فاشتاقوا وفرقت لهم الدنيا وعاقتهم فما انعاقوا
عليهم حين تلقاهم سكينات واطراق بقاياهم من الخدما ت اشباح وارماق
توهمهم وقد مالت بسكر النوم اعناق وقد قاموا ولم يهجع من ذاق الذى ذاقوا
يضجون الى الله ودمع العين مهراق مليك الملك خلصنا اذا ما كشفت ساق
مليك الملك اعتقنا فاعتاقك اعتاق مليك الملك هل مما تطوقناه اطلاق
ففى اعناقنا طرا من الآثام اطواق وفيما روى ان قوما وقفوا بعابد وهو
يبكى فقالوا ما الذى ابكاك يرحمك الله قال روعة يجدها الخائفون فى قلوبهم
قالوا وما هذه الروعة قال روعة النداء بالعرض على الله تعالى ولبعضهم

يا كثير البكاء اظنك ممن * صيرته الذنوب مثلى ظليلا
اخوتى كيف لا يطول بكاءى * وبجهلى عصيت ربا جليلا
قم فنادِ اذا الخلائق ناموا * يا مقيل العثرات كن لى مقيلا

وآخر

لله ساهر ليله ما يهجع * وكل الفؤاد من الذنوب مصدع
يبكى بدمع ساكب هفواته * والليل فى جلبابه متبرقع
ندما على ما كان من عصيانه * ملكا تذل له الملوك وتخضع
يا رب ما للذنب غيرك غافر * واليك منك يا الهى المفزع
يا رب عبدك ضارع فاغفر له * ما لم يزل يدعوك فيه ويضرع

وقال عيسى ابن مريم عليهما السلام طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وقال بعضهم كنا نجلس الى بعض العباد فيبكى ويبكينا ويقول *

كل ذى غيبة سيرجع يوما * غير غياب زائرات القبور

وسئل بعض من بكى عند حضرة الموت فقال *

تذكرت ساعات اضعت مرورها * من العمر الماضى فانى لى الذكرى

فلم يحصل الى الآن غير دميعة * تسيل وما تجدى وقد حقت الحسرى

فصل وجملة الامر انك اذا ذكرت سعة رحمة الله التى سبقت غضبه ووسعت كل شيء ثم كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم عليك وعلى غيرك ثم كثرة اياديه اليك ونعمه الظاهرة والباطنة لديك من غير احسان سبق منك وتذكرت من جانب آخر كمال عظمته وجلاله وهيبته وعظيم سلطانه ثم شدة غضبه الذى لا يقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وجفوتك مع رقة امره وخطر معاملته وفى احاطة علمه وبصره بالغيوب ثم حسن وعده وثوابه الذى لا تبلغ كنهه الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه التى لا تحتمل ذكره القلوب تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عذابه وتارة تنظر الى رحمته وتارة تنظر الى نفسك وجفواتها وخياناتها تادى بك جميع ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل الاقصد والمنهاج الارشد وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن والاياس فلم تغتر ببرودة الرجاء حتى تهلك مع الآمنين ولا بحرارة الخوف حتى تهلك مع الآيسين بل شربت من النهرين واستقيت من العينين فوجدت النفس قد جدت فى الطاعة راجية ثوابها واجتنبت المعاصى راهبة عقابها كما قال بعض الماضين انه اذا ذكرت الجنة طال شوقه واذا ذكرت النار طار نومه فصرت حينئذ من الاصفياء العابدين الذين وصفهم الله تعالى فى قوله انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والحمد لله رب العالمين فاذا جاوزت قنطرة الخوف والرجاء فاشرع فى العبادة بنفس شديدة غير كسلى

ولا عاجزة وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم
النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

القنطرة الرابعة عشر قنطرة العبادة

الحمد لله الذى شرف اولياءه بخدمته وعبادته وكرمهم بالتزام
وظائف طاعته والصلاة والسلام على اكرم بريته محمد بن عبد الله
خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين اما بعد
فان الله سبحانه خلق الدنيا مزرعة للعباد وجعل لهم الارض
ذلولا سلسلة القياد لا ليستقروا فى مناكبها بل ليتزودوا
منها خير الزاد لينجوا بذلك من سطوته يوم المعاد ويتحققوا ان
الاعمار تسير بهم سير السفن بين الامواج الملتطمة واهلها دود
على عود ان سقطوا غرقوا وان تمسكوا فرقوا فلا راحة ولا قرار
حتى يقطعوا اهوال تلك البحار وتحط السفينة باولئك السفار
فالناس فى هذه الدنيا اضياف مرتحلون وكركب يسار بهم وهم
نائمون فاول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن الجنة والنار وهم
باعمالهم تجار وربحها التنعم فى دار القرار او الحلول فى دار البوار جعلنا
الله من الفائزين برحمته الناجين من سطوته قال الله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا العبادة هى القيام والخشوع والركوع والسجود والصيام
والخضوع والحج والجهاد والتسبيح والتكبير والتمجيد والتحميد
والسكينة والذلة والاقرار لله بالمملكة والدعاء والشكر والمواساة
وذكر المنة والرضى عن الله تعالى والتسليم لامره والصبر على بلائه

والانابة اليه والاخبات اليه تعالى والتضرع وغير ذلك
من معانى العبادة ووظائف العبودية وقد ذكرنا فى السفر
الاول والثانى اكثر من هذه المعانى ولنشرع الآن فى
هذا السفر فى شرح ادب تلاوة القرآن والذكر والدعاء والتضرع
للرحمن وترتيب ذلك على اوقات الليل والنهار من الزمان
فتشتمل حينئذ هذه القنطرة على اربعة ابواب الاول فى
ادب تلاوة القرآن الثانى فى الذكر والاستغفار الثالث فى
الدعاء والتفكر فى المخلوقات الرابع فى ترتيب هذه العبادات
على الاوقات والله اعلم وبالله التوفيق *

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الباب الاول فى فضل القرآن وآداب تلاوته الظاهرة والباطنة

الحمد لله الذى امتن على عباده برسوله الامين وبكتابه
المستبين واوضح فيه دينه القويم وصراطه المستقيم بما فصل
فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور
والنجاة من الهلكة والغرور من آمن به فقد وفق ومن قال به
فقد صدق ومن حكم به فقد عدل ومن عمل به فقد فاز وفضل
ومن تمسك به فقد هدى الى صراط مستقيم وقال تعالى انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه ان جعله فى
القلوب محفوظا وفى المصاحف مكتوبا وبالالسن مقروأ وبالآذان
مسموعا ومن التغيير والتبديل مصونا مضبوطا فمن واظب
على دراسته وتلاه حق تلاوته مع القيام بآدابه الظاهرة والباطنة
كان كمن ادرجت النبوة بين كتفيه الا انه لا يوحى اليه فلا بد

من بيان فضله وتفصيل آدابه وينحصر ذلك فى اربعة فصول الاول فى فضل القرآن واهله والثانى فى آداب تلاوته فى الظاهر الثالث فى الاعمال الباطنة الرابع فى فهم القرآن وتفسيره بالراى وغيره

الفصل الاول فى فضل القرآن واهله وذم المقصرين فى تلاوته وهذا الفصل ينقسم قسمين الاول فى فضل القرآن واهله والثانى فى ذم المقصرين فى تلاوته

القسم الاول فى فضل القرآن واهله قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا القرآن ثم ظن ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد استصغر ما عظم الله عز وجل وعنه عليه السلام قال ما من شفيع اعظم منزلة عند الله عز وجل يوم القيامة من القرآن لا نبى ولا ملك وقال افضل عبادة امتى قراءة القرآن وقال ان الله تعالى قرا سورة طه قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة بالقراءة قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال عليه السلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال عليه السلام يقول الله عز وجل من شغلته قراءة القرآن عن دعاءى ومسئلتى اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال عليه السلام اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال عليه السلام ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس وذكر فيهم رجلا قرا القرآن وام به قوما وهم به راضون وقال عليه السلام ان القلوب تصدى كما يصدى الحديد قيل فما جلاءها قال تلاوة القرآن وذكر الموت وعن ابى امامة الباهلى قال اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه

المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء القرآن وعن ابن مسعود قال اذا اردتم العلم فاثيروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين فاقرؤا القرآن فانكم تؤجرون بكل حرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الٓمٓ حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال لا يسئل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله وان كان يبغضه فهو يبغضهما وعن عمرو بن العاصى قال كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم ومن قرء القرآن فكانما ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وعن ابى هريرة قال ان البيت الذى يتلى فيه القرآن اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين والبيت الذى لا يقرأ فيه يضيق باهله ويقل خيره وتخرج منه الملائكة وتحضره الشياطين وقال بعض السلف ينبغى لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء ومن دونهم وينبغى ان تكون حوايج الخلق اليه وقال حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغى ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن ويقال اذا قرء الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وعن عمرو بن ميمون قال من قرا فى المصحف حين يصبح مائة آية رفع الله له مثل اعمال اهل الدنيا ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قرا على خالد بن عقبة ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية قال اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى

ولابعده من فاقة وقال بعض السلف من قرأ خاتمة الحشر
حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء وقال
علىّ ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام
وقراءة القرآن وقيل لبعض النساك هل ههنا احد تستانس
به فوضع المصحف فى حجره فقال هذا والله اعلم *(القسم الثانى)*
فى ذم تلاوة الغافلين عن انس بن مالك قال رب تال
للقرآن والقرآن يلعنه وقال بعضهم الغريب هو القرآن
فى جوف الفاجر والرجل الصالح فى قوم سوء والمصحف فى
بيت لا يقرأ فيه وقال ابو سليمان الدرانى الزبانية اسرع
الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم الى عبدة
الاوثان حين عصوا الله بعد القرآن وقال عليه السلام اكثر
منافقى هذه الامة قراءها وقال مثل المؤمن الذى يقرأ
القرآن كالاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن
الذى لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل
الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها
خبيث ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر
ولا ريح لها وقال بعض السلف ندمت على استظهارى القرآن
لانه بلغنى ان اصحاب القرآن يسئلون عما تسئل عنه الانبياء
يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغى لحامل القرآن ان يعرف
بليله اذ الناس نائمون وبنهاره اذ الناس يفطرون وبحزنه
اذ الناس يفرحون وببكائه اذ الناس يضحكون وبصمته اذ
الناس يخوضون وبخشوعه اذ الناس يختالون وقال عليه
السلام اقرأ القرآن ما نهاك واذا لم ينهك فلست تقرأه وقال

بعض السلف ان العبد ليفتتح السورة فتصلى عليه حتى
يفرغ منها وان العبد ليفتتح السورة فتلعنه حتى يفرغ
منها قيل فكيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها
صلت عليه والا لعنته وقال بعضهم ان العبد ليتلو القرآن
فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول الا لعنة الله على الظالمين
وهو ظالم لنفسه ويقول الا لعنة الله على الكاذبين وهو
منهم وعن الحسن قال قراء القرآن ثلاثة قوم قرؤه فاتخذوه
بضاعة ونقلوه من مصر الى مصر لينالوا به ما فى ايدى
الناس وقوم قرؤه فثقفوه تثقيف القدح وا[ضا]عوا
حدوده فى زواياه واستطالوا به على اهل بلادهم فهم
فيه اشد تيها من الامراء اذا اطلعوا على اعوادهم يلقى
الرجل اخاه فيقول والله ما اسقط من القرآن شيئا والله
ما الحن فى القرآن حرفا فهم الذين افسدوا الارض فقد
كثرت هذه الطبقة من حملة القرآن فلا اكثرهم الله
وقوم قرؤه فاسهر نومهم واسال دموعهم على خدودهم
وكدوا فى محاريبهم فبهم ينزل الله الغيث فبهم ينفى العدو
فهذه الطبقة من حملة القرآن اقل من الكبريت الاحمر
وعنه ايضا انه قال انكم اتخذتم القرآن مراحل وجعلتم
الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان
من كان قبلكم راوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها
بالليل ويتفقدونها بالنهار وقال ابن مسعود انزل
القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان احدهم ليقرأ
القرآن من فاتحته الى خاتمته فلا يسقط منه حرفا

وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب
لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل
السورة على محمد عليه السلام فيتعلم حلالها وحرامها
وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها ثم لقد
رايت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين
فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدرى ما آمره ولا زاجره ولا
ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد روى
في التوراة يا عبدى اما تستحيى منى يأتيك كتاب من بعض
اخوانك وانت في الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد
لاجله فتقراه وتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شئ
وهذا كتابى انزلته اليك انظر كم وصلت لك فيه من القول
وكم كررت عليك لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه
افكنت عليك اهون من بعض اخوانك يا عبدى يقعد
اليك بعض اخوانك فتقبل اليه بكل وجهك وتصغى
الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل
عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا مقبل عليك
ومحدث لك وانت معرض بقلبك عنى افجعلتنى اهون
عليك من بعض اخوانك والله نسئله العصمة والتوفيق
(الفصل الثانى) في ظاهر آداب التلاوة وهى
عشرة الاول في حال القارى وهو ان يكون على
الوضوء واقفا على هيئة الادب اما قائما او جالسا
مستقبل القبلة مطرقا راسه غير متربع ولا متكئ
ولا متكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدى

استاذه وافضل احواله ان يقرأ في الصلاة في المسجد قائما وان كان غير متوض او في الفراش مضطجعا فله ايض فضل ولكنه دون ذلك قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام على سائر الاحوال وعن على قال من قرأ القرآن في الصلاة قائما فله بكل حرف مائة حسنة ومن قراه جالسا في الصلاة فله بكل حرف خمسون ومن قراه في غير صلاة وهو متوض فله خمس وعشرون وغير متوض فعشر حسنات وفي الليل افضل لفراغ القلب قال ابوذر كثرة السجود بالنهار وطول القيام بالليل الادب الثاني مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة منهم من له ختمة في اليوم والليلة وبعضهم مرتين وبعضهم ثلاثا وبعضهم في الشهر مرة واولى التقديرات قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال من قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم يفهمه وقد قالت عائشة رضي الله عنها وقد سمعت رجلا يهذ القرآن هذا ما قرا هذا ولا سكت وامر عليه السلام ابن عمران يختمه في سبع وكذا كان عثمان وابي بن كعب وابن مسعود وزيد يختمونه في كل جمعة وقد كره جماعة الختم في اليوم والليلة لانه غاية الاقتصار كما انها في الشهر غاية الاستكثار والاحسن ختمة في سبع او ختمتان بالليل ختمة وبالنهار ختمة وينبغي ان تكون في اول نهار الاثنين واول ليلة الجمعة فان الملائكة تصلي عليه

ان كان نهارا حتى يمسى وان كان ليلا فحتى يصبح والتفصيل
فى مقدار القراءة ان كان من العابدين السالكين طريق
العمل فختمتان فى سبع وان كان سالكا طريق الفكر
او مشغولا بنشر العلم فختمة وان كان نافذ الفكر فى القرآن
فمرة فى الشهر لحاجته الى كثرة التامل الثالث فى وجه
القسمة اما من ختم مرة فى الاسبوع فانه يقسم القرآن
على سبعة وروى ان عثمان كان يفتح ليلة الجمعة بالبقرة
الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد
بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى
وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى صاد وليلة الاربعاء
بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود يقسمه
ايضا سبعة ولكن على غير هذا الترتيب وقيل احزاب القرآن
سبعة فالاول ثلاث سور والثانى خمس والثالث سبع
والرابع تسع والخامس احدى عشرة والسادس ثلاث
عشرة والسابع المفصل قال فهكذا احزبه الصحابة
ويقرؤنه كذلك وفيه خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم
وهذا قبل ان تعمل الاخماس والاعشار والاحزاب
وما سوى هذا فهو محدث الرابع فى الكتابة ولا باس
بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين
وضبط عن اللحن وروى ان الحسن وابن سيرين ينكران
الاخماس والاعشار والشعبى وابراهيم يكرهان النقط
بالحمرة والظن بهم انهم كرهوا ذلك خوفا من ان تنجر
الزيادة وحرصا على حراسة القرآن فاذا لم يؤد ذلك الى محذور

فلا باس وقد استقرام الامة على ذلك وقيل ان الحجاج هو
الذى احدث ذلك واحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن
وحروفه وسووا احزابه الخامس هو الترتيل وهو المستحب
قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقد نعتت ام سلمة زوج
النبى عليه السلام قراءته فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا
حرفا وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران اتدبرهما
احب الىّ من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ
اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الىّ من ان اقرأ البقرة
وآل عمران تهذيرا واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبير
بل اقرب الى التوقير والاحترام واشد تاثيرا فى القلب من
الاستعجال السادس البكاء قال عليه السلام اتلوا
القرآن وابكوا وان لم تبكوا فتباكوا يعنى فلتتكلفوا البكاء
وعن ابن عباس قال اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا
بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه
وانما طريق تكلف البكاء ان يحضر قلبه الحزن فمنه ينشأ
البكاء قال عليه السلام ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه
فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد
والوعيد والوثايق والعهود ثم يتامل تقصيره فى الاوامر
وارتكاب الزواجر فيحزن لا محالة ويبكى فان لم يحضره البكاء
كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن
فذلك اعظم المصائب السابع ان يراعى حق الآيات فاذا
مر بآية سجدة سجد وكذا اذا سمعها من غيره وسجد التالى
فليسجد وهذا اذا كان على طهارة ثم يدعو فى سجوده بما

يليق بالآية التي قراها مثل قوله خروا سجدا وسبحوا بحمد
ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلنا من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين
عن امرك وعلى اوليائك واذا قرا ويخرون للاذقان يبكون الآية
فليقل اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وكذا
سائرها ويشترط فيها شروط الصلاة من ستر العورة
والطهارة واستقبال القبلة وان لم يكن على طهارة فاذا تطهر
سجد ورخص آخرون ان يسجد ولو على غير طهارة من الثوب
والبدن والثامن ان يقول عند ابتداء القراءة اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا سورة الحمد لله وقل اعوذ
برب الناس وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى
وبلغ رسوله عليه السلام اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد
لله رب العالمين استغفر الله الحي القيوم وفي اثناء قراءته اذا
مر بآية تسبيح سبح وكبر وبآية دعاء واستغفار دعا واستغفر
وان مر بمرجو سال وبمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه
وبقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم
ارحمنا وعن حذيفة قال صليت خلف النبي صلى الله عليه
وسلم فابتدا بسورة البقرة فكان لا يمر بآية عذاب الا استعاذ
ولا بآية رحمة الا سال ولا بآية تنزيه الا سبح ثم اذا فرغ
قال ما كان يقوله عليه السلام عند ختم القرآن وهو اللهم
ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي اماما ونورا وهدى
ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت

وارزقني تلاوته آناء الليل والنهار واجعله لي حجة يارب العالمين التاسع في الجهر بالقراءة يجهر به الى حد يسمع نفسه فان لم يفعل لم تصح صلاته اذ القراءة عبارة عن تقطع الصوت بالحروف ولابد من صوت واقله ما يسمع نفسه واما الجهر بان يسمع غيره فمحبوب من وجه ومكروه من وجه فالوجه المحبوب قوله عليه السلام اذا قام احدكم من الليل فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته وقد سمع جماعة يجهرون بالليل فصوب ذلك ومر عليه السلام بثلاث من اصحابه مختلفي الاحوال مر على ابي بكر وهو يخافت القراءة فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني فمر على عمر وهو يجهر فساله فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال رحمه الله وهو يقرا آية من هذه السورة وآية من هذه فساله فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب وفي بعض كتب اصحابنا انه امر ابا بكران يجهر قليلا وامر عمران يخفض قليلا وامر بلالا اذا دخل السورة يتمها واما الوجه المكروه فقوله عليه السلام فضل قراءة السر على العلانية كفضل صدقة السر على العلانية وقوله خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض بين المغرب والعشاء ووجه الجمع بين هذه الاحاديث

ان الاسرار ابعد من الرياء والتصنع فهو افضل في حق من يخاف
ذلك والا فان لم يشوش بالجهر على غيره فالجهر افضل لان
العمل فيه اكثر وفائدته تتعدى الى غيره ولانه يوقظ قلب
القارى ويجمع همه الى الفكر ويطرد النوم برفع الصوت ويزيد
في نشاطه ويقلل من كسله ويوقظ نائما للصلاة ويكون
ذلك بسببه ويشوق الى الخدمة بطالا غافلا فمهما حضره شئ
من هذه النيات تضاعف اجره وبكثرة النيات تزكوا اعمال
الابرار وان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر اجور
ولهذا كان قراءة المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتامل
المصحف وحمله وقد قيل الختمة من المصحف بسبع لان
النظر في المصحف عبادة العاشر تحسين القراءة من غير
تمديد مفرط يغير النظم وروى ان النبي عليه السلام كان ينتظر
عائشة فابطأت فقال ما حبسك فقالت كنت استمع قراءة
رجل ما سمعنا احسن منه صوتا فقام حتى استمع اليه طويلا
ثم رجع فقال ذلك سالم مولى حذيفة رضي الله عنه الحمد لله الذى
جعل في امتي مثله واستمع ايضا ذات ليلة الى ابن مسعود
ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهم فقال من اراد ان يقرا القرآن
كما انزل فليقراه على قراءة ابن ام عبد واستمع ايضا الى قراءة
ابي موسى الاشعرى وقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود
وفي الخبر ان عمر رضي الله عنه قال لابي موسى الاشعرى ذكرنا ربنا
فقرا عليه حتى كاد وقت الصلاة يتوسط فقيل يا امير المؤمنين
الصلاة الصلاة فقال اولسنا في الصلاة اشارة الى قوله ولذكر
الله اكبر وقال عليه السلام من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل

كانت له نورا يوم القيامة وفي خبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم
اجر الاستماع وكان التالي هو السبب كان شريكا في الاجر الا ان كان
قصده الرياء والتصنع والله اعلم * (الفصل الثالث) * في اعمال
الباطن في التلاوة وهي عشرة فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم
حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم
التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري الاول فهم عظمة الكلام
وعلوه ولطف الله سبحانه في ايصاله الى افهام خلقه مع عظمته
وعلو درجته قال الغزالي وقد عبر بعض العارفين عنه وزعم
ان كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح اعظم من جبل قاف
وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه لما اطاقوا
حتى يأتي اسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيقله باذن
الله ورحمته لا بقوته ولكن الله قواه عليه قال الغزالي ولولا
تثبيت الله عز وجل موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه
كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا قال ولا يمكن
ان يفهم عظمة الكلام الا بامثلة قال ولقد تأنق بعض الحكماء
في التعبير على وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته
الى فهم الانسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا قال وذلك
انه دعى بعض الملوك الى شريعة الانبياء فقال كيف يطيق
الناس حمل كلام الله فقال الحكيم ان الناس لما ارادوا ان
يفهموا بعض الدواب او الطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها
واقبالها وادبارها ورأوها يقصر تمييزها عن فهم كلامهم
علي انوار عقولهم مع حسنه ونظمه وضعوا لها اصواتا لائقة
بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من اصواتها

لكي يطيقوا احملها فكذلك الناس لما عجزوا عن فهم كنه كلام الله تعالى
فصاروا بالاصوات المرجعة بينهم يسمعون الحكمة المخبرة في
كلامه تعالى فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت
نفسا وروحا والله اعلم الثاني التعظيم للمتكلم وذلك اذا خطر
بباله العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من المخلوقات
وعلم انه الخالق لجميعها والقادر عليها وانهم مترددون بين رحمته
وسطوته وانه الذي يقول هؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهؤلاء الى
النار ولا ابالي وهذه غاية العظمة فالتفكر في مثل هذا يحقق
تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث حضور القلب وترك
حديث النفس قيل في التفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي
بجد واجتهاد فالجد ان يكون متجرد اللهمّ منصرف الهم اليه وقيل
لبعضهم تحدث نفسك بشئ اذا قرات القرآن قال اوشئ احب الي
من القرآن احدث به نفسي ويقال ان في القرآن ميادين وبساتين
ومقاصير وعرائس وديابيج ورياض وخانات فالميمات ميادين
القرآن والراءات بساتينه والحامدات مقاصيره والمسبحات
عرائسه والحاميمات ديابيجه والمفصل رياضه والخانات ما سوى
ذلك فاذا دخل القاري في الميادين وقطف من البساتين
ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض
وسكن [illegible] استغرقه ذلك وشغله عما سواه ففي
القرآن [illegible] الثلاث [illegible]
الانس [illegible] والله اعلم
الرابع [illegible]
بل يقتصر على [illegible]

فامثالها وقال علي لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر
فيها وانما سن الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن والله
اعلم واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف
امام وقد روي ان النبي عليه السلام قرأ بسم الله الرحمن الرحيم
فرددها عشرين مرة وانما رددها للتدبر في معانيها وعن ابي ذر قال
قام بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بهذه الآية يرددها ان
تعذبهم فانهم عبادك الآية وقام تميم الداري بهذه الآية ام حسب
الذين اجترحوا السيئات الى آخر الآية وقام سعيد بن جبير يردد هذه
الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم اني لافتح السورة
فيوقفني بعض ما اشهد فيها من الفراغ منها حتى يطلع الصبح
وقال بعضهم كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا
وعن ابي سليمان الداراني قال اني لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال
او خمسا ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها الرابع
التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل
على ذكر صفات الله عز وجل وذكر افعاله وذكر احوال الانبياء وذكر احوال
المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة
والنار اما صفات الله تعالى فكقوله ليس كمثله شيء وقوله السلام
المؤمن المهيمن الآية فليتأمل معاني هذه الاسماء لينكشف له
اسرارها ولهذا اشار علي بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا كتمه على الناس الا ان يؤتي الله عز وجل عبدا فهما في
كتابه قال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور
القرآن واستقصاء [illegible] في الاسماء [illegible]
البحر [illegible] على قال

لو شئت اوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب والغرض
مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه واما الاستقصاء فلا
مطمع فيه ومن لم يكن له فهم لما في القرآن ولو في ادنى الدرجات دخل
في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
الى قوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطوابع الموانع
التي سنذكرها فيما بعد ان شاء الله وقيل لا يكون المريد
مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف فيه النقصان
من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد السادس التخلي عن موانع
الفهم وان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن باسباب
وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار
القرآن ولذلك قال النبي عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت
لان كل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من
الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون القلب منصرفا
الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه
شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل
فيكون تامله مقصورا على مخارج الحروف والثاني علم مذهب سمعه
تقليدا ولمثل هذا قالت المتصوفة ان العلم حجاب وارادوا به العقائد
التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد واما العلم الحقيقي الذي
هو الكشف بنور البصيرة فلا يكون حجابا الا انه منتهى الطلب
وهذا التقليد قد يكون [illegible] ويكون مانعا كمن يعتقد في
الاستواء على العرش [illegible] وكذلك سائر ما لا يجوز
اعتقاده في الله تعالى وقد يكون حقا ويكون مانعا ايضا عن

الفهم والكشف لان الحق له مراتب ظاهرا وباطنا فجمود الطبع
على العلم الظاهر يمنعه الوصول الى العلم الباطن والله اعلم الثالث
ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او بهوى مطاع فيكون
ذلك ظلمة على القلب كالخبث على المرآت وبه تحجب الاكثرون
فالقلب مثل المرآت والشهوات مثل الصدأ ومعانى القرآن مثل
الصور التى تتراءى فى المرآت والرياضة للقلب بازالة الشهوات
مثل تصقيل المرآت ولذلك قال عليه السلام اذا عظمت امتى
الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام وقد شرط
الله تعالى فى الفهم الانابة والتبصرة والتذكر فقال تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال
وما يذكر الا اولوا الالباب والذى اثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة
فليس من ذوى الالباب والرابع ان يكون قرا تفسيره ظاهرا واعتقد
انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن مجاهد وابن عباس
وان ما سوى ذلك تفسير بالرأى وان من فسر القرآن برأيه فقد
تبوأ مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسيأتى بيان
التفسير بالرأى فى الفصل الرابع ان شاء الله السابع التخصيص
وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب فى القرآن فان سمع امرا او
نهيا قدر انه المنهى والمامور وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل
ذلك وان سمع قصص الاولين علم ان ذلك ليعتبر به فما من
قصة فى القرآن الا مفيدة فى حق النبى عليه السلام وامته ولذلك
قال الله تعالى لنثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله سبحانه
يثبت به فؤاده بما يقص عليه من احوال الانبياء وصبرهم
على الاذى وغير ذلك وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما نزل النبى

خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين ولذلك امر الله تعالى
كافة الناس بذكر نعمة الكتاب فقال اذكروا نعمة الله عليكم وما
انزل عليكم من الكتاب والحكمة الآية وقال كذلك يضرب الله للناس
امثالهم هذا بصائر للناس فى امثالها قال تعالى واوحى الىّ هذا القرآن
لانذركم به ومن بلغ وقال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكانما
كلمه الله فليقدر القارى انه المقصود بجميع ما فى القرآن ولذلك قال
بعض العلماء هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها فى
الصلوات ونقف عليها فى الخلوات وننفذها فى الطاعات بالسنن
المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن فى قلوبكم يا اهل
القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض قال قتادة لم يجالس احد
هذا القرآن الا قام بزيادة او نقصان قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا الثامن التاثر وهو ان
يتاثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بكل فهم حالة
يتصف بها قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره فمهما تمت معرفته
كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فيتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة
الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييده المغفرة بالشرط كقوله تعالى وانى
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فيتضاءل من خيفته
كانه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كانه
يطير من الفرح وعند ذكر اسماء الله تعالى يتطاطا خضوعا
لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل عليه من الصاحبة
والولد يتكسر باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند ذكر الجنة
ينبعث شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا
منها ولهذا قال عليه السلام لابن مسعود لما قرا عليه فبكى

حسبك

حسبك لان تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان من
الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات من
سماع الآية فبمثل هذه الاحوال يخرج عن ان يكون حاكيا في كلامه
واذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن
خائفا كان حاكيا واذا قال ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال ولنصبرن
على ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر والعزيمة عليه حتى يجد
حلاوة التلاوة والا كان حظه حركة اللسان مع صريح اللعن
على نفسه في قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم
في غفلة معرضون ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون
في امثالها وكان داخلا في قوله تعالى ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وفي
قوله واعرض عمن تولى عن ذكرنا الآية وفي قوله وكأين من
آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
لان القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والارض ومهما
تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ويقال ان من لم يكن
متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي
وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي
اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد
كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة
كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد من الاستهزاء
واستحقاق المقت ولذلك قال بعض السلف اني لاهم بقراءة القرآن

فاذا تذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار
فالمعرض عن العمل به داخل فى قوله فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به
ثمنا قليلا الآية ولذلك قال عليه السلام اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه
قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا
اختلفتم فقوموا عنه قال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله
ايمانا وقال عليه السلام ان احسن الناس صوتا بالقرآن الذى اذا سمعته
يقرأ علمت انه يخشى الله عز وجل فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال
الى القلب والعمل به والا فالمؤنة فى تحريك اللسان بحروفه خفيفة وقال
الغزالى ولقد مات عليه السلام عن عشرين الفا من الصحابة ولم يحفظ القرآن
منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين
وكان الذى يحفظ البقرة وآل عمران من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القرآن
فانتهى الى قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
فقال يكفينى هذا وانصرف وقال عليه السلام انصرف الرجل وهو فقيه
وانما العزيز ان يمن الله عز وجل عليه بتلك الحالة على قلب عقيب فهم
الآية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى فالتالى باللسان المعرض عن العمل
جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا
الآية الى قوله فنسيتها اى تركتها ولم تنظر اليها وكذلك اليوم تنسى فالمقصر
فى الامر ناس له وتلاوة القرآن يشترك فيها اللسان والعقل والقلب
فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعانى
وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والايتمار فاللسان
مترجم والعقل موقظ والقلب متعظ التاسع الترقى اعنى انه
يترقى العبد حتى كانه يسمع الكلام من الله تعالى لا من
نفسه فدرجات القراءة ثلاث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأه

على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون
حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية
ان يشهد بقلبه كان الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه
بانعامه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى
فى الكلام المتكلم وفى الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته
ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور
الفهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره
وهذه درجة المقربين وماقبلها درجة اصحاب اليمين وماخرج من
هذا فهو درجة الغافلين و قال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب
لم تشبع من قراءة القرآن قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة
المتكلم فى الكلام قال ثابت البنانى كابدت القرآن عشرين وتنعمت
به عشرين وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا
لقوله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله
الها آخر فمن لم يره فى كل شئ فقد راى غيره وذلك الشرك الخفى
بل التوحيد الخالص ان لايرى فى كل شئ الا الله تعالى العاشر التبرى
واعنى ان يتبرا من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضى
والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه
عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين ويتشوق ان يلحقه الله
بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد
على نفسه هنالك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك
كان ابن عمر يقول اللهم انى استغفرك لظلمى وكفرى
قيل هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله تعالى ان الانسان
لظلوم كفار وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن بماذا تدعو

بماذا ادعو استغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير فى قراءته كانت رؤيته سبب قربه فمن اشهد البعد فى القرب لطف له فى الخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى فى القرب وراءه ومن اشهد القرب فى البعد مكر به بالامن الذى يفضيه الى درجة اخرى فى البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا لنفسه بعين الرضى صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله تعالى فى قراءته انكشف له الملكوت ولذلك قال بعضهم لما صليت العتمة والوتر وكنت فى الدعاء منه رفعت لى روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه غاية المكاشفات لا تكون الا بعد التبرى من النفس وعدم الالتفات الى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يغلب عليه الرجاء يغلب على حاله الاستبشار فتنكشف له صورة الجنة فكانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بصورة النار كانه يرى انواع عذابها وذلك ان المسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالى وكلام رحيم حنان متعطف لا يهمل

(الفصل الرابع) فى فهم القرآن وتفسيره بالراى من غير نقل

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق فى فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزاكية من معانيها فكيف يجوز ذلك وقد قال عليه السلام من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف فى تاويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله

اهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح
فما معنى قول النبي عليه السلام من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده
من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر
التفسير فهو مصيب في الاخبار عن حد نفسه ولكنه مخطئ في
رد كافة الخلق الى درجته بل الاخبار والآثار تدل على ان معاني القرآن
متسعة لارباب الفهم قال علي الا ان يؤتي الله عز وجل عبدا فهما
في القرآن وقال عليه السلام ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا
وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وفي الخبر
لن يتفقه احدكم كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وترديد
النبي عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا
لتدبره باطن معانيه والا فترجمة تفسيره ظاهرة وقال ابن مسعود
من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال بعض العلماء لكل آية
ستون الف فهم وقال الآخرون القرآن يحوي على سبعة وسبعين الف
علم ومائتي علم اذ لكل كلمة علم ثم تتضاعف كذلك اربعا اذ لكل واحد
ظاهر وباطن وحد ومطلع وقول علي لو شئت اوقرت سبعين بعيرا
من تفسير فاتحة الكتاب وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار
وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله تعالى وصفاته
وفي القرآن اشارة الى مجامعها وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه فكل ما اختلف فيه
الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموز اليه ودلالات
يختص اهل الفهم بدركه وقال ابن عباس في قوله ومن يؤت
الحكمة قال يعني الفهم في القرآن فكل هذا يدل على ان
في فهم القرآن مجالا متسعا وان المنقول من ظاهر التفسير

ليس منتهى الادراك واما نهيه عليه السلام عن تفسير القرآن بالراى وقول ابى بكر رحمه الله اى ارض تقلنى واى سماء تظلنى ان انا فسرت القرآن برايى الى غير ذلك مما ورد فى الآثار والاخبار فى النهى عن تفسير القرآن بالراى فانه لا يخلو ان يكون المراد به الاقتصار على النقل المسموع دون الاستنباط والتفهم او المراد به امر آخر فمحال قطعا ان يراد به ان لا يتكلم احد فى القرآن الا بما سمع لوجوه احدها يشترط ان يكون مسموعا من النبى مسندا اليه وذلك لا يوجد الا فى بعض القرآن واما تفسير ابن عباس وابن مسعود من قبل انفسهم فينبغى ان لا يقبل منهم ويقال هو تفسير بالراى لانهم لم يسمعوه من النبى عليه السلام وكذلك غيرهم من الصحابة والمفسرين الثانى ان الفقهاء من الصحابة وغيرهم من المفسرين قد قالوا فى تفسير الآيات باقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فمحال ان تكون كلها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو صح فى واحد لبطل الباقى فصح ان كل مفسر قال بما ظهر له الثالث انه عليه السلام دعى لابن عباس فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل فلو كان تفسيره مسموعا كالتنزيل فما معنى تخصيصه بذلك الرابع انه تعالى قال لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت الاستنباط للعلماء وهو وراء السماع فثبت بما ذكرنا تناقض هذه الشبهة التى اوردو وبطل اشتراط السماع فى التفسير وجاز لكل عالم ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وعقله واما النهى فانه يدل على احد وجهين احدهما ان يكون له فى الشئ راى وميل من هواه فيتاول القرآن على وفق مراده لتصح له بدعة وهذا تارة يكون مع

العلم انه ليس المراد بالآية ذلك الراى ولكن يلبس على
خصمه وتارة يكون مع الجهل اذا كانت الآية محتملة
فيميل فهمه الى هواه ورايه وتارة يكون له غرض صحيح
فيطلب له دليلا من القرآن كالذى يدعو الى مجاهدة القلب
القاسى فيقول قال الله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير
الى قلبه وانه المراد بفرعون وهذا يستعمله بعض الوعاظ
فى المقاصد الصحيحة ترغيبا للمستمع وتستعمله الباطنية بتاولو
القرآن على وفق مرادهم وهم يعلمون قطعا انه غير مراد به فهذا
التفسير ممنوع وهو احد وجهى المنع من التفسير بالراى
الوجه الثانى ان يتسارع الى التفسير بظاهر العربية من غير
سماع ولا نقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ
المبهمة والمبدلة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم
والتاخير فمن لم يحكم هذه المعانى وبادر الى استنباط ذلك
بظاهر العربية كثر غلطه ودخل فى جملة من يفسر القرآن بالراى
ولا بد من سماع التفسير اولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك
يتسع الفهم والغرائب التى لا تفهم الا بالسماع فنون كثيرة قال
الغزالى ونحن نرمز الى جملة منها ليستدل بها على امثالها ولا مطمع
فى ذلك الا باحكام ظاهر التفسير اولا وهذا كمن يدعى فهم مقاصد
الاتراك من كلامهم وهو لا يحسن لغة الترك فلا مطمع الى الباطن
الا بفهم الظاهر اولا فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعلم اللغة
التى لا بد منها للفهم ولا بد فيها من استماع فنون كثيرة منها
الايجاز بالحذف والاضمار كقوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا
بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها وقوله واشربوا

في قلوبهم العجل معناه حب العجل فحذف وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اى ضعف عذاب الاحياء
وضعف عذاب الموتى وقوله واسئل القرية التى كنا فيها
والعير اى اهل القرية واهل العير وقوله ثقلت فى السموات
والارض اى خفى علمها على اهل السموات والارض والشئ اذا
خفى ثقل وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى تجعلون
شكر رزقكم التكذيب وقوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك
اى على السنة رسلك وقوله انا انزلناه يعنى القرآن وقوله
حتى توارت بالحجاب يعنى الشمس ولم يسبق لها ذكر
وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اى
يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة الآية معناه لا يفقهون
يقولون ما اصابك الآية ولولا هذا لكان مناقضا لقوله قل
كل من عند الله ولفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب
كقوله تعالى وطور سينين اى سيناء وقوله سلام على آل ياسين
اى على الياس وقيل ادريس لان فى حرف ابن مسعود سلام على
ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام كقوله وما يتبع
الذين الى قوله ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين
يدعون من دون الله الا الظن وقوله وقال الملأ الذين استكبروا
من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه لمن آمن من
الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر كقوله ولولا كلمة
سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه ولولا كلمة
واجل مسمى لكان لزاما وقوله يسئلونك كانك حفى

عنها معناه يسئلونك عنها كانك حفى وقوله لهم درجات
عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله قل الانفال لله
والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فصارت الانفال
لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام
الامر بالتقوى وغيره ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين
معانى من كلمة او حرف اما الكلمة فالشئ والقرين والامة والروح
ونظائرها قال تعالى عبدا مملوكا لا يقدر على شئ يعنى نفقة مما
رزق وقوله احدهما ابكم لا يقدر على شئ اى الامر بالعدل وقوله
فلا تسئلنى عن شئ يعنى من علم صفات الربوبية وهى العلوم التى
لا يحل السؤال عنها حتى يبتدى بها العارف وقوله ام خلقوا من
غير شئ اى من غير خالق فربما يتوهم به انه يدل على ان لا يخلق
شيئا الا من شئ واما القرين فكقوله تعالى قال قرينه هذا ما
لدى عتيد اراد به الملك الموكل به وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته
اراد به الشيطان واما الامة فتطلق على ثمانية اوجه منها
الجماعة امة من الناس يسقون ومنها اتباع الانبياء نحن امة
محمد ومنها رجل جامع للخير يقتدى به ان ابراهيم كان امة
ومنها الدين انا وجدنا اباءنا على امة ومنها الحين الى امة
معدودة واذكر بعد امة والامة القامة ايض والامة الاثم والامة
رجل منفرد بالدين ومنه يبعث زيد بن عمرو امة وحده والروح
ايض ورد فى القرآن على وجوه يطول ذكرها وقد يقع الابهام فى الحرف
فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالباء الاولى كناية عن حوافر الخيل
الموريات والثانية كناية عن الاغارة وهى من المغيرات صبحا

فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم و قوله وانزلنا به
يعني بالسحاب فانبتنا به يعني بالماء من كل الثمرات وامثال هذا
في القرآن لا ينحصر والقرآن كله غير خال من هذا الجنس لانه نزل
بلغة العرب فكان مشتملا على كلامهم من ايجاز و تطويل واضمار
وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون معجما لهم و معجزا في حقهم فكل
من اكتفى بفهم ظاهر العربية فبادر الى التفسير من غير نقل ولا احكام
لهذه المعاني فهو داخل في زمرة من فسر القرآن برايه مثل ان يفهم من
تفسير الامة معنى واحدا مشهورا فاذا سمع لفظها في موضع آخر
مال رايه الى الذي سمع اولا من مشهور معناها فاذا حصل له السماع
وعلم هذه الامور فانه يفهم ظاهر التفسير دون فهم حقائق المعاني
ومثال ذلك قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمي
ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم
يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رمى الله تعالى وكذلك قوله
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم القاتلون كيف يكون
سبحانه هو المعذب واذا كان الله تعالى هو المعذب بتحريك ايديهم
فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم
المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط
الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباطها بقدرة الله
تعالى حتى ينكشف بعد ايضاح علوم كثيرة غامضة صدق قوله
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فمن هذا الوجه يتفاوت
الخلق في الفهم بعد الاشتراك في ظاهر التفسير وظاهر
التفسير لا يغني عنه والله اعلم واحكم وبه العون والتوفيق

الباب الثاني في اصناف الادعية والاذكار والاستغفار

الحمد لله الذي وسعت رحمته وشملت رافته فدعا الى طاعته الداني والقاصي وعم احسانه المطيع والعاصي ورغبهم في الدعاء والسؤال وافاض عليهم انواع النعم والنوال فقال ادعوني استجب لكم وقال اذكروني اذكركم والصلاة على محمد سيد انبيائه وعلى آله واصحابه وخيرة اصفيائه وسلم كثيرا * (اما بعد) * فليس بعد تلاوة القرآن عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله بقلب منيب اليه وخالص الادعية باحضار قلب متضرع اليه والاستغفار من كل سوء سلف منه لديه ونحن نشرح ذلك في ثلاثة فصول الاول في الدعاء والثاني في الذكر والثالث في الاستغفار والصلاة على النبي عليه السلام *

الفصل الاول في الدعاء وانواعه وآدابه وهذا الفصل يتوزع منه خمسة اقسام الاول في فضيلة الدعاء قال الله تعالى واذا سالك عبادي عني الآية وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية الآية وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية وقال ربكم ادعوني استجب لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدعاء مخ العبادة وقال الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم وقال ليس شيء اكرم على الله من الدعاء وقال ان الداعي لا يخطيه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وعن ابي ذر قال يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال عليه السلام سلوا الله من فضله [illegible] وافضل العبادة انتظار الفرج وينشد *

واني لادعو الله والامر ضيق * علي فما ينفك ان يتفرجا

ورب فتى سدت عليه وجوهه * اصاب لها في دعوة الله مخرجا

(القسم الثانى) فى ادعية منتخبة من القرآن قال الله تعالى ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم

اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وانت خير الفاتحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت
خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة
انا هدنا اليك فاطر السموات والارض انت وليّ فى الدنيا
والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين رب اجعلنى
مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاءى ربنا اغفرلى
ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب رب ادخلنى
مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من
لدنك سلطانا نصيرا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ
لنا من امرنا رشدا ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان
عذابها كان غراما ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما رب لا تذرنى فردا وانت
خير الوارثين رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى رب
انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين رب اعوذ بك
من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان
صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم رب
اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت علىّ وعلى والدىّ
وان اعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك
الصالحين واصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من

المسلمين ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا
تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا اتمم لنا نورنا
واغفرلنا انك على كل شئ قدير رب اغفرلى ولوالدى ولمن
دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا
تبارا سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين *(القسم الثالث)*
فى ادعية مستحسنة اللهم صل على محمد وعلى من صلح من آل
محمد وبارك على محمد وعلى من صلح من آل محمد كما صليت وباركت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم
اجعلنا ممن صدقه بتوفيقك واتبعه بارشادك وتسديدك
وامتنا على ملته بنعمتك واحشرنا فى زمرته برحمتك اللهم
بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا وفى كنفك اصبحنا
وامسينا انت الاول فلا شئ قبلك وانت الآخر فلا شئ بعدك
نعوذ بالله من الفشل والكسل ومن عذاب القبر ومن فتنة الغنا
والفقر اللهم نبهنا لذكرك فى اوقات الغفلة واستعملنا بطاعتك
فى ايام المهلة وانهج لنا الى محبتك طريقا سهلة اللهم
اجعلنا ممن آمن بك فهديته وتوكل عليك فكفيته
وسألك فاعطيته وتضرع اليك فرحمته اللهم انا نسئلك
موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل
بر والسلامة من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من
النار اللهم انا نسئلك ان ترزقنا علما نافعا ورزقا واسعا
وقلبا خاشعا ولسانا صادقا وعملا زاكيا وايمانا

خالصا وان تهب لی انابة المخلصين وخشوع المخبتين واعمال الصالحين ويقين الصديقين وسعادة المتقين ودرجة الفائزين يا افضل من قصد واكرم من سئل واحلم من عصى نسئلك ان تهب لی جزيل عطائك والسعادة بلقائك والفوز بجوارك والمزيد من آلائك وان تجعل لنا نورا فی حياتنا ونورا فی مماتنا ونورا فی قبورنا ونورا فی محشرنا ونورا نتوسل به اليك ونورا نفوز به لديك فانا ببابك سائلون ولنوالك متعرضون ولافضالك راجون اللهم اهدنا الى الحق واجعلنا من اهله اللهم اجعل شغل قلوبنا بذكر عظمتك وافرغ ابداننا فی شكر نعمتك وانطق السنتنا بوصف منتك وقنا نوائب الزمان وصولة السلطان ووساوس الشيطان واكفنا مؤنة الاكتساب وارزقنا بغير حساب اللهم اختم بالخير آجالنا وحقق بالرجاء اعمالنا وسهل فی بلوغ رضاك سبلنا وحسن فی جميع الاحوال اعمالنا اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء اللهم اقسم لنا من الدنيا ما تعصمنا به من فتنتها وما تغنينا به عن اهلها واجعل فی قلوبنا من السلو عنها والمقت لها والزهد فيها والبصر بعيوبها مثل ما جعلت فی قلوب من فارقها زهدا فيها من اوليائك المخلصين واصفيائك المعصومين اللهم اليك نشكو قساوة قلوبنا وجمود اعيننا وطول آمالنا واقتراب آجالنا وكثرة ذنوبنا فنعم المشكو اليه انت فارحم ضعفنا وارحم تضرعنا واعطنا لمسكنتنا واغفرلنا ما قدمنا واخرنا واسررنا واعلنا وما انت اعلم به منا ولا تحرمنا القلة شكرنا

اللهم لا بد لنا من لقائك فاجعل عند ذلك عذرنا مقبولا وخطأنا مجهولا وذنبنا مغفورا وحظنا موفورا وسعينا مشكورا اللهم ان لنا اليك حاجة وبنا اليك فاقة فما كان منا من تقصير فاجبره بسعة عفوك وتجاوز عنه بفضل رحمتك واقبل منا ما كان صالحا واصلح منا ما كان فاسدا اللهم اصبح ذلنا مستجيرا بقوتك وخوفنا مستجيرا بامنك وظلمنا مستجيرا بعفوك وجهلنا مستجيرا بحلمك اللهم اجعل خوفنا كله منك ورجاءنا كله فيك اللهم انا نسئلك النصرة والعصمة والرحمة والنعمة ونعوذ بك من المحنة والفتنة اللهم اعذنا من وجوب سخطك وحلول نقمتك وزوال نعمتك اللهم لا تدع لنا فى مقامنا هذا ذنبا الا غفرته ولا غما الا فرجته ولا كربا الا كشفته ولا دينا الا قضيته ولا عدوا الا كفيته ولا عيبا الا اصلحته ولا مريضا الا اشفيته ولا غائبا الا ادنيته ولا خلة الا سددتها ولا حاجة من حوايج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولنا فيها منفعة الا قضيتها فى يسر منك وعافية اللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره والقبر خير بيت نعمره واجعل ما بعده خيرا لنا منه اللهم نور قلوبنا واغفر ذنوبنا وآنس وحشتنا وآمن روعتنا وابعثنا آمنين من عقابك موقنين بثوابك مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت ووسع لنا فيما رزقت وبارك لنا فيما اعطيت وحبب الينا طاعتك وارزقنا العون على عبادتك والحفظ

بكفايتك والعزة بولايتك واغفر لنا ولمن صلح من آبائنا وازواجنا وذرياتنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وامنن علينا وعليهم بالهداية والغفران والرضى والرضوان اللهم اجعلنا هداة مهتدين واجعلنا اهل بيت صالحين وائمة للمتقين واغفر لنا ولعامة المسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات والصلاة والتسليم على محمد خاتم النبيين وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين ولمحمد بن حازم الباهلي *

ايا من لا يخيب عليه راج * ولم يبرمه الحاح المناج
ويا ثقتي على سرفي وظلمي * وايثار التمادي في اللجاج

آخر

اقلني عثرتي وتلاف امري * وهب لي منك عفوا وقض حاجي
فمالي غير اقراري وعلمي * بعدلك حجة يوم احتجاجي

آخر

يارب اني راغب ادعو وارجو نفلك * انت حفي لم تخب دعوة راج املك
فاعطني من سعتك يا من تعالى جلك * سبحانك اللهم ما اجل عندي مثلك

(القسم الرابع) في ادعية منسوبة الى الانبياء والصالحين مما يستحب ان يدعو بها الانسان صباحا ومساء وبعقب كل صلاة فمنها دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي في الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها

شعثی وترد بها العین عنی وتحفظ بها غائبی وترفع بها
شاهدی وتزکی بها عملی وتبیض بها وجهی وتبلغنی بها
رشدی وتعصمنی بها من کل سوء اللهم اعطنی ایمانا
صادقا ویقینا لیس بعده کفر ورحمة انال بها شرف کرامتك
فی الدنیا والآخرة اللهم انی اسئلك الفوز عند القضاء ومنازل
الشهداء وعیش السعداء والنصرة علی الاعداء ومرافقة
الانبیاء اللهم انی انزل بك حاجتی وان ضعف رأیی
وقصر عملی وافتقرت الی رحمتك فاسئلك یا قاضی الامور
ویا شافی الصدور کما تجیر بین البحور ان تجیرنی من عذاب
السعیر ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما
قصر عنه رأیی وضعف عنه عملی ولم تبلغه نیتی وامنیتی
من خیر وعدته احدا من عبادك او خیر انت معطیه
احدا من خلقك فانی ارغب الیك فیه واسئلكه یا رب
العالمین اللهم اجعلنا هادین مهتدین غیر ضالین
ولا مضلین حربا لاعدائك سلما لاولیائك نحب بحبك
الناس ونعادی بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم
هذا الدعاء وعلیك الاجابة وهذا الجهد وعلیك التکلان
فانا لله وانا الیه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلی
العظیم ذی الحبل الشدید والامر الرشید اسئلك الامن
یوم الوعید والجنة یوم الخلود مع المقربین الشهود
الرکع السجود الموفین بالعهود انك رحیم ودود وانت
تفعل ما ترید سبحان الذی تعطف بالعز وقال به
سبحان الذی لبس المجد وتکرم به سبحان الذی

لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعيم سبحان
ذي العزة والكرم سبحان الذي احصى كل شئ بعلمه اللهم
اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا
في بصري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظمي ونورا
في مخي ونورا في عصبي ونورا يسعى بين يدي ونورا من امامي
ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من
فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي
نورا وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقول اللهم اني اعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم
اللهم اني اعوذ بك من النار ومن فتنة النار وفتنة القبر وعذاب
القبر وشر فتنة الغنا وشر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح
الدجال اللهم اغسل خطايانا بماء الثلج والبرد ونق قلبي من
الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وباعد بيني وبين
خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب وعن انس انه
عليه السلام كان يقول اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن
والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال
وعنه عليه السلام قال لعائشة عليك بالجوامع الكوامل
قولي اللهم اني اسئلك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت
منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما
علمت منه وما لم اعلم واسئلك الجنة وما يقرب اليها من قول
وعمل واعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول وعمل واسئلك
من الخير ما سالك به عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم
واستعيذ لك مما استعاذك به عبدك ورسولك محمد صلى

الله عليه وسلم واسئلك ما قضيت لى من امران تجعل
عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين وعن عيسى
عليه السلام كان يعلم اصحابه يقول لو كان على احدكم جبل
ذهب دينا ثم دعى بذلك قضاه الله عنه اللهم فارج الهم
كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمان الدنيا والآخرة
ورحيمها انت فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك
وروى ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض طاف
بالبيت سبعا وصلى حذاء الملتزم ركعتين ثم قال اللهم
انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى
فاعطنى سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى واسئلك
ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبنى
الا ما كتبت لى وارضنى بقضائك وفى رواية بما قسمت لى
فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولم يات احد من ذريتك
ويدعونى بمثل الذى دعوتنى به الا غفرت له وكشفت غمومه
وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل
تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها دعاء
الخليل عليه السلام كان يقول اذا اصبح اللهم ان هذا خلق
جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك
وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضاعفها لى وما
عملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم ودود كريم
قال فمن دعى بهذا الدعاء فقد ادى شكر يومه دعاء عيسى
عليه السلام كان يقول اللهم انى اصبحت لا استطيع دفع ما
اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيرى واصبحت

مطلب

مطلب

مرتهنا بعملى فلا فقيرا افقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا
تسؤ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا
اكبر همى ولا تسلط على من لا يرحمنى دعاء الخضر عليه
السلام يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا
فى كل موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات ما شاء الله
لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء الله
الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن
قالها ثلاث مرات اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق
وروى عن ابن عمر انه دعا فقال اللهم اقسم لنا من خشيتك
ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا
به رحمتك ومن اليقين ما تهون علينا به مصائب الدنيا
ومتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعلها
الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا
ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا منتهى علمنا ولا تسلط علينا
من لا يرحمنا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول
اللهم اعنا على الدنيا بالقناعة وعلى الدين بالطاعة
وكان عمر بن عبد العزيز يقول اللهم اغننا بالافتقار اليك
ولا تفقرنا بالاستغناء عنك وعن عمار انه دعا فقال
اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احينى ما كانت
الحياة خيرا لى وتوفنى اذا علمت الوفاة خيرا لى اللهم انى
اسئلك كلمة الاخلاص فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر
والغنا وخشيتك فى الغيب والشهادة واسئلك الرضا بالقدر
واسئلك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع ولذة العيش

مطلب

بعد الموت وشوقا الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة ومن فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان والبسنا لباس التقوى واجعلنا هداة مهتدين ولا تجعلنا ضالين ولا مضلين وعن ام معبد انها دعت فقالت اللهم طهر لسانى من الكذب وقلبي من النفاق وعملي من الرياء وبصري من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولبعض الشعراء ويقال انها لابن الخطيب وقد استعطف فلما طال به السجن يئس فقال

يامن يرى ما فى الضمير فيسمع * ويرى فلا يخفى عليه موضع
لا تسلمني حيث اسلمنى الورى * فاليك بالشكوى يفر الموجع
يارب انك قلت ادعونى اجب * فاجب فانى راغب متضرع
يارب قد جهد البلاء وشفنى * وتضايقت حالى وانت المفزع
يارب كيف تضيق عنى رحمة * هى من ذنوب الخلق طرا اوسع

ولبعضهم

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلم الليل البهيم الاليل
ويرى مناط شعرها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل
ويرى دبيب النمل فى دق الصفا * كل بتقدير العزيز الافضل
فامنن على بتوبة تمحو بها * ماكان منى فى الزمان الاول

آخر

ادعوك ربى لامر انت تعلمه * كفى بعلمك فيما فيه ابتهل
فارحم انا بن عبد ليس مفزعه * الا اليك اذا ضاقت به الحيل
واصرف هواى عن الدنيا ولذتها * فانني طال ما قد غرنى الامل
وعن ابى الدرداء انه قال من قال كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

كفاه الله ما يهمه من امر آخرته وعن ابى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال هذه الكلمات ليلا او نهارا لم يضره شئ اللهم انت ربى لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما اللهم انى اعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم

(القسم الخامس) فى ادعية مستحسنة عند اوقات مخصوصة وافعال مخصوصة محذوفة الاسانيد منها عند اسباغ الوضوء يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين يقال من قالها فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء ومنها اذا خرج الى المسجد فليقل اللهم اجعل لى فى قلبى نورا واجعل فى لسانى نورا واجعل فى سمعى نورا واجعل فى بصرى نورا واجعل خلفى نورا وامامى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا واجعل فوقى نورا وتحتى نورا واعطنى نورا اللهم انى اسئلك بحق السائلين وبحق ممشاى هذا اليك فانى لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسئلك ان تنقذنى من النار وان تغفر لى ذنوبى انه لا يغفر الذنوب الا انت ومنها عند الاذان قال عليه السلام قولوا قالوا فماذا نقول قال قولوا اللهم نسئلك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة وقال لام سلمة قولى عند اذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور صلواتك اغفر لى وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع الاذان قال اللهم رب هذه الدعوة المستجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة

الاخلاص احيني عليها وتوفني عليها واجعلني من صالح اهلها
عملا وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين سمع النداء اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى
يوم القيامة وقيل من قال اذا سمع المؤذن اشهد ان لا اله الا
الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا
غفر له ذنبه ومنها اذا خرجت من المنزل فقل بسم الله رب
اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علىّ وعن انس
ابن مالك قال اذا خرج الرجل من منزله فقال بسم الله توكلت
على الله ولا حول ولا قوة الا بالله قيل له حسبك هديت
ووقيت وكفيت ومنها اذا اراد دخول المسجد فليقل اللهم
صل على محمد وسلم واغفر لى ذنوبي وافتح لى ابواب رحمتك
ويقدم رجله اليمنى فاذا فرغ من الصلاة فليقل اللهم
انت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام فحينا
يا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت وتعاليت يا ذا
الجلال والاكرام ويدعو بما شاء الله ومنها اذا قام من المجلس
فليقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لى ذنوبي فانه
لا يغفر الذنوب الا انت يقال هذا الدعاء كفارة للغو المجلس
ومنها اذا دخل السوق فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت بيده
الخير وهو على كل شئ قدير بسم الله اللهم انى اسئلك خير هذا
السوق واعوذ بك من الكفر والفسوق اللهم انى اعوذ بك

من شرها ومن شر ما فيها اللهم انى اعوذ بك ان اصيب
فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليه دين
فليقل اللهم اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك
ومنها اذا لبس ثوبا جديدا فليقل اللهم كسوتنى هذا الثوب
فلك الحمد اسئلك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك
من شره وشر ما صنع له ومنها اذا رأى شيئا من طيرة يكرهه
فليقل اللهم لا يأتى بالحسنات الا انت ولا يذهب السيئات الا
انت ولا حول ولا قوة الا بالله ومنها اذا راى الهلال فليقل بعد
التكبير ثلاثا اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام
ربى وربك الله جعلك الله هلال رشد وخير آمنت بخالقك
اللهم اجعله هلالا مباركا اللهم انى اسئلك خير هذا الشهر
وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر ومنها اذا راى
الريح هاجت من ليل او نهار يقول اللهم انى اسئلك خير هذه
الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت اليه واعوذ بك من شرها
وشر ما فيها وشر ما ارسلت اليه ومنها اذا مات ميت فليقل
انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه فى المحسنين
واجعل كتابه فى عليين واخلف على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا
اجره ولا تفتنا بعده ومنها اذا تصدق فليقل ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم ومنها اذا خسر فليقل عسى ربنا ان يبدلنا خيرا
منها انا الى ربنا راغبون ومنها اذا اراد امرا فليقل ربنا آتنا من لدنك
رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى
ومنها اذا نظر الى السماء فليقل ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها

سراجا وقمرا منيرا ومنها اذا سمع الرعد فليقل سبحان من يسبح
الرعد بحمده والملائكة من خيفته ومنها اذا راى صاعقة فليقل
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك ومنها اذا امطرت
السماء فليقل اللهم سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب
رحمتك ولا تجعله سيب عذابك ومنها اذا غضب فليقل اللهم
اغفرلي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم
ومنها اذا خاف قوما فليقل اللهم اردد كيدهم في نحورهم
ونعوذ بك من شرورهم ومنها اذا غزى فليقل اللهم انت
عضدي ونصري وبك اقاتل ومنها اذا طنت اذنه فليقل
اللهم صل على محمد ذكر الله من ذكرني ومنها اذا راى اجابة
الدعاء فليقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات
واذا بطات فليقل الحمد لله على كل حال ومنها اذا اصابه
هم فليقل اللهم اني عبدك وابن عبدك ناصيتي بيدك ماض
في حكمك نافذ في قضاءك اسئلك بكل اسم سميت به
نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او
استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم ربيع قلبي
ونور بصري وجلاء غماي وذهاب حزني وهمي قال النبي صلى
الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب
الله همه وابدل الله مكانه فرجا ومنها اذا وجد وجعا في
جسده او جسد غيره فليرقه برقية النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا اشتكى الانسان قرحا او جرحا وضع سبابته على الارض
ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا برقية بعضنا نشفى به
سقيمنا باذن الله ومنها اذا وجد وجعا في جسده فليضع يده

على موضع الوجع وليقل بسم الله ثلاثا وليقل سبع مرات اعوذ
بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر ومنها اذا اصابه كرب
فليقل لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم
لا اله الا الله رب السموات والارض رب العرش الكريم ومنها
اذا اراد النوم فليتوضا اولا ثم يتوسد يمينه مستقبلا للقبلة
ثم يكبر اربعا وثلاثين ويسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد الله ثلاثا
وثلاثين ثم يقول اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من
عقوبتك واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ثناء عليك
ولو حرصت انت كما اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيى
واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شئ فالق
الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان اعوذ بك
من شر كل شئ ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت
الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت
الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض
عني الدين واغنني من الفقر اللهم انت خلقت نفسي وانت
تتوفاها لك محياها ومماتها اللهم ان امتها فاغفر لها
وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسئلك العافية باسمك
ربي وضعت جنبي وبك ارفعه فاغفر لي ذنبي اللهم قني
عذابك يوم تبعث عبادك اللهم اني اسلمت نفسي اليك
وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة
منك ولا منجأ ولا ملجأ منك الا اليك آمنت بكتابك
الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت ويكون هذا آخر دعائه
وان كان يفزع من نومه فليقل ما قال صلى الله عليه وسلم لخالد

ابن الوليد حين شكى اليه انه يفزع فى نومه فقال له اذا
اخذت مضجعك فقل بسم الله اعوذ بكلمات الله التامات من
غضبه وعذابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان
يحضرون وكان ابن عمر يامر من ادرك من اولاده ان يقولها
وان لم يدرك كتبها وعلقها عليه ومنها اذا قام للتهجد فى الليل
فليقل اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد
انت قيوم السموات والارض ولك الحمد انت رب السموات
والارض ومن فيهن انت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاءك
حق والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك اسلمت
وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وفيك خاصمت
واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت انت الهى لا اله الا انت ومنها اذا استيقظ عند
الصباح فليقل الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه البعث
والنشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله
والعزة لله والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة
الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا
ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم انى اسئلك ان تبعثنا
فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره
الى مسلم فانك قلت وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما
جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى الآية اللهم
فالق الاصباح اسئلك خير هذا اليوم وخير ما فيه بسم الله
ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله ما شاء
الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت

بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسى قال امسينا
بالله الى آخر الدعاء ويقول اعوذ بكلمات الله التامات العامات واسمائه
من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة ربي
آخذ بناصيتها الآية ومنها اذا ضل شئ فليقل اللهم رب
الضالة وهادى الضالة تهدى من الضلالة اردد على ضالتي
بقدرتك وسلطانك فانها بيدك ومن عطائك وفضلك ومنها
اذا اشترى خادما او دابة فليأخذ بناصيتها وليقل اللهم انى
اسئلك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما
جبل عليه ومنها اذا هنأ بالنكاح مسلما فليقل بارك الله فيك
وبارك عليك وجمع بينكما بخير ومنها اذا قضيت الدين فقل
للمقضى له بارك الله لك فى اهلك ومالك ومنها اذا راى مبتلا
فليقل الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاه به وفضلنى عليه وعلى
كثير من خلقه تفضيلا ومنها اذا مرض فليقل اللهم انى
اسئلك تعجيل عافيتك وصبرا على بلائك وخروجا من
الدنيا الى رحمتك ومنها اذا فرغ من الاكل فليقل الحمد لله
الذى يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا واطعمنا وسقانا
وكل بلاء حسن ابلانا الحمد لله غير مودع ولا مكافى ولا
مستغنى عنه الحمد لله الذى اطعمنا من الطعام وسقانا
من الشراب وكسانا من العراء وهدانا من الضلالة وبصرنا
من العمى وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلا ومنها اذا
خاف من سلطان ودخل عليه فليقل اللهم احرسنى بعينك
التى لا تنام واكنفنى بكنفك الذى لا يرام ولا اهلك وانت

رجاءى فكم من نعمة انعمت بها على قل عندى شكرها فلم تحرمنى وكم بلية ابتليتنى بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى اللهم انى اعوذ بك من شره واجعل كيده فى نحره وقال ابن مسعود اذا خفت ظلم سلطان فقل اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى جارا من فلان واشياعه واتباعه من الجن والانس ان يفرط على احدهم او يطغى عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم والادعية فى هذه الاحوال كثيرة وفيما ذكرنا كفاية وبالله التوفيق

* (القسم السادس فى آداب الدعاء) * وهى بالجملة عشرة الاول ان يترصد له اوقاتا معلومة شريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور وليلة الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من الليل وعند نزول المطر وحضرة الاذان وحضرة الصف فى سبيل الله فان هذا كله قد وردت فيه آثار تركتها مخافة الاكثار الثانى ان يغتنم الدعاء عند الاحوال الشريفة مثل خلف الصلاة وبين الاذان والاقامة وفى السجود وعند افطار الصائم ونزول الغيث وغير ذلك كما تقدم تركت الآثار فى ذلك مخافة التطويل وقيل مثل ذلك عند حضور الطعام لاشتغال القلوب وقيل ايضا عند حضور العرس والله اعلم الثالث ان يدعو مستقبل القبلة رافعا يديه بحيث يرى بياض ابطيه وذلك مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال سليمان عليه السلام ان ربكم يستحيى من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا وقال ابو الدرداء ارفعوا

هذه الايدى قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغى ان يمسح بهما وجهه
عند آخر الدعاء روى ذلك عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عباس كان اذا دعا عليه السلام ضم كفيه وجعل
بطونهما مما يلى وجهه ولا يرفع بصره الى السماء قال عليه
السلام لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء
او لتخطفن ابصارهم الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر
وعن ابى موسى قال قدمنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما
دنونا من المدينة رفع الناس اصواتهم بالتكبير فقال ايها الناس
انكم لا تدعون اصم ولا غائبا وان الذى تدعون بينكم وبين
اعناق ركابكم قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية ووصف
زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا الخامس ان لا يتكلف السجع
فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى ان يكون حال تضرع والتكلف
لا يناسبه قال عليه السلام سيكون قوم يعتدون فى الدعاء
والطهور وقيل فى قوله تعالى انه لا يحب المعتدين قيل معناه
التكلف للاسجاع وقال عليه السلام اياكم والسجع فى
الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما
يقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما يقرب اليها
من قول وعمل والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة المتقدمة
وقال بعض السلف ادع الله بلسان الذلة والافتقار لا بلسان
الفصاحة والانطلاق السادس التضرع والخشوع مع احضار
القلب قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال ويدعوننا رغبا
ورهبا وقال عليه السلام اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع
تضرعه وفى الحديث ان الله تعالى اوحى الى بعض الانبياء هب لى

من عينك الدموع ومن نفسك الخضوع ومن قلبك الخشوع ثم ادعني فاني قريب مجيب وفي الخبر اوحى الله الى بعضهم ادعني وفرائصك ترتعد ولا بد من احضار القلب وفي الحديث ان الله لا يستجيب من قلب ساه ولاه وينبغي ان يجزم بالدعاء ويؤمن بالاجابة وفي الحديث لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت ليعزم على المسئلة فان الله لا مكره له فاذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ وليلح في الدعاء ويكرره ثلاثا ولا ينبغي ان يستبطئ الاجابة لقوله عليه السلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فاسئل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم انى دعوت الله منذ عشرين سنة حاجة فما اجابنى وانا ارجو الاجابة قيل وما هى قال ان يوفقنى لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم اذا سال احدكم ربه مسئلة فتعرف فيه الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات واذا ابطأ عنه شئ من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال وقيل في قول الله تعالى مخبرا عن موسى وهارون قال قد اجيبت دعوتكما قيل دعا موسى وامن هارون فوقعت بعد اربعين سنة من يوم الدعاء وقيل ان نوحا عليه السلام دعا على قومه فوقعت بعد مائة سنة قال تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وانشدوا *

اتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل قاتلة ولكن * الى أمد وللأمد انقضاء

وينبغي له ان يستفتح الدعاء بذكر الله والصلاة على رسوله والتوبة من ذنوبه ولا يبدا بالسؤال ويقال انه عليه السلام

يستفتح الدعاء ويقول سبحان ربي الاعلى الوهاب وقال اذا
سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة علىّ فان الله اكرم من ان
يسال حاجتين فيقضي احداهما ويرد الاخرى وليخلص الدعاء
لله تعالى فان الله تعالى لا يقبل من مسمع السابع التوبة
ورد المظالم والاقبال على الله تعالى بقلب متضرع وهو السبب
القريب في الحاجة وعن كعب قال خرج موسى بن عمران يستسقي
بالناس ثلاثا فلم يسقوا فاوحى الله اليه ان فيكم نماما فلا
استجيب لك ولا لمن معك قال يارب ومن هو حتى نخرجه قال
ياموسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل
توبوا الى الله باجمعكم من النميمة فتابوا فسقوا وعن سفيان
قال بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة
والاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويتضرعون فاوحى
الله الى انبيائهم لو مشيتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ
ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم بالدعاء فاني لا اجيب لكم
داعيا ولا ارحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا
فمطروا وقال مالك بن دينار قحط بنو اسرائيل فخرجوا مرارا
فاوحى الله الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة
وترفعون الى اكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من
الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا
ويروى ان سليمان عليه السلام خرج يستسقي فمر بنملة
ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا
خلق من خلقك ولا غنا بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب
غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم

وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انتم تستبطون المطر
وانا استبطئ الحجر ويروى ان عيسى عليه السلام خرج
بالناس يستسقي فلما اصحروا قال لهم من اصاب ذنبا فليرجع
فرجعوا الا رجلا واحدا فقال له عيسى اما لك من ذنب فقال
والله ما اعلم من شئ غير انى ذات يوم اصلى فمرت امراة فنظرت
اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها
فاتبعت المراة بها قال له عيسى ادع فدعا فتجللت السماء سحابا
ثم صب فسقوا وقال يحيى الغسانى اصاب الناس قحط على عهد
داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا
يستسقون بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توراتك ان
نعفو عمن ظلمنا انا ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني انك
انزلت في توراتك ان نعتق ارقاءنا فانا ارقاءك فاعتقنا وقال
الثالث اللهم انك انزلت في توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا
بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا
ويروى ان عمر استسقى بالعباس فلما فرغ عمر رحمه الله
من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء
الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم
لمكاني من نبيك عليه السلام فهذه ايدينا اليك بالذنوب
ونواصينا بالتوبة فانت الراعى فلا تهمل الضالة ولا تدع
الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير
وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم
بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييئس من روح الله
الا القوم الكافرون قال فما اتم كلامه حتى ارخت السماء

كالجبال وفى ذلك يقول حسان بن ثابت *

سال الخليفة اذ تتابع جدبه * فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبى وصنو والده الذى * ورث النبى بذاك دون الناس
احى المليك به البلاد فاصبحت * مخضرة الاجناب بعد الياس

وعن الشعبى قال خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار فقالوا يا امير المؤمنين ما رايناك استسقيت فقال سالت الله بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر ثم قال استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه الثامن ان يكون مطعم الداعى ومشربه حلالا فان ذلك عليه المدار وهو شرط فى اجابة الدعاء قال سعد يارسول الله ادع الله ان يجعلنى مجاب الدعاء قال اذا اردت ذلك فطيب طعمتك ويقال الرحمة مخزونة فى مخازن الله تعالى ومفاتيحها الدعاء واسنان المفتاح لقمة الحلال ويقال ان اهل آخر الزمان يعيشون بالحرام المجهول فلا يقبل دعاءهم ولكن لا يؤاخذون به وقيل لا يقبل به دعاء الدنيا خاصة دون الآخرة التاسع ان ياتمر الداعى باوامر الله وينتهى عن مناهيه فان المتقى كريم على الله والعاصى والفاجر ممقوت عند الله قال الله تعالى وما دعاء الكافرين الا فى ضلال الا ان يكون الداعى مظلوما فان دعاءه مقبول على من ظلمه وفى الحديث اتقوا دعوة المظلوم فانها ترفع فوق السحاب يقول الله وعزتى لانصرنك ولو بعد حين ولكن لا ينبغى للعاصى

ان يترك الدعاء لما يعلم من نفسه ولكن يتوب ثم يدعو وقال سفيان لا يمنع احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله تعالى قد اجاب شر الخلق ابليس قال انظرني الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يسئل الدعاء من غيره ويتمادى على الاصرار قال رجل لعدي بن قيس ادع الله لي قال يا ابن اخي سالت من قد عجز عن نفسه ولكن اطع الله يغفر لك دون دعاءي العاشر ان لا يتجاوز الحد في الدعاء فان ذلك يقع موقع التحكم على الله تعالى وذلك ان يقول اللهم احيني ولا تمتني او احي من مات من اهلي قبل يوم القيامة واجعل درجتي مثل درجة الانبياء عليهم السلام وهب لي ملكا مثل ملك سليمان عليه السلام وكذلك لا يدعو دعاء يوقع موقع السخط على الله تعالى مثل ان يقول اللهم اهلكني او افقرني وما اشبه ذلك الا ان يقيد ذلك فيقول امتني ان كان الموت خيرا لي او افقرني ان كان الفقر خيرا لي والله اعلم فان قيل ما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له قيل له ان القضاء رد البلاء بالدعاء فان الدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك البلاء والدعاء يتعالجان وليس من شروط الاعتراف بقضاء الله ان لا تحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم مع انه قال قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقد روي ان ابليس اللعين قال لعيسى عليه السلام يا روح الله الست تزعم انه لن يصيبك الا ما قدر الله لك قال بلى قال فارم نفسك اذا من ذروة الجبل فان

قدر لك السلامة فتسلم قال يا عدو الله ان الله يختبر عبده وليس للعبد ان يختبر ربه ثم فى الدعاء ايضا من الفائدة انه ذكر الله ويستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادة وقد قال عليه السلام الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق ان لا تنصرف قلوبهم الى الله الا عند نزول حاجة بهم او حلول قارعة والانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله تعالى بالتضرع والاستكانة ولذلك صار البلاء موكل بالانبياء والاولياء لانه يرد القلب بالتضرع واما الغنى فسبب البطر والطغيان فى غالب الاحوال قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وبالله التوفيق

(الفصل الثانى) فى فضيلة الذكر ويتفرع منه اربعة اقسام الاول فى فضيلته على الجملة ويدل على ذلك قوله تعالى اذكرونى اذكركم وعن ثابت البنانى قال انى اعلم متى يذكرنى ربى ففزعوا منه فقالوا متى تعلم ذلك قال اذا ذكرته ذكرنى وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا قال ابن عباس بالليل والنهار فى البر والبحر والحضر والسفر والغنى والفقر والصحة والمرض والسر والعلانية وقال واذكر ربك فى نفسك الآية وقال فى ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ذكر الله لكم اعظم من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله اعظم من كل عبادة سواه فى سائر الآيات وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل

بين الفارين وقال يقول الله تعالى انا مع عبدى ما ذكرنى
وتحركت شفتاه بى وقال ايضا ما عمل ابن آدم من عمل انجى له
من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد الا ان تضرب
بسيفك حتى ينقطع قالها ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم من
احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى وسئل عن
افضل الاعمال قال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله تصبح
وتمسى وليس عليك خطيئة وقال عليه السلام لذكر الله
بالغدو والعشى اعظم من حطم السيوف فى سبيل الله ومن
اعطائك المال سحا وقال يقول الله تعالى اذا ذكرنى عبدى فى
نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء
خير من ملائه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا
تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه
يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال سبعة يظلهم الله فى
ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله ومن جملتهم رجل ذكر
الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع من خشية الله تعالى
وعن ابى الدرداء عنه عليه السلام قال الا انبئكم بخير
اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الذهب والفضة وخير لكم من ان
تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم
قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وقال عليه
السلام يقول الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى
اعطيته افضل ما اعطى السائلين وقال بعض
السلف بلغنا ان الله عز وجل قال يا ابن آدم اذكرنى

بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما
وقال بعض العلماء ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على
قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته
وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر
ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله تعالى ما
احسنه واعظم وافضل من ذلك ذكر الله عز وجل عند ما
حرم الله ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر
الله عز وجل وعن ابى موسى عنه صلى الله عليه وسلم قال
مثل الذى يذكر الله والذى لا يذكر الله مثل الحى والميت وعن
ابى هريرة عنه عليه السلام قال ان لله ملائكة يطوفون
بالطرق يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله
تنادوا هلموا الى حاجتكم قال فيحفونهم باجنحتهم الى سماء الدنيا
فيسئلهم ربهم وهو اعلم بهم ما يقول عبادى قالوا يسبحونك
ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول ما يسئلونني قالوا
يسئلونك الجنة قال يقول وهل راوها قال يقولون لا والله يارب
ما راوها قال فيقول وكيف هم لو انهم راوها قال يقولون لو انهم
راوها كانوا اشد عليها حرصا وطلبا واعظم فيها رغبة قال
وكذلك النار على هذا الحال قال فيقول اشهدكم انى غفرت
لهم فيقول ملك فيهم فلان ليس منهم وانما جاء لحاجة قال
هم قوم لا يشقى جليسهم القسم الثانى فى فضيلة مجلس
الذكر قال صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون
الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم
الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال

ايضا ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك
الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم
وبدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال ما قعد قوم مقعدا لم
يذكروا الله فيه ولم يصلوا على فيه الا كان عليهم حسرة
يوم القيامة وعن داود عليه السلام قال الهى اذا رايتنى
اجاوز مجلس الذاكرين الى مجلس الغافلين فاكسر رجلى دونهم
فانها نعمة تنعم بها على وقال النبى صلى الله عليه وسلم المجلس
الصالح يكفر عن المؤمن الفى الف مجلس من مجالس السوء وعن
ابى هريرة ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التى
يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم ويقال اذا اجتمع
قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول
الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول دعهم فاذا
افترقوا اخذت باعناقهم وعن ابى هريرة انه دخل
السوق فقال اراكم ها هنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم
تقسم فى المسجد فذهب ناس الى المسجد فقالوا ما راينا ميراثا
تقسم قال ماذا رايتم قالوا قوما يذكرون الله ويقرؤن القرآن
قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم *

(القسم الثالث) فى فضيلة التهليل قال صلى الله
عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلى لا اله
الا الله وحده لا شريك له وقال من قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ
قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب
وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة

وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسى ولم يات
احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك
وعن ابن مسعود انه قال ان الله عز وجل قسم بينكم اخلاقكم
كما قسم بينكم ارزاقكم ان الله يعطى المال من يحب ومن
لا يحب ولا يعطى الايمان الا لمن يحب ومن يبخل بالمال
ان ينفقه وهاب العدو ان يجاهده فليكثر من قول لا اله
الا الله وسبحان الله والحمد لله والله اكبر وقال النبى
صلى الله عليه وسلم اكثروا من قول لا اله الا الله قبل
ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وكلمة الاخلاص
وهى كلمة التقوى وهى الكلمة الطيبة وهى دعوة الحق
وهى العروة الوثقى وقال لابى هريرة ان كل حسنة تعمل
توزن يوم القيامة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لو
وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع
والارضون السبع ومن فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك
وعن عمر رضى الله عنه انه قال من قال فى سوق من الاسواق
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى
ويميت وهو على كل شئ قدير كتبت له الف الف حسنة
ومحيت عنه الف الف سيئة وبنى له بيت فى الجنة
ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى صحيفته فلا
تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى
جنبها * (القسم الرابع فى التسبيح) * عن ابى هريرة عنه عليه
السلام قال من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة فى كل يوم
حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه

وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده قال بعضهم سمعته عليه السلام يقول اذا قام من الليل سبحان الله رب العالمين الهوى من الليل ثم يقول سبحان الله وبحمده الهوى وعن ابن عباس انه عليه السلام مر بجويرة بنت الحارث وهى فى مصلاها تسبح وتذكر الله ثم مر بها بعد ما ارتفع النهار فقال لو تكلمت باربع كلمات اعدتهن ثلاث مرات هى افضل ما قلت سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله رضى نفسه سبحان الله مدد كلماته والحمد لله كذلك وعن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات انها قول العبد الله اكبر وسبحان الله ولله الحمد ولا حول ولا قوة الا بالله ولحاتم بن حازم سبحان من ستر القبيح * ولم يزل برا بعبده * لا تعجبن من احمق * نال الغنى من غير كده ولعاقل لا يستتب * فكلهم يسعى بجده * ولصرمة بن انس سبحان الله شرق كل صباح * طلعت شمسه وكل هلال عالم السر والبيان لدينا * ليس ما قال ربنا بضلال

آخر

سبحان من لا يخيب من قصده * من قصد الله صادقا وجده
قد شمل الخلق فضل نعمته * كل الى فضله يمد يده

ولزيد بن عمرو ولورقة بن نوفل

*

سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له * رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحانا يعود له * وقبلنا سبح الجودى والجمد

وعن ابى هريرة قال من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر

يعنى بالهوى ساعة

مثل ذلك وحمد الله مثل ذلك وختم المائة بلا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ❊ (الفصل الثالث) ❊ في الاستغفار والصلاة على النبي المختار قال الله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا وقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الى آخر الآية وعن ابن مسعود قال في كتاب الله آيتان ما اذنب عبد ذنبا فقراهما فاستغفر الله الا غفر له قوله والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخره وقوله فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان عليه السلام يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وروى انه قال لهم في طريق الحديبية وقد افض من وعر الى سهل قولوا نستغفر الله ونتوب اليه ففعلوا فقال انها الحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها وقال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال عليه السلام اني لاستغفر الله سبحانه واتوب اليه في اليوم سبعين مرة وقال انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في كل يوم مائة مرة وعن علي قال عجبت ممن يهلك والنجاة معه قالوا وما هي قال الاستغفار وعن وهب قال لقي ابليس اللعين يحيى بن زكرياء عليهما السلام فقال اخبرني عن طبائع ابن آدم عندكم قال صنف منهم مثلك معصوم لا نقدر منه على شيء وصنف ثان هم في ايدينا كالكرة في ايدي الصبيان قد كفونا انفسهم وصنف ثالث هم اشد علينا ندرك من احدهم حاجتنا ثم يفسدها بالاستغفار فلا نحن نايس منه ولا نحن ندرك منه ما نريد

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين ياوى الى فراشه استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وفى حديث آخر غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وعن حذيفة قال كنت ذرب اللسان فقلت يا رسول الله خفت ان يدخلنى لسانى النار قال اين انت من الاستغفار فى اليوم مائة مرة وقال لعائشة ان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى استغفاره اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى امرى وما انت اعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطيئتى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شئ قدير وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان تقول اللهم انت خلقتنى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت ابوء لك بنعمتك عندى وابوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا انت واعوذ بك من شر ما صنعت من قالها نهارا موقنا فمات قبل ان يمسى فهو من اهل الجنة ومن قالها ليلا فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة وعن على قال اذا حدثنى احد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حلفته واذا حلفته صدقته وحدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن يذنب ذنبا ثم يحسن الطهور ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرا والذين اذا فعلوا فاحشة

الآية وعن ابي هريرة قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلق قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم وعنه انه ليرفع لعبده الدرجة في الجنة فيقول يا رب انى لي هذه فيقول بالاستغفار ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساءوا استغفروا وقال ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال قتادة القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم فالذنب داؤكم والاستغفار دوائكم وقال الربيع بن خيثم ليقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الذنب كان مستهزءا على الله وهو لا يعلم وقال وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة وهو يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للوم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني وابغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفى ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى وهو اللهم استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيت به في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار الخضر عليه السلام ولابي العتاهية

استغفر الله من جرمي ومن جنفي * اني وان كنت مستورا الخطاء

لم تبك نفسك ايام الحياة لما * تخشى وانت على الاموات بكاء
وكان عامر بن عبد القيس يغدو فيقعد على قارعة الطريق الاعظم والناس
متصرفون فى حوائجهم فاذا رآهم ذاهبين يمينا وشمالا قال يا رب غدا الغادون
فى حوائجهم وغدوت اليك اسئلك المغفرة ولبعضهم ان تعف عن عبدك
المسيء تفضلا * فضلك ماوى للفضل والمنن * اتيت ما استحق من خطاء * فجد
بما تستحق من حسن * (فصل) * فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
وشرف وكرم وعظم واحسن وانعم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبى الآية وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشرى يرى على وجهه فقال جاءنى جبريل عليه السلام فقال اما
ترضى يا محمد ان لا يصلى عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك
الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملئكة
ما صلى على فليقلل او ليكثر وقال ان اولى الناس بى اكثرهم على صلاة وقال
فحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده فلا يصلى على وقال اكثروا الصلاة على
يوم الجمعة وقال من صلى على من امتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه
عشر سيئات وقال من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمى فى ذلك الكتاب وقال ان فى الارض ملائكة سائحين يبلغونى
عن امتى السلام وقال ليس احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى
ارد عليه السلام وبلغنا عن كعب بن عجرة انه لما انزلت ان الله
وملائكته يصلون على النبى الآية قلنا يا رسول الله كيف نصلى عليك
قال قولوا اللهم صل على نبيك محمد وعلى من صلح من آل محمد كما
صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ومن غيره وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد وقال بعض العلماء الصلاة على النبى فريضة
وهذا يؤيده قول الملائكة من ذكرت عنده يا محمد ولم يصل عليك ابعده الله

لان الفرض ما يتعلق بتركه العقاب وقال بعضهم انها فريضة عند كل
صلاة وقال اصحابنا فيما وجدت انما فرض ذلك مرة واحدة مع الذكر وبعد
ذلك ما صلى كان تطوعا وعن ابن مسعود قال اذا صليتم على النبي فاحسنوا
الصلاة عليه فانها فريضة امركم الله بها وقيل لم تؤمر امة ان تصلى على
نبيها الا هذه الامة فضلا من الله ونعمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا صليتم على فصلوا على الانبياء فانهم ارسلوا كما ارسلت والله اعلم فصل
في التفكر والاعتبار اعلم ان التفكر مرآة القلب وبالتفكر الخالص يتوصل
الى استقامة القلوب وباستقامة القلوب يتوصل الى الصدق في الاعمال
وقد امر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه في مواضع لا تحصى واثنى على
المتفكرين فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض الآية وقال النبي صلى
الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فان بهذا المغرب
ارضا نورها بياضها مسيرة الشمس فيها اربعون يوما بها خلق من
خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين
الشيطان منهم قال ما يدرون اخلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد
آدم قال وما يدرون ان خلق آدم وقد ذم الله تعالى اقواما ووبخهم لتركهم
التفكر والنظر فقال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الآية
يعني ملك السموات والارض وما خلق الله من شئ اي والى ما خلق الله من
شئ يعني مما يرونه فيتفكروا فيعلموا ان الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يحيي الموتى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فيبادروا الى التوبة قبل الموت
وروى ان ابا ريحانة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم اقبل من بعض غزواته فتوضأ
ثم قام في مسجده فقرأ سورة ثم اخرى ثم كذلك حتى اذن المؤذن فاستترامرأته فقالت
له غبت في غزوتك ثم قدمت فلم يكن لي منك حظ ولا نصيب فقال والله ما خطر
على بالي ولو ذكرتك لكان لك علي حق قالت فما الذي شغلك قال لم يزل قلبي يهوى

فيما وصف الله في الجنة من ازواجها ونعيمها حتى اذن المؤذن وقال الحسن ان من افضل العمل الورع والتفكر ومن لم تكن حياته في التفكر في خطيئته فليحتسب حياته وقال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقال الحواريون لعيسى عليه السلام هل على الارض اليوم مثلك قال نعم من كان نطقه ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال لقمان الحكيم طول الوحدة الهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الآخرة وقيل في قوله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض الآية قيل معناه امنع قلوبهم عن التفكر فيها ويقال الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيأتك ويروى ان الله تبارك وتعالى قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همته وهواه فان كانت همته وهواه لي جعلت صمته فكرا وكلامه حمدا وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله تعالى افضل العبادات وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليل بلا قلب وقال بعض الحكماء الفضائل اربعة احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس والله اعلم * (فصل) * اعلم ان مجاري الفكر غير منحصرة وثمراتها غير متناهية ونحن نضبط مجاريه بالاضافة الى امهات الاعمال الدينية والاعمال المكتسبة بها في اربعة فصول والخامس في المخلوقات الاول في المعاصي والسيئات الثاني في الطاعات الثالث في الصفات المهلكات الرابع في المنجيات (الفصل الاول) في المعاصي والسيئات فينبغي للعبد ان يتفكر في صبيحة كل يوم ويفتش جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه جملة انه هل هو في الحال متلبس لمعصية فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيحترز منها بالتباعد عنها فينظر في اللسان فيقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والنميمة والمزاح والممارات والمداهنة والخوض فيما لا يعني

والتغني والنياحة والبهتان وغير ذلك من معاصي اللسان فيقدر
اولا في نفسه انها مكروهة عند الله منهي عنها ثم يتفكر في وعيد
القرآن والسنة الوارد فيها الدال على شدة العذاب لمن يتعاطاها
ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر
كيف يحذر منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد وان
لا يجالس الا صالحا دينا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه ثم يتفكر
في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب واللهو والبدعة وانه انما
يسمعه من زيد مثلا او غيره من السفهاء والجهال فيحترز
بالاعتزال عنهم او بالنهي لهم عن ذلك مهما سمعه منهم ويتفكر في
عينه انه متعرض للنظر الى ما لا يحل من محاسن امرأة او عورة انسان
فيحترز بالاغضاء للعين والتباعد عن مواضع ذلك ويتفكر في
بطنه انه انما يعصي الله فيه اما بكثرة الاكل والشرب من
الحلال فتقوى عليه بذلك الشهوة او ياكل من الحرام فيبطل
عمله او من الشبهة فيطول عليه التوبيخ في المعاد ولا يصفو له
قلب للعبادة ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في
في وجوه الاكتساب منه والاحتراز عن الحرام وان الله لا يقبل
صلاة عبد في جوفه او في ثوبه او ماله درهم حرام وان اكل
الحلال اساس العبادات كلها فهكذا يتفكر في اعضائه فمهما
حصلت له بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة
طول النهار حتى يحفظ اعضاءه كلها * (الفصل الثاني في الطاعات) *
فلينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف
يحرسها عن التقصير والنقصان او كيف يجبر نقصانها بكثرة
النوافل ثم يرجع الى اعضائه عضوا عضوا فيتفكر في الافعال

التي تتعلق بما يحبه الله فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ويتفكر في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام فيقول انا قادر ان نستعمل العين في مطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر ان انظر الى فلان بعين التعظيم وادخال السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الاحتقار حتى يكون ذلك زجرا له عن معصية الله تعالى فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر على استماع حكمة او علم او قراءة او ذكر او كلام ملهوف فيقول كفرت بنعمة الله في تعطيله وتضييعه وكذلك يتفكر في اللسان فيقول اني قادر ان اتقرب الى الله تعالى بالتعليم والوعظ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والسؤال عما يعنيني وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال على الفقراء وادخال السرور عليهم ولو بكلمة طيبة فانها صدقة ويقول اني قادر على ان اتصدق بفضول مالي فاني مستغن عنه ولعل تباعة او مظلمة كانت في ذمتي فاتداركها قبل ان يزول عني هذا المال وازول عنه بالموت ومهما احتجت فان الله يرزقني من حيث لا احتسب او احتجت اليه الآن فاني الى ثواب الايثار بر لغيري وقضاء تباعتي احوج فيفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله واولاده وانه قادر ان يطيع الله تعالى بجميع ذلك فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها وفيما يرغبه الحد المبادرة اليها ويتفكر في اخلاص النية فيها ويطلب لها مكان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات من القلب والجوارح كلها

(الفصل الثالث في الصفات المهلكات) التي محلها القلب من الشهوة والغضب والبخل والتكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وسخط المقدور والاصرار والامن

والاياس وغير ذلك فليتفقد من قلبه هذه الصفات فان وجدها
فيه او بعضها فليبادر الى علاج قلبه منها والتوبة عنها فان كان منزها
عنها فليتفكر في كيفية امتحانه فان النفس تدعي البراءة من المذموم
وتسخو بالوعد من المحمود فاذا امتحنت ظهر منها غير ذلك فاذا ادعت
مثلا التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجرب نفسه بحمل حزمة
حطب امام الناس ان كان منظورا اليه عند الناس وكذلك الاولون
يفعلون فاذا ادعت الحلم جرب نفسه بالتعرض لشتم سفيه اياه
ثم يجربها في كظم الغيظ عنه وكذلك في سائر الصفات فاذا دلت
العلامات على وجود هذه الصفات فيه بادر الى علاجها والتوبة منها
واذا احس من نفسه العجب بعمله او بحاله فيتفكر ويقول انما عملي بيدي
وجوارحي وقوتي فان ذلك ليس مني ولا الي انما هو من خلق الله وفضله
علي فهو الذي خلقني وخلق قدرتي واراد تي وحرك اعضاءي
بقدرته فكيف اعجب بنفسي او عملي ولا قوام لنفسي الا بخالقي
واذا احس من نفسه شهوة الطعام والجماع تفكر في ان هذه صفات
البهائم ولو كان ذلك صفة كمال لكان للمقربين فمهما كان الشره
عليه اغلب كان بالبهائم اشبه ومن الملائكة ابعد وكذلك يقدر
في نفسه الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج منه وكذلك سائر
الصفات ولا بد له من العلم بها وعلاجها * (الفصل الرابع في المنجيات) *
وهي التوبة والندم والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف
والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة
الله تعالى وتعظيمه والرضى بافعاله والشوق اليه والخشوع
والتواضع له وغير ذلك فليتفكر العبد كل يوم في قلبه هل
هو متصف بهذه الصفات المقربة الى الله تعالى ام لا

فان اتصف بها فليحمد الله وليحرص على الزيادة منها والثبات
عليها وان لم يتصف بها فليتبادر الى اكتسابها فان اراد ان
يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر
في الوعيد الوارد فيها وليحقق لنفسه انه متعرض لمقت الله حتى
ينبعث له حال الندم وان اراد ان يكتسب حال الشكر فلينظر
في احسان الله وايا ديه ونعمه اليه وفي ارساله جميل الستر عليه مع
تضييعه شكر نعمه والتعرض لسخطه فان ذلك يبعثه على الشكر
حتى يتصف به وان اراد محبة الله والشوق اليه فليتفكر
في جلال الله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في افعاله وعجائب
حكمته ثم ينظر في الموت وسكرته والقبر ووحشته ثم اهوال
المحشر ثم الحساب ومناقشته ثم خطر الامر عنده وليتفكر في الجنة
ونعيمها والنار وانواع عذابها وليكن فكر العالم في خفايا صفات
قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها واما امثالنا الغرقا في
الذنوب والجهل والخطايا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوى ايماننا
بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعا ان هؤلاء
لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار
فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا
ان الهروب من النار ترك الشبهات والحرام والمعاصي فنحن منهمكون
فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات فنحن مقصرون في
الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدى بنا في الحرص
على الدنيا والتكالب عليها فيقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء
اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا
فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسئل الله تعالى ان يصلحنا

ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا والله اعلم *(الفصل الخامس)* في التفكر في المخلوقات اعلم ان التفكر في الخلق بحر لا يدرك غوره جملة ولا تفصيلا ولكن نشير الى بعض جملته لان كل ما في الوجود نوعان الله سبحانه وفعله والتفكر في ذات الله وصفاته محظور لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق ويقال ان الله تعالى اوحى الى بعض الانبياء لا تخبر عبادي بصفاتي فينكرون او قال فيتكبرون الشك مني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون وانما على الانسان الايمان بالله تعالى على ما هو عليه من حقيقة وجوده وحقانية صفاته اما المخلوقات فمنها ما لا يعرف اصلها فلا يمكن التفكر فيها الا من حيث انها مخلوقة مصنوعة محتاجة عاجزة وذلك قوله تعالى الذي خلق الازواج كلها الى ومما لا يعلمون وقال ويخلق ما لا تعلمون ومنها ما يعرف اصلها ولا يشاهد بالبصر منا وذلك كالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال الفكر فيها غامض على الراسخين من العلماء فكيف غيرهم ومنها ما يعرف اصلها ويدرك بالبصر وذلك كالسموات وملكوتها كالشمس والقمر والنجوم وغيرها وكالارض وما فيها وعليها من الجبال والشجر والدواب والبحار وغيرها وكالجو وما فيه من الغيوم والثلوج والامطار والرعود والصواعق والارياح والشهب وغيرها فهذه الاجناس لا تنحصر انواعها ولا يدرك العقل اقسامها وصفاتها وهيأتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجاري الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا ومحركها الله تعالى وفي تحركاتها وتقلبها علم

غامض لا يعلمه الا الله تعالى وحكم لا يحيط بها الا الخالق لها وكل ذلك دلائل على وحدانيته وجلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه واشار القرآن الى الحث على التفكر فيها كما قال ان في خلق السموات الى قوله لآيات لاولى الالباب في امثالها من القرآن والاشتغال بشرح معنى من معاني هذه الآيات يستدعى الى تصنيف مجلدات ينقضى العمر دونها ولكن من رزقه الله عقلا رادعا يردعه عن هجوم الشهوات وعلما نافعا يعتصم به عند ورود الشبهات فلا بد ان يرزقه النظر في ملكوت الارض والسموات وقد قال تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض ثم قال وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فنسئل الله العصمة والعون والتوفيق وروى عن بعض العلماء انه قال ان لله اقواما النعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر له فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت العظمة وخزائن القدرة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها من لطيف الفوائد ما لا يمكن لواصف ان يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبذلون لمن ارادهم تواضعا فهذه طريقة من الفكر لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء ولابي العتاهية * *

ان للدهر فاعلمن اثارا * فالى كم ان لا ترى الاقدارا
من رأى عبرة ففكر فيها * لم يزده التفكر الا اعتبارا
لو عقلنا اذ النهار يسوق الليل * والليل اذ يسوق النهارا
لرايناهما بمر حثيث * يطويان الاعمار والآثارا

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التفكر نصف العبادة والجوع العبادة وعن عون بن عبد الله قال قلت لابى الدرداء اى عبادة ابى الدرداء كان افضل قال التفكر والاعتبار ويروى ان ام ابى ذر سئلت عن عبادة ابى ذر قالت كان نهاره اجمع فى ناحية يتفكر فهذا الذى نبهنا عليه فيه كفاية لمن رزقه الله التفكر وبالله التوفيق * (الفصل الرابع) * فى ترتيب العبادة على الاوراد والاوقات اعلم ان الطريق الى الله تعالى مراقبة الاوقات وعماراتها باوراد العبادة على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب العباد الى الله تعالى الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة بذكر الله تعالى فلا تظنن المراد بسير الشمس والقمر على حساب معلوم وما خلق الله الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امر الدنيا بل ليتعرف بها مقادير الاوقات ليشتغل فيها بالطاعات والتجارة لدار الآخرة يدل على ذلك قوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اى يخلف احدهما الآخر فيتدارك ما فات فى الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر وبالله التوفيق فاما ترتيب الاوراد فى العبادة ففى النهار سبعة اوراد فمن بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ورد ومن طلوعها الى زوالها وردان ومن الزوال الى العصر وردان ومن العصر الى المغرب وردان وفى الليل اربعة اوراد من المغرب الى وقت النوم وردان ومن النصف الاخر الى الفجر وردان فاما الورد الاول من النهار فهو وقت شريف لقوله تعالى والصبح اذا تنفس واقسم به لفضيلته اما ترتيبه فاذا انتبه المريد للعبادة من نومه فينبغى ان يبدا بذكر الله فيقول الحمد لله الذى احيانا بعدما اماتنا واليه

النشور الى آخر الدعاء الذى ذكرناه قبل هذا وينوى بلبس ثوبه
ستر عورته ثم يقضى حاجة الانسان ممتثلا لآدابها ومجتنبا
للمناهى الواردة فيها ثم يستاك ان قدر على ذلك وليتوضا ممتثلا
للسنن والآداب فيه ثم يركع ركعتى الفجر فى بيته اقتداء بالنبى
صلى الله عليه وسلم ثم يخرج الى المسجد داعيا فى طريقه بالدعاء
المتقدم قبل هذا ويمشى وعليه السكينة والوقار ويدخل المسجد
مقدما رجله اليمنى داعيا كما تقدم ثم يقف فى الصف الاول
ان وجد متسعا ولا يزاحم ولا يتخطى رقاب الناس ثم يصلى
ركعتى التحية للمسجد ان صلى ركعتى الفجر فى بيته والا فليصلهما
ثم يدعو منتظرا للجماعة ولا ينبغى ان يدع الصلاة فى الجماعة
عامة وفى الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل والمستحب
التغليس فى الفجر اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وفى حديث انس
عنه صلى الله عليه وسلم قال فى صلاة الصبح من توضأ ثم توجه
الى المسجد يصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحيت
عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا انصرف بعد ما صلى عند
طلوع الشمس كتبت له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة
مبرورة وان جلس حتى يركع كتبت له بكل ركعة الف الف حسنة
ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة وكان عادة
السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر وقد روى ان ابا هريرة قال
لرجل دخل المسجد قبل الفجر ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا
فى المسجد فى هذه الساعة بمنزلة غزوة فى سبيل الله ثم ينبغى ان
يشتغل الانسان بعد ركعتى الفجر بالتسبيح والدعاء والاستغفار
الى ان تقام الصلاة فيقول استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى

القيوم واسئله التوبة سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا
آدابها ظاهرا وباطنا في الصلاة والقدوة فاذا فرغ منها قعد
في المسجد الى طلوع الشمس يذكر الله تعالى وقد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لان اقعد في مجلس اذكر الله تعالى فيه
من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الى من ان اعتق اربع
رقاب وقد قيل انه كذلك يفعل وروي في فضل ذلك ما لا يحصى
وقال فيما يرويه عن الله تعالى يا ابن آدم اذكرني بعد الفجر ساعة
ومن بعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما وينبغي ان لا
يتكلم ويشتغل بالدعاء وذكر الله وقراءة القرآن وينبغي ان
يكرر هذه الكلمات العشر فقد ورد في تكريرها فضائل يطول
ذكرها فالاولى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل
شئ قدير الثانية سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الثالثة سبوح قدوس
رب الملائكة والروح والرابعة سبحان الله العظيم وبحمده
الخامسة استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو واسئله التوبة
السادسة اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معط لما منعت ولا
ينفع ذا الجد منك الجد السابعة لا اله الا الله الملك الحق
المبين الثامنة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض
ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة اللهم صل على محمد
وعلى من صلح من آل محمد عبدك ورسولك النبي الامي العاشرة
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اني اعوذ

بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذه
العشر كلمات اذا كرر كل واحدة منها عشر مرات حصل
له مائة وهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة لان لكل
واحدة من هذه الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحدة
نوع تنبيه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة
نوع استراحة واما الدعاء فيدعو بما قدر عليه من الادعية
المأثورة المتقدمة واما القراءة فيستحب له ان يقرا
جملة من الآيات منها سورة الحمد وقل اللهم مالك الملك
الآيتين وقوله لقد جاءكم رسول الآية وقوله لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقل الحمد لله الذي لم
يتخذ ولدا الخ وخمس آيات من اول الحديد وثلاثا من آخر
سورة الحشر وقل هو الله احد والمعوذتين وقل يا ايها
الكافرون وآية الكرسي كل واحدة من هذه السور يقراها
سبعا وان اضاف اليها غيرها من القرآن فحسن وبالجملة
فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر
كما تقدم فضل ذلك وقد اقتصر اصحابنا في ذلك على
قراءة القرآن وقد قال عليه السلام افضل عبادة امتي قراءة
القرآن وينبغي له التفكر ايض كما تقدم فيما ينفعه من المعاملة
بينه وبين ربه وان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره
وليحضر في قلبه النيات الصالحات في اعماله وليتفكر في
نعم الله تعالى ليكثر شكره عليها وينبغي له ان يتخذ الشيطان
مجنا وهو الصوم ليضيق به مجاري الشيطان الصارف له
عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الفجر الا ركعتي الفجر

وفرض الصبح الى الطلوع وكان عليه السلام واصحابه يشتغلون فيه
بالاذكار فهو الاولى والورد الثانى ما بين طلوع الشمس الى ضحوة
النهار اعنى بالضحوة انتصاف ما بين الطلوع الى الزوال وذلك
مقدار ثلاث ساعات او ما شاء الله فله فيه وظيفتان احدهما
صلاة الضحى والاولى فيها ان يصلى ركعتين اذا ارتفعت الشمس
مقدار رمح وهو المراد بالاشراق فى قوله يسبحن بالعشى والاشراق
لان الصلاة تقع عند انقضاء وقت الكراهية اذ قال عليه السلام
ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها
فيصلى اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت
الاقدام بحر الشمس كما روى انه عليه السلام خرج على اصحابه
وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلا صوته الا ان صلاة
الاوابين اذا رمضت الفصال والوظيفة الثانية فى هذا الوقت
ينبغى له ان يشتغل بنوع من الخيرات اما تشييع جنازة او عيادة
مريض او اعانة على بر وتقوى او حضور مجلس علم او ما يجرى مجراه
من قضاء حاجة مسلم او اشتغال بكسب معاش ان كان تاجرا
فبصدق وامانة وان كان صانعا فبنصح واتقان وكذا ما اشبه
هذا من وجوه المكاسب ولا ينبغى ان ينسى ذكر الله فى جميع اشغاله
فمهما حصلت له الكفاية فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته
وقد قيل لا يوجد المؤمن الا فى ثلاثة مواطن مسجد يعمره او بيت
يستره او حاجة لا بد له منها وقل ما يعرف الانسان ما لا بد له
منه لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون
اليه فيجمعون ما لا ياكلون ويزعمون انه لا بد لهم منه والله
يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه الورد الثالث

من ضحوة النهار الى الزوال فينبغى له ان يشتغل فيه بما تقدم من
وجوه الخير مع ما لا بد منه من كسب المعاش ثم ينبغى له ان لا يغفل
عن القيلولة فهى سنة يستعين بها على قيام الليل كما يستعين
بالسحور على صوم النهار فان كان لا يقوم الليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل
بخير فالنوم احب اليه من مخالطة اهله للغفلة اذ فى النوم الصمت
والسلامة وقد قيل يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل
اعمالهم فان لم ينم واشتغل باعمال الخير فذلك افضل اعمال النهار وفضل
ذلك الوقت كفضل احياء الليل لانه وقت غفلة الناس ثم اذا نام
فينبغى ان ينتبه قبل وقت الزوال ليستعد بالوضوء للصلاة والله
اعلم الورد الرابع ما بين الزوال الى الفراغ من صلاة الظهر فاذا استعد
فلينصت لفراغ المؤذن وجوابه وليصل اربع ركعات قيل يفصل
بينهما بالسلام وقيل لا يفصل اذ صلاها النبى عليه السلام وقال
احب ان يرفع لى فيها عمل ثم يصلى الظهر ثم يصلى ركعتين ثم اربعا اذ
كره ابن مسعود ان تتبع الفريضة بمثلها ثم يجمع بين التسبيح والذكر
والدعاء كما تقدم الورد الخامس ما بعد ذلك الى العصر يستحب فيه
العكوف فى المسجد مشغولا بالذكر او بالصلاة او بفنون الخير من التعلم
والتعليم او الوعظ فان كان بيته اسلم لدينه فالبيت افضل فى حقه ويكره
النوم فيه لمن نام قبل الزوال اذ تكره نومتان فى النهار ولكن لما كان النوم
غذاء الروح كان لا بد من استيفاء حقه بالليل او بالنهار وليراع الاعتدال
لان اقلاله ربما يفضى الى اضطراب البدن الا ان يتعود السهر تدريجا
فقد تمرن النفس عليه من غير اضطراب الورد السادس دخول صلاة
العصر وهو العشىّ الذى اقسم الله به فى قوله تعالى والعصر ان الانسان
لفى خسر وليس فى هذا الورد الا اربع ركعات بين الاذانين ثم يصلى العصر

ويشتغل بالاقسام المذكورة في الورد الاول الورد السابع اذا
اصفرت الشمس وترى صفرة في ضوءها فيستحب فيه التسبيح
والاستغفار كما تقدم لقوله واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك
بالعشي والابكار فجميع ماذكرنا طريق الى الله تعالى وفي الخبر
الايمان ثلاث وثلاثون طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل
الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الانبياء
فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك للطريق فالناس وان اختلفت
طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط فاقربهم الى الله اعرفهم به واعبدهم
له واحب الاعمال الى الله ادومها وان قل كما ورد في الحديث وقد
قال عليه السلام من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله
وسئلت عائشة عن عمله عليه السلام فقالت كان عمله ديمة
ويستحب ان يقرأ عند الغروب والشمس والليل والمعوذتين ولتغرب
الشمس وهو في الاستغفار واذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال
ليلك الدعاء كما تقدم وقد انتهت اوراد النهار فينبغي ان يحاسب
نفسه ولا يغفل والله اعلم بيان اوراد الليل وهي خمسة
الاول اذا غربت الشمس فانه يصلي المغرب وركعتين
بعدها يقرأ فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله
احد ويصليهما عقيب المغرب من غير ان يتكلم بينهما
ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق
ما تيسر له وعن عائشة عنه عليه السلام قال
افضل الصلوات عند الله تعالى صلاة المغرب
لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم
بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعده ركعتين

بنى الله له قصرين فى الجنة ومن صلى بعدها اربع ركعات
غفر الله له ذنب عشرين او قال اربعين سنة وفى حديث آخر من
صلى بعد المغرب ست ركعات عدلت له عبادة سنة وكانه صلى
ليلة القدر وعنه عليه السلام قال من عكف نفسه ما بين المغرب
والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او بقرآن كان حقا على
الله ان يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام
ويغرس له بينهما غروسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال
من صلى بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين وقال
الاسود ما اتيت ابن مسعود فى هذا الوقت الا ورايته يصلى ويقال
فيه نزل تتجافى جنوبهم عن المضاجع الورد الثانى دخول وقت
العشاء الى وقت نومة الناس وهو استحكام الظلام ينبغى
ان يراعى فيه ثلاثة امور الاول ان يصلى سوى فرض العشاء
عشر ركعات اربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا
بعد الفرض ركعتين ثم اربعا يستحب ان يقرا فيهن آخر البقرة
وآية الكرسى واول الحديد وغيرها الثانى ان يصلى ثلاث عشرة
ركعة احداهن الوتر فانه اكثر ما روى ان النبى عليه السلام
صلاه من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم اول الليل والاقوياء
من آخره والحزم التقدم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام
الا اذا كان له ذلك عادة فآخر الليل افضل ثم يقرا فى هذه الركعات
ما كان يكثر قراءته عليه السلام مثل يس والسجدة ولقمان وسورة
الدخان وتبارك الملك والواقعة والزمر ويروى انه كان يقرا
المسبحات كل ليلة ويقال فيها آية افضل من الف آية وفى خبر آخر
انه يقرا فى ركعات الوتر سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون

فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاثا الثالث الوتر فليوتر ان لم يكن عادته القيام والا فآخر الليل افضل اذ قال عليه السلام صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بواحدة الورد الثالث النوم ولا باس ان يعد من الاوراد اذا احسنت فيه النية لانه قيل اذا نام العبد على طهارة ذاكرا الله عز وجل فانه يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فاذا تحرك وذكر الله استغفر له الملك ودعا له وقال معاذ لابى موسى الاشعرى كيف تصنع فى قيام الليل قال اقوم الليل اجمع واتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكنى انام ثم اقوم فاحتسب فى نومتى ما احتسب فى قومتى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك وآداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال عليه السلام اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هو المؤثر فى كشف حجب الغيب الثانى ان يعد طهوره وسواكه عند راسه وينوى القيام للعبادة عند التيقظ فكلما انتبه استاك كذلك عادة السلف ويقال ان النبى عليه السلام يستاك مرارا عند نومه وان لم تمكنه الطهارة فليمسح اعضاءه بالماء فقيل يستحب ذلك وان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فذلك يستحب وقال عليه السلام من اتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى الثالث ان لا يبيت الا ووصيته عنده مكتوبة فانه لا يامن من القبض فى النوم ويقال ان من مات من غير وصية

لم يؤذن له في الكلام في البرزخ الى يوم القيامة فتتزاور الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية الرابع ان ينام تائبا سليم القلب لجميع المسلمين وعن النبي عليه السلام قال من آوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا يحقد على احد غفر الله له ما اجترم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفراش وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نعود وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم ومن لم تسمح نفسه فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلفه الا اذا قصد به الاستعانة على القيام آخر الليل فقد كان السلف الاصفياء نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا كانوا قليلا من الليل ما يهجعون السابع ان ينام مستقبل القبلة وذلك على وجهين اما مستلقيا على قفاه واما على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة كاستقبال اللحد الثامن الدعاء كما تقدم قبل هذا ويستحب ان يقرا الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة والهكم اله واحد الآية يقال ان من قراه عند النوم يحفظ عليه القرآن فلا ينساه ويقرا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الآية وقل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخر بني اسرائيل يقال انه يدخل في شعاره ملك موكل يحفظه ويستغفر له ويقرا المعوذتين في يديه ويمسح بهما وجهه وجسده روي ذلك من فعل النبي عليه السلام وليقرا عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي يقول ما ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرا الآيتين من سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد

لله ولا إله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات مائة مرة التاسع ان يتذكر عند النوم نوع وفات والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فكما ان المستيقظ يشاهد احوالا لاتناسب احواله فى النوم كذلك المبعوث يرى ما لا يخطر بباله ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان يا بنى ان كنت تشك فى الموت فلا تنم كما انك تنام فكذلك تموت وان كنت تشك فى البعث فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك فيحق على العبد ان يفتش عن قلبه على ما ذا ينام اما الغالب على قلبه حب الله ولقاءه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفاه على ما هو الغالب عليه ويحشره على ما يتوفاه فان المرء مع من احب وما احب العاشر الدعاء عند تقلبا ته بما كان عليه السلام يقوله وذلك لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يرد على قلبه عند النوم ذكر الله فهو اول ما يرد على قلبه عند التيقظ فهو علامة الحب ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب نفسه فانها علامة تكشف عن باطن القلب فاذا استيقظ قال الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الدعاء المتقدم الورد الرابع يدخل بمضى النصف الاول من الليل الى ان يبقى سدسه وبه اقسم الله تعالى والليل اذا سجى وفى هذا الوقت لا تبقى عين الا وهى نائمة الا الحى القيوم وسئل النبى عليه السلام اى الليل اسمع فقال جوفه وقال داود

عليه السلام الهي اني احب ان اتعبد اليك فاى وقت افضل
فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام
اوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل
حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوايجك وسئل النبي عليه السلام
اى الليل افضل قال نصف الليل الغابر يعني الباقي وقال ركعتان
يركعهما العبد في جوف الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها
ولولا ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وعنه عليه السلام قال
ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسئل الله تعالى خيرا
الا اعطاه اياه وقال يا ابا هريرة اتريد ان تكون نعمة الله عليك
حيا ومقبورا ومبعوثا فقم من الليل فصل وانت تريد رضى ربك
يا ابا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور
الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال عليكم بقيام الليل فانه
دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله وتكفير للذنوب ومطردة
للداء عن الجسد ومنهات عن الاثم وقال رحم الله رجلا قام من
الليل فصلى ثم ايقظ امرأته فصلت فان ابت نضح في وجهها
الماء وقال من استيقظ فايقظ امرأته وصليا ركعتين كتبا من
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال يوسف بن مهران بلغني ان
تحت العرش ملكا على صورة ديك براثينه من اللؤلؤ وصيصته من
زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحه فزقا
فقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحه وزقا
فقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحه وزقا فقال ليقم
المصلون فاذا اصبح ضرب بجناحه وزقا فقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم
ويروى ان الله تعالى قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا هو الذي لا ينتظر لقيامه

صياح الديك * فصل * اعلم ان قيام الليل عسير الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا اما الظاهرة فاربعة الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشراب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام الثاني ان لا يتعب نفسه بالنهار بالاعمال التي تعيا بها الجوارح فان ذلك مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سبب لتقليل النوم بالليل الرابع ان لا يكتسب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة فالذنوب كلها تقسي القلب وتمنع من قيام الليل ولاسيما اكل الحرام ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان الرجل لياكل اكلة او يفعل فعلة يحرم بها قيام سنة واما الميسرات الباطنة فاربعة الاول سلامة القلب من الحقد وفضول الدنيا فالمستغرق بهموم الدنيا لا يتسنا له القيام وان قام فلا يتفكر الا في مهماته وفي مثل ذلك قيل * وانت اذا استيقظت ايضا فنائم * الثاني خوف غالب في القلب مع قصر الامل كما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة طال شوقي فما اقدر ان انام ولذي النون *

منع القرآن بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها ان تهجعا
فهموا من الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذاك لكيما يخضعا

وقال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم بذلك رجاؤه وشوقه لثوابه فيهيجه الشوق وطلب المزيد رغبة في درجات الجنة وخوفا من النيران الرابع حب الله تعالى وهو اشرف البواعث له وذلك

من قوة الايمان فانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به
ربه واذا احب الله عزوجل احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بمناجاته
ولا ينبغي ان يستبعد هذا اذ يشهد له العقل والنقل اما العقل
فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او للملك بسبب انعامه كيف
يتلذذ بالخدمة له والخلوة به حتى لا ياتيه النوم والرجاء في حق الله
سبحانه اصدق وما وعده تعالى ابقى وانفع واما النقل فاكثر من
ان يحصى وقال بعض العلماء القدماء ان الله تعالى اوحى الى بعض
الصديقين ان لي عبادا يحبونني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق
اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم
احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال
يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب
الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل
واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم
وافترشوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا
الي بانعامي عليهم فهم بين صارخ وباك وبين متاوه وشاك
يعني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون
من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري في قلوبهم
فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية
لو كانت السموات السبع والارض في موازينهم
لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي
عليهم افترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم
احد ما اريد ان اعطيه وشكى بعض
المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة

تجلب النوم فقال استاذه ان لله عز وجل نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذي تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جوف الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وبالله التوفيق وهـذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر الوظيفة في هذين الوقتين الصلاة فاذا طلع الفجر انقطعت اوراد الليل ودخلت اوراد النهار فيقوم فيصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه وادبار النجوم ثم ليقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى اخرها فيقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت له به ملائكته واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم حطط عني بها وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك عليها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعبادة وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك اربعة امور صوما وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمعها كل يوم غفر له وفي رواية اخرى دخل الجنة وفي الخبر يصبح ابن ادم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني مفاصل جسده وهي ثلاث مائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك على الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله والله نسأله الفوز والتوفيق والعصمة من الخطا والزلل وصلى الله على سيدنا محمد سيد الاولين والاخرين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله ※

القنطرة الخامس عشرة قنطرة القوادح في الطاعات

وهما الرياء والعجب وماينشاء عنهما من مفسدات العبادة ومحبطات الطاعات وهذه القنطرة تحتوي على بابين وخمسة فصول الباب الاول في الرياء احذر يااخي على عملك مما يفسده عليك فان الرياء يحبط العمل كما يحبطه الشرك والمرائي ممقوت عند الله تعالى وقد شهدت بذلك الايات والاخبار والاثار اما الايات فقوله تعالى فويل للمصلين الى قوله الذين هم يراؤن وقوله والذين يمكرون السيات لهم عذاب شديد فحكي عن مجاهد انه قال هم اهل الرياء وقال تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل انهم عملوا اعمالا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيات وكان بعض العلماء اذا قرا هذه الاية قال ويل لاهل الرياء وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه الاية يقال انها نزلت فيمن طلب الاجر والثناء بعمله ويقال نزلت في رجل كان اذا صلى وصام اوتصدق فذكر بخير ارتاح لذلك وزاد في عمله لمقالة الناس واما الاخبار فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخوف ما اخاف على امتي الشرك الاصغر قيل وما هو قال الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جازى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وسأله رجل فقال يارسول الله فيم النجاة قال ان لايعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وفي الحديث عنه عليه السلام ان الله تعالى يقول انا اغنى الشركاء عن الشركة فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركته له كله فاني لا اقبل الا ما كان خالصا لي وقيل ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة اذا التمس ثواب عمله الم نوسع لك في المجالس الم تكن الرؤس في الدنيا الم يرخص بيعك وشراءك الم تكرم وما اشبه هذا وعن النبي

عليه السلام ان الجنة تكلمت فقالت انا حرام على كل بخيل ومرائي وعن
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال ان اول ما يدعى يوم القيامة
للحساب رجل قد جمع القران ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال
فيقول الله تعالى للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسلي فيقول بلى يارب
فيقول ما عملت فيما علمت فيقول يارب قمت به اناء الليل واطراف
النهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله بل اردت
ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الم
اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى يارب فيقول
ما عملت فيما اتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت
وتقول الملائكة كذبت فيقول الله بل اردت ان يقال فلان سخي فقد
قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول ما فعلت فيقول
امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت
وتقول الملائكة كذبت فيقول الله بل اردت ان يقال فلان جريء
فقد قيل ذلك قال ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي
ابي هريرة فقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم فان
عليه السلام انهم لم يتوبوا وان رياهم هو الذي احبط اعمالهم وعن
ابن عمر قال قال عليه السلام من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله
به وقال عليه السلام استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو
يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين وقال عيسى
عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته
ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف
عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم
الرزق وقال عليه السلام لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء

وقال عمر لمعاذ بن جبل ورآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي عليه السلام يقول ان ادنى الرياء شرك وقال عليه السلام اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهذا ايماء الى خفايا الرياء وقال عليه السلام ان المرائي ينادى عليه باربعة اسماء يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وعن شداد بن اوس قال رايت النبي عليه السلام يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال عليه السلام لما خلق الله الارض مادت باهلها فاوتدها بالجبال فقالت الملائكة ما خلق الله ربنا خلقا اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء فاطفأ النار فامر الريح فركدت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسال الله فقالت يا رب ما اشد من خلقت من خلقك فقال الله لم اخلق شيئا اشد من ابن آدم حين تصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلقا خلقته وروي ان رجلا قال لمعاذ رحمه الله حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظن الرجل انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله قال يا معاذ قلت له لبيك يا رسول الله بابي انت وامي قال اني لاحدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبع ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حيث اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا اطلعت به الى سماء الدنيا ذكرته فكثرته فيقول

الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان
لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل
صالح من اعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري
انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال فتصعد الحفظة بعمل العبد
يبتهج له نور من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيجاوزون
به الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه اني ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان
يتكبر على الناس في مجالسهم قال فتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر
كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة
حتى يجاوزوا بها الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك بها قفوا واضربوا
بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله
يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال
وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السماء الخامسة كانه
العروسة المزفوفة الى زوجها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان
يحسد الناس ومن يتعلم ويعمل بمثل عمله فكل من كان ياخذ فضلا من
العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى
غيري وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام
فيجاوزون الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله -
اصابه بلاء او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع

عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس ومعه ثلاثة املاك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصوتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى فتشيعه ملائكة السموات حتى يقفوا بين يدي الله تعالى ويشهدوا له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ فكيف النجاة مما ذكرت قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في الناس وعن اخوانك من حملة القران واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا والاخرة ولا تمزق عرض المسلمين فتمزقك كلاب النار يوم القيامة

في النار قال الله والناشطات نشطا اتدري ما هن يا معاذ قلت ماهي بابي انت وامي قال كلاب النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي وامي يا رسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رايت اكثر تلاوة القران من معاذ حذرا مما في هذا الحديث والله تعالى اعلم واما الاثار فروي عن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا يطاطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلب قال وراى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به وجه الله ومحمدة الناس قال لا شيء لك فساله ثلاثا كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الشركاء عن الشركة وسال رجل ابن المسيب فقال احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويؤجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقال هذا لله وللرحم فان الله لا شريك له والاثار في هذا كثيرة تركتها حبا للاختصار

الفصل الاول في بيان حقيقة الرياء

اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع واصله طلب المنزلة في قلوب الناس باراءتهم خصال الخير فالمرائي هو العابد والمرائى هم الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمرائى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها ويخصص ذلك

في خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهي البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكل اهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال غير الطاعة اهون من الرياء بالطاعة فيرائي اهل الدين والدنيا بابدانهم واموالهم واعمالهم وزيهم في بدانهم ولباسهم فاما رياء اهل الدين ببدنهم فيرائي العبد بالنحول واصفرار اللون ليوهم الناس انه شديد الاجتهاد وبالخوف والحزن وضعف الصوت وغور العيون وذبول الشفاه اعلاما للناس بذلك انه صائم فالنحول دليل على قلة الغذاء وكثرة الاحزان والاصفرار دليل على قيام الليل وليس هذا رياء على الحقيقة وانما هذا تسميع بلسان الحال لا بلسان المقال واما رياء اهل الدنيا بالابدان فسمنها وحسنها وصفاء الوانها واما رياء اهل الدين بالزيّ فبشعث الرؤس وحلق الشوارب واستيطال الشعر او وفره اظهارًا لكونه متابعا للرسول في زيه وكذلك غلظ الثياب واثار السجود وتشمير القمص وقصر الاكمام وخصف النعال وحذوها على زي اهل الدين ومن هؤلاء من يؤثر حمد اهل الدين والدنيا ليحمده الفريقان فينفق عندهم ليصل الى اغراضه منهم فيلبس الثياب الحسان لينفق عند اهل الدنيا ويقصر اكمامها ويشمر ذيولها لينفق عند اهل الدين وكذلك يلبس النعال الخشان محذوة على نعال اهل الدين ويبالغ في جودة الثياب ليتقرب من السلاطين زعم انه انما يتقرب اليهم لقضاء حوائج المسلمين ومنهم من يتصنع بالطاعة لينفق عند المسلمين والمخالفين ومن هؤلاء من لو اعطى من الاموال الخطيرة ما اعطى لما خرج عن زيه الذي عرف به لئلا يقال خرج من الاقتداء بنبيه عليه السلام واما الرياء بالاقوال فيرائي اهل الدين بالنطق بالحكم واقامة الحجج عند اهل المنازل

وبالحفظ للحديث واقوال المختلفين وذكر الله بالالسن والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتضعيف الصوت عند رد الجواب وتحسينه ورفعه عند القراءة والتاوه عندها ليدل بذلك على المخافة ويرائي اهل الدنيا بالنطق بالطاعة وغيرها من الفصاحة عند المحاورة وحسن الصوت وانشاد الشعر والنحو والغريب واللغة وكان السلف اذا اجتمعوا يكرهون ان يذكر الرجل احسن ما عنده واما الرياء بالاعمال فيرائي اهل الدين بطول الصلاة وتحسين ركوعها وسجودها وبالصوم والغزو والحج وطول الصمت وبذل الاموال واطعام الطعام والاخبات في المشي اذا لقي الناس بارخاء الجفون وتنكيس الرؤس والتثبت عند السؤال ومنهم من يمشي سريعا فاذا اطلع عليه اهل الدين مشى مشية اهل الدين فاذا جاوزهم عاد الى ما كان عليه ويرائي اهل الدنيا بصحبة اهل الدين من العلماء والعباد ليقال فلان يمشي الى فلان العالم او العابد ويصحبه ويتردد اليه اما لينفق عند الملوك او ليولى القضاء او ليستشهد او يستودع او يوصى اليه فيخون الامانة والله اعلم

الفصل الثاني في مراتب نفي الرياء

من مختصر الرعاية قال للشيطان في الرياء ثلاثة احوال احدها ان يخطر الرياء والثانية ان يزينه للعبد والثالثة ان يدعوه اليه ويحثه عليه بعد ان يحببه اليه فاسعد الناس من يدفع الخطرة عن قلبه ويليه الذي يدفعها بعد تحسينه له ويليه الذي لا يتماطاه بعد حث الشيطان عليه ودعائه اليه وهذا جار في جميع المعاصي قال ويندفع دعاء الشيطان الى الرياء والى جميع انواع المعاصي بشيئين احدهما كراهة المعصية والرياء والثاني الامتناع مما كرهه وانما تحصل الكراهية بتذكر ما في تلك المعصية من سخط الله وبما ذكرناه من مضار الدارين

فان الله تعالى جبل الانسان على محبة ما ينفعه وكراهية ما يضره وخلق
النفس ميالة الى ما ينفعها غافلة عما يضرها والشيطان عون لها على
ذلك وخلق العقل ليدفع اعظم الضررين بادناهما ويقدم اعلا النفعين
على ادناهما فالشرع هو المعرف للضرر والنفع والعقل كالبصر لايرى النفع
والضرر الا فى نور الشرع كما ان البصر لايرى الحسن والقبيح الا فى نور
واذا زين الشيطان المعصية وحببها الى النفس امتلا القلب بحبها
فنسى العبد ما كان عزم عليه من الطاعة والاخلاص فيغفل عما فى
الفعل من مضرته فى دينه ودنياه وانما ينقطع ذلك باستجلاب التذكر
لما فى الذنب من المفاسد التى تزيد على ما فى الشهوة من المصالح فاذا علم
ما فى طاعة الشهوة من الضرر العظيم كرهتها النفس حينئذ لانها مجبولة
على دفع اعظم الضررين بالتزام اخفهما ولاشك ان ضرر الذنوب
فى الدنيا والاخرة اعظم من ضرر فوات شهوة فانية فاذا اطلعت
النفس على ذلك صارت مع العقل فغلب جند الرحمن جند الشيطان
اذ لايتصور فى العادة ان يتذكر العبد ما فى الطاعة والاخلاص من
مصالح الدنيا والاخرة وما فى الرياء والمعصية من مفاسد الدنيا
والاخرة ثم يقدم على الرياء والعصيان مع علمه بما فيهما من فوات
المصالح وحصول المفاسد والذى يضعف دواعى الرياء يذكر الانسان
الايات والاخبار المتقدمة وما يحرمه الله من توفيقه واصلاح
قلبه ومقته تعالى له على ذلك اذا اطلع على قلبه وهو معتمد للرياء
ويحبط عمله ويحرم ثواب الاخرة ويعاقبه اذا تحبب الى العباد بما
يبغضه عند الله ويزين لهم بما يشينه عنده ويقرب اليهم بما يبعده
مع انهم لايملكون له نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا مع
ان رضاهم غاية لاتدرك فقد يرضى بعضهم ما يسخط الاخرين

مع انه يجهل ما يصلح له من المنزلة فى قلوبهم وما ينا له من منافعهم ولا يامن ان يطلعهم الله تعالى على رياءه فيمقتونه ويحرمونه ويضرونه ولا ينفعونه فيخسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فاذا تحقق ماذكرناه وواظب عليه اضمحل دينه ورياءه شيئا شيئا ويندرج اليه الاخلاص شيئا شيئا الى ان يصير من المخلصين فـائدة فاذا اخطر الشيطان قلبه الرياء فى شيء من الطاعات كالصلاة مثلا فلا يلتفت اليه ولا يشتغل به فتنقص صلاته ولكن يزيد فى تحسينها باحضار الخشوع واتمام الركوع والسجود ارغاما للشيطان وكذلك سائر الطاعات فـائدة اخرى اعلم ان الشيطان يدعوا اولا الى ترك الطاعة فان اطاعه الانسان وتركها فهو مراده وان لم يطعه دعاه الى الرياء بها فان اطاعه ابطلها عليه وان لم يطعه اوهمه ان ترك العمل خيفة الرياء اخلاص فاعلم انه كاذب فى ايهامه اذ ليس ترك العمل من اجل الناس خوفا من المرائاتهم اخلاصا انما الاخلاص ايقاع الطاعة خالصة لله تعالى دون الناس فلا يترك الانسان الطاعة لاجل ماذكرنا عن الشيطان فان عارضه فى اثناء الطاعة وقال له انك مراء فلا يتركها لكن يزيد فيها ويحسنها ولا يشتغل به وبالله العون والتوفيق

الفصل الثالث فى الاخلاص

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الاية وقال الا لله الدين الخالص وقال النبى عليه السلام ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم منها اخلاص العمل لله تعالى وقال انما نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وقال عليه السلام يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من احببت من عبادى وقال لمعاذ من اخلص العمل لله اربعين

يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ويقال كتب بعضهم الى
اخ له اخلص النية فى اعمالك يكفك القليل منها وقال بعض العلماء
فى اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز فالعلم بذر والعمل
زرع وماءه الاخلاص ويقال مراد الله تعالى من عمل الخلق الاخلاص
وقال الحسن ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا
فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال بعض العلماء الامر
كله يرجع الى اصلين فعل من الله لك وفعل منك له فارض بما فعل
واخلص فيما تفعل فاذا فعلت بهذين فزت فى الدارين مسئلة
واختلفت اقوال العلماء فى معنى الاخلاص فقيل معناه ان يكون
سكون العبد وحركته لله خالصة وقال بعضهم الاخلاص فى العمل
ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه وقيل الاخلاص
تصفية العمل من الكدورات وقال المحاسبى هو اخراج الخلق
عن معاملة الرب وقيل دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها
وقيل سئل النبى عليه السلام عن الاخلاص فقال ان تقول ربى
الله ثم تستقيم كما امرت فهذا هو الاخلاص حقا وقال بعض العلماء
اجمع الفقهاء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم
بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق
لله فى الاعمال وطيب المطعم والله اعلم مسئلة والاخلاص
معناه ان يريد الله تعالى بطاعته ولا يريد بها سواه وله اقسام
احدها ان يريد الخلاص من العقاب والثانى ان يريد الفوز
بالثواب والثالث ان يريدهما جميعا والرابع ان يفعل ذلك حياء
من الله تعالى والخامس ان يفعل ذلك حبا لله تعالى من غير
ملاحظة ثواب ولا عقاب والسادس ان يفعل ذلك اجلالا لله

اى لا تعبد هواك ولا تعبد الا ربك وان تستقيم فى عبادته كما امرت صح

تعالى وتعظيما واما الرياء فهوان يريد الناس بطاعة الله سبحانه وهو ضربان احدهما ان لا يريد بتلك الطاعة الا الناس والثانى ان يريد الناس ورب الناس وهذا اخف الريائين لانه اقبل على الله من وجه وعلى الناس من وجه واما الاول فقد اعرض عن الله تعالى بالكلية وكلاهما محبط للعمل لقوله من عمل عملا اشرك فيه غيرى تركته لشريكى ولا يتصور شرك الرياء ممن عبد الله تعالى تعظيما واجلالا لان تعظيمه يمنعه من ان يعصيه بشرك الرياء وكذلك الحياء ايضا يمنعه وكذلك الحب مانع من عصيان المحبوب فيما يتقرب به اليه والله تعالى اعلم

الفصل الرابع فيما يورثه الرياء من الخصال المذمومة منها حب الرياسة والمباهاة بالعلم والعمل والتفاخر بالدين والدنيا ومحبة العلو والتكاثر بالمال وغيره من الدنيا وبالعلم والعمل والتحاسد عليهما من غير منافسة بل خوفا ان ينال من يحاسده مثل منزلته والجهد بما لم ينله ولم يفعله ورد الخلق عن غيره من العلماء اليه لئلا يقال هو اعلم منه وحب الغلبة فى المناظرة وترك تعلم ما لا يستغنى عنه وحب التعظيم والاجلال له وتسخير العباد والاحتقار لهم وان لا يرد عليه شيء من اقواله وافعاله وان لا يساوى فى العلم بامثاله وان يصر على الخطا كى لا تنكسر رياسته وان وعظ عنف وان وعظ انف والمبادرة بالجواب حين يسال هو او غيره يريد بذلك ان يعلو عليه وامثال هذا مما يطول بها وبشرحها الكتاب

(الفصل الخامس فى اظهار العمل للاقتداء)

وله حالان احدهما ان يكون ممن لا يقتدى به فلا يظهر شيئا من اعماله التى هى تطوع لانه لا يامن على الرياء ولا يثق بالاقتداء واما الفرائض فيجب عليه اظهارها لئلا يساء به الظن او يتبرا منه واما ان كان

ممن يقتدى به فان كان ذلك العمل من اعمال العلانية كالجهاد والحج
وغيرهما وامن من الرياء فله اجران اجر العمل واجر النسبة الى الاقتداء
لان الدال على الخير كفاعله وقد ورد فى الخبر ان عمل العلانية يضاعف
سبعين ضعفا اذا كان اظهاره على نية الاقتداء كما ان اسراره خوفا
من الرياء يضاعف سبعين ضعفا واما ان عمل الطاعة فاخبر بها
الناس فان كان ذلك ليعظم عند الناس فهذا مسمع وفى الخبر من
سمع سمع الله به وان اخبر بها ليقتدى به فان كان ممن يقتدى به فلا
باس وقد حكى فعل ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين الذين
يقتدى بهم باقوالهم وافعالهم وان كان لا يقتدى به فلا يتحدث
بشىء من ذلك مخافة التسميع والتصنع للناس وبالله التوفيق

الباب الثانى فى العجب واسبابه

اعلم ان العجب قادح فى العمل مهلك لصاحبه وهو آفة المتعبدين
من الاولين والاخرين وافته اعظم من افات الذنوب لان الذنوب
ربما انتبه العبد فتاب منها والمعجب لا يكاد يتوب اعاذنا الله تعالى
منه وقد قال النبى عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه وقال عليه السلام النادم ينتظر التوبة
والمعجب ينتظر المقت وقال لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو
اكبر من ذلك العجب العجب وقال عليه السلام لو ان عبدا قدم على الله
باعمال اهل السموات واهل الارض من انواع البر والتقوى لم يزن
ذلك عند الله مثقال ذرة مع ثلاث خصال الاعجاب واذى
المسلمين والقنوط من الرحمة وعن ابن مسعود رحمه الله قال
الهلاك فى اثنين القنوط والعجب وصدق رحمه الله لانه اذا اعجب
زكى نفسه ولم يتهمها وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم قيل لا تبرءوها

وعن مطرف بن عبد الله قال لان ابيت قائما فاصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما فاصبح معجبا وعن عيسى عليه السلام قال كم من سراج قد اطفاته الريح وكم من عابد افسده العجب فدل ما ذكرنا على ان العجب مفسد للطاعات وهو من اكبر الافات على المتعبدين لان من اعجب بعمله لم ير لنفسه ذنبا فيتوب منه فيفضي به ذلك الى العزة والتكبر على العباد حتى يصير المعجب كان له منة على الله تعالى لاستعظامه اعماله وكذلك يمن على العباد بما يسديه اليهم من معروفه واحسانه في زعمه فما اجدره بان يحبط الله سبحانه عمله باعجابه ويكله الى نفسه وبالله التوفيق * (فصل في اسباب العجب) *

اعلم يا اخي وفقك الله ان سبب العجب استعظام واستكثار لما فيك من خير وعلم وعمل بزعمك فاما العلم فمعرفة الكتب والسنة واجماع الامة ويقع الاعجاب ايضا بالراي للصواب وهو القياس الصحيح ويقع ايضا بالراي للخطا وهو القياس الفاسد وهو خطا من وجوه احدها زيغه عن الحق والثاني فرحه بالباطل والثالث انه تعجب بما لا يجوز اعجابه والعجب فرحه بالنفس باضافة العمل اليها وحمدها عليه مع نسيان ان الله تعالى هو المنعم به عليه والمتفضل بالتوفيق له واما اذا فرح بذلك لكونه منة من الله عليه واستعظمه لما يرجو عليه من ثواب الله عز وجل ولم يضف ذلك الى نفسه ولم يحمدها عليه فليس بمعجب قال بعض العلماء وكذلك اذا علمت ان كل نعمة من الله تعالى ثم استعظمت شيئا من اعمالك ناسيا غافلا عن كونه من الله تعالى ومن نفسك غير حامد لنفسك عليه فلست بمعجب ولو احضرت كونه نعمة من الله تعالى كان ذلك افضل قال لان الفرح بنسبة النعمة الى الله تعالى مامورا به في كتاب الله تعالى

قال عزوجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وانما الشر
والاعجاب فى نسبة تلك النعمة الى النفس ونسيان كونها من الله
تعالى فما اجدر من فعل ذلك ان يكله الله تعالى الى نفسه كما فعل
تعالى باصحاب نبيه عليه السلام يوم حنين اذا عجبتهم كثرتهم
فنسبوا النصر الى الكثرة ونسوا نسبته الى الله فخذلوا وانهزموا مع
انهم خير خلق الله تعالى وقد يؤدى العجبُ الى الادلال على الله تعالى
وهو ان يرى العبد انه له عند الله قدرا عظيما قد استحقه واستحقّ
الثواب عليه مع الآمن من عقاب الله تعالى وليس رجاء المغفرة
مع الخوف من الله تعالى ادلالا وللادلال علامات منها ان يناجى
ربه بادلاله عليه بعمله ومنها ان يستنكر ان ينزل به بلاء ومنها
ان يستنكر ان ينصر عليه غيرَه او تردّ دعوته مع كونه عاملا بالعمل
الذى استعظمه حتى حمله على العجب والادلال فما اجهل المدل
على الله تعالى بعلمه او بعمله كيف يدل على ربه لان انعامه عليه
واحسانه اليه والشكر لربه على نعمه اولىٰ به من الادلال عليه ❊
والشكر على النعم من جملة النعم ولذلك قيل ضاحك معترف بذنبه
خير من باك مدل على ربه والله تعالى يقول ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال سيد الاولين
والاخرين ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته فـائدة لا يقع العجب الا
لصفة كمال او ما يعتقد انه صفة كمال فمن اخطا فى اعتقاده او
فى مسئلة فرع من الفروع فانما اعجبَ من جهة ظن انه على الصواب
فاعجبَ بصوابه اذ لا يصح الاعجاب الا بما يعلم او يظن انه من
باب السرور وما فرح اهل البدع بخطاياهم الا لاعتقادهم انهم مصيبون

وقد ذم الله فرحهم فى قوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم كل حزب بما لديهم فرحون فصل فيما ينفى الاعجاب بالعلم والعمل والراى والصواب ينفى ذلك باستحضارك ان الذى وفقك للعمل انما هو الله عز وجل وان النفس لا صنع لها فى ذلك وان من الخطا ان تنسب الخير الى من لا تعرفه الا بالشر وتقطعه عن من له الامر كله وان النعم كلها من الله فاذا لاحظت ذلك وداومت عليه ارتفع عنك العجب فان عدت الى الاعجاب ونسيت رب الارباب فعاودها بالدواء الذى قلت لك فصل فيما ينفى به الاعجاب بالراى الخطا فاعلم ان الخطا ليس بنعمة حتى يقع به الاعجاب وانما هو بلية يتوهم انها نعمة من الله تعالى فيعجب بها وطريق نفى العجب به ان يعلم انه من جملة بنى ادم وان بنى ادم اخطؤا فى كثير من الفروع والاصول واعجبوا بالخطا بائهم ظنا منهم انه صواب وهو بشر مثلهم يجوز عليه ما جاز عليهم ومما الحق والصواب موجود فى الكتاب والسنة فمن ذلك ما هو محكم ظاهر لا يقع فيه خطا ومنه ما هو متشابه قابل للخطا والصواب فيجب عليه ان يتوقف فيه وانه لا يجزم براى حتى يقف على دليل شرعى يعتمد على مثله فان لم يقف على دليل يرشده الى مراد الله ورسوله من ذلك المتشابه فليسال العلماء فان اوقفوه على المعتمد عليه قبله منهم والا امن بالمتشابه حتى يقف على دليل شرعى موجب لتاويل المتشابه لان على العامة الايمان بالمتشابه ورد معناه الى العلماء وقد يقع الاعجاب بالاعمال بناء على عزمه وحزمه وما جربه من نفسه ناسيا منة ربه ومضيفا له الى نفسه الامارة بالسوء فصل فيما يقع به الاعجاب من الاسباب الدنيوية فمن ذلك اعجاب المرء بحسن صورته ناسيا النعمة الله عليه فى ذلك حتى ربما حمله حسن

صورته على الفجور وينفي ذلك بنظره في بدء خلقه وانه خلق من نطفة
قذرة وفيما يتقلب فيه من الاقذار وبما يصير اليه من سيلان
صديده ونتنه وتغير صورته وقبح رائحته وينظر في تضييعه واجب
شكر ربه وانه متعرض لسخطه ودخول النار المغيرة لحسن صورته
ومن ذلك الاعجاب بالقوة والاتكال عليها دون خالقها كما قالت
عاد من اشد منا قوة ونفي العجب بذلك ان يعلم انها نعمة من الله ابتلاه الله
بها هل يطيعه فيها او يعصيه وانه تعالى قادر ان يسلبها منه فيصبح
اضعف خلق الله ومن ذلك العجب بالعقل والذهن والفطنة
باستحسان ذلك والاتكال عليه ان يدري به من امور دينه ودنياه
ما لا يصل اليه غيره ناسيا لانعام الله تعالى به عليه والتوكل عليه
في ذلك كله وقد يحمله ذلك على الجدال بالباطل واستصغار علم العلماء
وعملهم من البر والخير مع تضييعه هو العمل بذلك اجتزاء منه بفهمه
وفطنته وينفي ذلك بان يعلم ان ذلك نعمة من الله انعم بها عليه ليؤكد
بها الحجة عليه اكثر من غيره وانه لا يامن ان يسلبه ذلك كما فعل بغيره
وكيف ينفعه فهمه اذا كان غيره اطوع لله منه فما اغنى عنهم سمعهم
ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء الاية ومن ذلك العجب بالحسب
وهو ان يتعظم بنسبه الى من عظم الله قدره في الدين بالعلم والرسالة
والنبوة ناسيا لانعام الله عليه وتحقيرا لعباد الله سبحانه وازله
الحق عليهم وقد يعتقد احدهم انه ينجو بغير عمل مع فجوره ونفي العجب
بذلك بان يعده من نعم الله عليه وان الاحساب لا تجلب شيئا من
الثواب ولا تدفع شيئا من العذاب وان اكرم الناس عند الله تعالى
اتقاهم له وان النبي عليه السلام قال لابنته فاطمة وعمته صفية
لا اغني عنكما من الله شيئا وان يعلم ان اسلافه الذين يفتخر بهم انما

شرفوا بطاعة الله سبحانه واجتناب معصيته ولا يغتر بما روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفاعة لبنى عبد المطلب فانه
لا يشفع فى احد من ذوى الاحساب وغيرهم الا من ارتضى منهم فهو
وغيره ممن لا حسب له سواء وقد يبلغ الحمق باحدهم بان يعجب بالانتماء
الى اكابر مشركى العرب المخلدين فى النار واحمق من هؤلاء من يعجب
بالانتماء الى الملوك المشركين من غير العرب استعظاما لقدرهم ونسيانا
لما صاروا اليه من العذاب ونفى العجب بذلك ان يعلم ان سطوتهم
وبال عليهم من الله تعالى ومنهم من يعجب بكثرة عدد اولاده ومماليكه
وعشائره واصحابه ويتكل عليهم دون ربه وقد يحمله ذلك على ان
يسطو على من عانده اعتمادا عليهم ونفى العجب من ذلك ان يعلم ان
النصر من الله وان النصرة لا تغنى شيئا كما لم تغن كثرة اصحاب النبى
عليه السلام يوم حنين شيئا مع انهم خير عصابة على وجه
الارض وان كثرة عدده ومدده لا تغنى عنه يوم القيامة يوم يفر
المرء من اخيه وامه وابيه شيئا ومنهم من يعجب بكثرة الاموال
فيفتخر بها على الفقراء وينفى عجبه بذلك ان يعلم ان الاموال فتنة
ومحنة ابتلى الله بها العبد وان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
وان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة وان غنى قارون كان
سببا لهلاكه وان الله عافى الفقراء من التعرض لهذه الفتنة
وخلصهم من هذه المحنة وبالله التوفيق فصل فى الكبر
قال الله تعالى ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه عن ابن عباس
قال عظمة لم يبلغوها وقال ابن جريج علوا فى الارض وتعظيما
وقال تعالى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر وقال كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار وعن كعب قال يحشر المتكبرون يوم القيامة

امثال الذر فی صور الرجال یغشاهم الذل من کل مکان حتی یسلکوا
فی نار الانیار یسقون من طینة الخبال عصارة اهل النار وعن النبی
علیه السلام قال یقول الله عز وجل الکبریاء ردائی والعظمة ازاری
فمن نازعنی واحدا منهما القیته فی ناری وعن کعب الاحبار قال ما من
عبد الا وفی راسه حکمة بید ملك فان تواضع رفعه الله وقال انتعش
نعشك الله وان تکبر وضعه الله وقال اتضع وضعك الله وعن
عیسی علیه السلام قال ان الزرع ینبت فی السهل ولا ینبت علی الصفا
فکذلك الحکمة تعمر فی قلب المتواضع ولا تعمر فی قلب المتکبر الا ترون
انه من شمخ راسه الی السقف شجه ومن تطاطا اظله والایات
والاخبار والاثار فی ذم الکبر کثیرة ترکتها حبا للاختصار فصل
والکبر معناه ان یتعاظم الانسان علی غیره انفة واحتقارا واخلاق
الکبر کلها تسمی کبرا وقد تکون من الحقد والحسد والریاء والعجب
لان اوله فی القلب استعظام القدر فاذا استعظم العبد قدره تعظم
فاذا تعظم انف وتعزز وافتخر واستطال ومرح واختال فالتکبر التعظم
وله اسباب من جملتها العجب وهو اکثرها ولذلك یطلق الکبر علی
العجب لانه مسبب عنه ویقال الفرق بین الکبر والعجب اما فی الدین
فقد یعجب بعمله فیحمد نفسه وینسی منة ربه بذلك ولا یتکبر علی احد
وربما اخرجه العجب الی ان یری انه خیر من غیره فیحقره ویانف منه
فیکون حینئذ متکبرا معجبا واما بامر الدنیا فقد یعجب بجماله وماله
وقوته ولا یتکبر وقلیلا ما ینفرد العجب بالدنیا دون ان یخرج صاحبه
الی الکبر والمرح والخیلاء الا تری الی قول النبی علیه السلام بینما
رجل یتبختر فی بردین له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته
فهو یتجلجل فیها الی یوم القیامة فوصفه علیه السلام بالعجب

فى تبختره وخيلائه وللكبر اقسام منها الكبر عن بعض طاعة الله ومنها
الكبر عن مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها الكبر عن عباد الله
وهو ان يرى انه خير منهم فيحقرهم فلا يقبل الحق منهم واصله كما
قدمنا التعظيم على الناس ورد للحق مع العلم به ويحقق ذلك قول النبى
عليه السلام حين قال ثابت بن شماس اوغيره يا رسول الله انى امرؤ
قد حبب الىّ الجمال افمن الكبر هو قال لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمط
الناس وفى حديث اخر من سفه الحق وغمص الناس يعنى حقرهم
فائدة قال بعض العلماء قلّ ان يخلو عالم او عابد او عارف عن نوع
من الكبر ولكن قد تخلو قواه عن آثار الكبر فان تكبر بقلبه لم يحمله
ذلك على رد الحق وعلى شىء من افعال الجوارح المذمومة وقد جاء
عن حذيفة رضى الله عنه انه ترك امامة قومه لان نفسه حدثته
انه افضل منهم فيما قال واستاذن عمر رضى الله عنه امام قوم
ان يدعو بدعوات بعد الصلاة فمنعه خوفا عليه من الكبر وقال
اخاف ان ينتفخ حتى يبلغ الثريا فصل قال الغزالى فى كتابه او
غيره فان قيل فهل سوى العجب والرياء من قادح فى العمل قيل
له اجل ان فيه لقوادح سواهما لكن خصصناهما بالذكر لانهما
الاصل الذى يدور عليهما معظم الباب وقد قال بعض المشايخ
ان حق العبد ان يتحفظ فى العمل من عشرة اشياء النفاق والرياء
والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة والتهاون
وخوف ملامة الناس ثم ذكر ضد كل خصلة منها واضرارها
بالعمل فضد النفاق اخلاص العمل وضد التخليط التفريد وضد
المن تسليم العمل لله وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة
تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير

وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية واعلم
ان النفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والاذى يحبطان
الصدقة فى الوقت وعند بعضهم يبطلان اضعافها واما الندامة
فانها تحبط العمل فى قول بعضهم جميعا والعجب يذهب اضعاف
العمل والحسرة وخوف الملامة والتهاون تخفف الاعمال فتذهب
رزانته فصل اعلم ان هذه القوادح المتقدمة من الرياء والعجب
واسبابهما قد اجتمعت فيهن ثلاثة امور الغبن الشديد والخطر
العظيم الاول ان الامر دقيق جدًّا فان مجارى الرياء والعجب فى
الاعمال دقيقة خفية على الناقد البصير فى امر الدين فكيف للجاهل
الغافل النؤم ويحكى ان عطاء السلمى نسج ثوبا فحسنه جدا فعرضه
على البزاز فاسترخصه وقال ان فيها عيوبا كيت وكيت فاخذه عطاء
وجلس يبكى بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك فاعتذر اليه وجعل
يبذل له فى ثمنه ما يريد فقال عطاء ليس ذلك مما تظن انما انا
عامل فى هذه الصناعة وقد اجتهدت فى تحسين هذا الثوب
حتى لا يوجد فيه عيب فلما عرض على البصير بعيوبه اظهر فيه عيوبا
كنت غافلا عنها فكيف باعمالنا هذه اذا عرضت على الله غدًا كم
يبدو فيها من العيوب والنقصان الذى نحن اليوم عنه غافلون
وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة فى وقت السحر فى غرفة لى شارعة
اقرا سورة طه فلما ان ختمتها غفوت غفوة فرايت شخصًا نزل من
السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا
تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رايت
مكانها محوًا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرات هذه الكلمة
ولا ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قراتها

وكتبناها الا انا سمعنا مناديا من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها
فمحوناها فبكيت فى منامى وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت
بها صوتك لاجله فذهب ثوابها واما الغبن الشديد فان الرياء والعجب
افة تقع فى لحظة فربما تفسد عليك عبادة سبعين سنة وحكى
ان رجلا اضاف سفيان الثورى واصحابه فقال لاصحابه هاتوا
الطبق الذى اتيت به فى الحجة الاولى بل الذى اتيت به فى الحجة الثانية
فنظر اليه سفيان وقال مسكين قد افسد عليه بهذا حجتيه ووجه
اخر من الغبن ان اقل طاعة سلمت من هذا الرياء والعجب يكون لها
من الله تعالى ما لا قيمة لها ولا نهاية وعن علي قال لا يقل عمل البتة
وكيف يقل عمل مقبول وسئل النخعى عن من عمل كذا وكذا ما ثوابه
قال اذا قبل لا يحصى ثوابه ولمثل هذا المعنى وقع نظر اولى الابصار
من العباد فى مثل هذه الدقائق فاهتموا بمعرفتها ثم رعايتها ثم
التحفظ عنها ولم تغنهم كثرة الاعمال فى الظاهر وقالوا الشان فى
الصفوة لا فى الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من الف خرزة *
واما الذين قل علمهم فى هذا الباب وقل نظرهم جهلوا المعانى
واغفلوا ما فى القلوب من العيوب واشتغلوا باتعاب النفوس
فى الركوع والسجود وغير ذلك ولم ينظروا ما فيها من المخ والصفوة
وما يغنى عدد الجوز ولا لب فيها وما يغنى رفع السقوف ولم تحكم
مبانيها وما يعقل هذه الحقائق الا العالمون بالله المكاشفون
والله تعالى نسئله الهداية واما الخطر العظيم فان عظمه من
وجوه احدها ان ملك لا نهاية لعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا تحصى
وبدن معيوب بتعيب جملة خفية وموف بافات كثيرة وامر مخوف
فان وقع ذلك مع تسارع النفس اليه فيحتاج ان يستخرج عملا صافيا

من بدن معيوب ونفس امارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وكثرة اياديه ومننه ويقع موقع الرضى والقبول فيه فيفوتك الربح العظيم الذي لاتتسع النفس بفوته بل ربما تصيبك فيه مصيبة لاطاقة لك بها وهذا والله شان عظيم وخطب جسيم اما جلال الله وعظمته فان الملائكة يتعبدون له بانواع العبادة الليل والنهار الى نفخة الصور فينادون باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك واما النعم فكما قال وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها وعلى ما روى انه يحشر الناس على ثلاثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم فقابلوا الحسنات بالنعم فلا يؤتى بحسنة الا اوتي بنعمة حتى تتم الحسنات وتبقى الذنوب والسيئات والامر المخوف ان العبد يعمل سبعين سنة غافلا عن عيوبه فربما لايكون واحد منها مقبولا وربما يتعبد اعواما فيفسد بساعة واحدة واعظم خطرا من هذا كله ربما ينظر الله الى العبد يراءى بعمله وخدمته العباد دونه فيطرده طرد الامر دله والعياذ بالله تعالى ولما كان الامر في الدقة والصعوبة الى هذا الحد من الخطر نظر اولوا الابصار فخافوا على انفسهم حتى قال بعضهم ما ظهر من اعمالي لا اعده شيئا وقال الآخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك وروى عن بعضهم انه كان يقول اني اعلم اني ما عملت من الطاعات غير مقبولة عند الله تعالى فقيل له في ذلك فاجاب اني اعلم ما يحتاج اليه الفعل حتى يكون مقبولا واعلم اني لست اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة قيل له فلم تفعلها قال ان يصلحني الله تعالى يوما فتكون النفس متعودة لفعل الخير فلا احتاج ان اعودها ذلك من الراس فهذه احوال اهل المجاهدات وينشد

فانظر لنفسك صحبة مع غيرهم . وقع الاياس وخابت الامال

هيهات تدرك بالتوانى سادة كدّوا النفوس وساعدا الاقبال .

فاعتصم يا اخى بمولاك ذى العظمة والكمال والزم الباب بالتضرع * والابتهال والبكاء اناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين ان وجدتهم من عباد الله الخاشعين فانه لانجاة من هذا الامر الا برحمته ولاسلامة من هذا البحر الا بعنايته فتنبه من رقدة الغافلين وجاهد نفسك فى هذه القنطرة المخوفة لعلك لاتهلك مع الهالكين فنسال الله تعالى ان يتغمدنا برحمته انه ارحم الراحمين فانه لاحول ولاقوة الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على نبينا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

القنطرة السادسة عشرة

قنطرة الحمد والشكر فعليك وفقك الله لطاعته بلزوم الحمد والشكر لله على اياديه ونعمته فان الشكر زيادة فى النعم وامان من الغير ودوام لايادى الله واحسانه اليك وقد امر الله تعالى به عباده فقال اذكرونى اذكركم واشكروالى ولاتكفرون وقال كلوا من طيبات مارزقناكم وقال كلوا ممارزقكم الله واشكروا لله فى امثالها من الايات ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين ابليس فى اكثر الخلق فقال ولاتجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقطع تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم وهو خلق من اخلاق الربوبية قال تعالى والله شكور حليم وجعله مفتاح كلام اهل الجنة فقال عنهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقال تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين وعن النبى عليه السلام قال المؤمن الذى يغلب الحلال

شكره والحرام صبره وقال عليه السلام خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا ومن لم تكونا فيه لم يكتبه شاكرا ولا صابرا من نظر في دينه الى من هو فوقه فاقتدى به ونظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه وروى عنه انه قال لا تنظروا الى من فوقكم وانظروا الى من دونكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وروى عنه انه قال يحاسب ابن آدم يوم القيامة بكل نعمة انعمها الله عليه ويسال عن شكرها غير اربع خبز ياكله وماء قراح يشربه وثوب يوارى به عورته وبيت يسكن فيه من الحر والبرد فما اعطى فضلا عن هذا حوسب به وسئل عن شكره وعن ابن عباس في قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال اما الظاهرة فالاسلام وما حسن من خلقك وافضل عليك في الرزق واما الباطنة فما ستر عليك من الذنوب والعيوب قال وسمع رجل رجلا يقول الحمد لله على نعمة الاسلام فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة وقال سفيان لما جاء البشير يعقوب بيوسف عليه السلام قال على اى دين تركته قال على الاسلام قال الحمد لله الآن تمت النعمة وروى عن كعب قال ما انعم الله على عبد في الدنيا نعمة فشكرها الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الاخرة وما انعم الله على عبد نعمة فلم يشكرها الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له بها طبقا في النار وقال النبي عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وعن وهب بن منبه قال داود يا رب ابن آدم ليس منه شعرة الا تحتها وفوقها منك نعمة فمن اين يكافئها بما اعطيته فاوحى الله اليه يا داود اني اعطى الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمني وعن النبي

صلى الله عليه وسلم قال ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فيقومون
زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين
يشكرون الله على كل حال وفى لفظ أخر على السراء والضراء وقال الحمد
رداء الرحمن ويقال ان الله تعالى اوحى الى ايوب عليه السلام انى
رضيت بالشكر مكافاة من اوليائى فى كلام طويل واوحى الله اليه
فى صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر
وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم ويروى انه لما نزل فى الكنوز
ما نزل قال عمر رضى الله عنه فاىّ المال نتخذ قال النبى عليه السلام
ليتخذن احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر به بدلا من المال وقال
ابن مسعود الشكر نصف الايمان وقال عمر بن عبد العزيز تذاكروا النعم
فان ذكرها شكر وكان مطرف بن عبد الله يقول الهى منك تكون النعمة
وعليك تمامها وانت تعين على شكرها وعليك ثوابها وقال بعضهم الشكر
قيد النعمة ومفتاح المزيد وثمن الجنة وقيل موضع الشكر من النعمة
موضع القرى من الضيف ان وجده لم يرم وان عدمه لم يقم وقال
بعضهم اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعمة اذا
كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وان شكر زيادة من المنعم وامان من
الفقر ويروى ان داود عليه السلام بينما هو فى محرابه اذ مرت به دودة
فتفكر فى خلقها فقال ما يعبا الله عز وجل بخلق هذه فانطقها الله
فقالت يا داود اتعجبك نفسك لانا على قدر ما اتانى الله عز وجل اذكر
لله واشكر له منك ويروى عن الحسن بن على انه التزم الركن فقال الهى
نعمتنى فلم تجدنى شاكرا وابتليتنى فلم تجدنى صابرا فلا انت سلبت النعمة
بترك الشكر ولا انت ادمت الشدة بترك الصبر الهى ما يكون من الكريم
الا الكرم ولا من الجافى الا الجفا وعن على قال لا تكن ممن يعجز عن شكر ما اوتى

ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويامر الناس بما لا ياتي يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ولا يدعها في طول حياته وقال حاتم الاصم يصبح الناس كل يوم على ثلاث فرق فرقة طردوا من باب الخالق وفرقة طردوا من خدمته ولم يطردوا عن بابه وفرقة اكرموا بخدمته فالواجب على الشاكرين ان يقولوا الحمد لله الذي لم يجعلنا من المطرودين من بابه وهم الكفار ولا من المطرودين من خدمته وهم الفساق وجعلنا من المكرمين بخدمته وهم اهل المشاهدة وقال سفيان قال لي جعفر بن محمد اذا جاءك ما تحب فاكثر الحمد واذا جاءك ما تكره فاكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله واذا استبطات الرزق فاكثر من الاستغفار قال سفيان فانتفعت بهذه الموعظة

فصل فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر وما معناهما وحكمهما فاعلم انه ذكر الغزالي في كتابه فقال ان العلماء فرقوا بينهما عند التحصيل فان الحمد من اشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة والشكر من اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة ولان الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم وصدق قال الله تعالى عن سليمان عليه السلام ليبلوني ءاشكر ام اكفر وقال القائل في الحمد وضده

واعلم بان الضيف يرحل سوف يحمدا ويلوم

قال ولان الحمد اعم والشكر اخص فثبت انهما معنيان متميزان قال ثم ان الحمد الثناء على احد بالفعل الحسن قال واما الشكر فتكلموا في معناه فعن ابن عباس قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية وقال بعضهم في تفسير قول الله تعالى اعملوا ال داود شكرا قال الصلاة شكر وكل عمل يعمل لله فهو شكر والصوم شكر وافضل الشكر الحمد وقال بعضهم الشكر الاحتراس عن اختيار

معاصي الله تحترس على قلبك ولسانك واركانك حتى لا تعصي الله بشيء
من هذه الثلاثة بوجه من هذه الوجوه قال والتحصيل ان الشكر من
العبد تعظيم يمنع من جفاء من احسن اليه قال وذلك بتذكر احسانه
وحسن حال الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه قال ان اقل
ما يستوجبه المنعم بنعمته الا يتوصل بها الى معصيته وما اقبح حال
من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه قال فعلى العبد اذا من فرض
الشكر في حقيقته ان يكون له من تعظيم الله سبحانه ما يحول بينه
وبين معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك فقد اتى بما هو
الاصل فيه قال ثم يقابل ذلك بجد في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة
اذ هو من حقوق النعم ولا بد من الاحتراس عن المعصية وبالله التوفيق
فصل اعلم ان الشكر لله على النعمة من الله تعالى لا يقدر عليه لاكي
اذا تحقق ذلك لان الشكر على النعم انما يكون بتوفيق الله تعالى فالتوفيق
نعمة اخرى يستحق به الله تعالى عليه الشكر فيتسلسل ذلك الى ما لا
نهاية له كما قال الحسن يا ابن ادم متى تنفك من شكر النعم وانت مرتهن
بها كلما شكرت نعمة تجد ذلك بالشكر اعظم منها عليك فانت لا تنفك
بالشكر من نعمة الا الى ما هو اعظم منها وانشدوا

اذا كان شكري نعمة الله نعمة . عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بمنه . وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مسّ بالسراء عمّ سرورها . وان مسّ بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة . تضيق بها الاوهام والبر والبحر

وفي مثل هذا قال داود يا رب فكيف اشكرك وانت الذي تنعم عليّ
ثم رزقتني على النعمة الشكر النعمة منك والشكر منك فكيف اطيق شكرك
فاوحى الله اليه الآن عرفتني حق معرفتي وشكرتني وفي مثل هذا روي

عن موسى عليه السلام قال يارب كيف استطاع ادم ان يؤدى شكر ما صنعت اليه خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك فقال ياموسى علم ان ذلك منى فحمدنى عليه فكان ذلك شكر ما صنعت وانشد لابى العتاهية

احمد الله وهو المحمنى للحمد على الحمد والمزيد لديه .
كم زمان بكيت فيه فلما . صرت فى غيره بكيت عليه .
ولمحمد بن حازم الله احمد شاكرا . فبلاؤه حسن جميل
اصبحت مسرورا معا . فابين انعمه اجول . خلوا من الاحزان . زخف الظهر تقنعنى القليل . حرا فلا من لمخلوق على ولا سبيل
وينشد للبيد

ان تقوى ربنا خير نفل . وباذن الله ريثى وعجل
احمد الله فلا ند له . بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى . ناعم البال ومن شاء اضل

ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان يقول الحمد لله الذى من نطق سمع نطقه ومن صمت علم ما نفسه ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه مصيره انا الفقير الذى اغنيت والجائع الذى اشبعت والعارى الذى كسوت والراجل الذى حملت والخائف الذى امنت الحمد لله رب العالمين اللهم انك خلقتنى كيف شئت فارحمنى كيف شئت ووفقنى لطاعتك حتى تكون ثقتى كلها بك وخوفى كله منك وسرعتى كلها اليك اللهم حبب الى الخير كحبى له يوم ارى ثوابه وابغض الى الشر كبغضى له يوم ارى عقابه فان القوم الذين رحمتهم كانت رحمتك لهم قبل طاعتهم لك وقد قلت رحمتى وسعت كل شئ فلتسعنى رحمتك يا ارحم الراحمين ويروى ان دانيال عليه السلام لما جاءه ارميا عليه السلام

وهو في سجن بخت نصر قال دانيال من ارسلك الىّ قال الله تعالى قال دانيال اوقد ذكرني قال نعم قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من رجاه والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا عند سوء الظن باعمالنا والحمد لله الذي هو رجاءنا حين ينقطع الرجاء **فصل** اعلم ان الشكر يستفيد به الشاكر خصلتين احدهما دوام النعمة لان الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فالشكر قيد النعمة به تدوم وبتركه تزول قال النبي عليه السلام ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر وقال عز وجل فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الاية وقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم والخصلة الثانية حصول الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال والذين اهتدوا زادهم هدى وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الاية والسيد الحكيم اذا راى العبد قد قام بحق نعمة انعم عليه اخرى ويراه اهلا لها والا قطع ذلك عنه ثم النعم قسمان دنيويه ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع هي ما اعطاك الله من المصالح والمنافع وهي نوعان الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع ان صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان احدهما في النفس بان سلمك من بعض زماناتها وسائر افاتها والثاني دفع ما يلحقك من ضر انواع العلاقق ويقصدك بسوء من انس او جن وسباع وهوام ونحوها واما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق للاسلام والسنة والطاعة

والثانى نعمة العصمة من الشرك والكفر والبدعة والضلالة وسائر المعاصى وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العليم الذى انعم عليك بها كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه النعم كلها والزيادة عليها من كل باب منها ما لا يبلغه وهمك فكلها متعلق بشئ واحد وهو الشكر والحمد لله فالخصلة التى تكون لها هذه القيمة ويكون لها كل هذه الفائدة لحقيق ان يتمسك بها فانه جوهر ثمين وكيمياء عزيز والله ولى التوفيق بفضله فصل فان قيل فما موضع الشكر فاعلم ان موضعه هو النعم الدينية والدنيوية على اقدارهما واما الشدائد والمصائب فى الدنيا فى نفس او اهل او مال فتكلمت العلماء فى ذلك هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد عليها من حيث هى وانما يجب فيها الصبر واما الشكر فانما هو على النعمة لا غير قالوا ولا شدة الا وفى جنبها نعم الله تعالى فيلزم الشكر على تلك النعم المقرونة بها دون نفس الشدة وتلك النعم هو ما قاله ابن عمر ما ابتليت ببلية الا كان لله تعالى علىّ فيها اربع نعم اذ لم تكن فى دينى واذ لم تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضى واذ رجوت الثواب عليها وقيل ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة زائلة غير دائمة * وانها من الله تعالى وان كانت بسبب مخلوق فانها لك عليه لا له عليك فاذا يلزم العبد الشكر على النعم المقترنة بالشدة قال وقال آخرون وهو الاولى ان شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها لانها نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض للعبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة تتلاشى فى جنبها مشقة هذه الشدائد واى نعمة تكون اكبر من هذه ومثال ذلك كمن يسقيك دواء مرا كريها او يفصدك او يحجمك لعلة عظيمة فيؤدى ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن

وصفوة العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء وجراحة الفصد والحجامة
نعمة بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان كان فى صورته مكروها ينفر منه
الطبع وتستوحش منه النفس وانت تحمد الذى تولى منك ذلك بل تحسن
اليه ما امكنك فكذلك حكم هذه الشدائد الا ترى ان النبى صلى الله عليه
وسلم كيف حمد الله وشكره على الشدائد كشكره على المسار حيث قال
الحمد لله على ما ساء وسرّ وقد قال الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وقال فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه الله
خيرا كثيرا فهو اكثر مما يبلغه وهمك والله اعلم فصــــل فان قلت
فالشاكر افضل ام الصابر فاعلم انه قيل ان الشاكر افضل بدليل قوله
تعالى وقليل من عبادى الشكور فجعلهم اخص الخواص وقال فى نوح
عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال فى ابراهيم عليه السلام شاكرا
لانعمه ولانه فى منزلة الانعام والعافية ولذلك قيل لان انعم فاشكر احب
الىّ من ان ابتلى فاصبر وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون
اعظم ثوابا وارفع منزلة وقال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد وقال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال والله يحب الصابرين قال
الغزالى الشاكر بالحقيقة لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون
الا شاكرا لان الشاكر فى دار المحنة لا يخلو من محنة يصبر عليها لا محالة
ولا يجزع والصابر لا يخلو من نعمة كما ذكرنا فى الشدائد انها نعم على الحقيقة
على ما تقدم فانه شكر على الحقيقة اذ صبر لانه حبس نفسه عن الجزع.
تعظيما لله تعالى وهذا هو الشكر بعينه اذ هو تعظيم يمنع من العصيان
ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فيصبر على المعصية وحمل على نفسه
الشكر والطاعة فصار بصبره على الطاعة صابرا على الحقيقة والصابر
عظم الله حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه وحمله على الصبر فقد

شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس النفس عن الكفران مع قصد النفس لها شدة يصبر عليها الشاكرون وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابرون فاحدهما لا ينفك عن الاخر ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا وبالله التوفيق

فصل فعليك يا اخي ببذل المجهود في قطع هذه القنطرة اليسيرة المؤنة الكبيرة القدر العظيمة النافع وتامل اصلين احدهما ان النعمة انما تعطى لمن يعرف قدرها وذلك هو الشاكر لها دليل ذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار والرد عليهم حين قالوا للمؤمنين على طريق الانكار والاستهزاء ما بال هؤلاء الفقراء من العبيد والاحرار اعطوا نعمة الاسلام بزعمهم دوننا وذلك قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا فاجابهم الله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين ظنوا انما يعطي النعمة العظيمة اكثرهم مالا واعظمهم حسبا ونسبا فاجابهم الله تعالى بما تقدم وتحرير الكلام ان السيد الكريم انما يعطي نعمته لمن عرف قدرها وهو الذي اقبل بنفسه وقلبه على مراعاتها ولا يعبأ بالمشقة في تحصيلها وكان في علمنا السابق ان هؤلاء الضعفاء هم القائمون بشكرها فكانوا اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم ولا جاهكم فانتم تظنون النعمة انما هي الدنيا وحطامها وعلو الاحساب والانساب لا الدين والحق معرفته وانما تعظمون ما ذكرنا من الاموال والانساب اولا ترون انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين الا بمنة على من اتاكم به وذلك لاستحقاركم اياه وان هؤلاء الضعفاء قبلوه وبذلوا مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم من الدنيا ولا

بمن عاداهم لمعرفتهم بقدر هذه النعمة نعمة الدين ورسوخ
تعظيمها فى قلوبهم فاستغرقوا العمر فى اداء شكرها فلذلك
استحقوا نعمة الدين فى سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم
فهذه هذه قال الغزالى وكذلك كل من خص بعلم او عبادة
فانك تجده اعرف الناس بقدر ذلك واشدهم تعظيما له
واجدهم فى تحصيله واقومهم بشكره والمحروم ذلك انما حرمه
لقلة تعظيمه لحقه بعد القضاء السابق قال فلو كان تعظيم
العلم والعبادة فى قلوب السوقة والعامة مثل ما فى قلوب
العلماء والمتعبدين لما اثروا سوقهم عليهما الا ترى ان فقيها
اذا ظفر بتعليم مسئلة كانت عليه ملتبسة كيف يرتاح قلبه
ويعظم سروره بها حتى ربما لو وجد الف الف دينار لما كان
يعدل ذلك ثم ربما تبين مثل هذه المسئلة لسوقى او متعلم
كسلان يرى انه مثل ذلك الفقيه فى الرغبة فى العلم فلا يستمع
اليها حق الاستماع وربما طال عليه الكلام فيها فيملها وان
تبين له ذلك فلا يعده له بكبير امر قال وكذلك المنيب الى الله
تعالى كم يتضرع اليه عسى ان يرزقه ساعة مناجاة بصفوة
وحلاوة فاذا ظفر بها عد ذلك اكبر منة ونعمة فكم يسر بذلك
ويفرح ويشكر الله تعالى عليه ثم ترى الذى يزعم انه راغب
فى العبادة لا تسمح نفسه بترك نوم ليلة او ترك كلمة لا تعنيه
فى تحصيل مثل تلك العبادة وان اتفق له فى النادر حصول
عبادة فى صفوة فلا يعدها كبيرة فى نفسه ولا يعظم شكره
لله عليها انما يعظم سروره ويكثر فى الظاهر حمده اذا حصل
درهما او كسرة او طابت له مرقة او صحة بدن فيقول الحمد لله

فانى يساوى هؤلاء العاجزون باولئك المجدين الفائزين وكذلك
قسم الامر احكم الحاكمين وهو اعلم بالعالمين فهذا تفصيل قول الله تعالى
اليس الله باعلم بالشاكرين فتفهمه وارع حقه وابذل المجهود فى حق تعظيم
هذه النعمة ليمن الله عليك فى دوامها كما من عليك باعطائها اولا وبالله
التوفيق ـــ الاصل الثانى ان النعمة انما يسلبها الكفور الذى
لا يعرف قدرها ولا يؤدى شكرها وذلك قوله تعالى واتل عليهم نبا
الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية ثم قال ولو شئنا لرفعناه بها الى
اخر الاية تقدير الكلام انما انعمنا على هذا العبد بالنعم العظيمة فى باب
الدين بما مكناه من الرتبة الكبيرة ليكون رفيع القدر عندنا ولكنه جهل
قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الحقيرة فاثر شهوة نفسه الردية ولم يعلم
ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة فى ادنى نعمة من نعم الدين
فكان فى ذلك بمنزلة الكلب الذى لا يعرف الشرف والاكرام من
الاهانة والاحتقار انما الكرامة عنده فى كسرة يأكلها او عظم يرمى له
يتعرقه سواء عنده تقعده معك على السرير او تقيمه على التراب والقذر
بين يديك فهذا العبد السوء اذا جهل قدر كرامتنا فاثر عليها لذة
خسيسة ودنيا حقيرة نظرنا اليه بالعدل والسياسة فسلبناه كرامتنا
ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ غاويا من جميع فضلنا فصار كلبا طريدا
فنعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه بنا رؤف رحيم ثم افهم بمثال
ملك يكرم عبد اله فيخلع عليه خاصة ثيابه وجعله فوق جميع حجابه
فامره بملازمة بابه ثم امر ان تبنى له القصور وتوضع له الاسرة
وتنصب له الموائد وتزين له الجوارى وتقام له الغلمان فى بلدة اخرى
حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هنالك ملكا مخدوما مكرما وما بين
خدمته وذلك الملك الا ساعة من نهار او اقل فان انصرف هذا العبد

عن باب الملك يتبع سائسا للدواب ليأكل رغيفا أو كلبا يمضغ عظما واشتغل به عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه ولا يلتفت الى ما اعد له من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السائس ليأكل رغيفا معه او يزاحم الكلب على عظمه أليس الملك اذا نظر اليه على مثل هذه الحالة يقول ان هذا السفيه لم يعرف حق كرامتنا وقربنا مع ما اعددنا له من الذخائر ما هذا الا ساقط عظيم الجهل قليل التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذا اتبع الهوى بعد ما اكرمه الله بعبادته ومعرفة اياته وشريعته ثم لم يعرف قدر ذلك واثر عليه احقر الاشياء عند الله وكذلك من خصه الله تعالى بانواع توفيقه وعصمته وزينه بانوار خدمته ويديم النظر اليه بالرحمة فى اكثر اوقاته ويباهي به ملائكته وانزله منزلة الاعزة حتى صار بحيث لو دعاه لاجابه ولو شفع فى العالم لشفعه فيهم وارضاه ولو خطر بباله شئ لاعطاه قبل ان يسأله فمن كانت هذه حاله ثم لم يعرف قدر هذه النعم فعدل عنها الى شهوة نفس ردية او لعقة من دنياه دنية مع ما اعد الله له فى الآخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم فما اسوأه من عبد وما افحش صنعه فنسأل الله تعالى ان يصلحنا بسعة رحمته انه ارحم الراحمين

فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر النعمة فاذا انعم الله عليك بنعمة الدين فالتفت الى الدنيا فذلك منك تهاون بها اولاك الله من نعم الدين اما تسمع قوله لسيد المرسلين ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الاية تقديره ان كل من أوتي القرآن العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا فضلا عن ان يرغب فيها فيلزم الشكر على ما اعطى فانه الكرامة التي حرص عليها النبي عليه السلام ان يمن الله بها على عمه فلم يفعل وحرص عليها الخليل عليه السلام ان يمن بها على ابيه فلم يفعل واما

حطام الدنيا فانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وفاسق ويصرفه عن كل نبيء وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلق الله عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة ولا خرقة يمن عليهم بان لا يلحظهم بقدرها وقد قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الى قوله والاخرة عند ربك للمتقين فانظر الفرق بين الامرين وقل الحمد لله الذى من علي بمنن اوليائه واصفيائه وصرف عني فتنة اعدائه ولتخص بالحمد والشكر الاوفر النعمة العظمى التي هي نعمة الاسلام خصوصا وسائر النعم عموما فان كنت لم تعرف قدرها فاعلم يقينا انك لو خلقت من اول الدنيا واخذت في شكر الاسلام الى الابد لما كنت تقوم بذلك اما تسمع قوله لنبيه عليه السلام وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال لقوم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على نعمة الاسلام فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة واياك ان تغفل الشكر وتغتر بما انت عليه من الاسلام والمعرفة والتوفيق فان ذلك موضع الامن منك والغفلة فان الامور بالعواقب ويقال ما امن احد امن على دينه الا سلب ويقال لا تغتر بصفاء الاوقات فان تحتها غوامض الافات وينشد

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت . ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها . وعند صفو الليالي يحدث الكدر

والله نساله التوفيق والعون والهداية والطول انه ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

القنطرة السابعة عشرة

قنطرة الاجتهاد مخافة سوء الخاتمة وذكر الموت والقبر وما بعد ذلك من امور القيامة اعلم ان هذه القنطرة تحتوى على جملتين كل واحدة منهما تشتمل على فصول **الجملة الاولى** فى الاجتهاد والمراقبة والثانية فى ذكر الموت وما بعده من اهوال يوم القيامة

الجملة الاولى فى الاجتهاد والمراقبة قال الله تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله الاية وقال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وقال واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه وقال فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين الى قوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فعرف اولوا الالباب والابصار ان الله لهم بالمرصاد وانهم سيحاسبون على القليل والكثير والنقير والفتيل والقطمير من الحركات والسكون واللحظات وتحققوا انهم لا ينجيهم الا لزوم الاجتهاد والمجاهدات وصدق المراقبات ومطالبة النفس فى الانفاس والخطرات ومحاسبتها عند هواجس الفكرات عما صدر منها من السكنات والحركات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف فى يوم القيامة حسابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وقادته الى الخزى سيآته فلما انكشفت لهم هذه الحالة علموا انهم لا ينجيهم الا طاعة الله لا محالة وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا الاية فربطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة لها ثانيا- ثم بالمحاسبة لها ثالثا ثم بالمعاقبة رابعا ثم بالمجاهدة خامسا ثم بالمعاتبة

سادسا فكانت لهم في المرابطة ست مقامات فلنشرحها في ستة فصول
الفصل الاول في المشارطة وهذا تشبيه بمشارطة الشريك
لصاحبه في التجارة يشارطه اولا ثم يراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا
ويعاتبه رابعا ويقاسمه الربح خامسا فتجارة الاخرة يشترك فيها العقل
والنفس فمطلب العقل تزكية النفس اذ به فلاحها قال الله تعالى قد
افلح من زكاها الاية فيحتاج العقل ان يشارط النفس اولا ويرتب
عليها وظائف العبادات ويشترط عليها شروطا ويرشدها الى طريق
فلاحها ثم لا يغفل عن مراقبتها لانها امارة بالسوء في جميع اخلاقها
ثم بعد فراغها يحاسبها ويطالبها بالوفاء لما اشترط عليها وهذه التجارة
ربحها النجاة من العذاب الاليم ودخول الجنة في النعيم المقيم فحتم على
كل ذي حزم ولب امن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن النفس في
جميع حركاتها وسكناتها ويضيق عليها في لحظاتها وخطراتها فان كل
نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها
كنزا في الجنة لا ثمن له فيها فاذا صلى الصبح فينبغي ان يفرغ قلبه ساعة
لمشارطة النفس بان يقول يا نفسي ما لي بضاعة الا العمر فمهما ضيعته
ضاع راس المال وهذا اليوم جديد قد امهلني الله فيه ولو توفاني
لتمنيت ان يرجعني الى الدنيا لعلي اعمل صالحا وهب انك توفيت ثم
ارجعت فاياك ان تضيعي هذا اليوم والليلة فان كل ساعة منها
جوهرة لا قيمة لها فقد ورد انه ينشر للعبد في كل يوم وليلة اربعة
وعشرون خزانة مصفوفة يفتح له منها خزانة مملوءة نورا من حسناته
التي عملها فيها فيناله من الفرح والسرور ما لو فرق على اهل النار لادهشهم
عن الم النار ثم يفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة فيفوح نتنها ويغشاه
ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الفزع ما لو قسم

على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ثم تفتح له خزانة فارغة ليس فيها ما يسر
ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام او غفل او اشتغل فيها بشيء من
مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها تحسر العاجز على الربح الكثير والملك الكبير
حتى فاته وناهيك به خسارة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزائن اوقاته
طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي في تعمير خزائنك او قاتك بكنوزك التي
هي اسباب ملكك وهب ان الله قد عفا عنك اليس قد فاتك ثواب
المحسنين فهذه وظيفة نفسه في اوقاتها ثم يستانف اخرى في اعضائه
السبعة العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها
رعية خادمة للنفس وبها تتم اعمال هذه التجارة اما العين فحفظها
عن النظر الى عورة بالغ او محاسن امراة محرمة او نظر الى مسلم بعين الاحتقار
بل يحفظها عن كل فضول مستغنى عنها اذ يسال العبد عن فضول النظر كما
يسئل عن فضول الكلام ثم يستعملها في النظر الى عجائب الملكوت وفي
كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام وكتب الحكمة للاتعاظ *
والاستفادة وهكذا في كل عضو ولا سيما اللسان والفرج والبطن
واما اللسان فخفيف المؤنة في النطق عظيم الجناية وهل يكب الناس في
النار الا حصائد السنتهم فليحفظه عن محرمات الكلام من الكذب والغيبة
والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق وغيرها من المحرمات فيه والفضول
التي لا تعنيه وليشغله بالذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد
العباد الى الصلاح والامر والنهي والاصلاح بين الناس وغير ذلك
من انواع الخيرات وليشترط على نفسه الا يحرك اللسان طول النهار الا
بالخيرات وما يعنيه من المباحات اذ المؤمن نطقه ذكر وصمته فكر
ونظره عبرة واما الفرج فيستعين على حفظه بغض البصر واسبال
الثوب عليه وكسر شهوته بالصوم والتباعد عن مظنات التهم واما

البطن فيشترط عليه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال وترك الشبهات
والحرام فان خالف شيئا من ذلك عاقبه بالمنع عن شهوات البطن وهكذا
سائر الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء
ثم يستانف عليها وصيتها وشروطها كل يوم وليلة فان النفس بطبعها
متمردة وعن الطاعة نافرة ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكرها
فان الذكرى تنفع المؤمنين وهذه مشارطة النفس في اول امرها

الفصل الثاني في المراقبة

فان الانسان اذا اوصى نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا ينبغي له الا
مراقبتها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة في جميع
الاحوال فانها ان تركت مهملة طغت متمردة فلنذكر اولا لمعا من
فضيلة المراقبة قال الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
وسئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام عن الاحسان
فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال بعض
العلماء افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة ثم
المراقبة وسياسة عمله بالعلم وقال بعضهم اذا جلست الى الناس فكن
واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون
ظاهرك والله رقيب على باطنك ويحكى ان تلميذا لبعض المشايخ كان
يكرمه ويقدمه على شيوخ اصحابه فقيل له في ذلك فدعا بعدة طيور
فناول كل واحد منهم طيرا فقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع
لا يراه احد فدفع الى التلميذ الشاب كذلك فرجع كل واحد منهم بطيره
مذبوحا الا التلميذ رجع والطير في يده فقال ما لك لم تذبح وقد ذبح
اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله في كل مكان
فاستحسنوا مراقبته وقالوا حق له ان تكرم وينشد

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل . خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة . ولا أن ما تخفي عليه يغيب
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب . وان غدا للناظرين قريب

وقال سفيان عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه وذلك اذا غلب على القلب علم يقين لا شك فيه كالعلم بالموت وامور الآخرة ومعرفة عظم الرب تعالى وجلاله والمراقبون بهذه المعرفة هم الصديقون من المقربين واصحاب اليمين فمراقبة الصديقين بالتعظيم والاجلال لله تعالى وذلك اذا استولى على القلب جلال الله تعالى وعظمته فانصر حينئذ الدنيا والآخرة مثلا فصار همه واحدا فكفاه الله سائر الهموم وصاحب هذه الحالة ربما يشغل عن الخلق حتى لا يبصر من حضر معه ولا يسمع ما يقال له وهذا لا يستبعد لانه قد يعرض لخدام الملوك المعظمة في الدنيا فلا يعرف احدهم ما يجري في مجلس الملك لشدة استغراق قلبه في خوف الملك وهيبته ونبالا لا بل قد يعرض لرجل مهم حقير فيتفكر فيه وهو يمشي فربما يتخطى الموضع الذي قصده وقد روي ان يحيى ابن زكريا عليهما السلام مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيها متسع لغير ذلك واما مراقبة اهل الورع من اصحاب اليمين فهي مراقبة قوم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يتقدمون ولا يتأخرون الا بعد التثبت ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به يوم القيامة فانهم يرون ان الله تعالى مطلع عليهم ويعرف الفرق بين مراقبة اهل التعظيم والاجلال لله تعالى

وبين مراقبة اهل الحياء منه بالمشاهدة فانك في خلوتك قد تعاطى
اعمالا فيحضرك صبي فتعلم انه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك
وتراعي احوالك لا عن اجلال للصبي وتعظيمه بل حياء منه ويدخل عليك
بعض الملوك او الاكابر فتترك ما انت فيه حياء منه وتعظيما له وهكذا
تختلف مراتب العبادة فمن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراعي جميع
حركاته ولحظاته بل جميع خطراته فينظر قبل العمل الى ما تحرك به عقله
وخاطره اهو لله خاصة او للنفس ومتابعة الشيطان فيتوقف ويتثبت
حتى يتبين له الحق فان كان لله سبحانه امضاه وان كان لغير الله فيستحي
ويكف وهذا التوقف في بدء الامر واجب محتوم فان في الخبر تنشر للانسان
في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الاول لم والثاني كيف
والثالث لمن ومعناه لم فعلت هذا كان لك ان تفعله لمولاك او ملت
اليه لشهوتك وهواك فان سلم عنه بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه
سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان لله عليك في
كل عمل شرطا وحكما لا يدرك قدره ووقته وصفته الا بعلم فيقال له
كيف فعلت بعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا انشر الديوان
الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن فعلت الوجه الله تعالى
خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك على الله ام لمرائات
خلق مثلك فخذ اجرك منه ام عملته لتنال عاجل دنياك وقد وفيناك
نصيبك من الدنيا ام عملته بسهو وغفلة فقد سقط اجرك وبطل
عملك وخاب سعيك وان عملته لغيري فقد استوجبت عقابي ومقتي
اذ كنت عبدا لي تاكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ويحك اما سمعتني اقول
الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات

والتوبيخات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب
صوابا فلا يبدئ ولا يعيد ولا يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التثبت
والتامل وقد قال النبي عليه السلام لمعاذ ان الرجل ليُسال عن كحل
عينيه وعن فَتّ الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه فهذا هو النظر
الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة الحقيقة
باسرار الاعمال واعوان النفس ومكائد الشيطان والا فلا يسلم بل الاكثرون
يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
ولا تحسب ان الجاهل فيما يقدر على تعلمه يعذر بجهله هيهات طلب
العلم فريضة على كل محتلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف
ركعة من غير عالم لانه يعرف ما ذكرناه من افات الاعمال فيتقيها والجاهل
لا يعرفها فكيف يحترز منها بل لا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه
في فرح وشماتة فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو راس كل شقاوة
فالواجب على العبد ان يستضئ بنور الدين في كل خطرة ونازلة نزلت
به فان لم يعرفها فليسئل علماء الدين المقبلين على الاخرة وليفر من علماء
السوء المقبلين على الدنيا فراره من الاسد بل اشد فالقلوب المظلمة
بحب الدنيا محجوبة عن الله تعالى فان مستقر انوار القلوب حضرة
الربوبية فكيف يستضئ بها من استدبرها واقبل على الدنيا والتكالب
فيها وقد قال عليه السلام من قارف ذنبا فارق عقلا لا يعود اليه
ابدا وحب الدنيا راس كل خطيئة وقد قال عليه السلام ان الله يحب
البصير الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات
ومعرفة افات الاعمال قد اندرست من قديم الزمان فكيف هذه
الاعصار فان الناس قد هجروا هذا العلم قديما واشتغلوا بفقه
طلب المعاش وعلم فصول الخصومات والمسائل الطبوليات واما

اليوم فقد هجر واجيمها فاصبحوا فى ظلمة يعمهون فى اعمال الدنيا والدين
والحمد لله رب العالمين النظر الثانى للمراقبة عند الشروع فى العمل
وذلك ان يتفقد حسن النية له وكيفية ادائه على اكمل ما امكنه وهذا لازم
له فى جميع احواله فانه لا يخلو فيها من حركة وسكون فاذا راقب الله فى جميع
ذلك قدر على عبادته فيه بالنية وحسن الفعل وذلك انه لا يخلو اما ان
يكون فى طاعة فيراقبها بالاخلاص ومراعاة الادب وحراستها عن الافات
واما فى معصية فيراقبها بالتوبة والندم والاشتغال بالفكر والحياء
منها واما فى مباح فيراقبه بمراعاة الادب وشكر المنعم على نعمته فيها
وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة
مضت لا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت وساعة مستقبلة لا يدرى
ايدركها ام لا والساعة التى هو فيها فيجاهد نفسه وليراقب ربه قبل
انقضائها فان عاش الى الساعة المستقبلة لم يتحسر على التى جاهد فيها
وليستوف حق الثانية كما استوفى حق الاولى ولا يطول عمره خمسين
سنة فتطول عليه المجاهدة والمراقبة بل يكون ابن وقته ولعله فى
اخر انفاسه فيدركه الموت على حالة مرضية ولتكن جميع احواله مقصورة
على ما روى من حكم داود النبى عليه السلام وعلى العاقل ان تكون له
اربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يتفكر فى صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها المطعم والمشرب فان فى
هذه الساعة عونا له على الساعات ولا ينبغى ان يغفل فيها ايضا عن
افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذى يتناوله فيه من
العجائب ما لو تفكر فيه كان افضل من كثير اعمال الجوارح فان الناس
فيه على اربعة اقسام قسم ينظرون فيه بعين البصيرة فيتفكرون فى
عجائب صنعه وهم ذووا الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت

والكراهة فيتناولون مضطرين يودون ان لوكانوافيه بالشهوة ـ
مقهورين وهم الزاهدون وقسم يرونه صنعة للصانع ويترقون منه
الى صفات الخالق فينفتح لهم بسببه زيادة في محبته وهم العلماء ـ
بالله المحبون له وقسم رابع ينظرون اليه بعين الحرص والرغبة فيتأسفون
على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضر من جملته ويذمون منه ما لا
يوافق طبائعهم ويعيبون الطبخ وطابخه ولا يعلمون ان الفاعل للطبخ
والطباخ هو الله تعالى المسخر للجميع بقدرته وعلمه وان من عاب
الصنعة فقد عاب الصانع فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال
على الدوام وشرح ذلك يطول

الفصل الثالث

في محاسبة النفس بعد العمل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى
من الاعمال وقال ميمون بن مهران لا يكون العبد من المتقين حتى
يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان
بعد العمل وكان عمر يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول
لنفسه ماذا عملت اليوم وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه
يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا
ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجاه الشيء ويعجبه فيقول والله
انك لتعجبني وانك من حاجتي ولكن هيهات حيل بينك وبيني وهذا
حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول
ما اردت بهذا والله لا اعود لهذا ابدا ان شاء الله ومن حقيقة
المحاسبة انه [illegible] يطالب نفسه [illegible] النهار وسائر الاوقات
فليطالبها [illegible] في جميع حركاتها وسكناتها [illegible] الدنيا
في آخر كل سنة [illegible] ويكفي [illegible] العاقل نفسه [illegible] يتعلق به

السعادة او الشقاوة ابد الاباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة
والخذلان فنعوذ بالله منها ومعنى المحاسبة للشريك ان ينظر في
راس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فما
كان من فضل استوفاه وما كان من نقصان طالبه بضمانه في المستقبل
فكذا العبد راس ماله من دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل
وخسرانه المعاصي ومؤنته هذه التجارة ومعاملة النفس الامارة
بالسوء فليحاسبها على الفرائض فان ادتها على وجهها شكر الله على
ذلك ورغبها في مثله وان اهملت شيئا طالبها بالقضاء وان ادتها
ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكبت معصية عاقبها وعاتبها
ويستوفي منها ما يكفرها به وينبغي ان يفتش عن اعماله طول نهاره
بل عن خواطره وافكاره واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه
لم سكت اولم تكلم فاذا عرف مجموع الواجب على النفس فليكتبه على
صحيفة قلبه وليطالبها بالغرامة والضمان ولا يمكن شيء من ذلك
الا بعد تحقيق الحساب ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما
يوما في جميع اعضائه الظاهرة والباطنة كما نقل عن بعض السلف
انه حاسب نفسه يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا
هي احد وعشرون الف يوم وخمس مائة يوم فصرخ فقال يا ويلتى
القى المليك باحد وعشرين الف ذنب وخمس مائة ذنب كيف
وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت
فسمعوا قائلا يقول يا لها ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي
لك ان تحاسب على معاصي القلب والجوارح كل ساعة ولو رمى
العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلات في مدة قريبة ولكنه
يتساهل في المعاصي والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه و

لم ينسه الملكان حين نسيته ∘ بل إثباته وانت لاه تلعب

الفصل الرابع في معاقبة النفس على تقصيرها

وذلك مهما حاسب نفسه فلم يسلم عن مقارفة معصية او ارتكاب تقصير في حق الله تعالى فينبغي الا يهملها لانه ان فعل عسر عليه بعد ذلك فطامها عن المعاصي فتهلك مع الهالكين ولكن ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل مثلا لقمة بشهوة نفس فليعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى محرم فينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك كل عضو من اعضائه فينبغي ان يعاقبه بمنع شهوته هكذا كانت عادة ... الى طريق الاخرة وقد روى ان رجلا من العباد طلب امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فوضع يده في النار حتى يبست وحكى انه كان في بني اسرائيل رجل متعبد في صومعته وانه اشرف ذات يوم فافتتن بامراة فاخرج رجله لينزل اليها فتداركه الله تعالى فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا افتركها متعلقة من الصومعة حتى تقطعت بالرياح والشمس والامطار فشكر الله ذلك له وانزل الله ذكره في بعض الكتب ذكر هذه الحكاية الغزالي في كتابه ولعل هذا جائز في شريعة بني اسرائيل الا ترى انه قيل اذا عمل احدهم ذنبا اصبح مكتوبا على بابه اخرج سنة كذا وكذا اما قطع بعض اطرافه وغير ذلك والله اعلم وقد قال لاصحاب العجل اقتلوا انفسكم الاية وقد روى ان ابا [illegible] رحمه الله تعالى انه نظر الى امراة مكشوفة الراس فصام سنة وروى ان بعض اصحاب النبي عليه السلام تصدق بما [illegible] قلبه في الصلاة والله تعالى اعلم

الفصل الخامس في المجاهدة وهذا اذا حاسبها فراها
قارفت معصية فعاقبها بما ذكرناه ثم اذا راها تتكاسل عن
الفضائل فينبغي ان يثقل عليها اوراد العبادة تاديبا لها وتداركا
لتفريطها هكذا يعمل عمال الله تعالى وقد روى ان عمر رضي الله عنه
فاتته صلاة العصر في جماعة فتصدق بارض له قيمتها مائة الف
درهم وكان ابن عمر فيما بلغنا اذا فاتته صلاة في جماعة احيى تلك
الليلة ويقال انه اخر صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين
وفاتت بعضهم ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على
نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك
مؤاخذة للنفس بما فيه من نجاتها فان قيل ان نفسي لا تطاوعني
على الاجتهاد فما علاجها قيل اسمعها ما ورد من اخبار المجتهدين
او اطلب صحبة عبد مجتهد في العبادة فتقتدي به وكان بعضهم
يقول اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى اجتهاد محمد بن واسع
فعملت عليه اسبوعا ولكن هذا من الناس اليوم معدوم فينبغي
ان يعدل الى سماع اخبار المجتهدين من الاولين وما كانوا فيه من
الجهد الشديد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما
يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم
العبادة وادركت ناسا او قال اقواما وصحبت طوائف منهم
ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شيء منها ادبر
وانها كانت في اعينهم اهون من هذا التراب ان كان احدهم يعيش
عمره ما فرش لاحدهم ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا
جعل بينه وبين الارض شيئا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم
وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم

تجري دموعهم على خدودهم ينادون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا
الحسنة فرحوا بها ودابوا في شكرها وسالوا الله ان يقبلها واذا عملوا
السيئة احزنتهم فسالوا الله تعالى ان يغفرها لهم والله ما زالوا
كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة
ويحكى ان قوما قدموا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه
فاذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ فيك
ما ارى فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة
فصغرت عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي حجرها
وذهبها فكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة
والنار فاظمات لذلك نهاري واسهرت ليلي وقليل حقير كل
ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه ويقال كان داود الطائي
يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ
الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين اية وسال الفاسق بن زياد
خادما لعروة بن جدير رحمه الله بعد ما قتل عروة عن حاله
فقال اجمل ام افسر قال بل اجمل قال ما صنعت له طعاما
نهارا قط ولا فرشت له فراشا بليل قط فقال الفاسق لقد قتلناه صالحا
وكان ابو بلال رحمه الله يقول فيما بلغنا حين اراد الخروج
الى الشراء لو ان لي نفسين نفسا تقاتل في سبيل الله ونفسا
تقضي حوائج المسلمين وكان فيما بلغنا يقول اني لا احفظ
ما تكلمت به حتى امسي مخافة ان اخطئ وكان عبد الله
ابن وهب رحمه الله يجتهد حتى دبرت جبهته وركبتاه وكان
يسمى ذا الثفنات تشبيها بثفنات ركبتي البعير قال فيه ابو بلال
او غيره

أَبَعْدَ ابنِ وهبٍ ذي النزاهةِ والتقى . ومَن خاض في تلك الحروب المهالكا
أُحِبُّ حياةً او أرجي سلامةً . وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيا رب سلم نيتي وبصيرتي . وهب لي التقى حتى الاقي اولئكا

وكان ابو بلال رحمه الله يقول ان لكل منية ظنونا الا القتيل في سبيل الله وكان وقف على البثجا رحمة الله عليها وهي امراة من المسلمين قتلها اللعين ابن زياد فقال ابو بلال لو اني صرعت مصرع البثجا لرجوت ان امر على الصراط مستويا وخرج رحمه الله حتى قتل شاريا ويقال انه طعن فمشى في الرمح حتى قتل قاتله والله اعلم وقال ابو بلال في قصيدة له

نرجو الجنان اذا صارت جماجمنا تحت العجاج كمثل الحنظل البال

ومثل هذه الاخبار يطول به الكتاب وذكر الغزالي في كتابه ان في الصحابة من ورده في اليوم اثنتي عشرة الف تسبيحة قال وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا قال وكان فيهم من ورده ثلاث مائة ركعة الى ست مائة ركعة الى الف ركعة قال واقل ما نقل من اورادهم في الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة قال وكان بعضهم اكثر اوراده في القران فكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروى عن بعضهم مرتين قال وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في تفكر اية واحدة يرددها قال وكان اويس القرني رحمه الله يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة فاذا كانت الليلة الاتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في السجدة قال وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبا ثم قال عجبت للخليقة كيف استانست قلوبها بذكر سواك

قال وكان ثابت البنانى قد حببت اليه الصلاة فكان يقول
اللهم ان كنت اذنت لاحد ان يصلى لك فى قبره فاذن لى ان اصلى
فى قبرى وعن عبد الواحد بن زيد قال مررت بصومعة راهب
فى الصين فناديته يا راهب فلم يجبنى حتى ناديته ثلاثا فاشرف
علىّ فقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله فى
اسمائه وعظمه فى كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحمده
على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم
لقدرته وخضع لمهابته وفكر فى حسابه وعقابه فنهاره صائم
وليله قائم قد اسهره ذكر النار ومسائلة الجبار فذلك هو الراهب
واما انا فكلب عقور حبست نفسى فى هذه الصومعة من الناس
لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذى قطع الخلق عن الله بعد
اذ عرفوه فقال يا اخى لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها
لانها محل المعاصى والذنوب فالعاقل من رمى بها عن نفسه وتاب
الى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه وحكايات المجتهدين
من الرجال والنساء غير محصورة تركتها مخافة التطويل فمن
ارادها فالكتب مملوءة بها وفيما ذكرناه كفاية لمن اراد ان يعرف
اهل زمانه من اهل الاجتهاد الماضين وبعد اهل زمانه عن
صفات اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر اليهم دون
الائمة الماضية وقالت انما تيسر الخير فى تلك الازمنة لكثرة
الاعوان على الخير فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا
منك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجرى عليك الا ما يجرى عليهم
والمصيبة اذا عمت طابت فقل لها ارايت لو هجم سيل يغرق
الناس ولم يحذروه جهلا منهم بحقيقة الحال وقدرت على ا

ركوب سفينة تنجو بها دونهم فهل تختلج فى نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تترك موافقتهم وتستجهلهم فى صنيعهم وتأخذ حذرك وتنجو مما دهاك فاذا كنت تفعل خوفا من غرق ساعة فعذاب الاخرة اشد وابقى فلم لاتهربين منه وانت متعرضة له فى كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقتهم اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة الاية فعليك بموافقة نفسك وتوبيخها واحملها على الاجتهاد وقرعها بسوء نظرها لنفسها لعلها تنزجر عن طغيانها وبالله التوفيق مطلب

الفصل السادس

فى توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدو لك نفسك التى بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر نافرة عن الخير وامرت بتزكيتها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة خالقها ومنعها عن شهواتها فان اهملتها جمحت ولم تقدر بعد ذلك عليها وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة كانت هى النفس اللوامة التى اقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى الدخول فى زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن عن تذكيرها ولا تشتغل بوعظ غيرك مالم تشتغل الان بوعظ نفسك فقد اوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام يابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستح منى وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتعرفها جهلها وحماقتها فانها تتعزز بفطنتها وهدايتها استنكافا وانفة اذا نسبت الى الحمق فتقول لها

ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وجفاء اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانت صائرة الى احدهما على القرب فما لك تضحكين وبين يديك هذ الخطر العظيم الجسيم وعساك اليوم تختطفين اوغدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ولا مواعدة وانه لاياتى فى زمان دون زمان ولا فى حالة من العمر دون حالة بل كل نفس من الانفاس يمكن ان ياتى فيه الموت فجاة وان لم يات فجاة فالمرض ياتى فجاة فيفضى بك الى الموت فما لك تستبعدين الموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قول الله تعالى اقترب للناس حسابهم الاية الى قوله لاهية قلوبهم ويحك يا نفسى كيف تجرأت على[١] معصية الله ان اعتقدت ان الله لايراك فما اعظم كفرك وان علمت باطلاعه عليك فما اقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهين كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباى جسارة تتعرضين لمقت ربك وغضبه وشديد عقابه انظنين انك تطيقين عذابه فان ظننت ذلك فاحبسى نفسك فى الشمس او فى الحمام ساعة او قربى اصبعك من النار ليبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك فما لك لاتعولين على كرمه فى مهمات دنياك من دفع الاعداء وتحصيل الحاجات بلا سبب منك حتى

يبعث لك جندا يدفع عنك ويظهر لك كنزا فتستغنى به عن كسبك
افتحسبين ان الله كريم فى الاخرة لا فى الدنيا وقد علمت ان سنة الله
لا تبديل لها وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك ما ابين نفاقك
ودواعيك الباطلة تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر
عليك الم يقل مولاك وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها
وقال فى امر الاخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك
بامر الدنيا ووكل امر اخرتك الى سعيك فكذبته بافعالك بتكالبك
على الدنيا واعراضك عن الاخرة ويحك لو كان الايمان باللسان
يغنى دون الافعال فلم كان المنافقون فى الدرك الاسفل من
النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب او تحسبين ان يتركك
سدى الم تكونين نطفة من منى تمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى
اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فان كان هذا اضمارك
فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين مما ذا خلقك بل من نطفة
خلقك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه فى
قوله ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبته فما لك لا تاخذين
حذرك ولو ان يهوديا اخبرك فى الذى اطعمتك بانه يضرك
فى مرضك لصبرت عنه وتركته افكان قول الانبياء المؤيدين
بالمعجزات وقول الله تعالى فى كتبه المنزلات [illegible]
من قول يهودى يخبرك عن حدس [illegible]
اخبرك عن عقرب فى ثوبك لرميت [illegible]
له على ذلك ببرهان افكان قول الانبياء [illegible]
وسائر الاولياء اصدق عندك من [illegible]
او صار جهنم مع اصناف عذابها [illegible]

ماهذه افعال العقلاء بل او انكشف لابها [illegible]
ومن عقلك فان كنت عرفت جميع ذلك وامنت [illegible] لا تستوين
العمل والموت لك بالمرصاد ولعله [illegible]
انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين من يطعم الدابة في
حضيض اسفل العقبة يفلح او يقدر على قطعها فما اعظم جهالتك
ان ظننت ذلك ارايت لو ان رجلا سافر [illegible]
في ارض غربة سنين يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة من
رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من [illegible] اخر
العمر نافع فلعلك في امر [illegible]
فان اوحى اليك بالامهال [illegible]
الاعجز لك عن مخالفة [illegible]
مخالفة هواك [illegible]
قط الا محفوفة بالمكاره [illegible] اذا انت عجزت عن مخالفة الشهوة اليوم
فانت في غد اعجز [illegible]
يريد الانسان [illegible]
وقد علم ان الشجرة [illegible]
القاطع بذلك ضعيف [illegible]
لا يقدر عليه في الضعف والهرم [illegible]
الى التسويف فما لك [illegible] تريد على هذه
الحماقة [illegible]
وقلة [illegible]
فاطلبي النفع [illegible]
قولك في عقل [illegible]

ثلاثة ايام ليصح ويتهناه طول العمر وحذره ان شربه مرض طول
العمر فجميع عمرك فى طول نعيم الدنيا وطول عذاب النار اقل
من ثلاثة ايام بالاضافة اليه فالصبر على مخالفة الشهوة ايسر
من طول العذاب وفوات النعيم فما هذا الاضعف الايمان
بالثواب والعقاب وبهذا الجهل تستحقين صفة الحماقة فى
قول النبى صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
الامانى ويحك لا تغرنك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور
فانظرى لنفسك ولا تضيعى اوقاتك فان الانفاس معدودة
فاذا مضى نفس فقد مضى بعضك فاغتنمى الصحة قبل السقم
والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة
قبل الموت واستعدى للاخرة على قدر بقائك فيها اما تستعدين
للشتاء بقدر طول المدة الحطب والطعام والكسوة افتظنين
ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر مدة من الشتاء ام تظنين
ان العبد ينجو منها بغير عمل هيهات كما لا يندفع برد الشتاء
الا بالحطب والكسوة وكذلك حر النار لا يندفع الا باسباب
من حسن التوحيد والطاعات وانما كرم الله لك فى ان عرفك
اسباب التحصين منها بالطاعات كما ان كرمه فى دفع برد
الشتاء فان عرفك الصناعات وخلق لك النار والحطب
والمهمك استخراجها من الاحجار حتى يندفع بها البرد وكذلك
المهمك طريق النجاة فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها
والله غنى عن العالمين ويحك فسيء اخرتك بدنياك كما بدانا
اول خلق نعيده ولن تجد لسنة الله تبديلا اما اراك الا الفت

الدنيا هب انك غافلة عن اهوال يوم القيامة اما انك مؤمنة بالموت
المفرق بينك وبين محابك افترين ان من يدخل من باب دار ملك
ويخرج من الجانب الاخر ثم يستغرق قلبه بعشق جارية فيها وهو
مضطر الى مفارقتها ايعد من العقلاء ام من الحمقاء فالدنيا دار
ملك الملوك وكل من فيها ضيف مجتاز وما في يده عارية مردودة على
صاحبها اما سمعت قول سيد المرسلين ان روح القدس نفث في
روعي احبب من شئت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت
واعمل ما شئت فانك مجزيّ به فكل من الف ملاذ الدنيا واستكثر
منها فانما يستكثر من الحيرة ويتزود من السم المهلك عند مفارقته
اياها اما تنظرين الى الماضين كيف بنوا واعلوا وذهبوا وخلوا فهل
حمق اعظم ممن يعمر دنياه وهو مرتحل عنها ويخرب اخرته وهو صائر اليها
قطعا اما تستحيين من مساعدة الحمقاء المنكبين على الدنيا وهبي انك
تؤثرين الاقتداء فقس عقول اهل الدنيا بعقول الانبياء والحكماء
واقتدي باعقل الفريقين ولعلك اسكرك حب الجاه وهب ان كل من
على بساط الارض سجد والك اما تعرفين ان بعد خمسين سنة
لا تبقى انت ولا احد من اولئك اما سمعت عن الملوك الذين قبلك
فكيف تبيع ملكا يبقى ابد الاباد بملك لا يبقى اكثر من خمسين سنة
ان بقي مع كدورته بانواع المصائب واحتفاف الحساد
والاعداء به من كل جانب فمالك تفرحين بدنيا ان ساعدتك
مع رذالتها وخسة شركائك فيها من اليهود والنصارى والغوغاء
والسفهاء وترغب ان تكوني في زمرة الصديقين والشهداء والصالحين
في الدنيا وفي جوار رب العالمين في العقبى ويحك فمن ذا الذي يصلي
عنك ويصوم بعد الموت مالك الا اياما معدودة وهي بضاعتك

وقد ضيعت اكثرها ويحك اما تعلمين ان الموت موعدك وان
القبر بيتك والتراب فراشك والفزع الاكبر بين يديك اما علمت
ان عسكر الموتى على باب بلدك وقد حلفوا بالايمان المغلظة
انهم لا يرحلون حتى ياخذوك اما تعلمين انهم يتمنون الرجعة
الى الدنيا ليتداركوا ما فرطوا وانما في امنيتهم ويوم من عمرك لو
بيع منهم بالدنيا كلها لاشتروه لو قدروا وانت ضيعته في
البطالة ويحك اما تستحيين تزينين بظاهرك للخلائق وتبارزين
الله في السر بالعظائم تذكرين بالله وانت له ناسية تامرين الناس
بالخير وانت ملتطخة بالرذائل ولو عرفت نفسك حق المعرفة
لظننت ان الناس لا يصيبهم بلاء الا من اجلك ويحك قد جعلت
نفسك حمار الابليس يقودك حيث يشاء ويريد ومع هذا
فتعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة
بعد ان عبده ثمان الف سنة او ما شاء الله واخرج ادم من
الجنة بخطيئة واحدة مع كونه صفيه ولن ينجوا الا بالاعتراف
والتوبة والعجب منك تفرحين بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان
عمرك فما ينفع مال يزيد وعمر ينتقص واحذري يا مسكينة يوما
آلى الله فيه على نفسه ان لا يترك عبدا امره في الدنيا ونهاه
حتى يساله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظري
باي بدن تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين واعدي للسؤال
جوابا وللجواب صوابا واعملي في دار العمل بالاختيار قبل ان تخرجي
منها بالخروج الاضطرار ولا تفرحين بما ساعدك من زهرات الدنيا
فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر ويل لمن له الويل وهو
لا يشعر يضحك ويلهو وقد حق عليه في الكتاب انه من وقود النار

واعلمي انه ليس للدنيا عوض ولا للجسد خلف فمن كانت مطيته الليل والنهار يسير به وان لم يسر فاتعظي يانفسي بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن النصيحة والموعظة فقد رضي بالنار ولا اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كان هذا القساوة قلبك فاستعيني عليه بدوام الاتعاظ وطول التهجد والقيام والا فبالمواظبة على الصيام والا فبقلة المخالطة والكلام والا فبصلة الارحام واللطف بالايتام وان لم تزل القساوة فاعلم انه قد طبع على قلبك فوطني نفسك على النار فكل ميسر لما خلق له فاقنطي ولا سبيل الى القنوط فانه من الكبائر ولا سبيل الى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فليس ذلك برجاء بل هو اغترار فانظري هل تبكين او تحزنين على هذه المصيبة فان حزنت وسحت عينك بالبكاء فمستقى الدمع من بحر الرجاء فقد بقي فيك موضع للرجاء فتواظبي على النياحة والبكاء اقتداء بادم عليه السلام واستغيثي بارحم الراحمين لعله ان يرحم ضعفك فقد انقطعت عنك الحيل فلا مذهب ولا مستغاث ولا ملجأ الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع والتلهف فانه يرحم المتضرع الذليل ويجيب دعوة المتلهف المضطر الخائف الوجل فقد اصبحت والله مضطرة الى رحمته محتاجة فان العفو شامل والكرم فائض والرحمة واسعة فقولي يا ارحم الراحمين عجل اغاثتي وفرجي وارني آثار رحمتك وبرد عفوك ومغفرتك يا اكرم الاكرمين والحمد لله رب العالمين وروى عن منصور بن عمار قال سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابدا يناجي ربه وهو يقول يارب وعزتك ما اردت بمعصيتي

مخالفتك ولاعصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا
لعقوبتك متعرض ولابنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي
واعانتني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك
بجهلي وخالفتك والله بقلة عقلي فمن الآن من عذابك ينقذني
او بحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف
بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع
المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبرت سني كثرت
ذنوبي ويلي كلما طال عمري كبرت معصيتي الى كم اتوب والى
كم اعود اما آن لي ان استحي من ربي وعن وهب ابن
منبه قال لما اهبط الله ادم عليه السلام من الجنة الى
الارض مكث لا ترقى له دمعة فاطلع الله عليه في اليوم
السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله
اليه يا ادم ما هذا الجهد الذي ارابك فقال يا رب عظمت
مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي
فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد
السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد
العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الفناء والموت
بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله
تعالى اليه يا آدم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري
وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي
ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت
امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي لو ملأت
الارض مثلك كلهم رجالا يعبدونني ويسبحونني فعصوني

لا نزلتهم منازل العاصين فبكى عند ذلك ادم ثلاثمائة عام

فهذه طريقة القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة انفسهم وانما طلبهم بالمناجاة للاسترضى ومن المعاتبة التنبيه والاستدعاء فمن اهل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مغاصبا ويوشك ان يكون الله له يوم القيامة معاتبا والله اعلم

مطلب

فصل

فعليك ايدك الله بتوبيخ نفسك وحقارة عملك وتعظيم نعمة الله عليك فاذا فعلت ذلك وقع فعلك من الله تعالى موقع الرضى والقبول وصارت له قيمة لا نهاية لشرفها اذ بسببه تستوجب النعيم والملك العظيم والا صار سعيك مثبورا وعملك مردودا محقورا الا ترى الى الاجير يعمل طول النهار والحارس يحرس طول الليل بدرهمين وكذلك اصحاب الصناعات والحرف يعمل الواحد منهم الليل والنهار فيكون قيمة عمله دراهم معدودة فان صرفت الفعل الى الله تعالى فصمت له يوما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صار له هذه القيمة بتاخير غداء الى عشاء ولو قمت ليلة لله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فهذا الذي قيمته دانقان او درهمان صارت له هذه القيمة العظيمة فحق اذا على العبد ان يرى حقارة عمله من حيث هو وان لا يرى الا منة الله عليه فيما شرف من عمله لا اعظم من جزائه وان يحذر في عمله من ان يقع على وجه لا يصلح لمولاه ولا يرضاه فتسلب عنه هذه القيمة ويعود الى ما كان عليه في الاصل من الثمن الحقير من دراهم

اودوانيق او اخس من ذلك ومثاله ان عنقود العنب قيمته دانق
فاذا اهداه احد الى الملك فيقع منه موقع الرضى فيهب له عليه
الف دينار واذا لم يرضه ورده رجع الى قيمته الاولى فذلك ما نحن
عليه فتنبه وابصر منة الله تعالى وصن فعلك عما يشينه عند الله
عز وجل وايضا اما تعلم ان الملك في الدنيا اذا اجرى على احد جراية
من طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدودة فانية فانه يستخدمه
ويستعمله بضروب الخدمة الليل والنهار وربما ظهر له عدو فيحتاج
لقتاله فيبذل له روحه التي لا خلاف لها لاجله فربك الذي خلقك
فسواك ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة ما لا يبلغ كنهها
وهبك ثم اذاك تصلي ركعتين مع ما فيهما من العلات ومع ما وعد
عليهما في المستقبل من حسن الثواب ثم تستعظم ذلك منك
وتعجب به [illegible] ان [illegible] منه
وايضا فان الملك الذي من [illegible] الاولياء الكبراء
ويطلب مدحته العلماء والحكماء اذا ذل [illegible] في رأفته عليه
ان يزاحم على بابه اولئك الكبراء في خدمته ويجعل له مقاما
من حضرته وكرامته وينظر الى خدمته المعيوبة بعين الرضى
اليسيرة أليس لقد عظم [illegible] على هذا الحقير المنة من الملك فان
اخذ هذا الحقير يمن على الملك خدمته ويعجب بها اليسيرة ال
ان هذا السفيه جدا ومجنون لا يعقل [illegible] وايضا فان
الهنا الذي يسبح له السموات والارض ومن فيهن من الملائكة
الروحانيين [illegible] الملائكة المقربين والانبياء
والمرسلين [illegible] جملة [illegible] العلماء
والائمة الابرار والزهاد في خدمتهم الخالصة واذل الخدام

على بابه ملوك الدنيا يخرون له ساجدين فمع هذه العظمة
والكمال قد اذن لك فى حقارتك وجلاله ان تعبده وترفع
اليه حوائجك ثم انه يرضى ركعتيك فى عيوبهما واعد لك عليهما
ثوابا لا نهاية له فتستعظم ذلك منك وتمنه على ربك فما
اسواك من عبد وما اجهلك من انسان والله المستعان
واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة وايضا اذا اذن
الملك الاعظم بادخال الهدايا من الجواهر الثمينة والاموال
الجليلة من الامراء والكبراء فان جاء بقال بدستجة بقل او
قروى بسلة عنب تساوى دانقا فيزاحم الامراء والاغنياء
بهداياهم فاذا قبل الملك من هذا الحقير هديته وامر له بخلع
نفيسة وكرامة بالغة اليس ذلك من الملك غاية الكرم والفضل
فاذا اخذ هذا الحقير يمن على الملك بهديته الحقيرة وينسى منته
العظيمة اليس ذلك منه غاية الجهل والحماقة فالان اذا
صليت ركعات فتفكر كم صلى لله تعالى فى تلك الساعة فى
اقطار الارض والسموات من الملائكة والصديقين والانبياء
والصالحين من عبادة صالحة بقلوب [illegible] زكية تلك
اذا بذلت المجهود فيها ثم ما صدرت عن قلب غافل مختلط
بانواع العيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان متلطخ
بانواع المعصية والفضول فكيف تصلح ان تهديها الى تلك
الحضرة وتهدى الى رب العزة وانظر ايها العاقل هل وجدت
قط صلاة من صلواتك [illegible]
الاغنياء قال وكان ابو بكر الوراق يقول ما فرغت قط من
صلاة الا استحييت حين فرغت منها اشد حياء من امراة

فرغت من الزنى ثمرات الرب سبحانه بمحض كرمه وفضله عظم
هذه الركعات ووعد عليها جزيل الثواب وانت عبده وفى
جرايته وعملت ذلك بتوفيقه ثم بعد ذلك تعجب بعملك وتنسى
منة الله عليك هذا والله اعجب العجب لايكاد يذهب مثله الا
عن جاهل لافكر له فنسأل الله الكفاية بمنه فصل
فانتبه من رقدتك ايها الغافل والاكنت من الخاسرين فان
هاتين القنطرتين اشد القناطر اليهما تنتهى ثمرة ما مضى
من القناطر اذهما قنطرة العمل وآفاته والشكر وثمراته وان
سلمتا غنمت وربحت والا فقد ضاع السعي كله وبطل التعب
وخاب الامل واعلم انك كلما صرت اقرب فامرك اخوف
واصعب والمعاملة اشد وادق والخطر عليك اعظم فان
الشيء كلما كان ابلغ علوا اذا انقلب كان اصعب وقوعا كما قيل
ماطار طير فوقع الا كما طار وقع فاذا لاسبيل الى
الامن واغفال الشكر قال وكان ابراهيم بن ادهم يقول كيف
تامن وابراهيم الخليل يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
ويوسف عليه السلام يقول توفني مسلما والحقني بالصالحين
وقال بعضهم تاملت سفيانا الثوري فبكى الليل اجمع
فقلت بكاءك هذا على الذنوب قال فحمل تبنا فقال الذنوب
اهون على الله من هذا انما اخشى ان يسلبني الاسلام قال
الغزالى وسمعت ابا بعض العارفين يقول ان بعض الانبياء
سال الله تعالى عن امر بلعام بن باعوراء وطرده بعد تلك الايات
والكرامات فقال الله له لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته
ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل واحتفظ

بذكر الشكر جدا واحمد الله على منته في الدين اعلاها الاسلام وادناها
مثلا توفيق تسبيح اوعصمة من كلمة لاتعنيك عسى ان يتم نعمته عليك
ولا يبتليك بمرارة الزوال فان امر الامور واصعبها الاهانة بعد
الاكرام فكلما اغفلت شكره اواقترب عاودت واجتهدت وتضرعت
وقلت يا الله يا مولاى كما بدات بالاحسان بفضلك قبل الاستحقاق
فاتممه ايضا بفضلك من غير استحقاق وتناديه نداء الاولياء
المستغيثين الذين مدوا اليه الاكف مبتهلين ونادوا في الخلوات
مستصرخين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب قال الغزالى والله اعلم تقديره انا وجدنا
منك نعمة فطمعنا في اخرى انت الجواد الوهاب فكما وهبت منه
الانعام في الابتداء فهب لنا منه الاتمام في الانتهاء اما تسمع ويحك
ان اول دعاء علمه رب العالمين عباده المسلمين هذا الدعاء اهدنا
الصراط المستقيم اى ثبتنا عليه وادمه لنا هكذا تضرع اليه فان
الخطر عظيم وقد قيل ان الحكماء نظروا فردوا مصائب العالم ومحنهم
الى خمس المرض في الغربة والفقر في الشيب والموت في الشباب والعمى
بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك قول من قال
لكل شئ اذا فارقته عوض . وليس لله ان فارقت من عوض
آخر
اذا ابقت الدنيا على المرء دينه . فما فاته منها فليس بضائر
فنسال الله ونتضرع اليه ان يمن علينا بالعصمة والتوفيق وان
يرزقنا التوبة على التحقيق وان يجعلنا من العارفين العلماء بالدين
التائبين المتجردين للخدمة الشاكرين للنعمة القاهرين للهوى والشيطان
المتقين حق التقوى بالقلب والاركان الخاشعين له المتوكلين عليه

المفوضين الامور اليه الراضين بقضائه الصابرين على بلائه الشاكرين لآلائه انه ارحم الراحمين والصلاة والتسليم على محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

الجملة الثانية في ذكر الموت واهوال يوم القيامة

اعلم ان من كان الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه والقيامة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت وفيما بعده وان كل آت قريب لان في التفكر في ذلك ما يهون عليه مصائب الدنيا ويدعوه الى ترك الرغبة فيها والفرح بها والحسد عليها وتشتمل هذه الجملة على جملة فصول

الفصل الاول في ذكر الموت

قال الله جل جلاله كل نفس ذائقة الموت الاية وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اكثروا ذكر هادم اللذات وروى ان سائلا سأله فقال يا رسول الله اى المؤمنين اكيس فقال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا اولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة وروى عنه انه قال لو ان البهائم والطير تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وروى عنه انه كان اذا راى غفلة من الناس وقف بباب المسجد فاخذ بعضادتى الباب ثم صاح باعلا صوته يا ايها الناس الموت الموت جاءكم بالوجبة سعادة او شقاوة جاءكم الموت بما جاء بالروح والراحة والكرة الرابحة جنة عالية لاولياء الله من اهل دار الخلود الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها جاءكم الموت بما جاء بالحزن والندامة والكرة الخاسرة في نار حامية لاولياء الشيطان

من اهل دار الغرور الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها الا ان كل ساع غاية وغاية كل ساع الموت فسابق ومسبوق وعن عائشة قالت يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يكثر ذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما هذه الفضيلة لان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويدعو الى الاستعداد الى الاخرة وعنه صلى الله عليه وسلم قال الموت تحفة المؤمن انما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن والموت اطلاق له منه فصار تحفة في حقه وقال الموت كفارة لكل مسلم اراد المسلم حقا المؤمن صدقا ومر عليه السلام بمجلس قد استغرقهم الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما هو قال الموت وقال ايضا اكثروا من ذكر الموت فانه يمحق الذنوب ويزهد في الدنيا وقال كفى بالموت واعظا وذكر عنده عليه السلام رجل فاحسنوا في الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا وما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت فقال ان صاحبكم ليس هناكم وعن الحسن انه قال فضح هذا الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها قال وشكت امراة الى عائشة قساوة قلبها فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رحمة الله عليها وقيل ان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت تقطر جلده دما وقيل ان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع اوصاله اعلم ان الناس في ذكر الموت على ثلاثة اصناف احدهم المنهمكون في الدنيا فلا يزيدهم ذكر الموت من الله الا بعدا لانهم بذكرهم

يتاسفون على الدنيا فهم الذين قال الله فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه الاية الثانى التائب المخلص يزيده ذكر الموت خوفا وخشية وربما يكره الموت خوفا ان يفاجاه قبل تمام التوبة والاستعداد للاخرة الثالث العارف بالله الذى احبه فاشتاق اليه فهذا يتمنى الموت ضجرا من الدنيا وشوقا الى لقاء حبيبه كما قال حذيفة رحمه الله لما احتضر مرحبا بزائر جاء على فاقة لا فرح من ندم ففى ذكر الموت ثواب وفضل وان كان الانسان منهمكا فى الدنيا لانه يستفيد به تنقيص نعيم الدنيا وتكدير عيشها فكل ما يكدر على الانسان اللذات فهو من اسباب النجاة والله اعلم فـائدة اعلم ان انفع دواء للقلب بذكر الموت هو التفكر للانسان فى اقرانه الذين مضوا فيذكر مصرعهم تحت التراب وكيف تبددت اجزاؤهم فى القبور وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وتعطلت منهم المجالس والقصور فمهما ذكر رجلا منهم احضر فى قلبه صورته وكيفية احواله واعماله وتصرفه وامال ونسيانه الموت واتخاذه بموتات الاسباب حتى جاء الموت فى وقت لم يحتسبه فعند ذلك يتفكر انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر وحضور الجنائز وعيادة المرضى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له وبالله التوفيق وينشد لابى العتاهية

يا مؤثر الدنيا للذته ÷ والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك ان تنال من ÷ الدنيا فان الموت اخره
كم قد ثكلنا من اخى ثقة ÷ ومعاشر كنا نعاشره
يا من يزيل الموت مهجته ÷ لا شك ما لك لا تبادره

اين الملوك وابن غيرهم . صاروا مصيرا انت صائره

هل انت معتبر بمن خربت . منه غداة فضاد ساكره

وبمن اذل الدهر مصرعه . وتبرات منه عشائره

وبمن خلت منه اسرته . وتعطلت منه منابره

درست محاسن وجهه ونفى . عنه النعيم ثرى يباشره

والموت لو صح اليقين به . لم ينتفع بالعيش ذاكره

وسبيلنا بالموت مشترك . يتلوا كابره اصاغره

آدرسا كرمح دكر وهو بناء كالغفور هوله بيوت

ولعدى

اين اهل الديار من قوم نوح . ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما هم على الاسرة والانـ . ماط افضت الى التراب الجلود

ثم لم ينقض الحديث ولكن . بعدذا الوعد كله والوعيد

والاطباء بعدهم لحقوهم . ضل عنهم سعوطهم واللدود

وصحيح اضحى يعود مريضا . هوادنى للموت ممن يعود

ولاخر

قد آن آن يسمعك الصوت . انائم قلبك ام ميت

يا بانى البيت على غرة . امامك المنزل والبيت

وانما الدنيا على طولها . ثنية مطلعها الموت

ولبعض الشعراء

ويحك يا اسماء ما شانى . كان فعلى فعل نشوان

الموت حق فاعلى نازل . فيسرى لحدى واكفانى

قد كنت ذا مال فلا والذى . اعطانى المال واغنانى

ما قرت العين به ساعة . الا تذكرت فاشجانى

علمى بانى صائر للبلا . وفاقد اهلى وجيرانى

وتارك مالى على حاله . نهبا الشيطان ابن شيطان
اماترى والهوى قائدى . اجمع المال لاختانى
لامراة ابنى ولزوج ابنتى . يالك من غى وخسران
وثالث اغبط من ذا وذا . ينعم فيه زوجها الثانى
يسعد فى مالى واشقى به . قوم ذووا غل وشنآن
ان احسنوا كان لهم اجره . وخف من ذلك ميزانى

فاذا تفكر الانسان كما قدمنا فيمن مات من اقرانه وفجع به من اخوانه وكيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوه وان من كان له مستعدا فقد فاز فوزا عظيما وان من كان مغرورا فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر ايضا فى حال نفسه ويتفكر كيف يكون جسمه طعمة للديدان وما ينتظر بعد ذلك من اهوال القيامة ودركات النيران ودرجات الجنان فبمثل هذه الافكار يتجدد ذكر الموت على قلبه ولكن الداء العضال الذى اهلك الاولين والاخرين اتباع الهوى وطول الامل فاتباع الهوى يصد عن الحق وطول الامل ينسي الاخرة وسبب ذلك الجهل وحب الدنيا ولكن من رزقه الله الفكر الصافى بالقلب الحاضر فيما قدمناه من اخبار الموت وما بعده مع قصر الامل ومخالفة الهوى فانه لابد ان يندفع عنه الجهل ويستشعر قلبه الخوف والوجل واما حب الدنيا فاخراجه من القلب شديد ولا علاج له الا الايمان بالله واليوم الاخر وما يشتمل عليه من الاهوال والثواب والعقاب فمهما حصل بما ذكرنا اليقين مع عزيمة الاعراض عن الدنيا وعلى المجاهدة فى الدين تجدد ذكر الموت على القلب بحمد الله واشتغل بالاستعداد له على اى حالة وقد تم الجزء

فصــــل في خروج نفس الميت قال الله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الاية ففي كتاب النقاش قال يقبض ارواحكم ماخوذ من توفية العدد اي يقبض ارواحكم اجمعين ويقال ان جبريل عليه السلام قال لملك الموت كيف تستطيع قبض الانفس عند الوباء ها هنا عشرة الاف وها هنا كذا وكذا فقال ملك الموت تزوى الي الارض حتى كانها بين فخذى فاحاول فيها كذا وكذا وعن زهير بن محمد ان النبي سئل عن مثل هذا فقال ان الله جعل الدنيا لملك الموت كطست بين يدى احدكم فهل يفوته منها شيء وفي كتاب النقاش في قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها الاية قال معناه يميتها حين يجئ اجلها والتى لم تمت في منامها فهى في بقية اجلها تتقلب فيه حتى يجئ اجلها فيميتها ايضا كما امات التى جاء اجلها قال والذى يتوفى في المنام نفس التميز لا نفس الحياة قال لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس قال فهذا الفرق بين توفى نفس النائم في النوم وتوفى نفس الحى قال ويقال ان الانسان له حياة وروح ونفس فاذا نام خرج طرف من نفسه التى بها يعقل الاشياء ولها شعاع الى الجسد كشعاع الشمس الى الارض فيرى الرؤية بالنفس التى خرجت منه كانه بارض اخرى وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت النفس اليه في اسرع من طرفة العين فاذا اراد الله ان يميتها في المنام يمسك النفس الخارجة ويقبض الروح ايضا ويموت في منامه قال وعن ابن مسعود وابن عباس قالا سبب في السماء بين المشرق والمغرب فارواح الموتى وارواح الاحياء الى ذلك السبب فتعلق نفس الميت بنفس الحى فاذا اذن لهذه الحية بالانصراف الى جسدها لتستكمل رزقها الى فناء اجلها امسكت النفس الميتة وارسلت الاخرى

الى اجل مسمى اى الى منتهى اجلها قال وكان ابن عباس يقول انما الارسال
من الامساك ومن كتاب عيون المعانى لابن عيسى قال يقبض عن تصرف
الارواح مع بقائها فى الجسد فيمسك المقضى اجله بازالة حقيقتها
ويرسل الاخرى باعادة تصرفها ابن جبير يقبض ارواح الاموات عند
الموت وارواح الاحياء عند النوم فيتعارفون ما شاء الله فيمسك
ارواح الموتى ويرسل ارواح الاحياء قال على فما رات نفس النائم
فى السماء فهى الرؤية الصادقة وما راته بعد الارسال فيأتيها الشيطان
فهى الكاذبة وقال فى موضع اخر توفته رسلنا قال فملك الموت يقبض
والاعوان يعالجون والله ينزع الروح وقيل ملك الموت يدعو الروح
فتجيبه واعوانه ينزعونها والله تعالى يخلق فيه الموت وعن قتادة
قال خلق الله الموت ليعز به نفسه ويذل به عباده [illegible] وجاءت سكرة
الموت بالحق اى شدته التى تذهب العقل بالحق اى بلقاء الله الذى لا بد منه
وعن الكلبى فى قوله خلق الموت قال وهو على صورة كبش املح لا يمر بشئ
ولا يجد ريحه شئ ولا يطأ على شئ الا مات وعن زهير بن محمد قال ملك
الموت على معراج بين السماء والارض وله رسل من الملائكة فاذا كانت
النفس فى ثغرة النحر رآها ملك الموت بالساعة من معراجه فشخص بصره
اليها فخرجت وفى كتاب السؤالات قال يخرج الله الروح فيتلقاه
الملك وقيل ان الروح اذا راى الملك طار اليه كما يطير الحديد الى حجر
المغنطيس وعن النبى عليه السلام انه قال الميت تحضره الملائكة فاذا
كان الرجل الصالح قالوا اخرجى ايتها النفس المطمئنة كانت فى الجسد
الطيب اخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال
فيقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فتستفتح فيقال من
هذا فيقال فلان فيقال لها مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب

ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك
حتى تنتهي الى السماء السابعة فاذا كان الرجل السوء قالوا اخرجي ايتها
النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم
وغساق وآخر من شكله ازواج ويقولون لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج
بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال
لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لم
يفتح لك ثم ترسل بين السماء والارض ثم تصير الى القبر وعن ابن عباس
قال اذا احتضر العبد غمز ملك الموت وتينه يعني عرق نياط القلب
قال فعند ذلك يعاين ملك الموت ويشخص بصره ويذهل عن اهل
الدنيا وفي كتاب النقاش في قوله تعالى والنازعات غرقا قال يعني
ملك الموت ينزع روح الكافر حتى اذا بلغ ترقوته غرقها في حلقه فيعذبه
في حياته قبل ان يميته ثم ينشطها من حلقه كما ينشط السفود الكثير
الشعب من الصوف المبلول فذلك قوله تعالى والناشطات نشطا
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شدة الموت وكربته على المؤمن
اشد من ثلاث مائة ضربة بالسيف وفي الخبر عن ابن مسعود ان نفس
المؤمن تخرج رشحا وان نفس الكافر تخرج من شدقه ويقال في الخبر
ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قيل له كيف وجدت
الموت قال يارب كشاة تسلخ وهي حية فقيل له اما انا قد خففنا عنك
وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار حدثنا عن
الموت فقال ان الموت كغصن شوك ادخل في جوف الرجل فاخذت كل
شوكة بعرق فجذبها رجل شديد الجذب جذبة واحدة فقطع منها
ما قطع وابقى منها ما ابقى ويروى ان النبي عليه السلام رئي حين
حضره الموت وهو يمد يده ويقول يا جبريل اين انت ثم يقبضها ويبسطها

ويقول يا جبريل اشفع لى عند ربك يهون على سكرات الموت وذكر
عن عائشة رضي الله عنها انها سمعت جبريل وهو يقول لبيك لبيك
وفى خبر آخر ان نفس المؤمن تسيل من جسده كما تسيل القطرة من
السقاء وهذا فيه ما فيه والله اعلم وفى بعض الكتب يعسر خروج
النفس كما يعسر خروج الولد من المراة البكر وهذا الامر لا يدرك حقيقته
ولا يعلمه الا الله تعالى ثم من ذاق الموت واما القياس فانه يشهد
ان كل عضو لا روح فيه فانه لا يحس الالم فاذا كان فيه الروح يحس
الالم فلما كان الامر هكذا دل ان الروح الذى تفرقت اجزاؤه فى
الجسد حتى استغرقه فاذا نزع بالكلية كان المه وشدته اعظم ما يكون
والله اعلم واما علامة موت السعيد من الشقى فقد روى ان النبى
عليه الصلاة والسلام قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه
ودمعت عيناه وتبسمت شفتاه فذلك من رحمة الله قد نزلت به
وان احمر وجهه وازبد وغط غطيط المجنون فذلك من عذاب الله
نزل به وفى الخبر ان جابر بن زيد رحمه الله لما احتضر دخل عليه الحسن
البصرى فقال جابر يا ابا سعيد ما آية خروج نفس المؤمن فقال برد
يجده على كبده ونفس طامعة فقال جابر اللهم انى اجد بردا على كبدى
ونفسى طامعة اللهم حقق رجاءها وآمن محذورها ثم لم يتكلم بعدها
فيما قيل والله اعلم وفى بعض آثار اصحابنا ان نفس المؤمن تخرج
رشحا كالعرق وفى كتاب الغزالى ان نفس المؤمن تخرج من منخره
الايمن فى صورة نحلة خضراء وان نفس الكافر تخرج من منخره الايسر
فى صورة جرادة وفى بعض حديثهم عن النبى عليه السلام ان المؤمن
تنزل عليه الملائكة بيض الوجوه معهم كفن وحنوط من الجنة فى حديث
طويل تركته والله اعلم

الفصل الثانى فى ذكر القبر

وينبغي للانسان ان يذكر القبر وظلمته وضيقته ووحشته فان
في ذكر ذلك ما يحزن قلب المؤمن ويبكي عينيه ويروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ بالله من عذاب القبر وروى
انه قال مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا اخرج
من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء ورضع لم يحب ان
يرجع الى مكانه فكذلك المؤمن يجزع من الموت فاذا افضى الى ربه
لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه
وقيل له عليه السلام ان فلانا مات فقال مستريح او مستراح
منه اشار الى المستريح انه المؤمن والمستراح منه ايضا انه الفاجر
وروى عنه انه عليه السلام لما دفنت ابنته جلس عند القبر فتربد
وجهه ثم سرى عنه فساله بعض اصحابه عن ذلك فقال ذكرت
ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ان يفرج عنها وايم الله
لقد ضمت ضمة ثم رخي عنها وروى عن عائشة رضي الله عنها عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال انما فتنة القبر من اجلي فاذا سئلتم عني
فلا تشكوا قالت فقلت يا رسول الله فكيف اصنع وانا امراة ضعيفة
قال يثبت الله الذين امنوا الاية وقال بعض العلماء من اكثر ذكر
القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن اغفل ذكره وجده حفرة
من حفر النار وروى عن الربيع بن خيثم انه قد حفر في داره قبرا فكان
اذا وجد في قلبه قساوة اضطجع فيه ما شاء الله ثم يقول رب
ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يرد على نفسه يا ربيع
قد رجعتك فيقوم فيرى ذلك فيه وروى ان النبي عليه السلام
قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف بك يا عمر اذا دخلت
قبرك ودخل عليك فتانا القبر منكر ونكير فقال عمر وما هما يا رسول الله

قال ملكان اسودان ازرقان يطآن شعورهما ويبحثان الارض بانيابهما معهما مرزبة من حديد لو اجتمع عليها اهل منى لم يطيقوها وهي اهون عليهما من هذا او رفع شيئا من الارض فقال عمر فكيف انا يومئذ يا رسول الله قال كهيئتك اليوم قال اذا اكفيهما يا رسول الله وروى عنه انه قال المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له فيه سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ؛ اتدرون فيما انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا يلحسونه وينفخون في قبره الى يوم يبعثون قال الغزالي فلا ينبغي ان يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بقدر اعداد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها اصولا معدودة تتشعب منها فروع معدودة وتلك الصفات باعيانها هي المهلكات وهي التي تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلسع لسع العقرب وارباب البصائر يدركون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها وبالله التوفيق

فصل

اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة فالملحدون ظنوا ان الموت هو العدم وان موت الانسان كجفاف النبات وانه لا بعث ولا ثواب ولا عقاب وزعمت اليهود والنصارى والفلاسفة فيما وجدت ان الاجساد لا تبعث اصلا وان الارواح هي التي تبعث وتستلذ وتتالم وزعمت المعتزلة والنكاث والحسنية فيما وجدت ان الاموات لا تتنعم ولا تتالم في القبور وانما الثواب والعقاب في الاخرة وزعم اصحاب الحديث والاشعرية ان الروح باقية اما

معذبة واما منعمة حتى تبعث الاجساد فتدخل فيها وانما الموت انما
هو تغير حالها وانقطاع تصرفها عن الجسد يخرج الجسد عن طاعتها
والاعضاء عن استعمال الروح اياها لانها تبطش باليد وتبصر
بالعين وتسمع بالاذن وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب وهو عبارة
ها هنا عن الروح التي تحزن وتفرح وتلذ وتتوجع وان هذه كلها
تتعطل بموت الجسد الى ان يعاد الروح اليه واختلفوا في كيفية
عذاب القبر فقيل السؤال للروح دون الجسد وقيل يكون الروح
في الجسد الى الصدر وقيل يكون الروح فيما بين الكفن والجسد وقيل
يمكن ان يعاد الى الجسد ويمكن ان يؤخر الى البعث والله تعالى اعلم
بما حكم على عباده قالوا ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام
الروح وادراكها ايات واخبار كثيرة قد ذكرنا طرفا منها فاما الايات
فمن ذلك قوله تعالى في الشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون الاية
وفسر فيها ابن عباس فقال تجعل ارواحهم في حواصل طير خضر
تسرح في الجنة الحديث مشهور وقول النبي عليه السلام انما نسمة
المؤمن طائر تعلق في الجنة اي تتناول وقول الله تعالى في الكفار
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقوله سنعذبهم مرتين الاية
ان الثاني عذاب القبر وروي ان النبي عليه السلام كلم قتلى بدر
فقيل يا رسول الله هم اموات فقال والذي نفسي بيده انهم لاسمع
لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على رد الجواب قالوا فكل من
امن بالله والوحي والملائكة فكيف لا يجوز هذا في الميت قالوا فكما ان
الملائكة لا تشبه الادميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي
تلدغ في القبر ليست من حيات الدنيا وانما هي من جنس اخر يدرك
بحاسة اخرى قالوا لان المؤلم من الحية السم ونفس السم ليس

هو الالم وانما الالم عذابك فى الاثر الذى يحصل فيك قالوا ويمكن ان تكون الصفات المهلكات فى الانسان تنقلب مؤذيات كلدغ الحيات من غير وجود الحيات كما ان العشق اذا مات المعشوق انقلب صفة مؤذية محزنة للعاشق قالوا ومثل عذاب القبر والتنعم فيه فى حق الميت مثل لدغ الحية فى حق النائم وتنعمه بوقاع جارية فى نومه ولا ترى حية حوله ولا جارية فالعذاب والتنعم حاصلان ولكنه غير مشاهدين فى حق اليقظان وهذا الذى قاله اصحاب الحديث فى عذاب القبر ليس فى الشرع ما يبطله ولا فى العقل ما يحيله وقد روى عن جابر بن زيد بثبوت عذاب القبر وانا اقول به وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو نجا احد من عذاب القبر لنجا منه سعد بن معاذ ولقد ضغطه ضغطة اختلفت منها اضلاعه وقال فى ابنته زينب ان الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين وجلس عليه السلام فى جنازة رجل فجعل ينظر فى القبر ثم قال يضغط المؤمن فى هذا ضغطة تردى منها حمائله وفى حديث سؤال الملكين مشهور تركته مخافة التطويل واختلف فى مستقر الارواح بعد الموت فقيل ارواح المسلمين فى عليين وارواح الكفار فى سجين وقيل ارواح المسلمين فى بئر بالشام وارواح الكفار فى واد برهوت باليمن او بحضرموت وفى الحديث ما منكم من احد الا وهو يعرض على مقعده بالغداة والعشى واظن انى وجدت فى بعض الاثار ان الروح تحوم حول القبر والله اعلم وينشد

بينما الفتى فى لهوه وهناته ... متبختر يختال فى لذاته
قد غره الامل الكذوب فهمه ... فى كل ما يدنيه من شهواته

اذ جاءه ملك النفوس بسكرة . تركته ملقى الجسم بين نعاته
فتقطعت اسبابه وتخرمت . وتنكر المعروف من حالاته
لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى . شق الجيوب عليه بعد وفاته

ولعبدة بن الطيب

الترجيع المعنى

ولقد علمت بان قصري حفرة . غبراء يحملني اليها شرجع
وتركت في غبراء يكره وردها . تسفي على الريح حين اودع
ان الحوادث يخترمن وانما . عمر الفتى في اهله مستودع
يسعى ويجمع جاهدا مستهترا . وليس بآكل ما يجمع
حتى اذا وفى الحمام لوقته . ولكل جنب لا ابالك مضجع

وروى عن مجاهد ان اول من يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود انا بيت الوحشة انا بيت الغربة انا بيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وروى عن بعض الحكماء انه قال يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فدادا قال فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر يقول ارايت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول القبر اني اذا اعود عليه خضراء ويعود جسده نورا ويصعد بروحه الى رب العالمين وينشد

ان كنت تعلم ان الله يا عمر . يرى ويسمع ما تاتي وما تذر
وانت في غفلة من ذاك تركبها . نهاك عنه فاين الخوف والحذر
تجاهر الله اقداما عليه ومن . حثالة الناس تختفي وتستتر
فانظر لنفسك يا مسكين في مهل . ما دام ينفعك التفكر والنظر
قف بالمقابر وانظر ان وقفت بها . لله درك ماذا تستر الحفر

ففيهم لك يا مغرور موعظة   وفيهم لك يا مغتر معتبر

الفصل الثالث في اشراط الساعة

وهذا الفصل يحتوي على مقدمة وستة اقسام اما المقدمة فنذكر فيها علامات تدل على اشراط الساعة وذلك نحو ماروى عن النبي عليه السلام في مسائلة جبريل عليه السلام اياه وقد جاءه في صورة اعرابي فقال متى الساعة فقال النبي عليه السلام ما المسئول عنها اعلم من السائل ولكن ساخبرك باشراطها اذا ولدت الامة ربها وربتها وتطاولت رعاة البهم في البنيان وقوله في حديث اخر لسائل ساله عن الساعة ما المسئول عنها اعلم من السائل ولكن اشراطها عشرة يقرب فيها الاجل ويظرف فيها العاجز ويعجز فيها المنصف وتكون الصلاة منا والزكاة مغرما والامانة مغنما والاستطالة للفقراء وقوله لاتقوم الساعة حتى يسود كل قوم منافقوهم وحتى تلي رقاب الناس الحفاة العراة الجوع وان يكون سيد القوم لكع ابن لكع وتظهر اولاد البغية يعني اولاد الزنى ويعظم رب المال وتعلوا اصوات الفساق في المساجد ويظهر اهل المنكر على اهل الحق وقوله لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يفيض المال ويكثر وحتى يهم رب المال من يقبل صدقاته وحتى يعرضه ويقال لا ارب لي فيه وحتى يمر الرجل بقبر الرجل ويقول يا ليتني مكانه ونحو ما روى عن الراهب الذي كلم نظلة بن معاوية فقال اقرؤا على السلام عيسى وقوله انه

سددو قارب فقد دنا الامر فاذا ظهرت فى امة محمد عليه السلام
عشر خصال فالهرب الهرب اذا استغنى الرجال بالرجال والنساء
بالنساء وانتسبوا الى غير انسابهم فلم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم
يوقر صغيرهم كبيرهم وتركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعلم
عالمهم العلم لينال به الدراهم والدنانير فكان المطر قيظا والولد غيظا
يعنى قليل ويشيدون البنيان واتبعوا الهوى وباعوا الدين
بالدنيا واستخفوا بالدماء وقطعوا الارحام وباعوا الحكم وطولوا
المنارات وفضضوا المصاحف وزخرفوا المساجد واظهروا الرشى
واكلوا الربا وصار الغنى عزا وركبت الفروج السروج فى امثالها مما
يطول به الكتاب تركته رغبة فى الاختصار وعنه عليه السلام
قال لا تقوم الساعة حتى تكون قبلها عشر خصال طلوع الشمس
من مغربها والدجال ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج
وخروج الدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب والدخان ونار تحشر الناس والله اعلم ۞

(القسم الاول فى طلوع الشمس من مغربها)

وقد زعم بعضهم انها اول اية خروجا والدابة احداهما قريبة
من الاخرى وقيل اولها الدجال والله اعلم وقال تعالى هل
ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة الى قوله تعالى اويأتى بعض
آيات ربك الاية قيل هو طلوع الشمس من مغربها وعن النبى
عليه السلام قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
فاذا طلعت فراها الناس امنوا جميعًا حيث لا ينفع نفسا ايمانها
وعن ابن عمر قال سمعت النبى عليه السلام يقول ان الشمس اذا
غربت اتت تحت العرش فسجدت واستاذنت فى الرجوع فيؤذن لها

حتى اذا اراد الله ان يطلعها من مغربها استاذنت من تحت العرش
في الرجوع فلا يرد عليها شيئا ثم تعود فتستاذن فلا يرد عليها شيئا
فعلمت انه لو اذن لها لم تدرك المشرق وقالت يا رب ما ابعد المشرق
فمن لي بالناس حتى اذا كان الليل كالطوق استاذنت قيل لها اطلعي
من مكانك ثم قرا يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
الاية ويقال ان باب التوبة ينسد عند طلوعها والله اعلم *

القسم الثاني في الدجال

وقد روي ان النبي عليه السلام كان يتعوذ بالله من فتنة الدجال
وعنه انه قال ان الدجال خارج وهو اعور عين اليمنى وانه يبرئ
الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويقول للناس انا ربكم فمن قال انت ربي
فقد فتن ومن قال ربي الله حتى يموت على ذلك عصم من فتنته
وعن ابي سعيد عنه عليه السلام قال ان الدجال محرم عليه ان
يدخل انقاب المدينة فينزل بعض السباخ التي بالمدينة فترجف
ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق ويخرج اليه رجل وهو
خير الناس او من خير الناس فيقول اشهد انك الدجال الذي
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال
ارايتم ان قتلت هذا ثم احييته هل تشكون في الامر فيقولون
لا فيقتله ثم يحييه فيقول والله ما كنت فيك اشد بصيرة مني
اليوم فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه قال بعض العلماء
فبينما الناس في بلد اذ يسمعون الاقامة يريد الصلاة فتغشاهم
غمامة فاذا بعيسى ابن مريم قد نزل * القسم الثالث
في نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وعن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات

امهاتهم شتى ودينهم واحد وانا اولى الناس بعيسى ابن مريم لانه
ليس نبي بيني وبينه وانه نازل لامحالة فاذا رايتموه فاعرفوه فانه
رجل مربوع الخلقة بين ممصرتين الحمرة والبياض سبط الراس
كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير
ويقاتل الناس على الاسلام فيهلكُ اللهُ فى زمانه الملل كلها الا الاسلام
حتى تقع الامانة فى الارض فيرتعى الاسد مع الابل والنمور مع
البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الغلمان بالحيات فلا يضر بعضهم
بعضا وفى حديث اخر يضع الجزية وتضع الحرب اوزارها فيملأ
الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وفى كتاب النقاش
فى قوله تعالى وانه لعلم الساعة يقول نزول عيسى من السماء
السابعة علامة يقال ينزل على ثنية افيق وهو جبل بيت المقدس
وعن ابن عمر قال ينزل عيسى فاذا رآه الدجال ذاب كما تذوب
الشحمة فيقتله فتفترق عنه اليهود فيقتلون حتى ان الحجر ليقول
يا عبد الله المسلم هذا يهودى تعال فاقتله والاخبار فى هذا
كثيرة تركتها مخافة التطويل ﴿القسم الرابع﴾
فى خروج ياجوج وماجوج قال الله تعالى حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج الاية فتحت ارسلت قيل هما اخوان شقيقان
من ذرية يافث بن نوح عليه السلام قال الكلبى لا يموت الرجل
منهم حتى يولد له الف رجل من صلبه وعن كعب قال ياجوج
وماجوج ثلاثة اصناف فصنف امثال النخل الطوال نساؤهم
منهم وصنف اربعة اذرع طولا واربع عرضا وصنف يفترشون
آذانهم ويلتحفون الاخرى لهم خراطيم كخراطيم الكلاب فاذا
بلغ اجلهم انكسر السد الذى بناه ذو القرنين وقيل هما مائة الف امة

لاتشبه امة اخرى وعن قتادة هما اثنتان وعشرون قبيلة فسد
ذوالقرنين على احدى وعشرين قبيلة وكانت قبيلة منها غازية
وهم الاتراك وعن الاوزاعى قال هما امتان كل امة منها اربع
مائة الف وعن ابن عمر قال خلقهم ثلاث امم لايحصيهم الا الله
تعالى تاويل وتاريس ومنسك ويقال يحفر ياجوج وماجوج
السد فى كل يوم فاذا امسوا قالوا نجيء غدا نفتحه ولا يقولون
ان شاء الله فيجيؤن من الغد وقد اعاده الله كما كان فاذا اراد الله
فتحه قالوا نجيء ان شاء الله غدا نفتحه فيجيؤن فيفتحون ويخرجون
فيتحصن الناس منهم حتى ياتوا على دجلة والفرات فيشربون ما فيهما
فيجيء اخرهم فيقولون قد كان ههنا ماء مرة فيسلط الله عليهم
النغف فيقتلهم وفى حديث كعب قال فيفر الناس منهم فى
البرية والجبال فيقولون قد قهرنا اهل الارض فهلموا الى السماء
فيرمون بنشابهم اليها فترجع تقطر دما فيقولون قد فرغنا من
اهل الارض واهل السماء فيبعث الله عليهم اضعف خلقه وهو
النغف دودة تاخذهم فى رقابهم فتقتلهم حتى تنتن الارض من
جيفهم فيرسل الله اليهم الطير فتلقى جيفهم فى البحر ثم يرسل الله
السماء فتطهر الارض ثم تخرج الارض زهرتها وبركتها فترجع الناس
حتى ان الرمانة لتشبع اهل البيت فيبعث المسلمون جيشا فلا
يصلون اليهم ولا يرجعون الى اصحابهم حتى يبعث الله اليهم ريحا
طيبة يمانية من تحت العرش فتكفت روح كل مؤمن ثم لا اجد
مثل الساعة الا كرجل انتج مهرا فهو ينتظر متى يركبه فمن تكلف
من امر الساعة ما وراء هذا فهو متكلف وفى خبر اخر ان عيسى
عليه السلام اذا قتل الدجال اوحى الله اليه انى قد اخرجت

عبادالى لايدان لاحد بقتالهم فحرز عبادى فى الطور فيبعث الله
ياجوج وماجوج كما قال وهم من كل حدب ينسلون الحديث كما
تقدم وذكروا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن
بعدخروج ياجوج وماجوج ✤ القسم الخامس ✤ فى الدابة
قال الله تعالى واذا وقع القول عليهم قيل معناه وجب الغضب
عليهم وقال النبى عليه السلام ذلك حين تركوا الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر فوجب السخط عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
من كتاب عيون المعانى قيل ذات زغب ووبر وريش لها اربع قوائم
قال ابن الزبير راسها كراس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل
وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها
لون نمر وخاصرتها خاصرة فهد وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم
البعير وكل مفصل من مفاصلها اثنى عشر ذراعا تخرج ومعها عصا
موسى وخاتم سليمان فتختم وجه المؤمن بخاتم سليمان فيبيض
ويكتب سعد سعادة لايشقى ووجه الكافر بالعصا على عكس
المؤمن وعن على على صورة انسان مقاتل ذات جناحين طولها
مابين السماء والارض يرى راسها وعنقها من المشرق والمغرب
وتزلزل الارض ذلك اليوم ست ساعات فيصبحون وقد
جاءهم الدجال قوله تعالى من الارض اى من بعض اودية تهامة
وقيل من مكة وقيل من بحر سدوم وروى ان ابن عمر ضرب رجله
على الارض بالطائف وقال من هاهنا تخرج دابة الارض وقيل
بين الصفا والمروة وفى الحديث تخرج الدابة من اعظم المساجد
حرمة على الله بينما عيسى يطوف والمسلمون معه اذا الارض
تضطرب تحتهم تحرك القناديل فينشق الصفا عن دابة الارض

وعن ابن عباس قال الدابة هو الثعبان الذى كان فى البيت بين
ابى قبيس وبين بنيان البيت فارسل الله عقابا فاختطفه فطرحه
باصل حراء حيث خسف بالعماليق يقال لها اربع قوائم وزغب
وريش ولها جناحان واسمها اقصا ولا يخرج منها غير راسها
فيبلغ السحاب وكلام الدابة من ايات القيامة وهو الوقت
الذى لا تقبل فيه توبة قال صاحب كتاب عيون المعانى الاقرب
الى العقل ان يكون انسيا فقيها مناظرا يناظر اهل البدع والكفر
فيجادلهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وذكروا
ان موسى عليه الصلاة والسلام سال ربه ان يريه الدابة فخرجت
ثلاثة ايام ولياليها لا يرى طرفيها فرأى منظرا كريها فقال
يارب ردها فرجعت وعن ابن عمر قال لا تقوم الساعة حتى يجتمع
اهل البيت على الاناء الواحد وهم يعرفون مؤمنهم وكافرهم
فذكر الدابة كما تقدم تمسح جبهة المؤمن نكتة بيضاء وجبهة
الكافر نكتة سوداء قال حتى انهم ليتبايعون فى اسواقهم
فيقول هذا كيف تبيع يا مؤمن ويقول الاخر كيف تبيع يا كافر
والله اعلم وفى بعض الكتب ان الدابة فصيل ناقة صالح
عليه السلام وفيها غير ما ذكرنا تركته حبا للاختصار القسم
السادس الخسوف وغير ذلك وعن النبى عليه الصلاة
والسلام قال كائن فيكم الخسف والمسخ والقذف قالوا وهم
يشهدون ان لا اله الا الله قال نعم اذا ظهرت فيهم الاربع
المغنيات والمعازف والخمور والحرير وفى الحديث عنه عليه الصلاة
والسلام قال ليبيتن اقوام من امتى على معازف وشراب فيصبحون
ممسوخين قردة او قال خنازير وعن حذيفة قال كيف بكم

اذا خرج احدكم من حجلته فمسخ خنزيرا فيرجع يطلب اهله فيفرون منه وعن ابى بن كعب فى قوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال هى خلال اربع وهن واقعة لامحالة فمضت ثنتان بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بخمس وعشرين سنة قالبسوا شيعا وذاق بعضهم باس بعض واثنتان واقعتان لامحالة الخسف والرجم ويقال لاتقوم الساعة حتى يرفع البيت ويرفع القران من القلوب فيرجع الناس الى المصاحف فاذا الورق بيض فيرجعون الى اخبار الجاهلية واغانيهم فتقوم الساعة ولاتقوم على مؤمن باجماع من الامة فيما وجدت والله اعلم واما الدخان فقيل هو الجدب فى زمان النبى عليه الصلاة والسلام وقيل ينزل من السماء يوم القيامة فياخذ باسماع المنافقين وياخذ المؤمنين منه كالزكام والله اعلم

فصل فى قيام الساعة

قال الله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر الاية اى سرعة البصر قيل ان البصر يلمح مسيرة خمس مائة عام الى السماء - وعن النبى عليه السلام قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ليتبايعاه فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يستقى فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها وعنه عليه السلام قال كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الاذن متى يؤمر فينفخ وقال بعث الى حين بعث الى صاحب الصور وقال بعثت انا والساعة كهاتين

فقرن بين اصبعيه كادت ان تسبقني فسبقتها وقد انفرد الله تعالى
بعلم الساعة لا تاتيكم الا بغتة وزعم بعضهم ان الساعة في يوم الجمعة
في شهر مارس وان الشمس اذا غابت ليلة الجمعة فكل دابة مصيخة
باذنها الى قيام الساعة حتى يصبح الا الثقلين والله تعالى اعلم

صفة نفخ الصور

قال الله تعالى ونفخ في الصور من قرا بفتح الواو فجمع صورة
ينفخ فيها روحها فتحيي باذن الله وهو مروي عن الحسن
وقتادة واكثر القول ان الصور قرن دليله ثم نفخ فيه اخرى ولم
يقل فيها الا ان تكون الصور في القرن فاذا نفخ فيه فقد نفخ في
الصور وعن مجاهد الصور قرن كقرن الثور وزعموا ان النبي عليه السلام
قال الصور قرن من نور والذي بعثني بالحق لعظم دارة فيه كعرض
السماء والارض ينفخ فيها ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق
ونفخة البعث وفي رواية عن ابي بن كعب نفختان قال فيامر الله تعالى
اسرافيل في النفخة الاولى فنفخ فيه فيفزع من في السموات ومن
في الارض وهو قوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله قال ابن عباس هم الشهداء وقيل
هم الانبياء وقال مقاتل هم الملائكة قال فتزلزل الارض وتذهل
كل مرضعة عما ارضعت الى قوله شديد فيصير الولدان شيبا
وتطير الشياطين هاربة وذلك قوله تعالى اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شيء عظيم الاية ويقال نزلت هذه الاية في غزوة بني
المصطلق ليلا فقراها عليهم النبي عليه السلام فلم ير اكثر باكيا
من تلك الليلة وذلك حين قال لهم هل تدرون اي يوم هو ذلك ثم
قال ذلك يوم يقول الله لادم عليه السلام ابعث بعث النار

من ذريتك فيقول كم يا رب فيقول من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فهنالك يشيب الصغير ويسكر الكبير الحديث فلما نزلوا رأى الناس من بين باك حزين وبين متفكر ساكت فقال لهم سددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا فى شئ الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس فوالذى نفسى بيده ما انتم فى الناس الا كالشامة فى جنب البعير او كالرقمة فى ذراع الدابة بل كالشعرة السوداء فى الثور الابيض وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله وقال انى لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وانى لارجو ان تكونوا ثلثى اهل الجنة وان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتى ويدخل الجنة منها سبعون الفا بغير حساب فقام عكاشة فقال ادع الله ان يجعلنى منهم فقال انت منهم وقال آخر مثل ذلك فقال سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة وقوله ان زلزلة الساعة شئ عظيم قيل اشراطها وقيل الرجفة عند البعث وعن ابى قال النفخة الأولى ويقال ذلك قبل النفخة الاولى ينادى مناد من السماء يا ايها الناس اتى امر الله فيسمع صوته جميع اهل الارض فيفزعون فزعا شديدا ويموج بعضهم فى بعض فيشيب فيه الصغير ويسكر الكبير وتضع الحوامل ما فى بطونها وتدع المراضع البنين من الفزع وعن ابى ابن كعب قال ست ايات قبل يوم القيامة قال بينما الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فدكت الارض واضطربت ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطيور والوحوش وماج بعضهم فى بعض واذا الوحوش

حشرت قال اختلطت واذا العشار عطلت قال اهملها اهلها
واذا البحار سجرت قال الجن تاتيكم بالخبر فانطلقوا فاذا هي نار
تتاجج فبينما هم كذلك جاءتهم ريح فاهلكتهم وعن ابن عمر ان النبي
عليه السلام قال من اراد ان ينظر الى القيامة راى العين فليقرا
اذا الشمس كورت صفة النفخة الثانية قال الله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض يعني مات
من شدة الصوت والفزع الامن شاء الله قال كعب يعني جبريل
وميكائيل واسرافيل عليهم السلام ثم يموتون بعد وقيل الشهداء
وقيل رضوان ومالك والزبانية والحور والولدان قال يقول الله
للملائكة المستثنيين موتوا فيموتون فيقول لمن الملك اليوم فلا
يجيبه احد فيقول لله الواحد القهار وعن ابن عباس ينفخ في الصور
فيموت من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله وهم الملائكة
المتقدمة ثم يموتون ويموت ابليس فيمن يموت وقوله تعالى ان كانت
الاصيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون قيل في اسواقهم يتبايعون
وعن الحسن قال بين النفختين اربعون والله اعلم اعاما ام شهرا ام يوما
فاما النفخة الاولى فاماتت كل حي واما النفخة الاخرة فاحيت كل
ميت وعن الربيع بن انس قال قسم الله الماء الذي كان عرشه
عليه قبل ان يخلق السموات قسمين فجعل نصفه تحت العرش
وهو البحر المسجور ولا ينقص منه قطرة حتى ينفخ في الصور النفخة
الاولى فينزل الله منه بين النفختين مثل المني على الارض فينبت منه
اجسام من هو مبعوث من الجن والانس وذلك قوله كذلك نخرج
الموتى وجعل النصف الاخر تحت الارض السفلى والله اعلم بغيبه
واحكم صفة النفخة الثالثة قال الله تعالى ونفخ في

الصور فاذا هم من الاجداث الاية ففى كتاب النقاش قال هى النفخة
الاخيرة قال وبين النفختين اربعون سنة قال ثم تمطر السماء اربعين
يوما كمنى الرجال ومن غيره فيكون الماء فوق كل شيء اثنى عشر ذراعا
فينبتون به فى قبورهم كما ينبتون فى بطون امهاتهم وفى حديث النبى
عليه السلام حتى اذا تكاملت اجسادهم كما كانت ثم يقول الله
تعالى لتحيى حملة العرش فيامر اسرافيل فياخذ الصور فيضعه
على فيه ثم يقول ليحيى جبريل وميكائيل فيحييان بامر الله تعالى
ثم يدعو الله بالارواح فيؤتى بها فيجعلها فى الصور ثم يامر اسرافيل
فينفخ نفخة البعث وفى كتاب النقاش انه يقول ايتها العظام
البالية وايتها العروق المتقطعة وايتها اللحوم المتمزقة وايتها
الاشعار الساقطة اجتمعوا الانفخ فيكم ارواحكم ويجازيكم باعمالكم
فيديم الملك الصوت فتجتمع الارواح كلها فى القرن وطوله
كطول السموات والارضين وعرضه كذلك ثم تخرج الارواح
مثل النحل سود وبيض وشقى وسعيد فتهبط ارواح المؤمنين
بيضا كامثال النحل من السماء العليا الى واد بدمشق يقال لها
الجابية وهو خير واد فى الارض وتخرج ارواح الكافرين من
الارض السفلى سود مثل الذر الى واد بحضرموت يقال له
برهوت وهو شر واد فى الارض وكل روح اعرف بجسد صاحبها
من احدكم الى منزله فياتون افواجا ثم ينزل اسرافيل من فوق
السماء السابعة فيجلس على صخرة بيت المقدس وياخذ ارواح
المؤمنين والكفار كالذر السود والبيض فيجعلهم فى القرن ودائرة
فم القرن مسيرة خمس مائة عام ما بين السماء والارض فتطير
الارواح حتى تطبق ما بين السماء والارض مثل النحل فيذهب

كل روح فيقع في جسد صاحبه فيخرجون من قبورهم فوجا فوجا
وفي قوله تعالى واستمع يوم يناد المناد قيل هو اسرافيل يقول
ايتها العظام النخرة كما تقدم ثم قال من مكان قريب قال الحسن
واى شيء اقرب من انهم بينما هم في بطنها اذ نودوا فاذا هم على
ظهرها وقيل من مكان قريب عن مقاتل من صخرة بيت المقدس
ويقال قربت من السماء بثمانية عشر ميلا ثم قال يوم تشقق الارض
عنهم فيخرجون من الاجداث سراعا الى اجابة الداعي والصوت
الذي سمعوا وقوله فاذا هم من الاجداث اى القبور الى ربهم ينسلون
يخرجون سراعا وعن مجاهد قال ان للكفار هجعة قبل يوم القيامة
فاذا صيح باهل القبور قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقيل
ان الكفار لايعذبون في القبور بين النفختين هذا ما وعد الرحمن اى
قال لهم المؤمنون وقيل الملائكة الذين يكتبون اعمالهم هذا
ما وعد الرحمن الاية

﴿ صفة المحشر واهواله واهله ﴾

قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الاية قيل تبدل هذه
التي عليها بنو آدم ارضا بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم تعمل
عليها معصية وهي ارض الصراط ويقال عمق الصراط مسيرة
خمس مائة عام وتبدل السماء فلا تكون سماء وخرجوا من قبورهم
في ارض مستوية ليس فيها جبل ولا بناء ولا نبت ولا يستترون
بشيء وعن ابن عباس يزاد فيها وينقص فتذهب اشجارها وجبالها
واوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضاء مثل
الفضة لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة والسموات
تذهب شمسها وقمرها ونجومها ويقال اذا اجتمع الخلائق على هذا
الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر

واظلمت الارض بخمود سراجها فبينما هم كذلك اذ مارت السماء
من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها خمس مائة عام والملائكة قيام
على حافتها ثم تسيل كالفضة المذابة يخالطها صفرة فصارت
وردة كالدهان فصارت كالمهل فكانت الجبال كالعهن واشتبك
الناس كالفراش وكانوا حفاة عراة ويقال اول من يكسى يوم
القيامة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال النبي عليه السلام
يحشر الناس يومئذ ثلاثة اصناف مشاة وركبانا وعلى وجوههم
فقال رجل كيف يمشون على وجوههم قال الذى امشاهم على
ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وعنه عليه السلام قال
يحشر الانبياء على الدواب فيوافى المؤمنون من يومهم الحشر ويقال
اذا كانت النفخة الاخرة خرجت الخلائق على وجه الارض من
قبورهم فاما المؤمنون فيسرعون الى الداعى واما المنافقون
والمشركون فيتثاقلون فيبعث الله عليهم نارا او دخانا تسوقهم
الى المحشر فذلك قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ❁
صفة العرق وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال
يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعون
ذراعا فيلجمهم ويبلغ آذانهم وعنه انه قال تدنوا الشمس من
الارض يوم القيامة فتعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبيه
ومنهم من يبلغ نصف ساقيه ومنهم الى ركبتيه ومنهم الى فخذه
ومنهم الى خاصرته ومنهم الى فيه واشار بيده والجمه اياه ومنهم
من يغطيه عرقه فضرب بيده على راسه هكذا وذلك انه قيل
لا يبقى على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ويستظل به
من يشاء الله من عباده المقربين والمخلصين وعنه صلى الله عليه وسلم

تلى قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال كيف بكم اذا
اجتمعتم كما تجتمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم
ويقول لطول يوم القيامة على المؤمن مثل ما بين الظهر والعصر
وعنه عليه السلام انه قال والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن
حتى يكون اهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها وعن كعب
وقتادة قال يقوم الناس لرب العالمين ثلاثمائة عام وقوله تعالى
فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة قيل من سنين الدنيا
مقدار موقفهم حتى يفصل بين الخلائق ويوم القيامة يوم ممدود
ابدا لا غاية له وقيل لو هب يوم القيامة مقدار خمسين الف سنة
قياما لا ينطقون فقال ان المقدار ما بين السماء والارض الى
العرش مقدار خمسين الف سنة ولعل يوم القيامة يكون
يوما من ايام الدنيا على الله او اقل يقول ان ربك لسريع العقاب
وعن ابراهيم قال يصل اليهم من المكروه فى ذلك اليوم مقدار
ما يصل فى خمسين الف سنة والله اعلم

﴿ صفة الوقوف فى المحشر ﴾

قال الله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا ففى كتاب
النقاش قال وذلك ان الله يبعث الاجساد التى كانت فى الدنيا
من حيث كانت من بطون السباع وحواصل الطيور ومن
البحور وبطون الارض وظهورها لان جميع ذلك قد صار ترابا
واجزاء متبددة فيجمع ذلك كله حتى يصير جسدا واحدا فيدخل
كل روح فى جسده فيحشرون الى ارض تسمى الساهرة فيقوم
جميع الثقلين على ارجلهم مستديرين كالصفوف حول الكعبة
وحشر سائر الخلائق كل امة صفا الخيل صفا والبقر صفا وكذلك

ساٮُرها وذلك قوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير
الى قوله يحشرون وقال فوربك لنحشرنهم والشياطين ومن غيره
قال بعضهم لا يحشر الا الثقلين لان غيرهم لا يجرى عليهم التكليف
فى الدنيا ولا ثواب لهم ولا عقاب عليهم فى العقبى وقال تعالى وجاء
ربك قال الحسن امره وقضاؤه والملك صفا صفا وذلك ان
السموات تنشق فينزل ملائكة كل سماء وتقوم على حدة وعن
ابن عباس قال اهل سماء الدنيا وحدهم اكثر من جميع اهل الارض
جنهم وانسهم بالضعف ثم اهل كل سماء اكثر من الذين تحتهم من
اهل السموات واهل الارض بالضعف لا من الجن ولا من الانس
ثم تفيض اهل السماء السابعة فينتشر اهلها على وجه الارض
فهم وحدهم اكثر من جميع اهل السموات واهل الارض جنهم وانسهم
وملائكتهم بالضعف قال فبينما هم كذلك اذ جيء بجهنم فيراها
الخلق كلهم يقال من مسيرة خمس مائة عام عليها سبعون الف
زمام على كل زمام سبعون الف ملك يحبسونها عن الخلائق
وجوههم كالجمر واعينهم كالبرق فاذا تكلم احد تناثر من فيه النار
بيد كل ملك مرزبة عليها سبعون الف رأس كامثال الجبال
وهى اخف فى يده من الريش له رؤس كرؤس الافاعى واعينهم
زرق تريد أن تنقلب على الخلائق من غضب الله عزوجل قال هذا
كله قول الصحابة وفى كتاب الغزالى قال فيقول الجبار جل جلاله
عند ذلك يا جبريل ائت بجهنم فياتيها فيقول لها اجيبى خالقك
فلم يلبث ان طارت وزفرت الى الخلائق غضبا على من عصى الله
فيسمع الخلائق منها ذلك وانتفضت خزنتها متوثبين الى
الخلائق غضبا على من خالف امر الله فيتساقطوا جثيا على ركبهم

وولوا مدبرين وترى كل امة جاثية الاية وسقط بعضهم على بعض
على الوجوه منكسين وينادى الظالمون بالويل والثبور وينادى
الصديقون نفسى نفسى فبينما هم كذلك اذ زفرت النار ثانية
فتساقطوا على وجوههم ثم زفرت ثالثة فتساقطوا على وجوههم
ايضا وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خفى فعند ذلك
تنتهض قلوب الظالمين لدى الحناجر كاظمين وذهلت عقول
السعداء والاشقياء اجمعين ويقال اذا اجتمعت الخلائق
بيت المقدس زفرت جهنم فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل
الا ظن انه لو جاء بعمل سبعين نبيا ما نجا فعند ذلك تاهت عقول
المرسلين فيقال لهم ماذا اجبتم فى التوحيد قالوا لا علم لنا ثم رجعت
عقولهم بعد ذلك فيشهدون على قومهم انهم قد بلغوا الرسالة
عن ربهم فذلك قوله تعالى ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الاية *(صفة الحساب والمسائلة)* وفى الخبر
عن النبى عليه الصلاة والسلام قال ينادى مناد يوم القيامة
سيعلم الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون
ويسرحون الى الجنة ثم ينادى الثانية سيعلم الجمع لمن الكرم اليوم
ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع الاية فيسرحون الى
الجنة ثم ينادى الثالثة سيعلم الجمع لمن الكرم اليوم ليقم الذين
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية قال فيسرحون الى الجنة
قال ثم يخرج عنق من النار لها لسان فصيح وعينان بصيرتان
فتشرف على الخلائق فتقول انى وكلت بثلاثة وكلت بكل جبار
عنيد فتلتقطهم لقط الطير حب السمسم فتخنس بهم فى جهنم
ثم تقول انى وكلت بمن آذى الله ورسوله فتلتقطهم فتخنس بهم

فی جہنم ثم تقول انی وکلت باصحاب التصاویر فتلقطہم الی جہنم
فاذا اخذ ہؤلاء نشرت الصحف ووضعت الموازین ودعی الخلائق
للحساب وذلک قوله تعالی فلنسئلن الذین ارسل الیہم ولنسئلن
المرسلین الایة ویقال ان اول من یدعی یوم القیامة للحساب اسرافیل
فیقول له الله هل بلغت عهدی فیقول نعم یارب قد بلغت جبریل
فیقال له هل بلغک اسرافیل عهدی فیقول نعم فیخلا عن اسرافیل
فیقال لجبریل وما صنعت بعهدی فیقول قد بلغته الرسل
فتدعی الرسل فیسالون ویقولون نعم قد بلغناه الامم فتدعی
الامم فیسئلون فمکذب ومصدق فیقول الرسل لنا علیهم
شهداء فیقول تعالی مَن وهو اعلم فیقولون امة محمد فتدعی
الامة فیقال لهم اتشهدون بان الرسل بلغت الامم فیقولون
نعم فیقول الامم یاربنا کیف یشهدون علینا ولم یدرکونا فیقول
الله لهم ذلک فیقولون یاربنا ارسلت الینا رسولا وانزلت
علیه کتابک فقصصت علینا ان قد بلغوا وذلک قوله تعالی
لتکونوا شهداء علی الناس الایة وقوله فلنسئلن الذین ارسل الیهم
ولنسئلن المرسلین وقال تعالی فوربک لنسئلنهم اجمعین
وقال وان کان مثقال حبة من خردل اتینا بها وکفی بنا حاسبین
وعن عائشة رضی الله عنها قالت قال رسول الله صلی الله علیه
وسلم لیس احد یحاسبُ یوم القیامة الاعذب قالت قلت
یارسول الله الیس قال فسوف یحاسب حسابا یسیرا قال
انما ذلک العرض ولیس احد یناقش الحساب الاعذب
قیل النقش هو الاستقصاء ثم قال ابشروا فانه ما استقصی
کریم قط وفی الحدیث لاتزول قدمُ ابن ادم یوم القیامة حتی یسئل عن خمس

عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن ماذا عمل فيم علم وعن الحسن بن محمد قال يحاسب الله المسلمين بالمنة والفضل والكفار بالحجة والعدل

ولبعض الشعراء

تسربل ثوب الحلم واعرض عن الجهل . وبادر بتقوى الله مادمت في المهل
تذكر غدا يوم الحساب وهوله . اذا جمع الله الخلائق للفصل
هنالك لا جور يخاف وانما . يخاف هناك الخائفون من العدل

وقال بعض العلماء في قوله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها الاية قال هي الوالدة تلقى ولدها يوم القيامة فتقول يا بني الم يكن بطني لك وعاء وثديي لك سقاء فيقول بلى يا اماه فتقول يا بني لقد اثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبا واحدا فيقول اليك عني يا اماه اني اليوم عنك مشغول وينشد لابن عبد ربه

يا ويلتا من موقف ما به . اخوف من ان يعدل الحاكم
ابارز الله بعصيانه . وليس لي من دونه راحم
يارب غفرانك عن مذنب . اسرف الا انه نادم

وعن ابن مسعود قال وددت ان حسناتي فضلت سيآتي مثقال ذرة ولواني وقفت بين الجنة والنار لا ادري الى ايهما اصير ثم قيل تمن لتمنيت ان اكون ترابا

صفة الصحف

وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الكتب يوم القيامة تحت العرش فاذا كان يوم القيامة بعث الله ريحا فتطيرها في الايمان والشمائل وقال تعالى فامامن اوتي كتابه بيمينه الاية وعن بعض السلف قال اول خط في الكتاب اقرأ كتابك

الاية ويقال سيقرا يومئذ من لم يكن قارئا وقال بعض العلماء
ثلاثة مواطن لا يسال فيها احد احدا اذا تطايرت الكتب حتى
يعلم اياخذ كتابه بيمينه ام بشماله واذا وضعت الموازين حتى
يعلم ايثقل ميزانه ام يخف وعند الصراط حتى يعلم ايجوز ام لا
وفي التفسير قال اذا كان الرجل في الخير راسا يدعو اليه
دعي باسمه واسم ابيه فيخرج له كتاب ابيض بخط ابيض في
باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات فيبدا بالسيئات فيقراها
فيشفق ويتغير لونه فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سيآتك
وقد غفرت لك فيفرح ثم يقلب الكتاب فيقرا حسناته فلا يزداد
الا فرحا حتى اذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك وقد
ضوعفت لك ويوضع تاج على راسه ويكسي حلتين ويحلى منه
كل مفصل ويطول ستين ذراعا وهي قامة آدم عليه السلام
فيقال له انطلق الى اصحابك فبشرهم ان لكل انسان منهم
مثل هذا فاذا ادبر قال هاءم اقرؤا كتابيه الاية فيقول لاصحابه
اما تعرفوني فيقولون غيرتك كرامة الله من انت فيقول انا فلان
ابن فلان ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا قال واذا كان
في الشر رأسا يدعو اليه نودي باسمه واسم ابيه فيقوم الى
حسابه فيخرج له كتاب اسود بخط اسود في ظاهره الحسنات
وفي باطنه السيات فيبدا بالحسنات فيقراها فيفرح وظن
انه سينجو فاذا بلغ في اخره وجد فيه هذه حسناتك وقد
ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير
ثم يقلب كتابه ويقرا سياته فلا يزداد الا حزنا ولا يزداد وجهه
الا سوادا فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سيآتك

فيعكر وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سرابيل القطران فيقال
له انطلق الى اصحابك فاخبرهم ان لكل انسان منهم مثل ذلك فاذا
ادبر فينطلق وهو يقول يا ليتنى لم اوت كتابيه الاية فينادى اصحابه
اما تعرفوننى فيقولون ماندرى ولكن قد نرى مابك من الحزن من
انت فيقول انا فلان ابن فلان ان لكل انسان منكم مثل هذا والله
اعلم صفة الحوض وعن النبى عليه السلام قال حوضى
مسيرة شهر ماءه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه
كنجوم السماء من شرب منه فلا يظما ابدا وفى حديث اخر قال
الا ان لكل نبى حوضا يدعوا اليه من عرفه من امته وانهم ليتباهون
من هو اكثر وارده ما بين جنبتى حوضى كما بين صنعاء وايلة فيه عدد
نجوم السماء آنيته ذهب وفضة شرابه ابيض من اللبن واحلى من
العسل وابرد من الثلج من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا
وقال ما بين منبرى وحوضى روضة من رياض الجنة ومنبرى على
حوضى صفة الميزان وعند علمائنا رحمهم الله ان
الميزان معناه فصل وتمييز للاعمال والنيات قال الله تعالى
والوزن يومئذ الحق وقالت الاشعرية واشياعها ان الميزان المذكور
فى القران هو ميزان على الحقيقة له عمود وكفتان ورووا ان الحسنات
يؤتى بها فى احسن صورة فتوضع فى كفة وان السيات يؤتى بها
فى اقبح صورة فتوضع فى كفة اخرى وهذا عند اصحابنا باطل
لان الاعمال اعراض ولا يتصور وزن ما ليس صورة والله
تعالى اعلم صفة الصراط قال الله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم قالت الاشعرية ان الصراط احد من السيف وارق
من الشعر له كلاليب وحسكا وخطاطيف تختطف الناس يمينا وشمالا

وعلى جنبيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم ولم يقل اصحابنا بهذا انما الصراط المستقيم عندهم طريق الاسلام ولا ادرى قول الله تعالى صراط الجحيم اهى القناطر السبع المذكورة فى تفسير قول الله تعالى ان ربك لبالمرصاد ام لا وفى كتاب النقاش من فقهاء قومنا قال حدثنا ايفع بن عبيدة وابو اليمان قال ان لجهنم سبع قناطر ثلاثة دون الرب تعالى والله تعالى على الرابعة الوسطى والصراط احد من السيف وارق من الشعر فيقول الله تعالى حين يبلغون القنطرة الاولى وقفوهم انهم مسؤلون فيحاسبون على الصلاة فيهلك من هلك وينجو من نجا ثم يحاسبون على القنطرة الثانية على الامانة ثم يحاسبون على الثالثة وهي ادنى من الرب فيحاسبون على صلة الرحم فيهلك من هلك وينجو من نجا فيمرون بالرب فيؤخذ بالنواصي والاقدام وهذا منهم تصريح بالتحديد تعالى الله ان يحده مكان قاتلهم الله انى يؤفكون ما جاء فى القصاص عن ابن مسعود عن النبى عليه السلام قال اول ما يقضى بين الناس فى الدماء وعنه انه قال من كانت له عند اخيه مظلمة فليحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان تؤخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سياته فطرحت عليه وعنه صلى الله عليه وسلم قال ليحبسن اهل الجنة بعد ان يجاوزوا الصراط ولم يدخلوا الجنة حتى يؤخذ لبعضهم من بعض مظالمهم التى تظالموها فى الدنيا فيدخلون الجنة وليس فى قلب بعضهم على بعض غل والله اعلم ❊ فى الشفاعة ❊ وهي حق نطق بها القران وذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه فى امثال هذه الاى كثير والشفاعة عند اصحابنا

مطلب

مطلب

انما هي للمؤمنين دون اهل الكبائر لقوله عليه السلام لا ينال شفاعتي
سلطان ظلوم غشوم للناس ورجل لا يراقب الله في اليتيم وقال
صنفان من امتي لا تنالهما شفاعتي وهما ملعونان على لسان
سبعين نبيا القدرية والمرجئة وعند قومنا انها ثلاث شفاعات
فيما وجدت في كتبهم احدها شفاعة المحشر والثانية للسبق
الى الجنة والثالثة لاهل الكبائر الموحدين يخرجون بها من النار
عندهم واحاديث الشفاعة مستفيضة في الكتب وصفتها مشهورة
تركنا جميع ذلك مخافة التطويل وهي عند اصحابنا في الحساب
بعد طول مقام على ارجلهم وبعد ان بشر اصحاب الايمان
واخذوا كتبهم بايمانهم فشفع لهم حتى اراحهم الله من الموقف
وهي تشريف لمنازلهم وترفيع لدرجاتهم لان من اوجب له
القران الخلود في النار لا شفاعة له واختلف في اصحاب
الاعراف قيل هم قوم استوت حسناتهم وسياتهم وقيل
قوم خرجوا الى الجهاد بغير اذن اباءهم واستشهدوا وقيل قوم
فيهم عجب وقيل ذراري المشركين ومعنى الاعراف جبل فيه
اشراف متفاوتة كعرف الديك وهو الحجاب الذي قال الله
تعالى وبينهما حجاب وهم اهل الجنة ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون والله اعلم صفة جهنم اعاذنا الله
منها قال الله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة
ابواب الاية قيل هي دركات جهنم بعضها اسفل من بعض
كل باب منها اشد حرا من الذي فوقه بسبعين جزءا بين كل بابين
مسيرة سبعين سنة اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم الجحيم ثم الهاوية ثم سقر وفي كتاب النقاش قال معنى جهنم

الواسعة الجوف قال وابواب النار كلها فيها قال واما السعير
فهي ابدا تسعر وتزداد حرا واما لظى فانها تتلاظى عليهم حرا بعد
حر اشد من الاول واما سقر فتفسيرها المهينة فيها الهوان من
كل ضرب وتقول العرب سقرته بلسانى اى اهنته واما الجحيم
فذات الجمر العظام فالجحيم الجمر وهو جمر اسود ليس لها نور واما
الحطمة فلا يدخلها الكفار حتى تحطم كل عظم في جسده ووجهه
من ضيقها واما الهاوية فهي سجين وسميت الهاوية لان صاحبها
تهوى به ابدا لا يبلغ اسفلها وعن النبي عليه السلام قال
ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل يا رسول الله
ان كانت لكافية قال فضلت عليها بتسعة وتسعين جزءا كلهن
مثل حرها وعن ابي هريرة قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما اذ سمعنا وجبة فقال اتدرون ما هذه قلنا
الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين خريفا
فالآن حين انتهى الى قعرها وقال ايضا اوقدت النار الف سنة
حتى احمرت فاوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها
الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وعنه عليه السلام
قال اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فأذن
لي بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما تجدون
من الحر واشد ما تجدون من الزمهرير وعنه عليه السلام قال
ان اهون اهل النار عذابا رجل توضع في اخمص قدميه جمرتان
يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم وعن ابن مسعود في
قوله فسوف يلقون غيا قال نهر في جهنم يسيل من صديد
اهل النار وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى والشجرة الملعونة

في القرآن قال الزقوم اذا جاع اهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فاكلوا
منها فانسلخت وجوههم حتى لو ان مارا مر عليهم يعرفهم لعرف
جلود وجوههم فاذا اكلوا منها القى عليهم العطش استغاثوا فاغيثوا
بماء كالمهل والمهل الذى قد انتهى حره فاذا ادنوه من افواههم انضج
حره الوجوه ويصهر به ما فى بطونهم اراد الامعاء فيضربون
بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله فيدعون بالثبور
وعن ابى هريرة لو كان فى المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس
رجل من اهل النار لماتوا وقال بعض اهل العلم فى قوله تعالى
تلفح وجوههم النار انها تلفحهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على
عظم الا القته على اعقابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال
لو ان دلوا من غساق جهنم القى فى الدنيا لانتن اهل الارض
فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش وقال تعالى لآكلون
من شجر من زقوم ثم بينها فقال انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم
الى قوله لشوبا من حميم وعن النبى عليه السلام قال لو ان قطرة
من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لفسد عن الناس معايشهم
فكيف من يكون طعامه ذلك وقال عليه السلام يلقى
على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون
بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع
فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون انهم يجيزون
الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيدفع لهم
الحميم بكلاليب الحديد فاذا ادنت من وجوههم شوت وجوههم
قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من
العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات الاية

فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم انكم ماكثون
فيقولون ادعوا ربكم لا احد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت
علينا شقوتنا الى قوله فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا
تكلمون فعند ذلك ايسوا من كل خير فاخذوا فى الزفير والحسرة
والعويل وقال عليه السلام فى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد
يسيغه الاية قال يتكرهه فاذا ادنى منه شوى وجهه ورقت
فروة راسه وقال عليه السلام فى النار حيات كامثال اعناق
البخت تلسع اللسعة فيجد حمتها اربعين خريفا وقال ان فيها
العقارب كالبغال الموكفة يلسع اللسعة فيجد حمتها اربعين
خريفا وقال عليه السلام ضرس الكافر فى النار مثل جبل
احد وغلظ جسده مسيرة ثلاثة ايام وان شفته السفلى
ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال
عليه السلام ان الكافر ليجر فى سجين يوم القيامة قال الحسن
فى قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال
تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم
عودوا فيعودون كما كانوا وعن النبى عليه السلام فى قوله
تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسلا الاية قال ينشئ الله
لاهل النار سحابة سوداء مظلمة فيقال لهم اى شئ تطلبونه
فيذكرون بها سحائب الدنيا فيقولون يا ربنا الشراب فتمطرهم
اغلالا وسلاسلا تزيد فى سلاسلهم وجميما تلتهب عليهم
وفى كتاب النقاش فى قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذى
ثلاث شعب قال يقال لهم اذا زفرت جهنم زفرة يخرج عنق
من النار فيحيط باهلها ثم تزفر زفرة اخرى ويخرج عنها اخر

فيجر لسانه

فيحيط بهم ثم تزفر ثالثة فيخرج عنها فيحيط بالاخرين فيصير حولهم
سراديق من نار فيخرج دخان جهنم فوقهم فيظن اهل النار انه
ظل وانه سيمنعهم من النار فيساقون كلهم فيستظلون تحتها
فيجدونها اشد حرا من السرادق فذلك قوله انطلقوا الى ظل
ذى ثلاث شعب لانها تقطع ثلاث قطع لا ظليل ولا يغنى
من اللهب لهب السرادق الذى احاط بهم وعن الحسن
فى قوله ان جهنم كانت مرصادا ويقال ترصد اهلها كما يرصد
الاسد الوحش نزلت فى الوليد بن المغيرة ثم ذكر كم يلبثون فى
النار فلم يوقت لهم فقال لابثين فيها احقابا اى ازمنة
لا يدرى كم عددها والاحقاب جمع حقب ويقال الحقب
ثمانون سنة كل سنة ثلاث مائة وستون يوما كل يوم منها
كالف سنة وانما ذكر الاحقاب لانها اعظم من الايام ودل على
انها احقاب بعد احقاب لا الى غاية وفى قوله تعالى ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت وفى كتاب النقاش قال
يقال يحرق فى [illegible] كل النار
وتاكله [illegible] عنقه نار
وفى كل مفصل منه سبعة الوان من العذاب لا [illegible] ولا يسمع
ولا يموت ابدا ولا [illegible] والله عليه غضبان
و[illegible] ولا اقحم
[illegible] بالله
[illegible] قال
[illegible] جهنم من سفلها الى [illegible] سيرة الف
[illegible] وهى جمرة واحدة عليها القياض

والافاعي والعقارب تضرب احدهم الحية بفقارها فيتناثر لحمه
على قدميه قال فبكى المسلمون فانزل الله وما ادراك ما العقبة
يا محمد لا ينجو منها الا من اعتق رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة
يتيما ذا مقربة الاية كلها وقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يعني شدة العذاب وهو في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي
عنقه حجر ضخم مثل الجبل العظيم من جبل الكبريت يشتعل النار
في الحجر وهو معلق في عنقه فتشتعل في وجهه لا يطيق دفعها
عنه من اجل الاغلال التي في يديه وعنقه وفي قوله تعالى اذ
القلوب لدى الحناجر كاظمين قيل اذا عاينوا النار شخصت
ابصارهم واخذتهم رعدة من الخوف فشهقوا شهقة زالت
قلوبهم من اماكنها فتنتشب في حلوقهم فلا هي تخرج ولا هي
ترجع ابدا وعن الضحاك قال يحشر الكافر وبصره
حديد ثم يزرق ثم يعمى والقلب يتقلب في جوفه ويريد
ان يخرج فلا يستطيع فيثب فيقع في الحنجرة فذلك قوله
اذ القلوب لدى الحناجر وعن محمد بن كعب قال لاهل النار
خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع فاذا كانت الخامسة
لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين الاية
فيجيبهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم ويقولون ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا فيجيبهم ذوقوا بما نسيتم الاية
ويقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب الاية فيجيبهم اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ويقولون ربنا اخرجنا نعمل
صالحا الاية فيجيبهم اولم نعمركم الاية ويقولون ربنا اخرجنا
منها الاية فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون ولا يتكلمون

بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب وعن زيد بن اسلم في قوله
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا الاية قال جزعوا مائة سنة وصبروا
مائة سنة فقالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا الاية قد ذكرنا طرفا
من اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل انواعها لا نهاية لها
واعظم الامور على اهلها من شدة ما يلاقونه من شدة العذاب
حسرة فوات نعيم الجنة ورضا الله تعالى عنهم مع علمهم لانهم
باعوا كل ذلك بشهوة خسيسة ودنيا حقيرة في ايام قصيرة
فنسال الله تعالى ونتضرع اليه ان ينجينا من غضبه وعذابه
ومن فوات ثوابه والله ارحم الراحمين

صفة الجنة واصناف نعيمها

قال الله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى
اذا جاؤها وفتحت ابوابها الى قوله فنعم اجر العاملين وعن
علي بن ابي طالب انه قرا هذه الاية فقال اذا وصلوا الى باب من
ابواب الجنة وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان
فيشربون من احدهما فيذهب ما في بطونهم من اذى وباس
فيتطهرون من الاخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغير اشعارهم
ولا تشعث رؤسهم ابدا ثم تستقبلهم الملائكة خزنة الجنة
فيقولون لهم سلام عليكم طبتم الاية قال ثم تتلقاهم الولدان
فيقولون لاحدهم ابشر بما اعد الله لك من الكرامة قال ثم
ينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه من الحور
العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به قالت
انت رايته قال انا رايته باثري فيستخف احداهن الفرح حتى
تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه

فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واصفر من كل لون ثم ينظر
الى سقفه فاذا هو مثل البرق فلولا ان الله عز وجل قدر الا يذهب
بصره لذهب ثم يطاطئ راسه فاذا ازواجه واكواب موضوعة
ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكا فقال الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن الاية الحمد لله الذى هدانا لهذا الاية ثم ينادى
مناد يحيون فلا يموتون ابدا ويقيمون فلا يظعنون ابدا ويصحون
فلا يمرضون ابدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان
فى الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى باطنها من ظاهرها
وظاهرها من باطنها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما
لا عين رات ولا اذن سمعت قال جابر قلت يا رسول الله لمن
هذه الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام
وصلى بالليل والناس نيام قال قلت يا رسول الله ومن يطيق
ذلك قال امتى يطيقون ذلك وساخبركم عن ذلك فمن لقى
اخاه المسلم وسلم عليه او رد عليه السلام فقد افشى السلام
ومن اطعم اهله وعياله حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام
ومن صام شهر رمضان وثلاثة ايام من كل شهر فقد ادام
الصيام ومن صلى العشاء الاخيرة والغداة بجماعة فقد صلى
بالليل والناس نيام يعنى اليهود والنصارى والمجوس وسئل
عليه السلام عن قوله تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن
قال قصر من اللؤلؤ وفى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة
حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر فى كل بيت سرير
على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من
الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون

لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة
يعنى من القوة ما ياتى على ذلك اجمع وعن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال جنة عدن قصر فى الجنة له عشرة الاف باب
على كل باب خمس وعشرون الفا من الحور العين وعن النبى
صلى الله عليه وسلم قال ان حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة
من فضة وترابها زعفران وطينها مسك وسئل ايضا عن تربة
الجنة قال درمكة بيضاء مسك خالص وقوله تعالى يهديهم ربهم
بايمانهم الاية ففى كتاب النقاش قال يهديهم [illegible]
ويثيبهم الجنة بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار يعنى [illegible]
قصورهم نور فى نور قصور الدر والياقوت وانهار تجرى من
تحت غرفهم فى جنة النعيم لا يكلفون فيها [illegible] ولا
تصيبهم مشقة ابدا دعواهم فيها سبحانك اللهم [illegible]
علم بين اهل الجنة وبين الخدم اذا ارادوا الطعام [illegible]
قالوا سبحانك اللهم فاذا المائدة وضعت ميلا فى [illegible]
اللؤلؤ ودخل عليهم الخدم من اربعة الاف باب معهم [illegible]
الذهب سبعون الف صحيفة فى كل صحفة لون من الطعام [illegible]
فى صاحبتها مثله كلما شبع القى عليه الف باب [illegible]
شبع اتى بشربة تهضم ما قبلها اربعين [illegible]
بالوان الثمار وتجىء الطير امثال البخت [illegible]
لون وظهورها وبطونها الوان وقوائمها الوان [illegible]
حتى تقع بين يديه فى البيت فرش فى [illegible]
سرر موضونة الوضين مشبكة وسطها بقضبان [illegible]
والزمرد الرطب اللين من الحرير قوائمه اللؤلؤ [illegible]

وفضة عليه من الفرش مقدار سبعين [illegible]
رجلا وقع من تلك الفرش لم يبلغ قراره [illegible]
فياكلون ويشربون والطير تصطف [illegible] فيقول [illegible]
رعيت في روضة كذا وكذا وشربت من [illegible]
وكذا فاتيتها [illegible] نعتها وقدمت [illegible]
من الطير الوانا [illegible]
الجنة لانه ليس في الجنة من [illegible]
[illegible] من عند الرب [illegible]
فلا يصل اليه حتى يستاذن [illegible]
فيقول يا ولي الله [illegible]
والشراب [illegible] الحمد لله رب العالمين [illegible]
واخر دعواهم [illegible]
اخر [illegible]
الجنة والجنة كلها [illegible]
كل باب على [illegible]
التحف [illegible] النبي [illegible]
والسلام قال ان في الجنة [illegible]
مائة عام لا يقطعها [illegible]
اليه اعرابي فقال [illegible]
مؤذية [illegible]
هي قال السدر فان لها شوكا قال قال الله تعالى في سدر
مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم
تنقسم الثمرة منها على اثنين وسبعين لونا [illegible]

يشبه الآخر وروي ان سلمان رحمه الله اخذ عودا صغيرا
فقال لجرير بن عبد الله يا جرير لو طلبت في الجنة عُوَيدا مثل هذا
لم تجده قال قلت فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب
واعلاها الثمر وقال تعالى فيها فاكهة ونخل ورمان وذكر
عن الحسن قال نخل الجنة جذوعها من ذهب وسعفها حلل
ورطبها مثل قلال هجر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
والين من الزبد وعن ابن عباس قال جذوع نخل الجنة
ذهب احمر وكروبها زبرجد اخضر وشماريخها در ابيض
وسعفها الحلل ورطبها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
والين من الزبد ليس في شيء منها عجم طول العذقة اثنا عشر
ذراعا منضود من اعلاه الى اسفله امثال القلال لا يؤخذ
منه شيء الا اعاده الله كما كان وعن النبي عليه السلام
قال في حديث الاسراء ثم اعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر
بي في الجنة فاذا الرمانة من رمانها مثل الدلو [illegible]
عليه السلام قال في كل رمانة من رمان [illegible] حبة من رمان
الجنة قال الحسن احسبه قال لا ياكله المنافق [illegible]
يحلون فيها من اساور من ذهب الآية وعن ابي هريرة ان
النبي عليه السلام قال ان اول زمرة تلج الجنة [illegible] صورة
القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد [illegible]
النجوم في السماء لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون
فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة [illegible]
ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيها [illegible]
بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله [illegible]

وفي رواية اخرى على كل زوجة سبعون حلة وقال عليه السلام في
قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب الاية قال ان عليهم التيجان
ادنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال تعالى
حور مقصورات اى محبوسات في الخيام وهي جمع خيمة وقال
النبي صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء
ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراه الاخرون
وقال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف
مصراع من ذهب وقال عليه السلام في قوله تعالى
وفرش مرفوعة قال ما بين الفرشين كما بين السماء والارض وعن
ابن مسعود في قوله تعالى ومزاجه من تسنيم قال يمزج
لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء في
قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة
يختم به اخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه
ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها وعن الحسن عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الجنة لا يدخلونها كلهم
رجالهم ونساؤهم الا في ثلاثة وثلاثين سنة على طول ادم
ستين ذراعا لا يبولون ولا يتمخطون والنساء عربا اترابا لا يحضن
ولا يلدن ولا يتغوطن ولا يقضين حاجة ابدا يسرهن ينذر
وقال لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت على
الارض لاضاءت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها
خير من الدنيا وما فيها لا ينفد ابدا وقال في قوله
تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال تنظر الى وجهها في
خدها ... اصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين

مسيره مائة عام في قصور الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له
في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليه بسبعين الف
صحفة من ذهب ويراح عليه بمثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى يجد
طعم اخره كما يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار
سبعون الف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب وعن مجاهد قال ان ادنى اهل الجنة
منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وقال سعيد بن المسيب
ليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من
فضة وسوار من لؤلؤ وعن ابي هريرة قال ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء
اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وقال عليه السلام لاصحابه الا هل مشمر الى
الجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة تهتز وقصر
مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة وزوجة حسناء جميلة في كثرة ونعمة وفي
مقام ابدا ونظرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله
قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحرض عليه وبالله العون والتوفيق
[illegible] سعة الجنة ما ينبه العاقل على الشوق اليها والتشمر لها والاطماع
في تحصيل [illegible] الجنة اذ فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على [illegible] والله تعالى اعلم واحكم وبه الحول والتوفيق وهو حسبنا ونعم
الوكيل [illegible] لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصل اللهم بجلالك على سيدنا
ومولانا محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم وعلى جميع الانبياء والمرسلين ※
[illegible] تم [illegible] ما املت من امر [illegible]
[illegible] من كل ما زلت به القدم و[illegible] به القلم
[illegible] كتبنا انما الفناه من كتب شتى [illegible] كتب
[illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] به

حبيباكان اوبغيضا ورد الباطل على من جاءك به حبيباكان او بغيضا فاستخرجت العلم النافع من كل كتاب ولم احتفل بمؤلفه على خطأكان اوصواب ونقلت الحق المفهوم من بين الشوك والسموم اذ حجة الله على الانسان فهم الحق وعلمه من اى لغة سمعها ولسان وبالله التوفيق وانا استغفر الله من جميع اقوالى التى خالفت افعالى واستغفره من كل نعمة انعم بها على فتقويت بها على معصيته واستغفره من كل وعد وعدته من نفسي ثم لم اوف به واستغفره من كل علم وعمل اردت به وجهه فخالطه ماليس له واستغفره من كل خطوة وخطرة ونظرة وحركة خالفت ماليس لله فيه رضى او دعانا الى تصنع ورياء من كتاب الفناه اوكلام اوعلم اوامر اونهى اظهرناه ونحن نرجو بعده التوبة والاستغفار ان تشملنا رحمة الله وسترته فيما صنفناه وقلناه لان رحمته واسعة وكرمه

عميم وجوده على اصناف
الخلق فائض وبالله
التوفيق
والهداية

م

قد تم طبع الجزء الثالث من كتاب قناطر الخيرات بالمطبعة البارونية الكائنة بطيلون بمصر المحمية على ذمة ملتزمه حضرة الاستاذ الشيخ محمد الباروني وشركاه كان الله في عونهم بجاه خير انبياه وقد وافق انتهاؤه في جمادى الثانية سنة ١٣٠٧

